مقامات

أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني

شرحها ووقف على طبعها

محمد محيي الدين عبد الحميد

دار الطلائع

أبو الفضل الهمذاني، صالح بن أحمد بن محمد،...- ٩٩٤.
مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني/ محمد محيي الدين عبدالحميد.
ط١- القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، ٢٠١١ .
٣٣٦ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٢ ٦٦٥ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١- المقامات العربية. أ- عبد الحميد، محمد محيي الدين (شارح)
ب - العنوان. ٨١٤.٠٢

رقم الإيداع: ٢٠١١/٨٩٤٢
الترقيم الدولي: 978-977-277-665-2

تصميم الغلاف الفنان: إبراهيم محمد

● جميع الحقوق محفوظة للناشر ●

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

تطلب جميع مطبوعاتنا من وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية
مكتبة الساعي للنشر والتوزيع

ص.ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣ - هاتف: ٤٣٥٣٧٦٨ - ٤٣٥١٩٦٦ - ٤٣٥٩٠٦٦
فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥ جوال: ٠٥٥٠٦٧١٩٦٧
جدة: هاتف/ فاكس: ٦٢٩٤٣٦٧ جوال: ٠٥٥٠٦٧١٩٧٦
E-mail: alsaay99@hotmail.com

مطابع العبور الحديثة - القاهرة
تليفون: ٤٦٦٥١٠١٣ فاكس: ٤٦٦٥١٥٩٩

دار الطلائع

٤٢ شارع علي أمين امتداد مصطفى النحاس -
مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٤٠١٥٢٧٨ - ٢٤٠١٥٢٧٩ (٢٠٢)
فاكس: ٢٤٠٤٣٨٠٢ (٢٠٢)
E-mail : info@altalae.com
Web site: www.altalae.com

بين يدي هذه الطبعة

الحمد لله جاعل المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، جامع اللسان والقلم على ترجمة ما في الضمائر، أحدهما للأسماع، والآخر للأبصار، أحمده حمدًا كثيرًا على أن حفظ برسوم الخطوط ما تكلُّ الأذهان السليمة عن حفظه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، الذي أُوتي جوامع الكَلِم، عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والسلام.

وبعد..

فإن الكتابة الأدبية، تُعد من أشرف الصنائع وأرفعها، وأربح البضائع وأنفعها، وأفضل المآثر وأعلاها، يُعظِّم أصحابها، ويُكرِّم كُتَّابها. فحليفها- دائمًا وأبدًا- خليقٌ بالتقديم، وجدير بالتبجيل والتكريم.

وكتاب المقامات الذي بين أيدينا لهو خير مثال من النثر البارع لكاتب بديع وشاعر عظيم، وهو في كليهما قد ضرب بسهم بعيد المرمى، واغترف من بحر عميق الغور، إلَّا أنه البحر العَذْب الفرات.

ولقد وقف على تلك المقامات، فضيلة الأستاذ الفذ عالم اللغة والأدب، العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد، وأعمل فكْره وأجهد قريحته في شرح وتحقيق تلك المقامات، والتعليق

عليها بأسلوبه المتميز، وهدفه في ذلك خدمة مُحبّي ومُطالعي اللغة والأدب.

وإيمانًا من (دار الطلائع) وحرصها على المحافظة على تراث الأمة الإسلامية والعربية، فقد أخذت على عاتقها تقديم هذا الكتاب لقُرَّائها الكرام في طبعة جديدة منقَّحة ومدقَّقة تليق بهذا الكتاب القيّم والبديع.

سائلين المولى- عز وجل- أن ينفع به طلاب العلم وأبناء العربية والإسلام، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

الناشر

صحيفة الإهداء

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد إبراهيم مفتي وزارة الأوقاف العمومية.

سيدي الوالد

إلى نفسك الطاهرة، وحكمتك العالية، وأدبك الجم، وفضلك الغزير، أقدم كتابي هذا

لقد ربيتني على الفضيلة، وحببت إليّ العمل، وزهدتني في الدعة والوني- وعند الله في ذلك جزاؤك فليس بيدي شيء منه ولا في استطاعتي أن أناله ولو رقيت أسباب السماء- ولكني أتقدم إليك بكتابي هذا برهانا على أنك غرست فأثمرت، وبذرت. فأنميت ودليلا على أن غراسك سيزداد نموا بمر الأيام إلى أن يؤتي أكله مرتين بإذن الله، والسلام.

نوفمبر سنة ١٩٢٣

محمد محيي الدين عبد الحميد

اللهم إنا نستعينك ونستهديك، ونسترشدك ونسترضيك، ونحمدك ونشكرك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، ونسألك المزيد من صلاتك وسلامك، والمترادف من آلائك وفضلك على سيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمي، العربي الهاشمي، وعلى آله وصحبه، وعترته وحزبه (وبعد) فقد علقت الأدب صغيرًا ثم أحببته يافعًا، فشابا، ولا أزال في هذه السن أكرع من حياضه، وأغترف من بحاره، وقد كنت في مذاكرتي لا أجد بدًّا من التعليق على ما أقرأ، ولا يسعني غير أن أكتب عنه بعض كلمات أرجع إليها إذا نسيت، وأراجعها كلما غفلت، وكان من سوالف الأقضية إني قرأت مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذاني فلم تتغير خطتي، ولم أنهج سبيلا غير التي نهجت في غيرها، وغبر على ذلك دهر طويل، ثم علم (حضرة الأستاذ الشيخ محمد سعيد الرافعي الكتبي) بهذا فطلب إليّ أن آذنه بإظهار هذه التعليقات للناس، ولم يزل يحبب إليّ هذه الفكرة حتى تشجعت على قبولها ولعل فيها غناء لكثير من المطالعين عن المراجعة الطويلة وإعمال الفكر، وإجهاد القريحة، فأكون قد أرحتهم وكفيتهم مؤونة ذلك بتعب ساعات قلائل اختلستها منذ زمن من أوقات فراغي والسلام.

ترجمة أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني

من هو؟

الكاتب المترسل، والشاعر المجيد، قدوة الحريري، وقريع الخوارزمي ووارث مكانته، معجزة همذان، ونادرة الفلك، وفريد دهره رواية وحفظا، وغرة عصره بديهة وذكاء، أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني.

نشأته، ونباهة شأنه، ووفاته:

نشأ بهمذان إحدى مدن فارس الشمالية ودرس العربية والأدب وبرع فيهما ثم غادرها سنة ثمانين وثلثمائة وهو فتى السن غض الشباب وقد درس على أبى الحسين ابن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنزف علمه واستنفد بحره وورد حضرة الصاحب أبي القاسم فتزود من أدبه الجم وحسن آثاره ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة جماعة الإسماعيلية والتعيش في أكنافهم والاقتباس من أنوارهم واختصه أبو سعد محمد بن منصور بمزيد الفضل وإسداء المعروف ثم اعتزم نيسابور وشد إليها رحله فأعانه أبو سعد وأحسن إمداده فوافاها سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ونشر فيها بزه وأظهر طرزه وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية ونحوها بلفظ رشيق. وسجع رقيق. نسج الحريري على منوالها، وهيهات أن يدرك الظالع شأو الظليع، ثم شجر بينه وبين أبى بكر الخوارزمي ما كان سببا لهبوب ريح الهمذاني، وعلو أمره، وقرب نجحه، وبعد صيته إذ لم يكن في الحسبان أن أحداً من الأدباء والكتاب والشعراء ينبري لمباراة الخوارزمي، أو يجترئ على مجاراته، فلما تصدى البديع لمساجلته، وجرت بينهما مكاتبات، ومباهات، ومناظرات، ومناضلات، وأفضى السنان إلى الفنان، وقرع النبع بالنبع وجرى من الترجيح بينهما ما يجري بين الخصمين المتحاكمين، والقرنين المتصاولين:- طار ذكر الهمذاني وارتفع عند الملوك والرؤساء، ثم مات الخوارزمي فخلا له الجو، وحسنت حاله، ونعم باله، ورفه عيشه ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان بلدة إلا دخلها، واستفاد خيرها، ثم استوطن هراة وخار له الله في مصاهرة أبى علي الحسين بن محمد أحد أعيانها العلماء فانتظمت أحواله، وقرت عينه وقوى ساعده، ولكن المنية عاجلته وهو في سن الأربعين سنة ثمان وتسعين وثلثمائة.

شيء من أخلاقه وصفاته:

لئن كان شعره ينم عن بديهة حاضرة، وذكاء واسع، فإنه يدل أيضًا على خلق

فاضل ونفس عالية. قال عنه صاحب اليتيمة: وكان مقبول الصورة، خفيف الروح، حسن العشرة، ناصع الطرف، عظيم الخلق، شريف النفس، كريم العهد خالص الود، حلو الصداقة، مر العداوة اهـ. وتلك خلال لم يذكرها أبو منصور جزافا ولكنه عرفها عنه. وهذا شعره- والشعر حديث النفس ووحي الضمير- ناطق بذلك.

مختارات من كلامه:

البديع شاعر ناثر وهو في كليهما قد ضرب بسهم بعيد المرمى، واغترف من بحر عميق الغور إلا أنه البحر العذب الفرات وأن مقاماته التي بين أيدينا والتي عنينا بالتعليق عليها لخير مثال من النثر البارع، وله سواها رسائل ربما أمكنتنا الظروف من نشرها ولكنا نورد منها قطعة تنبئ عن اقتداره وتفوقه.

كتب إلى الأمير أبى نصر الميكالي يقول:

كتابي، أَطال الله بقاء الأمير، وبودي أن أكونه- فأسعد به دونه ولكن الحريص محروم، لو بلغ الرزق فاه. لولاه قفاه. وبعد فإن لي في مفاتحته ثقة تعد ويدا ترتعد، ولم ذاك، والبحر وإن لم أره؟ فقد سمعت خبره، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى أكثره، وإذ لم ألقه، فلم أجهل إلا خلقه، وما وراء ذلك من تالد أصل ونسب، وطارف فضل وأدب، فمعلوم تشهد به الدفاتر، والخبر المتواتر وتنطق به الأشعار، كما تخلف عليه الآثار، والعين أقل الحواس إدراكا، والأذن أكثرها استمساكا.

وهو في شعره لم يقصر عن نثره وربما كان شعره أمتن لفظا، وأروع معنى؛ فمنه من قصيدة مدح بها الأمير أبا علي:

أبى المقام بدار الذل بي كرم ... وهمة تصل التوخيد والخببا

وعزمة لا تزال الدهر ضاربة ... دون الأمير وفوق المشترى طنبا

يا سيد الأمراء افخر فلا ملك ... إلا تمناك مولى واشتهاك أبا

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصد والبحر لو عنبا

وكم وددت لو استقصيت عنه كثيرا ولكني أرجيء ذلك إلى مرة أخرى.

المقامة القريضية (١)

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَام (٢) قَالَ : طَرَحَتْنِي النَّوَى مَطَارِحَهَا (٣) حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَان الأَقْصَى . فَاسْتَظْهَرْتُ عَلَى الأَيَّام بِضِيَاعٍ أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ الْعِمَارَةِ (٤) ؛ وَأَمْوَالٍ وَقَفْتُهَا عَلَى التِّجَارَةِ (٥) ، وَحَانُوتٍ جعَلْتُهُ مَثَابَةً (٦) ، وَرُفْقَةٍ اتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً (٧) . وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ حَاشِيَتَي النَّهَارِ (٨) . وَلِلْحَانُوتِ مَا بَيْنَهُما . فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَاكَرُ الْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ وَتِلْقَاءَنَا شَابٌّ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ . وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ (٩) حَتَّى إِذَا مَالَ الْكَلاَمُ بِنَا مَيْلَهُ

---

(١) المقامة في أصل اللغة المجلس يجتمع فيه الناس ثم استعملها الأدباء في الخطبة أو العظة وكأنهم أرادوا أن الشأن في هذين إلقاؤهما في الأندية والمحافل ثم خصوها بالقصص التي يتحدثون بها عن ألسنة قوم يسمونهم رواة- إن حقيقة أو خيالا- ويجيئون فيها بالأغراض المختلفة .

(٢) اعتاد أصحاب المقامات أن يتخذوا لهم راويا يتحدثون باسمه- كما ذكرنا- وقد جعل البديع راويه عيسى بن هشام كما اتخذ الحريري الحرث بن همام واصطلحوا على أن تكون ملحهم ونوادرهم عن رجل آخر وهو هنا أبو الفتح الإسكندري وفي المقامات الحريرية أبو زيد السروجي .

(٣) طرحه وطرح به : رماه وأبعده ، والنوى : الغربة .

(٤) جرجان : مدينة كانت قديما عاصمة بلاد خوارزم وتعتبر الآن من بلاد التتار ، استظهر عليه : استعان ، الضياع : جمع ضيعة وهي العقار والأرض المغلة ، أجال : حرك .

(٥) حبس أمواله وقفها أي جعلها خاصة به .

(٦) الحانوت : دكان الخمار ، ومثابة فلان : مكان إقامته ومرجعه .

(٧) صحابة بفتح أوله وكسره : خلطاء .

(٨) حاشيتا النهار : أوله وآخره .

(٩) يقول : أنه ما زال رهين أسفار وأليف حل وترحال تقعده النوى وتقيمه حتى إذا أناخ ركبه بجرجان وألقى فيها عصاه استعان على الدهر بإصلاح ضياع جعلها موردا وبالاتجار في أموال اتخذها رفدا ومعينا . وأنه لم ينس نفسه من لذة الرفاق والندمان فجعل إقامته في حانوت يختلف إليه بين طرفي النهار . وأنهم ليتذاكرون الشعر يوما (وقد جلس أمامهم فتي علم من أساريره أنه يفهم لما يقولون لأنه يصغي إصغاء الذي يعلم ولكنه كان صامتا حتى ليتوهمه الناظر جاهلا لا يستطيع الإبانة) إذ تشعبت أمامهم طرق المذاكرة واستفاض الحديث وكثرت فنون القول .

وَجَرَّ الْجِدَالُ فِينَا ذَيْلَهُ . قَالَ : قَدْ أَصَبْتُمْ عُذَيْقَهْ . وَوَافَيْتُمْ جُذَيْلَهُ وَلَوْ شِئْتُ لَلَفَظْتُ وَأَفَضْتُ . وَلَوْ قُلْتُ لأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ وَلَجَلَوْتُ الْحَقَّ فِي مَعْرِضِ بَيَانٍ يُسْمِعُ الصُّمَّ . وَيُنْزِلُ الْعُصْمَ . فَقُلْتُ : يَا فَاضِلُ ادْنُ فَقَدْ مَنَّيْتَ . وَهَاتِ فَقَدْ أَثْنَيْتَ . فَدَنَا وَقَالَ : سَلُونِي أُجِبْكُمْ . وَاسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ[١] . فَقُلْنَا : مَا تَقُولُ فِي امْرِيءِ الْقَيْسِ؟[٢] قَالَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالدِّيَارِ وَعَرَصَاتِهَا[٣] . وَاغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا[٤] . وَوَصَفَ الْخَيْلَ بِصِفَاتِهَا . وَلَمْ يَقُلِ الشِّعْرَ كَاسِبًا[٥] . وَلَمْ يُجِدِ الْقَوْلَ رَاغِبًا[٦] . فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ . وَانْتَجَعَ لِلرَّغْبَةِ

---

(١) العذق- بفتح أوله- : النخلة بما عليها والعذيق : مصغره والمقصد التعظيم ، والجذل : بالفتح والكسر- عود ينصب للجربى لتحتك به ، وهو يشير إلى قول الحباب بن المنذر : (أنا عذيقها المرجب ، وجذيلها المحكك) يريد أنه الذي يرجع إليه ويعتمد عليه ، وأفاض في الحديث : اندفع ، وتكلم فأفاض : أفصح وأبان والورود : الإشراف على الماء وأتيانه ، والصدور : الرجوع عنه يريد أنه سيحدثهم حديثا مختلفا وسيجعل كلامه ذا فنون وأساليب متفاوتة ، يسمع الصم مثله قول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

يقول : أنه حينما كثر بيننا الجدل وتعددت أمامنا السبل واختلفت موارد الأحاديث وتعددت أطراف القول قال لنا ذلك الفتى : لقد وجدتم صاحب الأمر في البيان وأني لو شئت أن أتكلم لما تركت شاردة ولا واردة ولجئتكم بالذي يأخذكم العجب منه .

(٢) هو ذو القروح الملك الضليل أبو الحرث حندج بن حجر الكندي شاعر اليمانية ورأس شعراء الجاهلية وقائدهم إلى التفنن في أبواب الشعر وضروبه والمقدم في الطبقة الأولى منهم .

(٣) من ذلك قوله :

قفانبك من ذكري حبيب وعرفان وربع عفت آياته من أزمان

وقوله :

قفانبك من ذكري حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٤) الوكنات : أعشاش الطير ، ومن ذلك قوله وفيها يصف الخيل .

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

(٥) يريد أنه لم يقصد بشعره المال ولم يقله رغبة في الدنيا وحبا في الجمع كعادة الشعراء .

(٦) يعني أنه كانت تواليه الألفاظ وتجيئه عفوا فلم يكن يتعمد الإجادة ولكنه أجاد عن غير قصد واستوى على عرش البيان دون مجهود وإنما الطبيعة والسليقة كانتا سبب نبوغه وتفوقه .

بَنانُهُ[١] ، قُلْنَا : فما تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ؟[٢] ، قَالَ : يَثْلبُ إذَا حَنِقَ[٣] ، وَيَمْدَحُ إذَا رَغِبَ[٤] ، وَيَعْتَذِرُ إذَا رَهِبَ[٥] ، فَلاَ يَرْمِي إلاَّ صَائِبًا ، قُلْنا : فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ؟[٦] قَالَ : يُذِيبُ الشِّعْرَ وَالشِّعْرُ يُذِيبُهُ . وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسِّحْرُ يُجِيبُهُ[٧] ، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي طَرَفَةَ؟ قَالَ : هُوَ مَاءُ الأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا . وَكَنْزُ الْقَوافِي وَمَدِينَتُها . مَاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِه . وَلَمْ تُفْتَحْ أَغْلاَقُ خَزَائِنِه[٨] ، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ[٩] ؟ أَيُّهُمَا أَسْبَقُ؟ فَقَالَ : جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْرًا .

---

(١) فضل : زاد رفعة وقدرا ، يعني أنه سما على هؤلاء الذين لم تحرك ألسنتهم غير الرغبة في المال ولم ينطقهم بالشعر إلا انتجاع الكرماء والذهاب إلى المياسير وأناف على غواربهم فكان أبعدهم شأوا وأفضلهم مقولا وأجودهم شعرا .

(٢) هو النابغة الذبياني أبو أمامة زيادة بن معاوية أحد فحول الشعراء في الجاهلية وزعيمهم بعكاظ أحسنهم ديباجة وجلاء معنى ولطف اعتذار وإنما لقب بالنابغة لتفوقه في الشعر فجاءة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير .

(٣) أي أنه يسب ويشتم ويقذع في الهجاء إذا اشتد به الغضب وثارت في نفسه الحدة .

(٤) يعني إنه إذا أراد مدح المديح الذي يخرس الألسنة ويعجز الفصحاء .

(٥) النابغة أكثر الشعراء تفننا في الاعتذار وأبرعهم سبكا وأرقهم عذرة وألطفهم تدخلا إلى القلب ومن بديع اعتذاراته قوله :

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب
فبت كأن العائدات فرشنني ذرافا به يعلي فراشي ويقشب

(٦) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني ثالث فحول الطبقة الأولى من الجاهلية وأعفهم قولا ، وأوجزهم لفظا .

(٧) يريدانه سلس القياد للشعر وأنه ملك زمامه فإذا قال سحر القلوب واستهوى الأفئدة واسترعى الأسماع .

(٨) طرفة بن العبد هو عمرو بن العبد البكري أقصر فحول الجاهلية عمرا وأجودهم طويلة وأوصفهم للناقة .

(٩) جرير هو : أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي اليرنوعي أحد فحول الشعراء الإسلاميين وبلغاء المداحين الهجائين وأنسب ثلاثتهم (هو والفرزدق والأخطل) المفلقين ولد باليمامة سنة ٤٢ هـ من بيت اشتهر بالشعر ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه . والفرزدق : هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي أفخر ثلاثة الشعراء الأمويين وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بالبصرة بين فصحاء آبائه وقومه منذ أول =

وَأَغْزَرُ غَزْرًا [١] . وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْرًا . وأَكْثَرُ فَخْرًا [٢] وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْوًا . وَأَشْرَفُ يَوْمًا [٣] ، وَالْفَرَزْدَقُ أَكْثَرُ رَوْمًا . وَأَكْرَمُ قَوْمًا . وَجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَشْجَى . وَإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى . وَإِذَا مَدَحَ أَسْنَى . وَالْفَرَزْدَقُ إِذَا افْتَخَرَ أَجْزَى . وَإِذَا احْتَقَرَ أَزْرَى . وَإِذَا وَصَفَ أَوْفَى . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحْدَثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ . قَالَ : الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظًا . وَأَكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظًّا . وَالْمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعًا . وَأَرَقُّ نَسْجًا [٤] ، قُلْنَا : فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ أَشْعَارِكَ . وَرَوَيْتَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِكَ . قَالَ : خُذْهُمَا فِي مَعْرِضٍ وَاحِدٍ وَقَالَ :

أَمَا تَرَوْنِي أَتَغَشَّى طِمْرًا ... مُمْتَطِيًا فِي الضُّرِّ أَمْرًا مُرًّا [٥]

مُضْطَبِنًا عَلَى اللَّيَالِي غِمْرًا ... مُلَاقِيًا مِنْهَا صُرُوفًا حُمْرًا [٦]

أَقْصَى أَمَانِيِّ طُلُوعُ الشِّعْرَى ... فَقَدْ عُنِينَا بِالْأَمَانِي دَهْرًا [٧]

= تمصيرها وهي يومئذ حاضرة العرب فلم تختلط لهجته بعجمة ولا لحن فأراده أبوه على رواية الشعر ونظمه فرواه ونظمه وبرع فيه ، والمفاضلة بينهما كالمفاضلة بين كل شاعرين عسرة لا يتهجم عليها ولا تجوز لناقد ونعني المفاضلة بحيث يقال : إن فلانا أشعر من فلان على الإطلاق وعندي أن الذي ذكره البديع من الإذعان لأحدهما بنوع وللآخر بفن خير ما يذكره حكم منصف .

(١) أغزر : أكثر والمعنى : أن جريرًا يفوق صاحبه كثرة في معانيه .

(٢) أي أنه متمكن من القول قادر على صقله وتصريفه وهو فخور بنسبه صلف بمجده .

(٣) يريد أنه أكرم من صاحبه حاضرا أي أنه أفضل في نفسه من صاحبه وقد فسره الأستاذ الإمام بمعنى أنه أشرف ذكرا لأيام قومه .

(٤) شجر بين الأدباء وصيارف الكلام خلاف أي الفريقين خير منزلة في الأدب وأحسن مقاما فيه؟ القدماء وهم شعراء دولة بني أمية وما قبلها أو المتأخرون وهم شعراء الدولة العباسية ومواليها ، وتعصب جماعة لهؤلاء ورأى قوم الفضل لأولئك غير أن القول الفصل هو الذي ذكره أبو العباس في الكامل حيث يقول : وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطي كل ذي حق حقه وذلك رأي البديع في حكمه .

(٥) أتغشى طمرا : اجعل غشائي ثوبا خلقا ، وممتطيا أمرا مرا : راكبا العسرة والشدة ملاقيا منهما مثل ما يلقاه راكب الصعبة من الآلام .

(٦) مضطبنا : حاملا ، غمرا : غلا ، والصروف الحمر : أشد الكوارث وأصعبها والمعنى أنه يحمل الموجدة على الليالي لطول ما رمته بالبلايا وشدة ما يجد من كروبها .

(٧) أبعد ما أتمناه أن يظهر ذلك النجم المسمى بالشعرى لأنه إنما يظهر حين يشتد الحر وتلك أمنية العاري الذي لا يجد ثوبا يقيه زمهرير البرد .

وكان هذا الْحرُّ أعْلى قدْرا ... وماءُ هذا الْوجْه أغْلى سعْرا
ضربْتُ لِلسَّرَّا قبابًا خُضْرا ... في دَار دارا وإوان كِسْرى[١]
فانْقلبَ الدَّهْرُ لِبَطْنِ ظهْرا ... وعاد عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرا[٢]
لَمْ يبْقَ مِنْ وفْرِي إلاَّ ذِكْرا ... ثُمَّ إلى الْيوْم هَلُمَّ جرًّا[٣]
لَوْلا عَجُوزٌ لِي بِسُرَّ مَنْ رَا ... وَ أفْرُخٌ دُونَ جِبَالِ بُصْرَى
قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ ضُرَّا ... قتَلْتُ يا سَادُ نفْسِي صَبْرا[٤]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام. فَانَلْتُهُ مَا تَاحَ. وَأعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ. فَجَعَلْتُ أنْفِيهِ وَأُثْبِتُهُ. وَأنْكِرُهُ وَكَأنِّي أعْرِفُهُ. ثُمّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَايَاهُ. فَقُلْتُ الإسكَنْدَري وَاللهِ. فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خِشْفًا. وَوَافَانا جِلْفًا. وَنَهَضْتُ عَلى أثْرِهِ. ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِه. وَقُلْتُ: أَلَسْتَ أبَا الْفَتْح؟ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ؟ فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرَّ مَنْ رَآ؟ فَضَحِكَ إليَّ وَقَالَ:

وَيْحَكَ هَذَا الزَّمَانُ زُورُ ... فَلا يَغُرَّنَّكَ الْغُرُورُ
لا تَلْتَزِمْ حَالَةً ولَكِنْ ... دُرْ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

المقامة الأزاذية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْن هِشَامٍ قَالَ:

---

(١) أي كنت مثريا ذا بسطة من المال وكانت النعمة ظاهرة على والوفر تشهد دلائله وتحتج لي علاماته.

(٢) ثم تحول الدهر عني وأصبح طيب العيش ولا صلة له بي وما أمت إلا للفاقة والعوز اللذين كنت أنكرهما.

(٣) ولم تبق لي من ثروتي وجاهي غير الذكريات المؤلمة.

(٤) ولولا زوجي العجوز التي تقيم بسر من را وأبنائي الذين يقطنون قريبا من جبال بصري ولولا كراهيتي أن يموت هؤلاء بموتي وألا يجدوا عائلا بعدي لما وسعني المقام في هذه الحياة الفانية مع هذا البؤس الأليم والضنك الملازم.

كُنْتُ بِبَغْدَاذَ [١] وَقْتَ الأَزَاذِ [٢]. فَخَرَجْتُ أَعْتَامُ [٣] مِنْ أَنْوَاعِهِ. لِأَبْتِيَاعِه. فَسِرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أَخَذَ أَصْنَافَ الْفَوَاكِهِ وَصَنَّفَهَا [٤]. وَجَمَعَ أَنْوَاعَ الرُّطَبِ وَصَفَّفَهَا. فَقَبَضْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ. وَقَرَضْتُ مِنْ كُلِّ نَوعٍ أَجْوَدَهُ. فَحِينَ جَمَعْتُ حَوَاشِيَ الإِزَارِ عَلى تِلْكَ الأَوْزَارِ. أَخَذَتْ عَيْنَايَ رَجُلًا قَدْ لَفَّ رأْسَهُ بِبُرْقُعِ حَيَاءٍ. وَنَصَبَ جَسَدَهُ. وَبَسَطَ يَدَهُ. وَاحْتَضَنَ عِيَالَهُ. وَتَابَطَ أَطْفَالَهُ. وَهُوَ يَقُولُ بِصَوتٍ يَدْفَعُ الضُّعْفَ فِي صَدْرِهِ. وَالْحَرَضَ فِي ظَهْرِهِ:

وَيْلِي عَلى كَفَّيْنِ مِنْ سَوِيقِ ... أَوْشَحْمَةٍ تُضْرَبُ بِالدَّقِيقِ [٥]

أَوْ قَصْعَةٍ تُمْلأُ مِنْ خِرْدِيقِ ... يَفْشَأُ عَنَّا سَطَوَاتِ الرِّيقِ [٦]

يُقِيمُنَا عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ ... يَا رَازِقَ الثَّرْوَةِ بَعْدَ الضِّيقِ [٧]

---

(١) بغداد مدينة السلام التي اختط فيها أبو جعفر المنصور قاعدة المملكة العباسية سنة ١٤٥هـ وكانت قبل ذلك من بناء الفرس ولم يتخذوها حاضرة وتسمى: مدينة المنصور والزوراء وبغداد بدالين مهملتين أو ذالين معجمتين أو بمعجمة فمهملة أو عكسه وبغدان وبغدام بالمعجمة أو المهملة فيهما وبغدين ومغدان، بها محلات كثيرة وكانت مشهورة بالحمامات والبساتين وقد أقيم فيها نيف وثلاثون مدرسة استقت الأمة فيها إذ ذاك عذب العلم وكوثره الصافي وماءه النمير، وهواؤها عليل وريحها رخاء وجوها معنبر الأرجاء.

(٢) الأزاذ نوع من التمر. (٣) اعتام: اقصد أو انتقى.

(٤) صنف الفاكهة. جعل كل نوع منها على حدة. يقول إنه خرج إلى سوق بغداد ينتقي نوعا من التمر ليشريه فلما كان هناك ألفي رجلا ميز أنواع الفاكهة واجتمعت عنده صنوف الرطب فأخذ أطايب ما عنده وابتاع أجاوده فلما جمع أمره وتهيأ ليحمل وقره وهم بأن يرجع بصره برجل انتحى ناحية واجتهد في إخفاء نفسه وإظهار مسغبته وبؤسه.

(٥) السويق: جريش الشعير أو القمح يقليان قليا خفيفا، تضرب: تخلط وإذا خلط الشحم بالدقيق كان عصيده. يتلهف على ملء كفيه من السويق أو قليل من العصيدة.

(٦) الخرديق: المرق، يفشأ: يسكن، الريق: اللعاب وهو ماء الفم، يقول: أني أتمنى قصعة تملأ من المرق ويغمر فيها العيش حتى يكون ثريدا ليسكن صولة الريق وعادة الجوعان أن يجري لعابه إذا اشتم رائحة القدور أو تذكر أنواع المآكل.

(٧) يقول: أنه لو حصل على مشتهاه لكان في ذلك إقالة له من عثرته وانتشالا له من وهدة انطراحه على الطريق.

سَهّلْ على كفّ فتًى لبيق ذي نسبٍ في مجده عريق
يهدي إليْنا قدم التّوفيق يُنْقِذُ عيشي مِنْ يد التّرْنيق[١]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَأَخَذْتُ مِنْ الْكِيس أُخْذَةً وَنُلْتُهُ إيَاهَا فَقَالَ:

يا منْ عَناني بجميل برّهِ أفْض إلى الله بحُسْن سرّه
واسْتحْفظ الله جميل سترِهِ إنْ كان لا طاقة لي بشُكْره
فاللهُ ربّي مِنْ وَرَاء أجْرِهِ

قَالَ عِيسَى بْن هِشَامٍ:

فَقُلْتُ لَهُ: إنَّ فِي الكِيس فَضْلاً[٢] فَأبْرُزْ لِي عَنْ بَاطِنِكَ أَخْرُجْ إلَيْكَ عَنْ آخِرِهِ[٣]، فَأَمَاط لِثَامَهُ[٤] فَإِذَا وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: وَيْحَكَ أي دَاهِيَةٍ أَنْتَ؟ فَقَالَ:

فَقَضّ الْعُمْرَ تَشْبِيهًا عَلَى النَّاسِ وتَمْوِيهًا
أرى الأيَّامَ لا تُبْقِي عَلَى حَالٍ فَأَحْكِيهَا
فَيَوْمًا شَرُّهَا فِيَّ ويَوْمًا شَرَّتِي فِيهِ[٥]

---

(١) اللبيق: الحاذق، الترنيق: التكدير، يدعو الله لنفسه أن يدل عليه فتى حاذقا رحيم القلب ليعطف على حاله ويشفق به فيسد خلته ويذهب عوزه ويهبه رشفة من الراحة لتصفو حاله ويعذب مورده.

(٢) أي أنني لم أعطك كل ما معي وإن في كيسي لبقية.

(٣) فلا تدم على استتارك وإخفاء نفسك بل أظهر لي حقيقتك لأعطيك ما أبقيته.

(٤) الإماطة: الإزالة وأماط لثامه. كشف عن وجهه بإزالة الحجاب.

(٥) تشبيها. تلبيسا، تمويها. إخفاء، وأصله أن يطلى النحاس بالفضة أو الذهب فلا يبين أمره ولا تظهر حقيقته واستعير لكل شيء يبدو في غير منظره، والشرة، النشاط والقوة. يقول.. افن عمرك في التلبيس على الناس ولا تبد أمامهم بمظهرك وحاول أن تخدعهم بلبوس غير لبوسك وتغرهم بتمويهك وخلابتك فإن الأيام سريعة التقلب وشيكة التغير لا تدوم على صفة ولا تنهج خطة واحدة حتى تتشبه بها في ثيابك لأنها تناوئني حينا فتقهرني وتارة أناوئها فأقهرها.

المقامة البلخية

حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشَام قَالَ: نَهَضَتْ بِي إِلَيَ بَلْخَ تجارَةُ الْبَزِّ فَوَرَدْتُهَا وأَنَا بِعُذْرَةِ الشَّبَابِ وَبَالِ الْفَرَاغِ وحَلْيَةِ الثَّرْوَةِ لاَ يُهِمُّنِي إلاَّ مُهْرَةُ فِكْرٍ أَسْتَقِيدُهَا أَوْ شَرُودٌ مِنَ الْكَلِمِ أصِيدُهَا. فَمَا اسْتَأْذَنَ عَلى سَمْعِي مَسَافَةَ مُقَامِي أَفْصَحُ مِنْ كَلاَمِي. ولَمَّا حَنى الْفِرَاقُ بِنَاقَوْسَهُ أَوْ كَادَ دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ فِي زِيٍّ مِلْءِ الْعَيْنِ. وَلِحْيَةٍ تَشُوكُ الأَخْدَعَيْنِ. وَطَرْفٍ قَدْ شَرِبَ ماءَ الرَّافِدَيْنِ. وَلَقِيَنِي مِنَ الْبِرِّ فِي السِّناءِ. بِمَا زِدْتُهُ فِي الثَّنَاءِ. ثُمَّ قَالَ: أَظَعْنًا تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: أي وَاللهِ فَقَالَ: أَخْصَبَ رَائِدُكِ. وَلاَ ضَلَّ قَائِدُكَ. فَمَتَى عَزَمْتَ؟ فَقُلْتُ: غَدَاةَ غَدٍ. فَقَالَ:

صباحُ اللهِ لا صُبْحُ انْطلاقٍ وطيرُ الْوَصْلِ لا طيرُ الفراقِ[1]

فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ الْوَطَنَ. فَقَالَ: بُلِّغْتَ الْوَطَنَ. وَقَضَيْتَ الْوَطَرَ. فَمَتَى الْعَوْدُ؟ قُلْتُ: الْقَابِلَ. فَقَالَ: طَوَيْتَ الرَّيْطَ. وَثَنَيْتَ الْخَيْطَ[2]. فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ الْكَرمِ؟ فَقُلْتُ: بِحَيْثُ أَرَدْتَ. فَقَالَ: إِذَا أَرْجَعَكَ اللهُ سَالِمًا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ. فَاسْتَصْحِبْ لِي عَدُوًّا فِي بُرْدَةِ

---

(١) بلخ مدينة واقعة في شمال جبال هندكوش غربي بدخشان جنوب نهر جيحون، ونهض بي ومثله أنهضني: أقامني، والبز: الثياب أو ما نسج من القطن خاصة، بال الفراغ أبانه، واستقيدها اطلب انقيادها، وحنى. عطف، والاخدعان عرقان في صفحة العنق، والسناء- بكسر أوله- المقابلة والمداناة، اخصب رائدك: أي لقيت خصبا ونزلت مربعا معشبا، والبيت معناه. الدعاء بالبركة واليمن والمعنى، بعثتني التجارة إلى بلخ فجئتها وأنا فتى القوة موفور النعمة ناعم البال لا أبحث إلا عن الشوارد من الكلم والجوامح من الأفكار لعلي اكتسب من سفري ما أنا كلف به شديد الحرص عليه ولم أزل بعيد الإجابة نائي الطلبة إلى أن أوشكت العودة وإذا شاب دخل علي حسن البزة جميل الطلعة صافي العين كأنها ماء دجلة والفرات طويل اللحية فلقيني لقاء محفوفا بالكرامة، محاطا بالتجلة، مما جعلني أزيده تزكية ومديحا ومازال يسألني عن سفري وأجيبه فيدعو لي بالرغد بأسلوب بديع وعبارات جزلة.

(٢) الريط، الملاءة، والخيط معروف: والمقصود بالجملتين الدعاء له بالعودة إلى بلخ في قابل، أي طويت أيام البعد وثنيت خيطها ليكون طرفها الأخير مكان طرفها الأول.

صَدِيقٍ . مِنْ نِجَارِ الصُّفْرِ . يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ [١] . كَدَارَةِ الْعَيْنِ . يَحُطُّ ثِقَلَ الدَّيْنِ . وَيُنَافِقُ بِوَجْهَيْنِ [٢] . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَلْتَمِسُ دِينَارًا . فَقُلْتُ : لَكَ ذِلِكَ نَقْدًا . وَمِثْلُهُ وَعْدًا . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

رَأْيُكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى ... لَازِلْتَ لِلْمَكْرُمَاتِ أَهْلَا
صَلُبْتَ عُودًا وَدُمْتَ جُودًا ... وَفُقْتَ فَرْعًا وَطِبْتَ أَصْلَا
لَا أَسْتَطِيعُ الْعَطَاءَ حَمْلَا ... وَلَا أُطِيقُ السُّؤَالَ ثِقْلَا [٣]
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا ... وَطُلْتَ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلَا
يَا رُجْمَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي ... لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ ثُكْلَا [٤]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَنُلْتُهُ الدِّينَارَ وَقُلْتُ أَيْنَ مَنْبِتُ هَذَا الْفَضْلِ فَقَالَ نَمَتْنِي قُرَيْشٌ وَمُهِّدَ لِي الشَّرَفُ فِي بَطَائِحِهَا فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَلَسْتَ بِبَابِي الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ . أَلَمْ أَرَكَ بِالْعِرَاقِ . تَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ . مُكَدِّيًا بِالأَوْرَاقِ [٥] . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِنَّ لِلَّهِ عَبِيدًا ... أَخَذُوا الْعُمْرَ خَلِيطَا
فَهُمُ يُمْسُونَ أَعْرَا ... بَا وَيُضْحُونَ نَبِيطَا [٦]

---

(١) البردة : الثوب والنجار : الأصل ، ومعنى كونه عدوا في ثياب صديق أن ظاهره يخدع ويأخذ بالألباب فإذا اغتربه المرء قلب له ظهر المجن ، ويدعو إلى الكفر . لأن من تعامل بالدينار في غير وجوه الحل ربما انحدر إلى الكفر ، ويرقص على الظفر ، لأن عادة النقاد من الصيارفة أن يجعلوا الدينار فوق أظفر أبهامهم ويضربوه بتأن لينكشف لهم حاله وارجع لغة في رجع رديئه والفصيح رجعه .

(٢) كدارة العين . مستدير مثلها وينافق بوجهين لأن على كل من وجهيه نقوشا ليست على الوجه الآخر فهو يشبه المنافق الذي يلقاك بوجه ويلقي عدوك بوجه .

(٣) يثني عليه ويتمدحه بأنه أجابه إلى أكثر من طلبته وأدى إليه ما لم يكلفه به .

(٤) الرجمة كغرفة : السناد ، وأصله أن يبني للنخلة عند جذعها شيء لترتكز عليه .

(٥) مكديا . سائلا ومعنى تكديته بالأوراق أنه كان يكتب للناس بحاجته ويسألهم إجابته إلى ملتمسه .

(٦) النبيط . جماعة من العجم يقطنون بين العراقين ومنه قول أبي العلاء :

أين امرؤ القيس والعذارى ... إذ مال من تحته الغبيط =

المقامة السجستانية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ. قَالَ: حَدَا بِي إِلَى سِجِسْتَانَ أَرَبٌ فَاقْتَعَدْتُ طِيَّتَهُ[١] وَامْتَطَيْتُ مَطِيَّتَهُ. وَاسْتَخَرْتُ الله فِي الْعَزْمِ جَعَلْتُهُ أَمَامِي. وَالْحَزْمِ جَعَلْتُهُ إِمَامِي. حَيَّ هَدَانِي إِلَيْهَا فَوافَيْتُ دُرُوبَهَا[٢]. وَقَدْ وَافَتِ الشَّمْسُ غُرُوبَهَا. وَاتَّفَقَ الْمَبِيتُ حَيْثُ انْتَهَيْتُ فَلَمَّا انْتُضِيَ نَصلُ الصَّبَاحِ. وَبَرَزَ جَيْشُ الْمِصْبَاحِ. مَضَيْتُ إِلَى السُّوقِ اخْتَارُ مَنْزِلاً فَحِينَ انْتَهَيْتُ مِنْ دَائِرَةِ الْبَلَدِ إِلَى نُقْطَتِهَا. وَمِنْ قِلادَةِ السُّوقِ إِلَى وَاسِطَتِهَا[٣]. خَرَقَ سَمْعِي صَوْتٌ لَهُ مِنْ كُلِّ

استعجم العرب في الموامي بعدك واستعرب النبيط

يشير إلى قول امرئ القيس:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

والمعنى أن بعض الناس لا يثبتون على حال ولا يستقرون في زي واحد فبينا تراهم أعرابا إذ تجدهم أعجاما والمراد مطلق التقلب في مطلق الأزمان.

(١) أصل الحداء (بضم أوله وكسره) يكون في الإبل يتبع بعضها بعضًا والمراد هنا: ساقني ويقال. حداه وحدى به، وسجستان إقليم بفارس الشرقية والأرب. الحاجة الشديدة واقتعدت. ركبت، وطية الشيء نيته. والمعنى مجازي.

(٢) الدروب، جمع درب وهو أول طريق وكل مدخل إلى الروم فهو درب ومنه قول امرئ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٣) وافي المريض أجله: أي مات، ووافت الشمس الغروب، غربت، والبلد والبلدة كل قطعة من الأرض مستحيزة عامرة ومنه قول النابغة الذبياني:

ها أن ذي عذرة إلا تكن نفعت فإن صاحبها قد تاه في البلد

وقول بعضهم:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

ودائرة البلد. مساحتها المحيطة ونقطة الدائرة مركزها الذي تدور حوله فهو وسطها والقلادة: العقد أو كل ما يحيط بالعنق مما انتظم من فرائد الدرر والواسطة فيها أفضل درة جمعتها القلادة والعادة أن تجعلها الغوانى في المنتصف حيث تتوسط أخواتها وتتدلى على الصدر.

عِرْقٍ مَعْنًى فَانْتَحَيْتُ وَفْدَهُ[١] . حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَهُ . فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسِهِ مُخْتَنِقٌ بِنَفَسِهِ . قَدْ وَلَّانِي قَذَالَهُ[٢] . وَهُوَ يَقُولُ : مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أُعَرِّفُهُ بِنَفْسِي أَنَا بَاكُورَةُ اليَمَنِ[٣] . وَأُحْدُوثَةُ الزَّمَنِ[٤] أَنَا أُدْعِيَّةُ الرِّجَالِ . وَأُحْجِيَّةُ رَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ[٥] سَلُوا عَنِّي الْبِلَادَ وَحُصُونَهَا . وَالْجِبَالَ وَحُزُونَهَا . والأَوْدِيَةَ وبُطُونَهَا وَالْبِحَارَ وَعُيُونَهَا . وَالْخَيْلَ وَمُتُونَهَا . مَنِ الَّذِي مَلَكَ أَسْوَارَهَا . وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا . وَنَهَجَ سَمْتَهَا . وَوَلَجَ حَرَّتَهَا[٦] . سَلوا الْمُلوكَ وَخَزائِنَهَا . والأَغلاقَ وَمَعَادِنَهَا . والأُمُورَ وَبَوَاطِنَهَا وَالْعُلُومَ وَمَوَاطِنَهَا وَالخُطُوبَ وَمَغَالِقَهَا . وَالْحُرُوبَ وَمَضَايِقَهَا . مَنِ الَّذِي أَخَذَ مُخْتَزَنَهَا . وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا . وَمِنَ الَّذِي مَلَكَ مَفَاتِحَهَا . وَعَرَفَ مَصالِحَهَا[٧] . أَنَا واللهِ فَعَلْتُ ذلِكَ

---

(١) خرق سمعي . وصل إليه ، عرق كل شيء : أصله ، انتحيت : قصدت وليست مثلها في قول امرئ القيس :

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

وفده : أي الوصول إليه والجماعة المهطعين إليه المتسارعين في بلوغه والوفود عليه .

(٢) النفس بالتحريك واحد الأنفاس ومعنى كونه مختنقا بنفسه أنه ردد أنفاسه كثيرا فتدافعت إلى حلقه وأنه حبسها حتى كان لا يطيق الحديث ولا يستطيع الإبانة ، والقذال جماع مؤخر الرأس ومعقد العذار من الفرس خلف الناصية والمعنى أنه جاءه من خلفه .

(٣) كل من بادر إلى شيء فقد أبكر إليه في أي وقت كان والباكورة أول الفاكهة أو هو عام في كل شيء . . . وكان اسم الرجل (أبا الفتح) والفتح ابتداء فكأنه يعني اسمه ألغازًا وتعمية .

(٤) الأحدوثة - بضم أوله - ما يتحدث به كثيرًا لغرابته وابتداعه أي أنه نسيج وحده براعة وشجاعة حتى لقد جعله الناس حديثهم في سمرهم ولهجت بذكره ألسنتهم .

(٥) الأحجية والأحجوة : الكلمة يراد بها غير ظاهر مدلول ألفاظها والأدعية مثلها ، والمعنى أنه يستتر تحت مناظر عدة ويخفي حقيقة نفسه عن ناظريه وكأنه يدعوهم إلى إعمال الفكرة والتروي في إظهار مكنونه .

(٦) الأسوار : جمع سور وهو ما أحاط بالمدينة من حائط أو نحوه ، والسمت الطريق والحرة : القطعة المستديرة وأراد به بطون الأودية لأن الجبال تحوطها وتستدبر عليها والضمير في أسوارها للبلاد وفي أسرارها للحصون وفي سَمْتَهَا للجبال وفي حرتها للوديان يريد أنه خبير بخبيئات الأمور عالم بما خفى منها شديد على اقتحام الكربات نزال بمواطن الخوف والذعر .

(٧) الأغلاق جمع غلق وهو ما توصد به الأبواب ومثله المغالق كجمع مكنسة وربما كانت الأعلاق بالعين مهملة جمع علق وهو النفيس من كل شيء ومعادنها مواطنها التي تكون فيها ، والمختزن بزنة =

وَسَفَرْتُ بَيْنَ الْمُلُوكِ الصيِّدِ. وَكَشَفْتُ أَسْتَارَ الْخُطُوبِ السُّودِ. أَنَا وَاللهِ شَهِدْتُ حَتَّى مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ. وَمَرِضْتُ حَتَّى لِمَرَضِ الأَحْدَاقِ. وَهَصَرْتُ الْغُصُونَ النَّاعِمَاتِ وَاجْتَنَيْتُ وَرْدَ الْخُدُودِ الْمُوَرَّدَاتِ[١]. وَنَفَرْتُ مَعَ ذلِكَ عَنِ الدُّنْيَا. نُفُورَ طَبْعِ الْكَرِيمِ عَنْ وُجُوهِ اللِّئَامِ[٢]. وَنَبَوْتُ عَنِ الْمُخْزِيَاتِ نُبُوَّ السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنْ شَنِيعِ الْكَلَامِ[٣] وَالآنَ لَمَّا أَسْفَرَ صُبْحُ الْمَشِيبِ وَعَلَّتْنِي أُبَّهَةُ الْكِبَرِ عَمَدْتُ لإِصْلاَحِ أَمْرِ الْمَعَادِ بِإِعْدَادِ الزَّادِ[٤]. فَلَمْ أَرَ طَرِيقًا أَهْدَى إِلَيَّ الرَّشَادِ. مِمَّا أَنَا سَالِكُهُ[٥] يَرَانِي أَحَدُكُمْ رَاكِبَ فَرَسٍ. نَاثِرَ

= اسم المفعول المودع في الخزائن لوقت الحاجة والضمير يعود على الملوك وخزائنها والأغلاق ومعادنها وأراد بأنه لم يؤد ثمنها أنه غلب أهلها عليها فتملكها قهراً. المفاتح: جمع مفتاح والقياس مفاتيح غير أن الياء قد تحذف تخفيفا كما في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] أو هي جمع مفتح على أصله والضمير فيه عائد على الأمور وبواطنها والعلوم ومواطنها والخطوب ومغالقها كما أنه في مصالحها عائد على الحروب ومضائقها.

(١) السفارة بين الملوك السعاية في الصلح لهم وإنما يكون ذلك للقدير العارف بعلل القلوب وأدوائها، وهصر الغصن أماله وأخذه إلى نفسه، عنى بما ذكر أن له في كل شيء يدًا وأنه لا يفوته أمر حتى يأخذ بحظه منه وأنه اقتطف من كل شجرة ثمرة واغترف من كل نهر دلوا وشرب من كل كأس جرعة فلم يترك من شؤون الحياة شأنا إلا عرفه، ولم يبق من لذاتها وشهواتها شيء لم ينل منه بغيته.

(٢) نفر كنصر وضرب نفورًا ونفارًا وهو نافر ونفور: تباعد، واللئام جمع لئيم وهو: من خبث طبعه وسفل أصله.

(٣) نبا بصره عن الشيء نبوا ونبيا ونبوة: ابتعد، والمخزيات: الأعمال التي يخجل منها المرء ويندى لها وجهه، وأراد أنه لم تخدعه الدنيا بزخرفها ولم تغره بزينتها وإن مظاهرها التي نال منها بسبب وأخذ بطرف لم تكن لتجعلها محلا لإكباره أو موطنا لإجلاله وإعظامه لأنه أشرب نفسه الصدف عنها والميل إلى ما يكسب جميل الأحدوثة وطيب الثناء وأنه لم يقترف إثما ولم يكتسب حوبا بل صحب يسره زهادة وشجاعته خشية.

(٤) أسفر الصبح: ظهر نوره وإضافته للمشيب من قبيل:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

والأبهة الجلال والوقار، والمعاد يوم القيامة.

(٥) أبو الفتح كان يدعو إلى الله ويبذل النصح للناس ويرشدهم وذلك أفضل الطرق وأعدلها وأقربها هداية ورشدًا.

هَوَسٍ(١). يَقُولُ هذَا أَبُو الْعجَبِ. لا وَلَكِنِّي أَبُو الْعَجائِبِ(٢) عَايَنْتُهَا وعانيتها. وَأُمُّ الْكَبَائِرِ قَايَسْتُها وَقَاسَيْتُهَا(٣) وَأَخُو الأَغْلاقِ صَعْبًا وَجَدْتُها وَهَوْنًا أَضَعْتُهَا وَغَالِيًا اشْتَرَيْتُها. وَرَخِيصًا ابْتَعْتُهَا(٤). فَقَدْ وَاللهِ صَحِبْتُ لَهَا الْمَوَاكِبَ. وَزَاحَمْتُ الْمَنَاكِبَ. وَرَعَيْتُ الْكَواكِبَ. وَأَنْضَيْتُ الْمَرَاكِبَ دُفِعْتُ إِلي مَكارِهَ نَذَرْتُ مَعَهَا أَلاَّ أَدَّخِرَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَنَافِعَها. وَلاَ بُدَّ لي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هذِهِ الأَمَانَةِ مِنْ عُنُقِي إِلَى أَعْنَاقِكُمْ(٥). وَأَعْرِضَ دَوَائِي هذَا في أَسْوَاقِكُمْ. فَلْيَشْتَرِ مِنِّي مَنْ لاَ يَتَقَزَّزُ مِنْ مَوْقِفِ الْعَبِيدِ(٦). وَلاَ يأْنَفُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ(٧). وَلْيَصُنْهُ مَنْ أَنْجَبَتْ جُدُودُهُ. وَسُقِيَ بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ عُودُهُ(٨).

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ. فَدُرْتُ إِلَى وَجْهِهِ. لأَعْلَمَ عِلْمَهُ(٩) فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ وَانْتَظَرْتُ أَجْفَالَ النَّعَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ(١٠). ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلْتُ:

---

(١) نثر النظم حل عقده وجعله بددا ورماه متفرقا والهوس خفة العقل لدرجة تقرب من الجنون ومعنى أنه ناثر هوس، أنه يقول كلاما غير صحيح ولا مقبول لما يداخله من جنة ويعتريه من خبال.

(٢) يقول: إنه ليس عجيبا في شأن واحد بل هو عجيب في الشؤون كلها فلا يجوز أن يسمى أبا عجب وإنما الذي يوافق حاله أن يكني أبا العجائب.

(٣) الأفعال المذكورة كلها مصدرها المفاعلة التي تستدعى تدافعا من الجانبين غالبا غير أن المقاساة كالمعاناة مع زيادة الشدة والمعاناة أظهر في باب التفاعل منها وعاين مصدره المعاينة وهي المشاهدة وقايس مصدره المقايسة وهي رد الأشياء إلى أشباهها ومصدر عانى المعاناة وقاسى المقاساة.

(٤) يريد بصعوبة وجدانها وغلاء شرائها ما بذله في سبيل الحصول عليها من نصب البدن وتحميل نفسه المشقة كما يريد بهون إضاعتها ورخص بيعها تساهله في تركها وقد بين ذلك فيما بعده.

(٥) الربق حبل فيه عدة عرى يشد به البهم وكل عروة ربقة بالكسر والفتح.

(٦) تقززت نفسه امتنعت من الشيء وأبت أن تفعله.

(٧) أي لا يرى في نفسه غضاضة من إفراد الله بالوحدانية والخضوع له.

(٨) يعني أنه لا يحرص على هذا الموقف غير كريم الأصل شريف النُّجار حسن المنبت.

(٩) العرب يجعلون المصادر مفاعيل أحيانا ويريدون أصحابها وربما جعلوها فاعلا كما في جد جده، وأعلم علمه المراد به: لا علمه أي إنسان هو.

(١٠) أجفل الظليم أسرع وذهب في الأرض وأراد بالنعامة العامة التي اجتمعت عليه على التشبيه.

كَمْ يُحِلُّ دَوَاءَكَ هذَا؟ فَقَالَ: يُحِلُّ الْكِيسُ مَا شِئتَ. فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ[١].

المقامة الكوفية (٢)

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ:

قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فَتِيُّ السِّنِّ أَشُدُّ رَحْلِي لِكُلِّ عَمايَةٍ. وَأَرْكَضُ طِرْفِي إِلَى كُلِّ غَوَايَةٍ[٣]. حَتَّى شَرِبْتُ مِنَ الْعُمْرِ سَائِغَهُ. وَلَبِستُ مِنَ الدَّهْرِ سَابِغَهُ[٤]. فَلَمَّا انْصَاحَ النَّهَارُ بِجَانِبِ لَيْلِي. وَجَمَعْتُ لِلْمَعَادِ ذَيْلِي. وَطِئتُ ظَهْرَ الْمَرُوضَةِ. لأَدَاءِ الْمَفْرُوضَةِ[٥]. وَصَحِبَنِي فِي الطَّرِيقِ رَفِيقٌ لَمْ أُنْكِرْهُ مِنْ سُوءٍ. فَلَمَا تَجالَيْنَا. وَخَبَّرْنَا

---

(١) أحل كذا: جعله حلالا والمعنى أي مقدار إذا أخذته حل لي الانتفاع بدوائك الذي ذكرته فقال: إن المال يجعل كل شيء حلالا فإذا أقرضت الثمن حل لك المبيع، ولا نرى عمارة السؤال في شيء من البلاغة.

(٢) الكوفية نسبة إلى الكوفة وهي بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون فرسخا وهي مدينة العراق الكبرى والمصر الأعظم وقبة الإسلام ودار هجرة المسلمين وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق، يذكرون أنه على مسافة فرسخ منها من الجهة الغربية يقع المشهد الأكبر حيث بركت ناقة علي ﷺ وهو محمول عليها بعد قتله وأن قبره فيه، ونحن لا نكاد نعتقد ذلك لأن المؤرخين لم يجزموا بمكان قبر علي من الأرض حتى يقال إنه بالكوفة، وعند الله علم ذلك كله.

(٣) الفتاء: طراءة السن وحداثته، والعماية احتجاب القلب عن إدراك صالحه وأراد به لازمه وهو الملاذ المردية والشهوات المهلكة وشد الرحل إليها كناية عن اقترافها والخوض في مضمارها ومثل هذا في الفقرة بعدها.

(٤) يقال: ثوب سابغ إذا كان يشمل البدن جميعه، وعنى بالجملتين أنه تمتع من عمره بما اشتهى ونال من دهره ما أراد.

(٥) انصاح النهار والفجر والبرق: ظهر وأراد بالنهار الشيب وبالليل الشعر الأسود ومثله قول الفرزدق:

والشيب ينهض في الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

والمروضة الدابة: أو هي الأرض لأنها مذللة معبدة للإنسان والمفروضة الحج.

بحالَيْنا. سَفَرَتِ الْقِصَّةُ عَنْ أَصْلٍ كُوفِيٍّ. وَمَذْهَبٍ صُوفِيٍّ[١]. وَسِرْنا فَلَمَّا أَحَلَّتْنا الْكُوفَةُ مِلْنا إِلىٰ دارِهِ وَدَخَلْناها وَقَدْ بَقَلَ وَجْهُ النَّهارِ وَاخْضَرَّ جانِبُهُ[٢]. وَلَمَّا اغْتَمَضَ جَفْنُ اللَّيْلِ وَطَرَّ شارِبُهُ. قُرِعَ عَلَيْنا الْبابُ. فَقُلْنا: مَنِ الْقارِعُ الْمُنْتابُ؟ فَقالَ وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ. وَفَلُّ الْجُوعِ وَطَرِيدُه[٣] وَحُرٌّ قادَهُ الضُّرُّ. وَالزَّمَنُ الْمُرُّ[٤] وَضَيْفٌ وَطْؤُهُ خَفِيفٌ. وَضالَّتُهُ رَغِيفٌ[٥] وَجارٌ يَسْتَعْدِي عَلى الْجُوعِ. وَالْجَيْبِ الْمَرْقُوعِ[٦]. وَغَرِيبٌ أُوقِدَتِ النارُ عَلَى سَفَرِهِ. وَنَبَحَ الْعَوّاءُ عَلَى أَثَرِهِ[٧]. وَنُبِذَتْ خَلْفَهُ الْحَصَيّاتُ. وَكُنِسَتْ بَعْدَهُ الْعَرَصاتُ[٨]. فَنِضْوُهُ طَلِيحٌ. وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ. وَمِنْ

---

(١) تجالى (بالجيم التحتية): تكاشف ومنه قوله تعالى ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس: ٣] أي كشفها والمعنى حين كشف كل واحد منا لأخيه عن حاله وأخبره بأمره، وسفرت: وضحت وظهرت، والصوفية: جماعة رغبوا عن الدنيا وزهدوا في متاعها ولبسهم الغالب الصوف وإليه ينسبون وقد قال بعضهم:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك إن غنى المغنونا

(٢) هم دخلوا عند الغروب وحينئذ تكون الشمس موشكة أن تزول ويكون الظلام آخذا في الظهور من الجانب الثاني ويكون اللون الغالب على الأفق من جهته الاخضرار وإذ كان إبقال وجه الغلام ظهور الشعر فيه وبدؤه يكون اخضرارا عبر عنه بذلك تشبيها بهذه الهيئة.

(٣) قوم فل: منهزمون ورجل فل كذلك والطريد المطرود والمعنى: لا يزال الجوع ينشب فيه أظافيره ولا تزال المسغبة تلحف عليه وتعمل فيه حتى فر يطلب منها مهربا ولكنه لا يجد الطريق إليه.

(٤) أي إنه لولا سوء الحال وما أجده من آلام الأعواز ما سألتكم شيئا.

(٥) يريد أنه لا يجشمهم عظيما ولا يطلب منهم جسيما ولا يثقل كواهلهم بل إنما يود أن يشبع بطنه فحسب.

(٦) يستعدى: يستنصر أي يطلب من ينصره، والجيب: أراد به الثوب، والمعنى إنه جمع إلى الجوع العري واصطلح عليه الأمران ولزمه ألم ظاهر الجسم وألم الأمعاء.

(٧) معنى الجملتين أنه لا أمل له في العودة إلى وطنه والأولى مأخوذة من قولهم للمسافر أبعد الله داره وأوقد الناس ناره.

(٨) من عادتهم إنه إذا نزل بهم من لا يحبون يرمون الحصى خلفه متى ارتحل وكأنهم يعنون عدم عودته والاستخفاف به كما لا تعود الحصاة ولا يعبأ لها، وكذلك إذا مات الميت كنسوا بعده فناء الدار إياسا من رجعته وتنظيفا للدار من بعده وكنى بهما عن أنه لا يؤوب.

دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ[١]. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبَضْتُ مِنْ كِيسِي قَبْضَةَ اللَّيْثِ. وَبَعَثْتُهَا إِلَيْهِ وَقُلْتُ: زِدْنَا سُؤَالاً. نَزِدكَ نَوالاً[٢]. فَقَالَ: مَا عُرِضَ عَرْفُ الْعُودِ. عَلَى أَحَرَّ مِنْ نَارِ الْجُودِ. وَلا لُقِيَ وَفْدُ الْبِرِّ. بِأَحْسَنَ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ. وَمَنْ مَلَكَ الْفَضْلَ فَلْيُؤَاسِ. فَلَنْ يَذْهَبَ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ[٣]، وَأَمَّا أَنْتَ فَحَقَّقَ اللهُ آمَالَكَ. وَجَعَلَ الْيَدَ الْعُلْيَا لَكَ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَفَتَحْنَا لَهُ الْبَابَ وَقُلْنَا: ادْخُلْ. فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ فَقُلْتُ يَا أَبَا الْفَتْحِ شَدَّ مَا بَلَغْتَ مِنْكَ الْخَصَاصَةُ[٤]. وَهذَا الزِّيُّ خَاصَّةٌ. فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لاَ يَغُرَّنَّكَ الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبْ
أَنَا فِي ثَرْوَةٍ تُشَقُّ لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبْ
أَنَا لَوْ شِئْتُ لاتَّخَذْ تُ سُقُوفًا مِنَ الذَّهَبْ[٥]

المَقَامَةُ الأَسَدِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كَانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الإِسكَنْدَرِي وَمَقَالاَتِهِ مَا

---

(١) النضو بكسر أوله وجمعه الأنضاء، البعير المهزول، والطليح: التعب الذي لا يقوي على السير، والتبريح الشدة، والمهامة جمع مهمه وهو الصحراء، وفيح: أي متسعة وأراد أن يصف شدة البعد عن بنيه. يصف ما ناله من وقيعة الدهر به ويشكو ما يلاقيه من مضض وأعياء.

(٢) إنما يقبض الليث على معظم أجزاء فريسته فذلك كناية عن الكثرة، والنوال العطاء.

(٣) العرف بالفتح الرائحة الزكية والعود طيب معروف، والمعنى المقصود هنا أن المزيد من شكرانه لهم وثنائه عليهم واجب يؤديه إذا زادوه إحسانا وكرما وأراد بالعود نفسه، ويؤاسي من المؤاساة وهي المساعدة وبذل المعونة، والعرف بالضم المعروف.

(٤) شد من صيغ التعجب أصلها ما أشد حذف حرف التعجب لكثرة استعمال الكلمة والخصاصة الفقر والحاجة الشديدة المماسة.

(٥) أي: أن حقيقته غير ظاهره الذي يرونه وأنه إذا أبدى مترية أو كشف لهم عن عوز فذلك اتشاح بما ليس من لبوسه وارتداء بغير برده.

يَصْغى إِلَيْهِ النَّفُورُ وَيَنْتَفِضُ لَهُ الْعُصْفُورُ[١] وَيَرْوَى لَنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ رِقَّةً. وَيَغْمُضُ عَنْ أَوْهَامِ الْكَهَنَةِ دِقَّةً[٢]. وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بَقَاءَهُ. حَتَّى أُرْزَقَ لِقَاءَهُ. وَأَتَعَجَّبُ مِنْ قُعُودِ هِمَّتِهِ بِحَالَتِهِ. مَعَ حُسْنِ آلَتِهِ وَقَدْ ضَرَبَ الدَّهْرُ شُؤُونَهُ. بِأَسْدَادٍ دُونَهُ وَهَلُمَّ جَرًّا[٣]. إِلى أَنِ اتَّفَقَتْ لِيَ حَاجَةٌ بِحِمْصَ. فَشَحَذْتُ إِلَيْهَا الْحِرْصَ. فِي صُحْبَةِ أَفْرَادٍ كَنُجُومِ اللَّيْلِ. أَحْلاَسِ لِظُهُورِ الْخَيْلِ[٤]. وأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَنْتَهِبُ مَسَافَتَهُ. وَنَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُ وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِى أَسْنِمَةَ النِّجَادِ بِتِلْكَ الْجِيَادِ. حَتَّى صِرْنَ كَالْعِصِيِّ. وَرَجَعْنَ كَالْقِسِيِّ[٥]. وَتَاحَ لَنَا وَادٍ فِي سفْحِ جَبَلٍ ذِي آلاءٍوَأَثْلٍ. كَالْعَذَارى يُسَرِّحْنَ الضَّفَائِرَ وَيَنْشُرْنَ الْغَدَائِرَ[٦] وَمَالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَيْهَا

---

(١) صغى كرضى: مال، والنفور، الذي يبالغ في النفرة والابتعاد ولن يميل مثل هذا إلى شيء حتى يأتسره ويملك عليه قلبه فهو نعت لكلام الإسكندري بالبلاغة الفائقة والفصاحة الرائعة، وانتفاض العصفور اهتزازه ولعمرك إذا كان الحيوان الذي لا يدرك أسرار المقال يهتز اهتزاز الطروب فكيف أنت بالانسان وهو من أعطاه الله المدركة ووهبه التمييز بين غث الأساليب وثمينه.

(٢) التكهن: إدعاء علم الغيب ومعرفة المستقبل من غير قاعدة ومنه أخذ اسم الكاهن لما كان يدعيه من نحو ذلك، والمراد أن شعر أبي الفتح كان جليل القدر دقيق الصنعة لا عن ألغاز أو تعمية ولا من تعقيد أو تنافر فلم يكن يدركه غير أرباب الصياغة من نقدة الكلام.

(٣) ضرب الدهر: أحدث، والشؤون المحن والصروف والنوائب، والأسداد: جمع سد وهو ما يجعل بين الشيئين ليحول دون اختلاط أحدهما بالآخر، والمعنى: إن الزمن عاكسه فلم يمكنه من إدراك الرفه والسعادة.

(٤) الاحلاس جمع حلس بكسر أوله وهم الذين يلازمون الشيء لا ينفكون عنه يريد أنهم فرسان لا يغادرون متون الخيل ولا يفترون عن ركوبها.

(٥) نفري: نقطع، أسنمة: جمع سنام وأصله المرتفع من ظهر البعير ثم استعير للنجد وهو هنا ما أشرف من الأرض أي ارتفع والمعنى أنهم طفقوا يسيرون سيرا حثيثًا بحيث فتتوا أعالي الجبال بحوافر خيلهم حتى لقد ضمرت الخيل وهزلت وتعطفت ولانت فصارت كالعصى (جمع عصا) هزالا ونحافة والقسى لينا وانثناء.

(٦) تاح يتيح ويتوح. تهيأ، وسفح الجبل عرضه وأصله وأسفله وآلاء بوزن سماء شجر مر لكنه بهيج المنظر، والأثل شجر عظيم لا يثمر وقد شبه الألاء والأثل (استقامته وتدلي أغصانه) بالكواعب وهن الجاريات الحسان حين تكون ضفائر شعرهن متدلية.

وَنَزَلْنَا نُغوِّرُ ونَغُورُ[١] وَرَبَطْنَا ألأفْرَاسَ بالأَمْرَاسِ[٢]. وَمِلْنَا مَعَ النُّعَاسِ. فَمَا رَاعَنَا إلاَّ صَهِيلُ الْخَيْلِ. وَنَظَرْتُ إلى فَرَسِي وَقَدْ أرْهَفَ أُذُنيهِ. وَطَمَحَ بِعَيْنَيْهِ. يُجذُّ قُوَى الْحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ. وَيَخُدُّ خَدَّ الأَرْضِ بِحَوَافِرِهِ[٣] ثُمَّ اضطَرَبَتِ الْخَيْلُ فَأرْسَلَتِ الأبوَالَ. وَقَطَّعَتِ الحِبَالَ. وَأخَذَتْ نَحْوَ الْجِبَالِ[٤]. وَطَار كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إلى سِلاَحِهِ فَإذَا السَّبُعُ فِي فَرْوَةِ الْمَوْتِ. قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِهِ. مُنْتَفِخًا فِي إهَابِهِ. كَاشِرًا عَنْ أنْيَابِهِ. بِطَرْفٍ قَقد مُلِيءَ صلَفًا وَأنْفٍ قَدْ حُشِيَ أنَفًا. وَصَدْرٍ لاَ يَبْرَحُهُ الْقَلْبُ. ولاَ يَسْكُنُهُ الرُّعْبُ[٥]. وَقُلْنَا خَطْبٌ مُلِم. وَحَادِثٌ مُهِمٌّ. وَتَبَادَرَ إلَيْهِ مِنْ سُرْعَانِ الرُّفْقَةِ فَتًى:

أخْضرُ الْجلْدةِ في بيْتِ الْعرَبْ يَـمْـلأُ الـدَّلْـوَ إلـى عـقْـد الْـكـرَبْ[٦]

---

(١) مالت بنا: جعلتنا نميل من إسناد المسبب إلى السبب فيه والهاجرة: شدة الحر، وغار الرجل: نام، وغور بالتضعيف جاء الغور وهو المستوي من الأرض.

(٢) الأمراس الحبال ومنه قول امرئ القيس:

كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل

(٣) أرهف أذنيه أي حددهما من قولهم: سيف رهيف الحد ومرهف، يجذ بجيم تحتية فذال معجمة: يقطع، ويخد، بخاء فوقية فمهملة يشق، وخد الأرض وجهها وظاهرها.

(٤) إذا اشتد الخوف تفككت مفاصل الجسم وتراخت أعصابه فلم يكن في المقدور حبس الأطراف فقد يبول المرء وهو المميز العاقل فكيف الأعجم من الحيوان.

(٥) إنما يلبس فروة الموت نفس الموت فكأنه شبه الأسد بالموت في قهر النفوس واغتيالها وهو عكس تشبيه أبي ذؤيب في قوله:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

والغاب: الشجر الملتف الكثير وعادته أن يكون مأوى للوحوش والإهاب الجلد (ومنتفخا في إهابه) كناية عن الكبرياء والصلف.. ومن عادة الذي نزل به الخوف أن يضطرب قلبه فيشتد خفقانه حتى ليخيل أنه انتقل من وعائه وهو في الصدر خلف جهاز التنفس فإذا قيل أن قلب فلان لا ينتقل من صدره فمعناه أنه لا يدخل الخوف إلى قلبه وهي كناية بديعة.

(٦) سرعان: جمع سريع: أي أنهم جميعا تسارعوا إلى قتال الأسد لمكانتهم في الشجاعة والإقدام ولكن واحدا منهم تبادر فوصل إليه قبلهم والبيت مأخوذ من قول الفضل:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

بِقَلْبٍ سَاقَهُ قَدَرٌ. وَسَيْفٍ كُلُّهُ أَثَرٌ[١]. وَمَلَكَتْهُ سَوْرَةُ الأَسَدِ فَخَانَتْهُ أَرْضُ قَدَمِهِ. حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفَمِهِ[٢]. وَتَجَاوَزَ الأَسَدُ مَصْرَعَهُ. إِلى مَنْ كَانَ مَعَهُ. وَدَعَا الْحَيْنُ أَخَاهُ. بِمِثْلِ مَا دَعَاهُ[٣]. فَصَارَ إِلَيْهِ. وَعَقَلَ الرُّعْبُ يَدَيْهِ. فَأَخَذَ أَرْضَهُ. وَافْتَرَشَ اللَّيْثُ صَدْرَهُ. وَلَكِنِّي رَمَيْتُهُ بِعِمَامَتِي. وَشَغَلْتُ فَمَهُ. حَتَّى حَقَنْتُ دَمَهُ. وَقَامَ الْفَتَى فَوَجَأَ بَطْنَهُ. حَتَّى هَلَكَ الْفَتَى مِنْ خَوْفِهِ. والأَسَدُ لِلْوَجْأَةِ فِي جَوْفِهِ[٤]. وَنَهِضْنَا فِي أَثَرِ الْخَيْلِ فَتَأَلَّفْنَا مِنْهَا ما ثَبَتَ. وَتَرَكْنَا مَا أَفْلَتَ. وَعُدْنَا إِلى الرَّفِيقِ لِنُجَهِّزَهُ فَلَمَّا حَثَوْنَا التُّرْبَ فَوْقَ رَفِيقِنَا جَزِعْنَا وَلَكِنْ أَيُّ سَاعَةٍ مَجْزَعٍ وَعُدْنَا إِلى الْفَلاَةِ. وَهَبَطْنَا أَرْضَهَا[٥] وَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ضَمَرَتِ الْمَزَادُ. وَنَفِدَ الزَّادُ أَوْ كَادَ يُدْرِكُهُ النَّفَادُ[٦]. وَلَمْ نَمْلِكِ الذَّهَابَ وَلاَ الرُّجُوعَ. وَخِفْنَا الْقَاتِلَيْنِ الظَّمَأَ

---

(١) أثر السيف (بفتح أوله أو كسره، وسكون الثاني فيهما) فرنده وجمعه أثور ومعناه: أن السيف لصقولته وصفاء جوهره كأنه كله جوهر.

(٢) السورة الحدة ومثلها السوار (كغراب) والمعنى أن رعبه من الأسد وهيبته له تملكا عليه قلبه فتراخت مفاصله واضطربت أعضاؤه حتى أنه ليخيل للرائي أن الأرض لم تثبت به. ومثل هذا في التعبير قولهم عند اشتداد الخوف: ساخت الأرض تحت قدميه. وقوله: سقط ليده وفمه كناية عن انكبابه على وجهه وهو مأخوذ من قول قاتل محمد بن طلحة بن عبيد الله:

وأشعث قوام بآيات ربه ... قليل الأذى- فيما ترى العين- مسلم
ضممت إليه بالسنان قميصه ... فخر صريعا لليدين وللفم

أو هو مأخوذ من قولهم: سقط في يدي فلان إذا أسف واشتد حزنه. ولكنه بعيد.

(٣) الحين: الهلاك والموت والمعنى أن الأسد حينما قتل الأول تجاوز مكانه ويمم نحو باقي رفاقه فتقدم إليه أحدهم فلم يلبث أن حل به مثل ما حل بمن تقدمه.

(٤) المعنى أن ذلك الرفيق نزل به الخوف وأخذ منه الجزع فسقط كما سقط الذي قبله وهم الأسد ليقضي عليه فتداركته بمشاغلة الأسد حتى استطاع الفتى أن يقوم فبقر بطن السبع ولكنه أشرف على الهلاك من الرعب.

(٥) الفلاة الصحراء، وهبطنا: نزلنا.

(٦) الضمر والضمور: أصله الهزال، والمزاد جمع مزادة: وهي قربة الماء ومعنى ضمورها لصوق الجلد ببعضه كما يكون في هزال الحيوان لعدم وجود ما يباعد بينه فهو كناية عن فقدان الماء ونفد: فنى.. والمراد أنهم صاروا في حالة شديدة.

والْجُوعَ. عَنَّ لَنَا فَارِسٌ فَصَمَدْنَا صَمْدَهُ[١]. وَقَصَدْنَا قَصْدَهُ. وَلَمَّا بلَغْنَا نَزَلَ عَنْ حُرِّ فَرَسِهِ. يَنْقُشُ الأَرْضَ بِشَفَتَيْهِ. وَيَلْقَى التُّرَابَ بِيَدَيْهِ. وَعَمَدَنِي مِنْ بَيْنِ الْجَماعَةِ. فَقَبَّلَ رِكَابِي. وَتَحرَّمَ بِجَنَابِي[٢] وَنَظَرْتُ فإِذَا هُوَ وَجْهٌ يَبْرُقُ بَرْق الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ. وَقَوَامٌ مَتَى مَا تَرْقَ الْعَيْنُ فِيهِ تُسْهِلْ وَعَارِضٌ قَدِ اخْضَرَّ. وَشَارِبٌ قَدْ طَرَّ. وَسَاعِدٌ مَلآنٌ. وَقَضِيبٌ رَيَّانٌ. وَنِجَارٌ تُرْكِيٌّ. وَزِيٌّ مَلَكِيٌّ[٣] فَقُلْنَا: مَالَكَ لاَ أَبَالَكَ[٤]؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ بَعْضِ الْمُلُوكِ هَمَّ مِنْ قَتْلِي بِهَمٍّ[٥]. فَهِمْت عَلَى وَجْهِي إِلَى حَيْثُ تَرانِي. وَشَهِدَتْ شَوَاهِدُ حَالِهِ. صِدْقَ مَقَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: أَنَا الْيَوْمَ عَبْدُك. وَمَالِي مَالُكَ. فَقُلْتُ: بُشْرَى لَكَ وَبِكَ[٦] أَدَّاكَ سَيْرُكَ إِلَى فِنَاءٍ رَحْبٍ. وَعَيْشٍ رَطْبٍ[٧] وَهَنَّأْتُنِي

---

(١) عنَّ: ظهر، صمدنا قصدنا، ويقال صمد فلان صمد كذا أي اتجه إليه واعتمده والمعنى أننا حين خشينا على أنفسنا الهلاك في هذه الصحراء المجدبة حيث لا نبات ولا ماء ظهر لنا رجل يركب فرسه فاتجهنا إليه، والمرء في مثل هذه الحال يتلمس من يكشف كربته ويخفف عناءه ولا أقل من أن يدلهم على مورد الماء.

(٢) عمدني وعمد إلي: قصدني واتجه نحوي والمراد من تقبيل الركاب والتحرم بالجناب: الاحترام والتأدب فيه والاجلال مع إظهار الخشوع.

(٣) العارض: أصله السحاب المعترض في الأفق ومن عباراتهم تشبيه الوجه بالماء في صفائه وقد يضيفونه إليه تارة فيقولون ماء الوجه ومنه:

ألا بقية ماء وجه صنته عن أن يباع وقد أبحتك فاشتر

ومن هذا القبيل تسميتهم صفحتى الخد أي جانبيه بالعارضين وهو المراد هنا واخضراره ظهور الشعر فيه، ويقال طر الشارب طرا وطرورا إذا طلع جديدا.

(٤) كان بعض شيوخنا يعتقد أن هذه الكلمة لا تقال إلا عند الذم وناقشته في ذلك كثيرا مستشهدا بكثير من أشعار العرب فيتأولها بالذم أو بوقوعها حشوا ونحن نعتقد مجيئها للمعنيين وأصدق شاهد من النثر قول سخيلة الراعية لعامر بن ظرب العدواني وكان سيدها: مالك- لا أبالك- ما عراك في ليلتك هذه ثم قولها له: سبحان الله! لا أبالك أتبع القضاء المبال الخ، في قصة رواها ابن هشام في سيرته (جزء أول صفحة ١١٦ طبع مصر).

(٥) أي أنه عزم على قتلي.

(٦) أي أنك ستأنس بي كما أنني سأرتاح إليك.

(٧) الفناء ككساء: ما اتسع أمام الدار وجمعه أفنية كأكسية وفنى (بضم فكسر فياء مشددة) والرحب: المتسع وعيش رطب: ناعم رغيد والمعنى: أنه بوصوله إليه قد وصل إلى النعمة الموفورة والعيشة الراضية الهنيئة.

الْجماعَةُ وَجعَلَ يَنْظُرُ فَتقْتُلُنَا أَلْحاظُهُ . وَيَنْطِقُ فَتفْتِنُنَا أَلْفاظُهُ . فَقَالَ : يَا سَادَةُ إِنَّ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ عَيْنًا وَقَدْ رَكِبْتُمْ فَلاَةً عَوْرَاءَ فَخُذُوا مِنْ هَنَالِكَ الْمَاءَ[١] . فَلَوَيْنَا الأَعِنَّةَ إِلَى حَيْثُ أَشَارَ . وَبَلَغْنَاهُ وَقَدْ صَهَرَتِ الْهَاجِرَةُ الأَبدانَ . وَرَكِبَ الْجَنَادِبُ الْعيدَانَ[٢] . فَقَالَ : أَلاَ تَقِيلُونَ فِي هذَا الظِّلِّ الرَّحْبِ . عَلَى هذَا الْمَاءِ الْعَذْبِ . فَقُلْنَا : أَنْتَ وَذَاكَ[٣] فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَحَلَّ مِنْطَقَتَهُ . وَنَحَّى قُرْطُقَتَهُ[٤] فَمَا اسْتَتَرَ عَنَّا إِلاَّ بِغِلاَلَةٍ تَنِمُّ عَلَى بَدَنِهِ[٥] . فَمَا شَكَكْنَا أَنَّهُ خَاصِمُ الْوِلْدَانَ . فَفَارَقَ الْجِنَانَ . وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانٍ[٦] . وَعَمَدَ إِلَى السُّرُوجِ فَحَطَّهَا وإِلَى الأَفْرَاسِ فَحَشَّهَا[٧] . وَإِلَى الأَمْكِنَةِ فَرَشَّهَا . وَقَدْ حَارَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ

---

(١) سفح الجبل : أصله أو أسفله وأراد بالعين الماء وفلاة عوراء لا تجدون فيها عينا ومعنى ركوبها السير فيها .

(٢) الأعنة جمع عنان بكسر أوله وهو سير اللجام وصهرت أحرقت والهاجرة حر الظهيرة والجنادب الجراد وركوبه العيدان عند شدة الحر .

(٣) قال يقيل من باب (باع يبيع) قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا وتقيل : نام في نصف النهار ، الرحب : الواسع ، أنت وذاك : كلمة يقولونها عند الموافقة على ما يعرضه المقترح وكان المعنى : أنت مطاع ولك ذاك .

(٤) المنطقة بوزن مكنسة حزام يشد به الوسط والفعل منه انتطق : أي لبسه ، ونحى : أبعد ، والقرطق بوزان جندب : نوع من اللباس وفعله : قرطق كدحرج .

(٥) استتر : اختفى واحتجب ، والغلالة (بكسر أوله) شعار يلبس تحت الثوب ومثلها الغلة . تنم : تكشف عنه وتدل عليه ، والمعنى أنه ما كان يخفي عليهم شيء من بدنه لأن الغلالة شفافة لا تحجب منه شيئا .

(٦) أي أنا حينما تأملنا بديع تركيبه ونظرنا محاسنه لم نظن ألا أنه أحد الولدان الذين يكونون في الجنة فارقها هاربا من رضوان خازنها والموكل بحراستها لأنه ممن لا تقع عليهم العين في هذه الحياة الدنيا ومن أبدع ما قيل في وصف الغلمان قول سبط بن التعاويذي في غلمان الإمام الناصر لدين الله :

غر أذاصين الجمال ببرقع ... ستروا جمال وجوههم بمغافر
من كل خواض الغمار ملجج ... مرن على سفك الدماء مغامر
أصمى الكماة بمقصد من كفه ... ورمى القلوب من اللحاظ بعاثر
أيماض منصله وضوء جبينه ... برقان في ليل العجاج الثائر

(٧) أي وضع لها الحشيش .

وَوقَفَتِ الأبْصَارُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي الخِدْمَةِ. وَأَحْسَنَكَ فِي الجُمْلَةِ[١]. فَالْوَيْلُ لِمَنْ فَارَقْتَهُ. وَطُوبَى لِمَنْ رَافَقْتَهُ[٢]. فَكَيْفَ شُكْرُ اللهِ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ. فَقَالَ: مَا سَتَرَوْنَهُ مِنِّي أَكْثَرُ أَتُعْجِبُكُمْ خِفَّتِي فِي الْخِدْمَةِ. وَحُسْنِي فِي الْجُملَةِ. فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمُونِي فِي الرُّفْقَةِ[٣] أُرِيكُمْ مِنْ حِذْقِي طُرَفًا[٤]. لِتَزْدَادُوا بِي شَغَفًا؟ فَقُلْنَا: هَاتِ.

فَعَمَدَ إِلَى قَوْسِ أَحَدِنَا فَأَوْتَرَهُ[٥] وَفَوَّقَ سَهْمًا فَرَمَاهُ فِي السَّماءِ[٦]. وَأَتْبَعَهُ بِآخَر فَشَقَّهُ فِي الْهَوَاءِ. وَقَالَ سَأُرِيكُمْ نَوْعًا آخَرَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى كِنَانَتِي فَأَخَذَهَا وَإِلَى فَرَسِي فَعَلاهُ وَرَمَى أَحَدَنَا بِسَهْمٍ أَثْبَتَهُ فِي صَدْرِهِ. وَآخَرَ طَيَّرَهُ مِنْ ظَهْرِهِ[٧]. فَقُلْتُ: وَيْحَكَ مَا تَصْنَعُ[٨]. قَالَ: اسْكُتْ يَا لُكَعُ[٩]. وَاللهِ لَيَشُدَّنَّ كُلٌّ مِنْكُمْ يَدَ رَفِيقِهِ. أَوْ لأُغِصَّنَّهُ بِرِيقِهِ[١٠]. فَلَمْ نَدْرِ مَا نَصْنَعُ وَأَفْرَاسُنَا مَرْبُوطَةٌ. وَسُرُوجُنَا مَحْطُوطَةٌ. وَأَسْلِحَتُنَا بَعِيدَةٌ وَهُوَ رَاكِبٌ وَنَحْنُ رَجَّالَةٌ وَالْقَوْسُ فِي يَدِهِ يَرْشُقُ بِهَا الظُّهُورَ. وَيَمْشُقُ بِهَا

---

(١) أي أن جملة أحوالك ومجموع صفاتك جميل مستحسن.

(٢) أي أن هذه الخلال مما يأنس بها من يرافقك ويأسف عليها من تفارقه.

(٣) يروى بدل الرفقة: الوقعة وهي تقرب تفسير الرفقة بالبأس والشدة والمدافعة وذلك أن الصداقة هي المؤاساة في شدائد الأمور وعظيم الوقائع.

(٤) الحذق: المهارة.

(٥) أوتر القوس: جعل لها وترا وهو بفتح أوله وثانيه: شرعة القوس ومعلقها.

(٦) فوق السهم (بالتضعيف): سدده.

(٧) الكنانة: جعبة تجعل فيها السهام: والمعنى أنه أمطى فرسه بعد أن أخذ كنانته ليتمكن من النجاة إذا أعوزته الحال واضطر إليها وكان منه أي رمى واحدًا منهم بسهم بقى مرشوقا في صدره ورمى ثانيا بسهم نفذ من ظهره ليريهم قدرته على الرماية.

(٨) ويح وويب وويل كلمات تقال في الدعاء بالثبور والهلاك.

(٩) اللكع (بوزن صرد): اللئيم والأحمق، وقد شاع هذا الوزن في سبب المذكر كغدر وفسق كما شاع وزن فعال في سب المؤنث ومنه قول الشاعر:

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاع

(١٠) أي أما أن يربط كل واحد يدي رفيقه ليتعذر عليه الدفاع عن نفسه فيما أفعل بعد أو لأجعلنه يغص بريقه وهي كناية عن إزهاق نفسه.

الْبُطُونَ وَالصُّدُورَ[١] . وَحِينَ رَأَيْنَا الْجِدَّ . أَخَذْنَا الْقِدَّ[٢] . فَشَدَّ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَقِيتُ وَحْدِي . لاَ أَجِدُ مَنْ يَشُدُّ يَدِي . فَقَالَ : اخْرُجْ بِإِهَابِكَ[٣] . عَنْ ثِيَابِكَ . فَخَرَجْتُ ثُمَّ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَجَعَلَ يَصْفَعُ الْوَاحِدَ مِنَّا بَعْدَ الآخَرِ . وَيَنْزِعُ ثِيَابَه وَصَارَ إِلَيَّ وَعَلَيَّ خُفَّانِ جَدِيدَانِ . فَقَالَ : اخْلَعْهُمَا لا أُمَّ لَكَ . فَقُلْتُ : هذَا خُفٌّ لَبِسْتُهُ رَطْبًا فَلَيْسَ يُمْكِنُنِي نَزْعُهُ . فَقَالَ : عَلَيَّ خَلْعُهُ . ثُمَّ دَنَا إِلَيَّ لِيَنزِعَ الخُفَّ وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى سِكِّينٍ كَانَ مَعِي فِي الْخُفِّ وَهُوَ فِي شُغْلِهِ فَأَثْبَتُّهُ فِي بَطْنِه . وَأَبنتُهُ مِنْ مَتْنِهِ[٤] . فَمَا زَادَ عَلَى فَم فَغَرَهُ[٥] . وَأَلْقَمَه حَجَرَهُ[٦] . وَقُمْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَحلَلْتُ أَيْدِيَهُمْ وَتَوَزَّعْنَا سَلَبَ الْقَتِيلَيْنِ[٧] وَأَدْرَكْنَا الرَّفِيقَ وَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ[٨] . وَصَارَ لِرَمْسِهِ . وصِرْنَا إِلَى الطَّرِيقِ وَوَرَدْنَا حِمْصَ بَعْدَ لَيَالٍ خَمْسٍ . فَلَمَّا انْتَهَيْنا إِلَى فُرْضَةٍ مِنْ سُوقِهَا[٩] رأَيْنا رَجُلاً قَدْ قَامَ عَلَى رَأْسِ ابْنٍ وَبُنَيَّةٍ . بِجِرَابٍ وَعُصَيَّةٍ[١٠] وَهُوَ يَقُولُ :

رَحِمَ اللهُ مَنْ حَشَا فِي جِرَابِي مَكَارِمَهْ
رَحِمَ اللهُ مَنْ رَنَا لِسَعِيدٍ وَفَاطِمَهْ
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ وَهْيَ لاَ شَكَّ خَادِمَهْ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ[١١] فَقُلْتُ إِنَّ هذَا الرَّجُلَ هُوَ الإِسكَنْدَرِي الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ ، وَسَأَلْتُ

(١) أي أننا تحيرنا في أمرنا معه فلم ندر ماذا نصنع وليس فينا من هو متجهز مثله إذ أننا مترجلون وهو راكب وبيده القوس يقتل من قدم عليه أو هرب منه .

(٢) القد سير من الجلد تربط به الاسارى .

(٣) الأهاب : الجلد والمعنى أنهم فعلوا ما أمرهم به وشد كل واحد رفيقة فبقي عيسى وحده فأراد منه الفتى أن يتجرد عن ثيابه ليأخذها بلا عناء .

(٤) المتن : الظهر . (٥) فغر فاه : فتحه . (٦) كناية عن السكوت التام .

(٧) توزعنا : اقتسمنا والسلب : ثياب القتيل ومتاعه .

(٨) جاد بنفسه : مات . (٩) الفرضة كالفرجة وزنا ومعنى .

(١٠) عصية : تصغير عصا وفي أمثالهم تلك العصا من العصية .

(١١) والمعنى أنهم بعد أن انتهوا من ذلك الفتى سلكوا الطريق إلى حمص فوردوها بعد سفر خمس ليال وبيناهم يسيرون إذ وجدوا رجلا قد انتحى ناحية واتخذ له مكانا فرجة من السوق ووقف وأمامه فتاة وفتى ومعه جراب ليضع فيه ما يحصله وعصا يتوكأ عليها كعادة السابلة والمتسولين .

عَنْهُ. فَإِذَا هُوَ فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ[١]. وَقُلْتُ: احْتَكِمْ حُكْمَكَ[٢] فَقَالَ: دِرْهِمٌ فَقُلْتُ:

لَـك درْهَـمٌ فِـي مِـثْـلِـه ما دام يُسْعِدُنِي النَّفَسْ[٣]
فَاحْسُبْ حسابك والْتمسْ كَيْمَا أُنِيلَ الْمُلْتَمَسْ

وَقُلْتُ لَهُ: دِرْهَمٌ فِي اثْنَيْنِ فِي ثَلاثَةٍ فِي أَرْبَعَةٍ فِي خَمْسَةٍ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعِشْرِيْنَ. ثُمَّ قُلْتُ: كَمْ مَعَكَ؟ قَالَ: عِشْرُونَ رَغِيفًا. فَأَمَرْتُ لَهُ بِهَا. وَقُلْتُ: لاَ نَصْرَ مَعَ الْخِذْلاَنِ. وَلاَ حِيلَةَ مَعَ الْحِرْمَانِ[٤].

المقامة الغيلانية

حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بِجُرْجَانَ. فِي مُجْتَمَعٍ لَنَا نَتَحَدَّثُ وَمَعَنَا يَوْمَئِذٍ رَجُلُ الْعَرَبِ حِفْظًا وَرِوَايَةً وَهُوَ عِصْمَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ فَأَفْضَى[٥]. بِنَا الْكَلاَمُ إِلَى ذِكْرِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ حِلْمًا وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ احْتِقَارًا حَتَّى ذَكَرْنَا الصَّلَتَانَ الْعَبْدِيَّ وَالْبَعِيثَ[٦] وَمَا كَانَ مِنَ احْتِقَارِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ لَهُمَا. فَقَالَ

---

(١) دلفت إليه: سرت نحوه.

(٢) أي أنني جعلت مالي تحت حكمك فاحكم بما شئت فإني أعطيكه.

(٣) قال الإمام أن معنى ما دام يسعدني النفس: مدة دوامي حيا أو أني أكرر لك ذلك كل عام وما أشبه هذا ونحن نقول: لعله أراد لك درهم مضروبا في مثله مضروبا في العدد التالي له ثم الذي بعده وهكذا ما دام نفسي متسعا للتعداد بدليل أنه سأله بعد ذلك بقوله: درهم في اثنين في ثلاثة وهكذا وقوله حتى انتهيت إلى العشرين أي أنه لم يساعده نفسه الواحد إلى عد ما فوق العشرين ولسنا نشك في أن هذا هو المعقول وسبحان ملهم الصواب.

(٤) أي أنه حينما عرض عليه هذه العطية وسأله حسبتها لم يساعده الحظ إلا بذكر العشرين رغيفا، وذلك نكد الطالع.

(٥) أفضى بنا الكلام: اتسع حتى ذكرنا كيت وكيت من قولهم: فضا المكان وأفضى إذا اتسع.

(٦) الصلتان على وزن خفقان والبعيث بوزن كريم شاعران من شعراء الدولة الأموية كانا يهجوان جريرا والفرزدق وقد ورد في شعر الفرزدق وجرير هجاء لهما فلعل معنى أنهما تركاهما أنهما لم ينازلاهما منازلة القرناء ولم يشتغلا بمهاجاتهما ومناقضاتهما كما اشتغل كل من جرير والفرزدق

عِصْمَةُ: سأُحَدِّثُكُمْ بِمَا شَاهَدَتْهُ عَيْنِي وَلاَ أُحَدِّثُكُم عَنْ غَيْرِي بَيْنما أَنَا أَسِيرُ فِي بِلاَدِ تَمِيم مُرْتَحِلاً نَجِيبَةً. وَقَائِدًا جَنِيبَةً. عَنَّ لِيَ رَاكِبٌ عَلَى أَوْرَقَ جَعْدِ اللُّغَام فَحَاذَانِي حَتَّى إِذَا صَكَّ الشَّبَحُ بِالشَّبَحِ [١] رَفَعَ صَوْتَهُ بِالسَّلاَمْ عَلَيْكَ. فَقُلْتُ: وعَلَيْكَ السلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ، مَنِ الرَّاكِبُ الْجَهِيرُ الْكَلاَمِ [٢] المُحَيِّي بِتَحِيَّةِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ: أَنَا غَيْلاَنُ بْنُ عُقْبَةَ [٣]. فَقُلْتُ: مَرْحَبًا بِالْكَرِيمِ حَسَبُهُ. الشَّهِيرِ نَسَبُهُ. السَّائِرِ مَنْطِقُهُ. فَقَالَ: رَحُبَ وَادِيكَ. وَعَزَّ نَادِيكَ. فَمَنْ أَنْتَ. قُلْتُ: عِصْمَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ. قَالَ: حَيَّاكَ اللهُ نِعْمَ الصَّدِيقُ. وَالصَّاحِبُ وَالرَّفِيقُ. وَسِرْنا فَلَمَّا هَجَّرْنَا قَالَ: أَلاَ نُغَوِّرُ يَا عِصْمَةُ فَقَدْ صَهَرَتْنَا الْشَّمْسُ [٤] فَقُلْتُ أَنْتَ وَذَاكَ فَمِلْنا إِلَى شَجَرَاتٍ آلاءٍ كأَنَّهُنَّ عَذَارَى مُتَبَرْجَاتٌ قَدْ نَشَرْنَ غَدَائِرَهُنَّ. لاَ ثَلاَثٍ تُنَاوِحُهُنَّ [٥] فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا. ونِلْنَا مِنَ الطَّعَامِ وَكَانَ ذُو الرُّمَّةِ زَهِيدَ الأَكْلِ وَصَلَّيْنَا بَعْدُ وَآلَ كلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى ظِلِّ أَثْلَةٍ يُرِيدُ الْقَائِلَةَ واضْطَجَعَ ذُو الرُّمَّةِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَصْنَعَ مِثْلَ صَنِيعِهِ فَوَلَّيْتُ

= بأخيه والصلتان العبدى هو قثم بن حيبه بن عبد القيس وهو القائل:

نـروح ونـغـدو لـحـاجـاتـنـا وحاجة من عاش لا تنقضي
تـمـوت مـع الـمـرء حـاجـاتـه وتـبـقـى لـه حـاجـة مـا بـقـى

وفيه يقول جرير حينما قضى بينه وبين الفرزدق قضاء لم يرق عنده:

أقول ولـم أمـلـك سـوابـق عـبـرة متى كان حكم الله في كرب النخل

(١) النجيبة: الناقة الكريمة، والجنيبة: الناقة تأخذها جانب ناقتك التي تركبها لتستريح إليها إذا تعبت الأولى. والأورق: الجمل فيه سواد وبياض وجعد اللغام: كثير الزبد.

(٢) الجهير الكلام: المرتفع الصوت به.

(٣) غيلان هو ذو الرمة وكنيته أبو الحارث ينتهي نسبه لنزار والرمة بالضم قطعة من حبل (وتكسر) ولقب بذلك لقوله في الوتد: (أشث باقي رمة التقليد). قال له الفرزدق حينما سأله مالي لا أذكر مع فحول الشعراء: قصر بك عن غايتهم بكاؤك في الدمن ووصفك الأبعار والعطن.

(٤) هجرنا بالتضعيف: دخلنا في وقت الهاجرة وهو أشد الأوقات حرا، ونغور: أي نقيل مأخوذ من الغور وهو المكان المنخفض وأكثر ما يكون أن تلفيه ظليلا.

(٥) الآلاء: شجر وريف الظل بهي المنظر، والعذاري النساء الأبكار. والغدائر جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر، والأثل شجر ضخم مرتفع كثير الظل وتناوحهن أي تقع في مقابلتهن والضمير الظاهر للآلاء.

ظَهْرِي الأَرْضَ. وَعَيْنَايَ لاَ يَمْلِكُهُمَا غُمْضٌ. فَنَظَرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى نَاقَةٍ كَوْمَاءَ قَدْ ضَحِيَتْ وَغَبِيطُهَا مُلْقًى[١] وَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يَكْلأُهَا كَأَنَّهُ عَسِيفٌ أَوْ أَسِيفٌ[٢] فَلَهِيتُ عَنْهُمَا وَمَا أَنَا وَالسُّؤَالَ عَمَّا لاَ يَعْنِينِي وَنَامَ ذُو الرُّمَّةِ غِرَارًا[٣] ثُمَّ انْتَبَهَ وَكَانَ ذلِكَ فِي أَيَّامِ مُهَاجَاتِهِ لِذلِكَ الْمُرِّيِّ فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

أَمِنْ مَيَّةَ الطَّلَلُ الدَّارِسُ ... أَلَظَّ بِهِ الْعَاصِفُ الرَّامِسُ[٤]
فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ شَجِيجُ الْقَذَالِ ... وَمُسْتَوْقَدٌ مَا لَهُ قَابِسُ[٥]
وَحَوْضٌ تَثَلَّمَ مِنْ جَانِبَيْهِ ... وَمُحْتَفَلٌ دَارِسٌ طَامِسُ[٦]
وَعَهْدِي بِهِ سَكَنُهُ ... وَمَيَّةُ والإِنْسُ والآنِسُ[٧]
كَأَنِّي بِمَيَّةَ مُسْتَنْفِرٌ ... غَزَالاً تَرَاءَى لَهُ عَاطِسُ[٨]
إِذَا جِئْتُهَا رَدَّنِي عَابِسٌ ... رَقِيبٌ عَلَيْهَا لَهَا حَارِسُ
سَتَأْتِي امْرَأَ الْقَيْسِ مَأْثُورَةٌ ... يُغَنِّي بِهَا الْعَابِرَ الْجَالِسُ[٩]

---

(١) ناقة كوماء: أي مرتفعة عالية السنام، وضحيت أي أصابتها الشمس وإنما يظهر ذلك إذا عريت والغبيط: هو الرحل الذي يوضع عليه الهودج قال امرؤ القيس:

تقول وقد مال الغبيط بنا معا ... عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

(٢) يكلأها: يرعاها ويحفظها، والعسيف: الأجير، والأسيف: العبد.

(٣) غرارا: قليلا.

(٤) الدارس: الذي فنيت آثاره، ألظ به: أي لازمه ولم يفارقه، العاصف: الريح الشديدة، والرامس: الذي يجلب عليه التراب ليخفيه.

(٥) شجيج القذل: مكسور الرأس وأراد الوتد، المستوقد مكان إشعال النار وليس له قابس أي من يلتمس منه النار لعدم وجودها.

(٦) تثلم: تهدم والمحتفل مكان الاجتماع.

(٧) السكن الساكن أي أنه يعرفه آهلا بالسكان.

(٨) العاطس الصبح يقول أنَّ حاله مع مية في عدم وصوله إليها كحال من يستنفر غزالا وقد لاح له الصبح فهو لا يستطيع إمساكه.

(٩) امرؤ القيس مهجوه وهو من بني مرة بن حجر، مأثورة: أي قصيدة ترويها الناس حتى يعظم خطرها عليه ويتغنى بها الجالس للعابر والمراد أنها تسير وتذيع حتى تحط من قدر امريء القيس.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ قَدْ ... أَلَظَّ دَاؤُهُ النَّاجِسُ (١)
هُمُ الْقَوْمُ لا يَأْلَمُونَ الْهِجَاءَ ... وَهَلْ يَأْلَمُ الْحَجَرُ الْيَابِسُ؟
فَمَا لَهُمْ فِي الْعُلا رَاكِبٌ ... وَلا لَهُمْ فِي الْوَغَى فَارِسُ (٢)
مُمَرْطَلَةٌ فِي حِيَاضِ الْمَلامِ ... كَمَا دَعَسَ الأَدَمَ الدَّاعِسُ (٣)
إِذَا طَمَحَ النَّاسُ لِلْمَكْرُمَاتِ ... فَطَرْفُهُمُ الْمُطْرِقُ النَّاعِسُ
تَعَافُ الأَكَارِمُ إِصْهَارَهُمْ ... فَكُلُّ أَيَامَاهُمُ عَانِسُ (٤)

فَلَمَّا بَلَغَ هذَا الْبَيْتُ تَنَبَّهَ ذلِكَ النَّائِمُ وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ: أَذُو الرُّمَيْمَةِ يَمْنَعُنِي النَّوْمَ بِشِعْرٍ غَيْرِ مُثَقَّفٍ وَلا سَائِرٍ؟ فَقُلْتُ: يَا غَيْلانُ مَنْ هذَا؟ فَقَالَ: الْفَرَزْدَقُ، وَحَمِيَ ذُو الرُّمَّةِ. فَقَالَ:

وَأَمَّا مَجَاشِعٌ الأَرْذَلُونَ ... فَلَمْ يَسْقِ مَنْبِتَهُمْ رَاجِسُ (٥)
سَيَعْقِلُهُمْ عَنْ مَسَاعِي الْكِرَامِ ... عِقَالٌ وَيَحْبِسُهُمْ حَابِسُ (٦)

فَقُلْتُ: الآنَ يَشْرِقُ فَيَثُورُ (٧) وَيَعُمُّ هذَا وَقَبِيلَتَهُ بِالْهِجَاءِ فَوَاللهِ مَا زَادَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى أَنْ

---

(١) الداء الناجس الذي لا يفتأ ملازما صاحبه ولا ينجح فيه الطب.

(٢) أي أن هذا المهجو وقبيلته لا يتألمون من الهجاء ولا يتوجعون له كما لا يتألم الحجر ولا يتوجع الصخر وأنهم لم يمتوا إلى الفضائل بنسب ولم تكن لهم في الوقائع والحروب يد لعدم وجود الأكفاء الصناديد منهم.

(٣) ممرطلة: ملطخة. ودعس: وطئ برجله، والأدم: الجلد والمعنى أن هذه القبيلة ملطخة باللوم كتلطيخ الجلد الذي يراد دباغه لأنهم تجافوا عن المحمدة.

(٤) تعاف: تكره باشمئزاز، وأصهارهم: تزويجهم والأيامى: النساء والعانس: التي كبرت دون زواج والمعنى أن كرام الناس ينفرون من مصاهرتهم ولذلك تجد بناتهم قد كبرن بدون أن يتقدم لخطبتهن أحد.

(٥) مجاشع: قبيل الفرزدق. والراجس: السحاب الذي يصحبه رعد شديد والمعنى الدعاء على هذه القبيلة بعدم السقيا وبكثرة الأمحال.

(٦) يعقل: يمنع، وعقال وحارس: من آباء الفرزدق، أي أن هؤلاء الناس لن يتقدموا في المكرمات وشريف الخصال لأن خستهم تمنعهم من ذلك ولؤم طباعهم يحبسهم عنه.

(٧) يشرق: يغص، ويثور: يهيج، والمعنى أنه سيجد هذا الكلام كالشجا في حلقه فيهتاجه ذلك إلى هجاء غيلان وقومه.

قالَ : قُبْحًا لكَ يَا ذَا الرُّمَيْمَةِ أَتَعْرِضُ لِمِثْلِي بِمَقَالٍ مُنْتَحَلٍ [١] ؟ ثُمَّ عَادَ فِي نَوْمِهِ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا وَسَارَ ذُو الرُّمَّةِ وَسِرْتُ مَعَهُ وَإِنِّي لأَرَى فِيهِ انْكِسَارًا حَتَّى افْتَرَقْنَا [٢] .

المقامة الأذربيجانية

قالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : لَمَّا نَطَّقَنِي الْغِنَى بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ [٣] اتُّهِمْتُ بِمالٍ سَلَبْتُهُ أَوْ كَنْزٍ أَصَبْتُهُ [٤] . فَحَفَزَنِي اللَّيْلُ [٥] . وَسَرَتْ بِيَ الْخَيْلُ . وَسَلَكْتُ فِي هَرَبِي مَسَالِكَ لَمْ يَرُضْهَا السَّيْرُ [٦] . وَلا اهْتَدَتْ إِلَيْهَا الطَّيْرُ . حَتَّى طَوَيْتُ أَرْضَ الرُّعْبِ وَتَجاوَزْتُ حَدَّهُ . وَصِرْتُ إِلَى حِمَى الأَمْنِ وَوَجَدْتُ بَرْدَهُ . وَبَلَغْتُ أَذْرَبِيجانَ وَقَدْ حَفِيَتِ الرَّوَاحِلُ [٧] وَأَكَلَّتْها الْمَراحِلُ . وَلَمَّا بلَغْتُها :

نزلْنا على أنَّ الْمُقامَ ثلاثةٌ فطابتْ لنا حتَّى أقمْنا بها شهْرَا

فَبَينا أنا يَوْمًا في بَعْضِ أَسْوَاقِها إِذْ طَلَعَ رَجُلٌ بِرُكْوَةٍ قَدِ اعْتَضَدَها [٨] وَعَصًا قَدْ

---

(١) الرميمة : تصغير الرمة لقب غيلان ، تعرض تتعرض والمقال المنتحل بالمسروق وقد يكون تعرض من التعريض الذي هو عدم التصريح وموضعه في قوله : يعقلهم عقال ويحبسهم حابس .

(٢) أي أن غيلان ابتأس كثيرا حين لم يعبأ به الفرزدق ولم يقم له وزنا . . وهذا مثال لمن أعرض عن خصمه احتقارا لشأنه واستخفافا .

(٣) أي البسنى الزائد من ثوبه وجعله لي كالمنطقة .

(٤) المعنى أن الناس كانوا في تأويل ثرائي على قسمين قوم يقولون أنه استلب هذه الأموال وجماعة تقول بل عثر على كنز أي مال مخبوء .

(٥) حفزني : دفعني بشدة وحثني طلبا للهرب .

(٦) لم يرضها السير : لم يذللها أي أن الناس لم تكن تطرق هذه السبل وهي كناية عن وعورة المسلك وخطورته .

(٧) حفيت أصابها الحفا وهو رقة القدم من كثرة السير والرواحل الركائب .

(٨) الركوة وعاء يجمع فيه ما يحصله ، واعتضدها أي جعلها في عضده .

اعْتَمَدَها[١]. وَدَنِّيَّةٍ قَدْ تَقَلَّسَها[٢]. وَفُوطَةٍ قَدْ تَطَلَّسَها[٣] فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ وَقالَ: اللَّهُمَّ يا مُبْدِئَ الأَشْياءِ وَمُعيدَها. وَمُحْيِيَ الْعِظامِ وَمُبِيدَها. وَخالِقَ الْمِصْباحِ وَمُديرَهُ[٤]. وَفالِقَ الإِصباحِ وَمُنِيرَهُ وَمُوصِلَ الآلاءِ سابِغَةً إِلَيْنا[٥]. وَمُمْسِكَ السَّماءِ أَن تَقَعَ عَلَيْنا. وبارِئَ النَّسَمِ أَزْواجًا. وَجاعِلَ الشَّمْسِ سِراجًا وَالسَّماءِ سَقْفًا والأَرْضِ فِراشًا. وَجاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالنَّهارِ مَعاشًا. وَمُنْشِئَ السَّحابِ ثِقالاً. وَمُرْسِلَ الصَّواعِقِ نَكالًا وَعالِمَ ما فَوْقَ النُّجومِ. وَمَا تَحْتَ التُّخُومِ[٦]. أَسْأَلُكَ الصَّلاةَ عَلى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ. مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرِينَ. وَأَنْ تُعِينَنِي عَلَى الْغُرْبَةِ أَثْنِي حَبْلَها[٧]. وَعَلى الْعُسْرَةِ أَعْدُو ظِلَّها[٨]. وَأَنْ تُسَهِّلَ لِي عَلى يَدَيْ مَنْ فَطَرَتْهُ الْفِطْرَةُ. وَأَطْلَعَتْهُ الطُّهْرَةُ. وَسَعِدَ بالدِّينِ الْمَتِينِ[٩]. وَلَمْ يَعْمَ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ. رَاحِلَةً تَطْوِي هذَا الطَّرِيقَ وَزادًا يَسَعُنِي وَالرَّفِيقَ. قالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَناجَيْتُ نَفْسِي بِأَنَّ هذَا الرَّجُلَ أَفْصَحُ مِنْ إِسْكَنْدَرِيِّنا أَبِي الْفَتْحِ. وَالْتَفَتُّ لَفْتَةً فَإِذَا هُوَ وَاللهِ أَبُو الْفَتْحِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْفَتْحِ بَلَغَ هذِهِ الأَرْضَ كَيْدُكَ وَانْتَهى إِلى هذَا الشِّعْبِ صَيْدُكَ[١٠]؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَنا جَوَّالَةُ الْبِلا ... دِ وَجَوَّابَةُ الأُفُقْ
أَنا خُذْرُوفَةُ الزَّما ... نِ وَعَمَّارَةُ الطُّرُقْ

---

(١) توكأ عليها.

(٢) الدنية القلنسوة وتقلسها لبسها.

(٣) الفوطة: ثوب سندى، وتطلسها اتخذها طيلسانا.

(٤) المصباح الشمس ومديره محركه.

(٥) الآلاء العطايا والنعم وسابغة شاملة.

(٦) التخوم في الأصل الحدود والمراد العالم بما تحت الأرض السفلى أي بما استتر عنا.

(٧) أي تقدرني على الغربة فاكبح جماحها كأنه جعلها دابة حرونا.

(٨) أعدو: أفارق.

(٩) فطرته أنشأته والفطرة الدين أي تجعل تسهيل أمري على يدي رحل شب على الدين الذي يأمر بالخير وإسداء الجميل.

(١٠) أي أنك أنجدت في البلاد وأتهمت فلم تبق بلدة لم تحط بها رحلك ولم تنصب فيها شباكك.

لاَ تَـلُـمْـنـي لَـكَ الـرَّشـا دُ عَـلـى كُـذيَـتِـي وذُقْ[١]

المقامة البجرجانية

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشَام قَالَ: بَيْنا نَحْنُ بِجُرْجَانَ. فِي مَجْمَعٍ لَنا نَتَحَدَّثُ وَما فينا إلاَّ مِنَّا[٢]. إذْ وَقَفَ عَلَيْنا رَجُلٌ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْمُتَمَدِّدِ وَلاَ الْقَصيرِ الْمُتَرَدِّدِ[٣]. كَثُّ الْعُثْنونِ[٤] يَتْلوُه صِغَارٌ فِي أطْمارٍ[٥] فَافْتَتَحَ الْكَلامَ بِالسَّلامِ. وَتَحِيَّةِ الإِسْلامِ فَوَلَّانا جَميلاً. وَاوْلَيْناهُ جَزيلاً[٦]. فَقَالَ: يا قَوْمُ إنِّي امْرُؤٌ مِنْ أهْلِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنَ الثُّغورِ الأُمويَّةِ[٧] نَمَتْنى سُلَيْمٌ وَرَحَّبَتْ بِي عَبْسٌ[٨]. جُبْتُ الآفاق. وَتَقَصَّيْتُ الْعِراقَ[٩]. وَجُلْتُ الْبَدْوَ وَالْحَضَرَ وَدَاري رَبيعَةَ وَمُضَر ما هُنْتُ. حَيْثُ كُنْتُ[١٠]. فَلا يُزْرِيَنَّ بِي عِنْدَكُمْ ما تَرَوْنَهُ مِنْ سَمَلى وَأطْماري[١١] فَلَقَدْ كُنَّا وَاللهِ مِنْ أهْلِ ثَمَّ وَرَمَّ[١٢] نُرْعى لَدَى الصَّباحِ وَنُثْغى عِنْدَ الرَّوَاحِ[١٣]. وَفينا مَقاماتٌ حِسانٌ وُجوهُهُم وَأنْدِيَةٌ

---

(١) الجوالة الكثير الطواف والجوابة الذي يقطع في سيره كثيرا والخذروفة لعبة تتخذها الصبيان تشبه بها الخيل عند شدة عدوها وسرعة جريانها والعمارة الذي يعمر الطرقات فلا تراها تخلو منه والكدية سؤال الناس واستدرار أكفهم يقول له أنني كثير الجولان فلا تعتب علي.

(٢) أي ليس بيننا من ننكره.

(٣) المتردد البالغ نهاية القصر.

(٤) أي كثير شعر اللحية.

(٥) جمع طمر وهو الثوب البالي.

(٦) أي أنه جاملنا بالتحية فأجبناه بأحسن منها.

(٧) الأموية المنسوبة إلى بني أمية أي أنه يعني إسكندرية الأندلس لا إسكندرية مصر.

(٨) سليم وعبس قبيلتان من قبائل العرب ابنتا عم ونمته ورفعته ومجدته أي أنه ينتسب إليها.

(٩) أي بلغت أقصاه وأبعد مسافة فيه.

(١٠) أي أنني لم أخلع ثوب العز ولم يكتنفني الذل ولا الهوان في أي مكان نزلت به.

(١١) يزرين أي يحطن من قدري والسمل والأطمار الثياب البالية.

(١٢) ثم ورم معناهما الإصلاح أي أننا كنا جماعة نصلح شؤون غيرنا ونداوي علاتهم ونجبر كسرهم.

(١٣) أرغى: أعطي الراغية وهي الإبل، وأثغي: أعطي الثاغية وهي الغنم والمراد أنهم كانوا =

يَنْتابُها القَوْلُ وَالْفِعْلُ[١] عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ وَعِنْدَ الْمُقِلّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ ثُمَّ إنَّ الدَّهْرَ يَا قَوْمُ قَلَبَ لِي مِنْ بَيْنِهم ظَهْرَ الْمِجَنِّ[٢]. فَاعْتَضْتُ بِالنَّوْمِ السَّهَر. وبالإقَامَةِ السَّفَرَ. تَتَرَامى بِيَ الْمَرَامي. وَتَتَهَادَي بي الْمَوَامِي[٣]. وَقَلَعَتْني حوَادِثُ الزَّمَنِ قَلْعَ الصَّمْغَةِ[٤]. فَأُصبِحُ وَأُمْسِي أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ وَأَعْرَى مِنْ صَفْحَةِ الْوَلِيدِ[٥]. وَأَصْبَحْتُ فَارِغَ الْفِنَاءِ. صَفْرَ الإنَاءِ. مَالِي إلاَّ كَآبَةُ الأَسْفَارِ. وَمُعَاقَرَةُ السِّفَارِ[٦]. أُعَانِي الْفَقْرَ. وَأُمَانِي الْقَفْرَ. فِرَاشِي الْمَدَرُ[٧]. وَوِسَادِي الْحَجَرُ.

بِـآمِـدَ مَـرَّةً وَبِـرَأسِ عَـيـنٍ وَأُخْـيَـانًـا بِـمَـيّـا فَـارِقِـيـنَـا
لَـيْـلَـةَ بِـالـشَّـآمِ ثُـمَّـتَ بِـالأَهْـوَازِ رَحْـلِـي وَلَـيْـلَـةً بِـالْـعِـرَاقِ[٨]

يجودون في جميع أوقاتهم بمختلف أنواع المال.

(١) البيتان لزهير بن أبي سلمى ومعناهما أن لنا أمكنة يطرقها العافون فنمنحهم ونجتمع فيها لتدبير شؤوننا وأن حقا على كل فرد منا أن يجود فأما المياسير فلكل شارد وارد وأما المحاويج فلم يقصر بهم الكرم طبعا وأول القصيدة:

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

(٢) أي أن الدهر أنكرني وعاداني ولم يترك لي سببا ولا لبدا فأما قومي فهم بحيث وصفت لم ينزل بهم مثل ما نزل بي ولم يدهمهم الذي دهمني.

(٣) المواميي جمع موماة وهي الصحراء والمعنى أن كل صحراء تسلمني إلى أختها فكأنها تهديها بي.

(٤) إذا اقتلعت الصمغة من شجرتها لم يبق لها أثر وهو يريد أنه لم يبق عليه من بهجة الثراء وروائه مسحة.

(٥) أي فقيرا جدا ليس عندي من المال إلا مثل ما في وجه الوليد أو باطن الكف من الشعر وهو ليس بموجود.

(٦) السفار: جلدة توضع عند أنف البعير ليقاد منه أي أنه مصاحب لها دائما فهي كناية عن استمرار أسفاره.

(٧) المدر صغار الحصي.

(٨) مثل هذين البيتين في المعنى قول الشاعر:

يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبا لعذيب يوما ويوما بالخليصاء

وكل هذه أسماء مواضع بعينها.

فَمَا زَالَتِ النَّوَى تَطْرَحُ بِي كُلَّ مَطْرَحٍ. حَتَّى وَطِئْتُ بِلادَ الْحَجَرِ وَأَحَلَّتْنِي بَلَدَ هَمَذَانَ. فَقَبِلَنِي أَحْيَاؤُهَا. وَأَشْرَأَبَّ إِلَيَّ أَحِبَّاؤُهَا[١]. وَلكني مِلْتُ لإِعْظَمِهِمْ جَفْنَةً. وَأَزْهَدِهِمْ جَفْوَةً[٢]:

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ ... إِذَا النِّيرَانُ أُلْبِسَتِ الْقِنَاعَا

فَوَطَّأَلِي مَضْجَعًا. وَمَهَّدَلِي مَهْجَعًا[٣]. فَإِنْ وَنَى لِيَ وِنْيَةً هَبَّ لِيَ ابْنٌ كَأَنَّهُ سَيْفُ يَمَانٍ[٤] أَوْ هِلَالٌ بَدَا فِي غَيْرِ قَتَمَانٍ. وَأَوْلاَنِي نِعَمًا ضَاقَ عَنْهَا قَدْرِي. وَاتَّسَعَ بِهَا صَدْرِي. أَوَّلُهَا فَرْشُ الدَّارِ. وَآخِرُهَا أَلْفُ دِينَارٍ. فَمَا طَيَّرَتْنِي إِلاَّ النِّعَمُ. حَيْثُ تَوَالَتْ[٥]. وَالدِّيمُ لَمَّا أَثَّالَتْ. فَطَلَعْتُ مِنْ هَمَذَانَ طُلُوعَ الشَّارِدِ. وَنَفَرْتُ نِفَارَ الآبِدِ. أَفْرِي الْمَسلِكَ. وَأَقْتَفِرُ المَهَالِكَ. وَأُعَانِي الْمَمَالِكَ[٦]. عَلَى أَنِي خَلَّفْتُ أُمَّ مَثْوَايَ وَزُغْلُولاً لِي[٧]:

كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبِهٌ ... فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مَفْصُومُ[٨]

وَقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحُ الاحْتِيَاجِ. وَنَسِيمُ الإِلْفَاجِ[٩]. فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ

---

(١) أحياؤها أهلوها وأشرأب تطلع وأحباء جمع حبيب.

(٢) أي أكثرهم قرى للضيفان وأبعدهم من الغلظة والجفاء.

(٣) أعد لي محلا أنام فيه، واليفاع: ما ارتفع من الأرض، وتشب: توقد، والمعنى إذا بخل الناس جميعا فإنه لا يبخل لأن ناره موقدة دائما ولو خفيت نيرانهم.

(٤) أي إذا فترت همته لحظة أسرع ابن يشبه السيف في مضائه وسرعة نفاذه.

(٥) أي ما جعلني أترك ذلك النعيم إلا الحياء من تتابع الكرامة وترادف النعمة.

(٦) الشارد: النافر وأفرى: أقطع والمسالك الطرق واقتفر: اقتفى أي أتبعها كأنها دليلي ومعاناة الممالك استصعاب ما يجده من الشقة في التجوال بها.

(٧) المثوى: الإقامة وكنى بأم مثواه عن زوجه لأنها هي التي من شأنها أن تحمل الرجل على البقاء بداره وأراد بزغلوله ولده.

(٨) الدملج: حلية تلبسها المرأة في معصمها، والنبه: النفيس، ومفصوم: مكسور من غير انفصال والمعنى أن هذا الطفل الذي تركته يشبه في جماله وحسنه الدملج النفيس المتخذ من الفضة ولكنه لتغيبي عنه وعدم قيامي عليه منصدع القلب مكسور الفؤاد.

(٩) الألفاج: الاحتياج إلى غير الأهل.

لِنِقْضٍ مِنَ الأَنْقَاضِ مَهْزُولِ[١] . هَدَتْهُ الْحَاجَةُ وَكَدَّتْهُ الْفَاقَةُ:

أخا سفرٍ جوّاب أرضٍ تقاذفتْ به فلواتٌ فهو أشعثُ أغبرُ

جَعَلَ اللهُ لِلْخَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلًا. وَلاَ جَعَلَ لِلشَّرِ إِلَيْكُمْ سَبِيلًا. قالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَقَّتْ وَاللهِ لَهُ الْقُلُوبُ. وَاغْرَوْرَقَتْ لِلُطْفِ كَلاَمِهِ الْعُيُونُ[٢]. وَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ[٣]. وَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنا. فَتَبِعْتُهُ فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ.

المقامة الأصفهانية

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قالَ: كُنْتُ بِأَصْفَهانَ[٤] أَعْتَزِمُ الْمَسِيرَ إِلَى الرَّيِّ[٥]. فَحَلَلْتُها حُلُولَ الْفَيِّ[٦]. أَتَوَقَّعُ الْقافِلَةَ كُلَّ لَمْحَةٍ. وَأَتَرَقَّبُ الرَّاحِلَةَ كُلَّ صَبْحَةٍ[٧]. فَلَمَّا حُمَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ. نُودِيَ لِلصَّلاَةِ نِدَاءٌ سَمِعْتُهُ[٨]. وَتَعَيَّنَ فَرْضُ الإِجَابَةِ. فَانْسَلَلْتُ

---

(١) أي انهكه التعب وهذه الجولان ومعنى هدته الحاجه دلته على الذين يدفعون عنه شرتها وكيدها وأراد بقوله كدته الفاقة أن الفقر أتعبه والإملاق أنصب بدنه ويروى: هدته (بالتضعيف): أي أضعفته.

(٢) أي أن القلوب عطفت عليه والعيون بكت حزنا له.

(٣) أعطيناه ما تهيأ لنا حين كان.

(٤) أصفهان إحدى مدن إيران العظيمة ظلت قاعدة ملكها قبل طهران أمدا طويلا ويقال فيها أصبهان أيضا.

(٥) اعتزم: أنوى، والري مدينة من مدن إيران أيضا.

(٦) الفي: هو الفيء، وهو الظل، ولما كان سريع التنقل لا يثبت متى تحولت الشمس شبه نفسه به.

(٧) القافلة: الجماعة تتآلف في السفر وتتعاون على شقته بالصحبة، والراحلة بهذا المعنى عينه، واللمحة: اللحظة، والصبحة وقت الصبح، وأراد عموم الأوقات.

(٨) حم (بالبناء للمجهول): قضى، والمعنى أنني لم أزل أنتظر جماعة الظاعنين لأسير معهم حتى إذا تهيأ لي السفر سمعت النداء للصلاة.

مِنْ بَيْنِ الصَّحابَةِ. اغْتَنِمُ الْجماعَةَ أُدْرِكُها وأخْشَى فَوْتَ الْقَافِلَةِ أَتْرُكُهَا لَكِنِّي اسْتَعَنْتُ بِبَرَكاتِ الصَّلاةِ. عَلى وَعْثاءِ الْفَلاةِ[١]. فَصِرْتُ إلى أوَّلِ الصُّفُوفِ. وَمَثَلْتُ لِلْوُقُوفِ. وَتَقَدَّمَ الإمَامُ إلى الْمِحْرَابِ. فَقَرَأَ فاتِحَةَ الْكِتابِ. بِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ. مَدَّةَ وَهَمْزَةً[٢]. وَبِي الْغَمُّ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ فِي فَوْتَ الْقَافِلَةِ وَالْبُعْدِ عَنِ الرَّاحِلَةِ وَاتْبَعَ الْفاتِحَةَ الْوَاقِعَةَ وَأنا أتَصَلَّى نارَ الصَّبْرِ وَأتَصلَّبُ[٣]. وَأتَقَلَّى عَلى جَمْرِ الْغَيْظِ وَأتَقَلَّبُ[٤]. وَلَيْسَ إلاَّ السُّكُوتُ وَالصَّبْرُ. أو الْكَلامُ وَالْقَبْرُ لِما عَرَفْتُ مِنْ خُشُونةِ الْقَوْمِ فِي ذلِكَ الْمَقامِ. أنْ لَوْ قُطِعَتِ الصَّلاةُ دُونَ السَّلامِ. فوَقَفْتُ بِقَدَمِ الضَّرُورَةِ، عَلى تِلْكَ الصُّورَةِ. إلى انْتِهاءِ السُّورَةِ[٥]. وَقَدْ قَنِطْتُ مِنَ الْقافِلَةِ وَأيِسْتُ مِنْ الرَّحْلِ وَالرَّاحِلَةِ. ثُم حَنَى قَوْسَهُ لِلرُّكوعِ. بِنَوعٍ منَ الْخُشوعِ. وَضَرْبٍ مِنَ الْخُضوعِ. لَمْ أعْهَدْهُ مِنْ قَبْلُ[٦]. ثُم رَفَعَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ. وقَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حِمِدَهُ. وَقامَ حَتَّى ما شَكَكْتُ أنَّه قَدْ نامَ[٧]. ثُمَّ ضَرَبَ بِيَمِينِهِ. وَأكَبَّ لِجَبِينِهِ. ثُمَّ انْكَبَّ لِوَجْهِهِ[٨] وَرَفَعْتُ رَأْسِي أنْتَهِزُ فُرْصَةً فَلَم أرَ بَيْنَ الصُّفوفِ فُرْجَةً[٩]. فَعُدْتُ إلَى السُّجودِ.

---

(١) وعثاء: مشقة، والفلاة: الصحراء.

(٢) حمزة: أحد القراء وأراد أنه كاد يطيل في القراءة ويمد بها صوته فيأخذ وقتا طويلا.

(٣) صلي اللحم يصليه وأصلاه وصلاه (بالتضعيف): شواه، وتصلب: تقوى وتشدد.

(٤) قلى اللحم: أنضجه في المقلي. والمعنى كان شديد التأذي من تطويل الإمام الذي يفوت عليه مصاحبة القافلة.

(٥) أي أنني علمت أنه ليس لي إلا أحد الخلتين فإما أن أصبر فتفوتني الرفقة وأما أن أتعجل بالخروج من الصلاة لدركهم فينقض القوم على متحرجين خروجي فالتزمت السكوت على مضض.

(٦) حنى: عطف وثني، وأراد بالقوس ظهره.

(٧) أي أنه أطال في قيامه حتى اعتقدت أن النوم قد أخذه.

(٨) ضرب بيمينه: أهوى بها إلى الأرض ليعتمد عليها في سجوده، وأكب لجبينه: سقط في السجود مائلا إلى أحد شقيه وقوله: انكب لوجهه معناه اعتدل في سجوده ووجه نحو الأرض وجهه لأن الجملة الأولى تعطي أنه كان منحرفا.

(٩) أي أنه لما ضاق صدره وعيت به الحيلة أراد أن ينتهز فرصة سجود القوم ليهرب فنظر حواليه وخلفه فلم يجد طريقا للخلاص.

حتَّى كَبَّر لِلْقُعودِ وَقامَ إلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ. فَقَرأ الْفاتِحَةَ والْقارِعَةَ. قِراءَةً اسْتَوْفَى بِها عُمْرَ السَّاعَةِ. واسْتَنْزَفَ أرْوَاحَ الْجماعَةِ[١]. فَلَما فَرَغَ مِنْ رَكْعَتَيْهِ وَأقْبَلَ على التَّشهُّدِ بِلَحْيَيْهِ. ومالَ إلَى التَّحِيَّةِ بأخْدَعَيْهِ. وَقُلْتُ: قَدْ سَهَّلَ اللهُ الْمَخْرَجَ. وَقَرَّبَ الْفَرَجَ. قامَ رَجُلٌ وَقالَ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُحِبُّ الصَّحابَةَ وَالْجماعَةَ فَلْيُعِرْنِي سَمْعَهُ ساعَةً. قالَ عِيسَى بْنُ هِشامٍ فَلَزِمْتُ أرْضِي. صِيانَةً لِعِرْضِي[٢].

فَقالَ: حَقِيقٌ عَلَيَّ أنْ لاَ أقُولَ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ أشْهَدَ إلاَّ بِالصِّدْقِ. قَدْ جِئْتُكُمْ بِبِشارَةٍ مِنْ نَبِيكُمْ لكِنِي لاَ أُؤَدِّيها حَتَّى يُطَهِّرَ اللهُ هذَا الْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ نَذْلٍ يَجْحَدُ نُبُوءَتَهُ[٣] قالَ عِيسَى بْنُ هِشامٍ: فَرَبَطَنِي بِالْقُيُودِ. وَشَدَّنِي بِالْحِبالِ السُّودِ[٤] ثُمَّ قالَ: رَأيْتُهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الْمَنامِ. كَالشَّمْسِ تَحْتَ الْغَمامِ وَالْبَدْرِ لَيْلَ التَّمامِ[٥]. يَسِيرُ وَالنُّجُومُ تَتْبَعُهُ[٦]. وَيَسْحَبُ الذَّيْلَ والْمَلائِكَةُ ترْفَعُهُ. ثُمَّ عَلَّمَنِي دُعاءً أوْصانِي أنْ أُعَلِّمَ ذلِكَ أُمَّتَهُ فَكَتَبْتُهُ عَلَى هذِهِ الأوْرَاقِ بِخَلُوقٍ وَمِسْكٍ. وَزَعْفَرَانٍ وَسُكٍّ[٧]. فَمَنِ اسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ[٨]. وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ ثَمَنَ الْقِرْطَاسِ أخَذْتُهُ. قالَ عِيسَى بْنَ هِشامٍ: فَلَقَدِ انْثالَتْ عَلَيْهِ الدَّراهِمُ حَتَّى حَيَّرَتْهُ[٩] وَخَرَجَ فَتَبِعْتُهُ مُتَعَجِّبًا مِنْ حِذْقِهِ بِزَرْقِهِ وَتَمَحُّلِ رِزْقِهِ. وَهَمَمْتُ بِمَسْأَلَتِهِ عَنْ حَالِهِ فَأَمْسَكْتُ.

---

(١) يريد أن إطالة الإمام في صلاته جاوزت الحد وبلغت أقصى درجاتها حتى أنه لتعتبر مسافة صلاته بالأمد الذي بيننا وبين قيام الساعة.

(٢) ولو أنه خرج بعد تلك المقالة لمزقوا عرضه وانتهكوا ستره.

(٣) حقيق على كخليق بي معناهما حتم على وواجب ألا يكون كذا مثلا.

(٤) الحبال السود: السلاسل المتخذة من الحديد وأي امرئ يستطيع أن يغادر مكانه في مثل هذا الظرف فيسجل على نفسه النذالة ولؤم الطبع وخسة النفس ويرضى بنكران النبوة وجحد الرسالة.

(٥) إذا كانت الشمس محتجبة بالغمام كان نورها ساطعا ولم يفرق البصر فلعل هذا وجه التقييد في تشبيه النبيﷺ بها. (٦) لعله أراد بالنجوم جماعة أصحابهﷺ.

(٧) الخلوق والخلاق بوزني صبور وكتاب نوع من الطيب صناعي والسك بالضم ضرب من الطيب كذلك.

(٨) أي من طلب مني أن أهبه له فعلت.

(٩) أي أن الناس طفقوا يلقون إليه بها من كل جهة حتى احتار في أمره ولم يدر أين يتجه ليأخذها.

وَبِمُكالَمَتِهِ فَسكَتُّ[١]. وَتَأَمَّلْتُ فصاحَتَهُ فِي وَقاحَتِهِ[٢] وَمَلاحَتَهُ فِي اسْتِماحَتِهِ[٣]. وَرَبْطَهُ النَّاسَ بِحِيلَتِهِ[٤]. وَأَخْذَهُ الْمالَ بِوَسِيلَتِهِ. وَنَظَرْتُ فإِذَا هُوَ أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إِلَى هذِهِ الْحِيلَةِ؟ فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

النَّاسُ حُمْرٌ فَجَوِّزْ وَأَبْرِزْ عَلَيْهِمْ وَبَرِّزْ[٥]
حَتَّى إِذا نِلْتَ مِنْهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ فَفَرْوِزْ[٦]

المَقامَةُ الأَهْوازِيَّةُ

حدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ: كُنتُ بِالأَهْوازِ[٧] في رُفْقَةٍ مَتَى ما تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ

---

(١) أي أنه أراد أن يسأله عن أمره ويطلب منه كشف القناع عن حقيقة حاله ولكنه رأى خيرا به ألا يفعل.

(٢) الوقاحة: سوء الأدب وقلة الحياء وأراد أنه خرج كثيرا عن حدود الآداب في كلامه ولم يراع الحياء في مقوله فلرب معذور كعيسى ألزمه ترك شؤونه ورب عجلان مثله قيده عن السعي إلى صالحه.

(٣) استماح: طلب العطاء وأصله مأخوذ من ماح يميح إذا ملأ دلوه من البئر قال الراجز:

أيها المائح دلوي دونكا أني رأيت الناس يحمدونكا

(٤) لم نجد أغرب من حيلة أبى الفتح هذه وكيف لا وهي التي فوتت على عيسى طلبته وأخرته عن قضاء لبانته؟.

(٥) حمر جمع حمار وهو معروف وجوز معناه قد، وبرز فلان فلانا (مضعفا) تفوق عليه، وبرز بالتخفيف: ظهر والمعنى أن هؤلاء الذي تراهم يشبهون الحمر في الجهالة والحمق فقدهم حيث تشاء وسر بهم أني أردت وأظهر عليهم وانبه بينهم.

(٦) فروز معناه: مات أي لا تقصر في رفعة شأنك وظهورك على الناس حتى تنال أمانيك وتبلغ آمالك فإذا انتهت أغراضك ففارقهم ولو بالموت.

(٧) الأهواز بلد بين البصرة وفارس تشمل تسع كور لكل كورة منها اسم يخصها وهي تجمعهن وهن: رامهرمز، وعسكر مكرم، وتستر، وجنديسابور، وسوس. وسرق، ونهرتيري. وأيذج، ومناذر.

تَسَهَّل[١] . لَيْسَ فِينا إلاَّ أمْرَدُ بِكْرُ الآمالِ. أوْ مُخْتَطٌّ حَسَنُ الإقْبالِ. مَرْجُوُّ الأيام وَاللَّيالِ[٢] . فأفَضْنَا فِي الْعِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَها. وَالأُخُوَّةِ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعاقِدَهَا وَالسُّرورِ فِي أيِّ وَقْتٍ نَتَقَاضَاهُ. والشُّرْبِ فِي أيِّ وَقْتٍ نَتَعاطاهُ. والأُنْسِ كَيْفَ نَتَهاداهُ. وَفائِتِ الْحَظِّ كَيْفَ نَتَلافَاهُ. وَالشَّرَابِ مِنْ أيْنَ نُحَصِّلُهُ. وَالمجَلِسِ كَيْفَ نُزَيِّنُهُ[٣] . فَقالَ أحَدُنا: عَلَيَّ الْبَيْتُ وَالنُّزُلُ[٤] . وَقالَ آخَرُ: عَلَيَّ الشَّرابُ وَالنَّقْلُ[٥] . وَلَمَّا أجْمَعْنا عَلَى المَسيرِ اسْتَقْبَلَنا رَجُلٌ فِي طُمرَيْنِ فِي يُمْناهُ عُكَّازَةٌ. وَعَلَى كَتِفِهِ جِنازَةٌ[٦] . فَتَطَيَّرْنا لَمَّا رَأيْنا الْجِنازَةَ وَأعْرَضْنا عَنْها صَفْحًا. وَطَوَيْنا دُونَها كَشْحًا[٧] . فَصاحَ بِنا صَيْحَةً كادَتْ لَها الأَرْضُ تَنْفَطِرُ. وَالنُّجومُ تَنْكَدِرُ[٨] . وَقالَ: لَتَرُنَّها صُغْرًا وَلَتَرْكَبُنَّها كَرْهًا وَقَسْرًا[٩] . ما لَكُمْ تَطَيَّرونَ مَنْ مَطِيَّةٍ رَكِبَها

---

(١) تقدم شرح هذه الفقرة وهي شطر بيت لامرئ القيس أوله:

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترق العين فيه تسهل

ويروي بدل: تسهل، تسفل وهذه الرواية تساعدنا على المعنى الذي أردناه هناك.

(٢) يريد أن أفراد هذه الجماعة كلهم كانوا من الأحداث صغار السن فأما أمرد لم ينبت عذاره وأما فتى خط شاربه ولكنه لا يزال غضا فتى القوة مفتول الساعد، نافعا في الكروب، مأمولا عند الشدائد.

(٣) أي أنهم أرادوا أن ينظموا أوقات سمرهم ويعينوا ساعات لهوهم ويضعوا نموذج الصداقة والمؤاخاة بحيث تكون أعمالهم جارية على مقتضاه.

(٤) النزل بوزن قفل وبضمتين: المنزل أو المكان المتهيئ للضيافة.

(٥) النقل بفتح أوله وقد يضم وقيل الضم فيه خطأ: ما يتخذه جماعة الشاربين لينتقلوا من الشراب إليه وبالعكس.

(٦) طمرين: ثوبين خلقين، والعكازة: العصا الغليظة يكون في آخرها زج، والجنازة- بكسر أوله- النعش والميت معا، وبالفتح: السرير وبهما الميت وحده، والنعش: الخشبة ولا يقال له سرير حتى يكون فيه الميت.

(٧) تطيرنا: تشاءمنا، وطوينا دونها كشحا: أي انحرفنا عنه، ولم تمل نفوسنا إليه، ونفرنا منه.

(٨) فطره يفطره ويفطره من باب ضرب ونصر شقه، وانفطر: انشق وانكدرت النجوم: تناثرت، والمراد شدة الصيحة وقوة فعلها فيهم.

(٩) الصغر بضم أوله: مصدر صغر ككرم ومثله الصغر كعنب والصغار والصغارة بفتحهما =

أَسْلافُكُمْ وَسَيَرْكَبُها أَخْلافُكُمْ[١]. وَتَتَقَذَّرونَ سَريرًا وَطِئَهُ آباؤُكُمْ وَسَيَطَؤُهُ أَبْناؤُكُمْ. أَمَا وَاللّهِ لَتُحْمَلُنَّ عَلَى هذِهِ الْعيدَانِ. إِلَى تِلْكُمُ الدِّيدَانِ. وَلَتُثْقَلُنَّ بِهذِهِ الْجِيادِ. إِلى تِلْكُمُ الْوِهادِ[٢]. وَيْحَكُمْ تَطَيَّرونَ كَأَنَّكُمْ مُخَيَّرونَ. وَتَتَكَرَّهونَ كَأَنَّكُمْ مُنَزَّهونَ. هَلْ تَنْفَعُ الطِّيَرَةُ. يا فَجَرَةُ. قالَ عِيسَى بْنُ هِشامٍ: فَلَقَدْ نَقَضَ ما كُنَّا عَقَدْناهُ. وَأَبْطَلَ ما كُنَّا أَرَدْناهُ[٣]. فَمِلْنا إِلَيْهِ وَقُلْنا لَهُ: ما أَحْوَجَنا إِلَى وَعْظِكَ. وَأَعْشَقَنا لِلَفْظِكَ. وَلَوْ شِئتَ لَزِدْتَ. قالَ إِنَّ وَراءَكُم مَوارِدَ أَنْتُم وارِدُوهَا وَقَدْ سِرْتُمْ إِلَيْها عِشْرينَ حِجَّةً:

وَإِنْ أَمْرَأً قَدْ سارَ عِشْرينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقَريبُ[٤]

وَمِنْ فَوْقِكُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرارَكُمْ. وَلَوْ شاءَ لَهَتَكَ أَسْتارَكُمْ. يُعامِلُكُمْ فِي الدُّنْيا بِحِلْمٍ. وَيَقْضِي عَلَيْكُمْ فِي الآخِرَةِ بِعِلْمٍ[٥]. فَلْيَكُنِ المَوتُ مِنْكُمْ عَلَى ذِكْرٍ. لِئَلاَّ تَأْتُوا بِنُكْرٍ. فَإِنَّكُمْ إِذَا اسْتَشْعَرْتُمُوهُ لَمْ تَجْمَحُوا. وَمَتَى ذَكَرْتُمُوهُ لَمْ تَمْزَحُوا[٦]. وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ. فَهُوَ ذَاكِرُكُمْ وَإِنْ نِمْتُمْ عَنْهُ فَهُوَ ثَائِرُكُمْ. وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ فَهُوَ زَائِرُكُمْ.

= والصغران بالضم والمعنى: الذلة والهوان، والقهر والقسر بمعنى.

(١) تطيرون أي تتشاءمون والأسلاف الآباء ومن في حكمهم والأخلاف الأبناء ومن شابههم.

(٢) تتقذرون: تجدونه قذرا وتشمئزون منه، وطئه ركبه وجلس عليه، والعيدان والأعواد: النعش. قال بعض الشعراء:

أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي

والوهاد جمع وهدة وهي ما اطمأن من الأرض وانخفض وأراد بها المقابر لانخفاضها عادة.

(٣) أي أنه حل بعظته وزجره الذي كنا اتفقنا عليه من حضور مجالس اللهو.

(٤) موارد جمع مورد وهو مكان الورود وأراد بها الموت وما يتبعه، وأنكم سائرون في طريقكم إليها لأن الدنيا مجاز الآخرة وقطعتم في سيركم عشرين سنة هي مقدار أعماركم.

(٥) أي أن الله لا يخفى عليه شيء مما تكتمونه الناس وهو لو شاء لفضح أمركم وأفشى سركم وأذاع حديثكم فعرفه الصادر والوارد ولكنه يحلم عليكم في الدنيا مع علمه بما تفعلون وسيحاسبكم في الآخرة بمقتضى هذا العلم.

(٦) جمح: نفر، ومرح: اشتد فرحه، والمعنى أنكم إذا جعلتم الموت نصب أعينكم ولم تغفلوا عنه لم تنفروا من الطاعة ولم تفرحوا بلذة عاجلة تتبعها عقوبة باقية دائمة لأن من يتذكر الموت لا ينسى ما بعده من أهوال القيامة وشدائدها.

قُلْنَا: فَما حاجَتُكَ قَالَ: أطْوَلُ مِنْ أنْ تُحَدَّ وَأكْثرُ مِنْ أنْ تُعَدَّ. قُلْنَا: فَسَانِحُ الْوَقْتِ[١] قالَ: رَدُّ فَائِتِ الْعُمْرِ. وَدَفْعُ نَازِلِ الأَمْرِ[٢] قُلْنَا: لَيْسَ ذلِكَ إلَيْنَا وَلكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا[٣]. قَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي وَإنمَا حَاجَتِي بَعْدَ هذَا أنْ تَخِذُوا أكْثَرَ مِنْ أنْ تَعُوا[٤].

المقامة البغدادية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ[٥]. وَأنا بِبَغْدَاذَ وَلَيْسَ مَعِي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ[٦]. فَخَرَجْتُ أنْتَهِزُ مَحالَّةً حَتَّى أحَلَّنِي الْكَرْخَ[٧]. فإذَا أنا بِسَوادِيٍّ يَسُوقُ بِالْجَهْدِ حِمارَهُ[٨]. وَيُطَرِّفُ بِالْعَقْدِ إزَارَهُ. فَقُلْتُ: ظَفِرْنا وَاللهِ بِصَيْدٍ. وَحَيَّاكَ اللهُ أبا زَيْدٍ مِنْ أيْنَ أقْبَلْتَ؟ وَأيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إلَى الْبَيْتِ[٩]. فَقالَ السَّوَادِيُّ: لَسْتُ بِأبِي زَيْدٍ. وَلَكِنِّي أبُو عُبَيْدٍ. فَقُلْتُ: نَعَمْ لَعَنَ اللهُ الشَّيْطانَ. وَأبْعَدَ النِّسْيانَ. أنْسانِيكَ طُولُ

---

(١) أي أذكر لنا ما يسمح لك به الوقت ولا تحرمنا لذة الإنصات لك.

(٢) يتمنى عليهم أن يعيدوا إليه ما فات من عمره وأن يدفعوا عنه الأمر الذي ينزل به.

(٣) أجابوه بأنه ليس في استطاعتهم أن ينيلوه رغبته أو يحققوا له أمنيته ولكنهم على أهبة أن يعطوه من المادة ما شاء.

(٤) وخد يخد وخدا: أسرع في مشيه، ووعى يعي: فطن وحفظ والمراد أنه يطلب منهم أن يجدوا السير في العمل لأنه خير لهم من حفظ ما يقوله.

(٥) تقدم في المقامة الأزاذية أن الأزاذ نوع من التمر الجيد.

(٦) أي والحال أني معدم لا مال عندي.

(٧) المحال: جمع محلة والمراد بها الأماكن التي يوجد بها الأزاذ وأنتهز المراد منه أتلمس وأقصد ولكنه جعلها كالغنيمة التي يسارع لانتهازها اللبق والكرخ محل ببغداد والضمير في أحلني راجع إلى الأزاذ من إسناد الفعل للسبب.

(٨) السواد ريف العراق وقراه والنسبة إليه سوادي والمراد رجل من أهله.

(٩) أراد بالصيد ذلك الرجل ثم أقبل عليه يحادثه ويكالمه ويتدخل معه لينال منه ما أراد.

الْعَهْدِ . وَاتِّصالُ الْبُعْدِ[١] . فَكَيْفَ حالُ أَبِيكَ أَشَابٌّ كَعَهْدِي . أَمْ شابَ بَعْدِي؟ فَقالَ : قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ على دِمْنَتِهِ[٢] . وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلى جَنَّتِهِ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ . إِلَى الصِّدَارِ . أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ[٣] . فَقَبَضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمْعِهِ[٤] . وَقالَ : نَشَدْتُكَ اللهَ لاَ مَزَّقْتَهُ . فَقُلْتُ : هَلُمَّ إِلى الْبَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً . أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً وَالسُّوقُ أَقْرَبُ . وَطَعامُهُ أَطْيَبُ . فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ الْقَرَمِ . وَعَطَفَتْهُ عاطِفَةُ اللَّقَمِ[٥] . وَطَمِعَ . وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ . ثُمَّ أَتَيْنا شَوَّاءً يَتَقاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا . وَتَتَسايَلُ جُوذاباتُهُ مَرَقًا[٦] . فَقُلْتُ : افْرِزْ لأَبِي زَيْدٍ مِنْ هذَا الشِّوَاءِ . ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَلْوَاءِ . وَاخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْباقِ . وَانْضِدْ عَلَيْها أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ . وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ ماءِ السُّمَّاقِ[٧] لِيأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيًّا . فانحَى الشَّوَّاءُ بِساطُورِهِ[٨] . عَلَى زُبْدَةٍ تَنُّورِهِ . فَجَعَلَها كَالْكُحْلِ سَحْقا . وَكَالْطِّحْنِ دَقًّا . ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ . وَلاَ يَئِسَ وَلا يئِسْتُ حَتَّى اسْتَوْفَيْنا وَقُلْتُ لِصاحِبِ الْحَلوَى : زِنْ لأبى زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِينج رَطْلَيْنِ فَهُوَ أَجْرَي فِي الْحُلُوقِ . وَأَمْضى فِي الْعُرُوقِ وَلْيَكُن لَيْلِيَّ الْعُمْرِ . يَوْمِيَّ النَّشْرِ[٩] . رَقِيقَ الْقِشْرِ . كَثِيفَ الْحَشْوِ لَؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ . كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ . يَذُوبُ كَالصَّمْغِ .

---

(١) أخذ يدخل بحيلته في روع السوادى أنه أليف قديم وصاحب من عهد بعيد فلما أخطأ تكنيته وخشى ألا تجوز حيلته عمد إلى انتحال المعاذير بطول أمد الفراق وبعد عهد التلاق .

(٢) المراد بالدمنة القبر وكنى بذلك عن موته .

(٣) البدار المبادرة والمسارعة ، والصدار ثوب يلبس مما يلي الجسد والمعنى أنه حين سمع بموت أبيه بادر إلى ثوبه ليمزقه إظهارا للجزع وتأكيدا للحيلة بأنه صديق أبيه .

(٤) جمع اليد بالضم قبضتها والمعنى أنه قبض بكل يده عليه ليمنعه من تمزيق صداره .

(٥) استفزته : استهوته وحركته بشدة ، والحمة في الأصل إبرة العقرب التي تلسع بهائم حملت على الشدة مطلقا ، والقرم : الشهوة البالغة لأكل اللحم واللقم السرعة في الأكل والمعنى أن شدة حبه للطعام وعظيم شوقه إليه أسرعا به إلى موافقتي .

(٦) الجوذابة رغيف يخبز وفوقه طائر أو قطعة لحم . (٧) السماق حب صغير أحمر حامض .

(٨) الساطور سكين عظيمة وبهذا الاسم تعرف عند العامة من أهل مصر .

(٩) اللوزينج نوع من الحلوى يتخذ من الخبز ويسقي بدهن اللوز ويحشى بالنقل وكونه ليلى العمر أي مما صنع ليلا نهارى النشر أي وظهر نهارا ليكون قد شرب دهنه وعسله .

قَبْلَ الْمَضْغِ لِيأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيًّا. قالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ. وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ[١]. حَتَّى اسْتَوْفَيْناهُ. ثُمَّ قُلْتُ: يا أَبا زَيْدٍ ما أَحْوَجَنا إِلى ماءٍ يُشَعْشَعُ بِالثَّلْجِ لِيَقْمَعَ هذِهِ الصَّارَّةَ وَيَفْثَأَ هذِهِ اللُّقَمَ الْحارَّةَ[٢]. إِجْلِسْ يا أَبا زَيْدٍ حَتَّى نأْتِيَكَ بِسقَّاءٍ. يأْتِيكَ بِشَرْبَةِ ماءٍ. ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ وَلا يَرانِي أَنْظُرُ ما يَصْنَعُ. فَلَمَّا أَبْطأْتُ عَلَيْهِ قامَ السَّوادِيُّ إِلى حِمارِهِ فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزارِهِ[٣]. وَقالَ: أَيْنَ ثَمَنُ ما أَكَلْتَ؟ فَقالَ أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفا. فَلَكَمَهُ لُكْمَةً. وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمةٍ[٤].

ثُمَّ قالَ الشَّوَّاءُ: هاكَ. وَمَتَى دَعَوْناكَ[٥] زِنْ يا أَخا الْقِحةِ عِشْرِينَ[٦]. فَجَعَلَ السَّوادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأَسْنانِهِ وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ الْقُرَيْدِ. أَنا أَبُو عُبَيْدٍ. وَهْوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ. فَأَنْشَدْتُ:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَهْ ... لا تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حالَهْ[٧]

وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِيمةٍ ... فَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لا مَحالَهْ[٨]

---

(١) أي شمر عن ساعده ليسرع في الأكل.

(٢) يشعشع: يخلط ومن ثم قيل للخمر: مشعشعة لأنها تشرب مخلوطة بالماء كثيرا قال:

مشعشة كأن الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا

ويقمع: يقهر، والصارة، شدة الحر، ويفثأ: يكسر ويخفف، والمعنى أننا في حاجة إلى الماء المخلوط بالثلج ليرد عنا سطوات الحر ويخفف من حدة هذا الأكل في أجوافنا.

(٣) اعتلق تعلق ومسك أي أن الشواء لم يتركه يخرج بل أمسك به ليستوفي حقه منه.

(٤) أكلته ضيفا أي كنت مدعوا لتناول هذا الطعام فلا يحل لك أن تطالبني بثمنه لأن الضيف لا يدفع ثمن ما يأكل.

(٥) هاك: اسم فعل بمعنى خذ والمعنى. تناول من الضرب واللكم ما أنت به خليق.

(٦) القحة: الوقاحة وسوء الأدب ومعنى زن عشرين: أعط وزن عشرين درهما.

(٧) المعنى: لا تكن خائر القوى فتقعد عن طلب الرزق وأنت تعلم أنه لا يأتيك حتى تعمل له ولا يقبل عليك حتى تسير إليه بل أجهد نفسك، وأدأب في السعي إليه، ولا تدخر وسعا في تحصيله.

(٨) أي أنه لابد أن يأتي على المرء يوم يعجز فيه عن القيام بحاجته فانتهز فرصة شبابك وقوتك، واغتنم من فتوتك وحداثة سنك ما يساعدك على القيام بعظائم الأمور، وجلائلها.

المقامة البصرية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشَام قَالَ: دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنا مِنْ سِنِّي في فَتاءٍ. وَمِنَ الزِّيِّ فِي جِبرٍ وَوِشاءٍ. وَمِنَ الْغنى فِي بَقرٍ وَشاءٍ[١]. فَأَتَيْتُ الْمِرْبَدَ فِي رُفْقَةٍ تَأْخُذُهُمُ الْعُيُونُ وَمَشَيْنا غيْرَ بَعِيدٍ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ الْمُنْتَزَهاتِ فِي تِلْكَ الْمُتَوَجهَّاتِ[٢]. وَمَلَكَتْنا أَرْضٌ فَحَلَلْناها[٣] وَعَمَدْنا لِقِدَاحِ اللَّهْوِ فَأَجَلْناها[٤] مُطَّرِحِينَ لِلْحِشْمَةِ إِذْ لَمْ يكُرْ فِينا إلاَّ مِنَّا[٥]. فَما كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ ارْتِدادِ الطَّرْفِ حَتَّى عَنَّ لَنا سَوادٌ تَخْفِضُهُ وِهادٌ. وَتَرْفَعُهُ نِجادٌ[٦].

وَعَلِمْنا أَنَّهُ يَهُمُّ بِنا فَأَتْلَعْنا لَهُ[٧] حَتَّى أَدَّاهُ إِلَيْنا سَيْرُهُ وَلَقِينا بِتَحِيَّةِ الإِسْلامِ. وَرَدَدْنا عَلَيهِ مُقْتَضى السَّلامِ. ثُمّ أَجالَ طَرْفَهُ فِينا وَقالَ: يا قَوْمُ ما مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ يَلْحَظُنِي شَزْرًا. وَيُوسِعُني حَزْرًا[٨]. وَمَا يُنْبِئُكُمْ عَنِّي. أَصْدَقُ مِنِّي. أَنا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ

---

(١) فتاء السن: ميعته وشبابه قال الشاعر:

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذة والفتاء

والوشاء بوزان كساء: نوع من اللباس مطرز والمراد أن عليه ثياب أهل النعمة ومنظرهم والشاء: الشياه، والغنم والبقر هما مال العرب فمن أخذ بنصيب منهما كان موسرا غنيا.

(٢) المربد بوزن منبر: موضع بالبصرة، والمتنزه: الحديقة والروضة يختلف الناس إليها ترويحا للنفس وإنعاشا للروح وتجديدا للمسرة وهي خطأ في المقامة.

(٣) ملكتنا: أخذ حسنُها بألبابنا وأسر رونُقها قلوبَنا.

(٤) عمدنا: قصدنا، قداح: جمع قدح وأصلها قداح الميسر، أجلناها حركناها وأدرناها بيننا.

(٥) متى كانت الرفقة ليس فيها أجنبي لم يكن للحشمة موضع لأن شدة الألفة تسقط الكلفة.

(٦) الوهاد: المطمئن من الأرض والنجاد المرتفع منها.

(٧) أتلعنا: مددنا أعناقنا ننظر إليه.

(٨) يلحظني شزرا: ينظر إلي بمؤخر عينه، وهي نظرة الغاضب الساخط، والحزر: الحدس والتخمين، والمعنى أنه ليس فيكم أحد لم يغضب لقدومي عليكم، ولم يبق منكم من لم يجهد نفسه، وينصب قريحته في استكشاف سري واستطلاع أمري، وتبين حقيقتي.

الإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنَ الثُّغُورِ الأَمَوِيَّةِ. قَدْ وَطَّأَ لِيَ الْفَضْلُ كَنَفَهُ[١] وَرَحَّبَ بي عَيْشٌ وَنَماني بَيْت ثُمَّ جَعْجَعَ بِي الدَّهْرُ عَنْ ثَمِّهِ وَرَمِّهِ[٢]. وَأَتْلاَنِي زَغَالِيل حُمْرَ الْحَوَاصِل.

كَأَنَّهُمْ حَيَاتُ أَرْضٍ مَحْلَةٍ فَلَوْ يَعَضُّونَ لَذَكَّى سَمُّهُمْ
إِذَا نَزَلْنَا أَرْسَلُونِي كَاسِبًا وَإِنْ رَحَلْنَا رَكِبُونِي كُلُّهُمْ[٣]

وَنَشَزَتْ عَلَيْنَا الْبِيضُ. وَشَمَسَتْ مِنَّا الصُّفْرُ. وَاكَلَتْنَا السُّودُ. وَحَطَّمَتْنَا الْحُمْرُ. وانْتَابَنَا أَبُو مَالِكٍ. فَمَا يَلْقَانَا أَبُو جَابِرٍ إِلاَّ عَنْ عُفْرٍ[٤]. وَهذِهِ الْبَصْرَةُ مَاؤُهَا هَضُومٌ. وَفَقِيرُهَا مَهْضُومٌ. وَالْمَرْءُ مِنْ ضِرْسِهِ فِي شُغْلٍ. وَمِنْ نَفْسِهِ فِي كَلٍّ[٥]. فَكَيْفَ بِمَنْ:

يُطَوِّفُ مَا يُطَوِّفُ ثُمَّ يَأْوِي إِلَى زُغْبٍ مُحَدَّدَةِ الْعُيُونِ
كَسَاهُنَّ الْبِلَى شُعْثًا فَتُمْسِي جِيَاعَ النَّابِ ضَامِرَةَ الْبُطُونِ[٦]

---

(١) وَطَّأَ لي كنفه: جعل جانبه لي وطأ كناية عن سعة عيشه.

(٢) جعجع بي الدهر: أهانني وأذلني وصب على جام غضبه وأنزل بي محنه وشدائده: وثمه ورمه. أي قليله وكثيره. والمعنى: أن الحال قد تغيرت، وانقلبت اليسرة عسرة، وأضحى الغني فقرًا.

(٣) أتلاني: اتبعني، وزغاليل: عني بهم أطفاله، وحمر الحواصل: كناية عن الجوع، والأرض المحلة: القاحلة التي لا نبات فيها ولا ماء وحياتها أخبث الحيات وأردؤها، وذكى سمهم أي: لم يرج منه شفاء وذلك تأكيد لوصفهم بشدة الجوع.

(٤) نشزت علينا: كرهتنا ولم ترض مصاحبتنا، البيض. الدراهم شمست: نفرت واشتد جماحها، الصفر: الدنانير والسود الليالي المهلكة ببردها وشدتها، وحطمتنا: كسرتنا وفلت من عزيمتنا وأوهنت قوانا والحمر السنين المجدبة، وأبو مالك. الفقر والكبر والهرم، وأبو جابر: الخبز ولم يلقنا إلا عن عفر: أي إنه لا يزورنا إلا كل حين مرة.

(٥) ماء هضوم: أي يسرع في هضم المأكل. ورجل مهضوم: غير مرعى الجانب ولا منظور إليه، ومن نفسه في شغل: أي إنه قد ألهاه أمر نفسه وتحصيل قوته عن النظر إلى غيره وأنه يتعب في ذلك فكيف يكون حال من يسعى لنفسه وعياله.

(٦) زغب: جمع أزغب والمراد الأطفال الصغار ومحددة العيون كثيرة الشخوص والنظر لعودته ينتظرون ما في يده. وشعث: أي غبر متغيرون لعدم من يرعاهم ويحافظ عليهم.

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَ الْيَوْمَ وَسَرَّحَن الطَّرْفَ في حَيٍّ كَمَيْتٍ . وَبَيْتٍ كَلا بَيْتٍ . وَقَلَّبْنَ الأَكُفَّ عَلَي لَيْتَ . فَفَضَضْنَ عُقَدَ الضُّلُوعِ وَأَفَضْنَ مَاءَ الدُّمُوعِ . وَتَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الْجوعِ :

والْـفـقْـرُ فِـي زمـنِ الـلّـئـا م لِـكُـلّ ذِي كـرمٍ عـلامـهْ
رغـبُ الْـكِـرامُ إلـى الـلّـئـا م وتـلْـك أَشْـرَاطُ الْـقِـيـامَـهْ[1]

وَلَقَدِ اخْتِرْتُمْ يا سادَةُ . وَدَلَّتْنِي عَلَيْكُمُ السَّعادَةُ . وقُلْتُ قَسَمًا . إِنَّ فِيهِمْ لَدَسَما[2] . فَهَلْ مِنْ فَتًى يُعَشِّيهِنَّ . أو يُغَشِّيهِنَّ . وَهَلْ مِنْ حُرٍّ يُغَدِّيهِنَّ أَوْ يُرَدِّيهِنَّ[3] .

قالَ عِيسَى بْنُ هِشام : فَواللهِ مَا اسْتَأْذَنَ عَلَي حِجابِ سَمْعِي كَلامٌ رَائِعٌ أَبْرَعُ ، وَأَرْفَعُ ، وَأَبْدَعُ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ لاَ جَرَمَ أَنَّا اسْتَمَحْنا الأَوْساطَ وَنَفَضْنا الأَكْمامَ وَنَحَّيْنا الْجُيُوبَ وَنُلْتُهُ أَنا مُطْرَفِي[4] وَأَخَذَتِ الْجَماعَةُ إِخْذِي . وَقُلْنا لَهُ : إِلْحَقْ بِأَطْفالِكَ . فَأَعْرَضَ عَنَّا بَعْدَ شُكْرٍ وفَّاهُ . وَنَشْرٍ مَلأَ بِهِ فَاهُ .

---

(١) رغب الكرام إلى اللئام : طلبوا منهم ووجهوا إليهم بحاجاتهم ، أشراط : علامات والمعنى : أن الفقر وسوء المنظر في عهد يرتفع فيه اللئيم ويسود الخبيث دليل على الكرم وحسن الخيم وطيب العنصر لأن الكرام قد أملقوا وذوي الفضل قد أتربوا ولأن الأدنياء وصغار النفوس وضعاف الأحلام قد ارتفعوا ونبه شأنهم وذلك من إشارات الساعة وعلامات دنوها وهو إشارة لحديث جبريل حين سأل النبي عن علامات الساعة فقال : (وأن تجد الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) .

(٢) كناية عن كونهم منجعا يرده العافي وهو من قولهم لمن يخيب فيه الظن : استسمنت ذا ورم .

(٣) يعشيهن أي يطعمهن العشاء ، ويغشيهن بالمعجمة : يكسوهن ، ويغديهن : يطعمهن الغداء ويردينهن : يلبسهن الرداء .

(٤) لا جرم : كلمة تقع موقع حقا أو ثبت . واستحللنا الأوساط : حللنا ما عليها من المناطق وهي أحزمة يجعل فيها بعض الناس نقودهم ويروى استمحنا وهذه أظهر ، والمطرف : رداء من خز معلم .

المقامة الفزارية

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشام قالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ بِلادِ فَزارَةَ مُرْتَحِلًا نَجِيبَةً. وَقائِدًا جَنِيبَةً. يَسْبَحانِ بِيَ سَبْحًا[١]. وَأَنا أَهِمُّ بِالْوَطَنِ[٢] فَلاَ اللَّيْلُ يُثْنِينِي بِوَعِيدِهِ. وَلاَ البُعْدُ يَلْوِينِي ببيدِهِ[٣] فَظَلِلْتُ أَخْبِطُ وَرَقَ النَّهارِ بِعَصا التَّسْيارِ[٤] وَأَخُوضُ بَطْنَ اللَّيْلِ بِحوَافِرِ الْخيْلِ. فَبَيْنا أنا فِي لَيْلَةٍ يَضِلُّ فِيها الْغَطاطُ[٥] وَلاَ يُبْصِرُ فِيها الْوَطْواطُ[٦]. أُسِيحُ سَبْحًا وَلاَ سَانِح إلاَّ السَّبُعُ. وَلاَ بارِحَ إلاَّ الضَّبُعُ[٧]. إذْ عَنَّ لِي رَاكِبٌ تامُّ الآلاَتِ يَؤُمُّ الأَثَلاَتِ. يَطْوِي إلَيَّ مَنْشُورَ الْفَلَوَاتِ. فأَخَذَنِي مِنْهُ ما يأْخُذُ الأَعْزَلَ مِنْ شَاكِي السِّلاَحِ لكنِّي تَجَلدْتُ فَقُلْتُ: أَرْضَكَ لاَ أُمَّ لَكَ فَدُونَكَ شَرْطُ الْحِدَادِ. وَخَرْطُ الْقَتادِ. وَخَصْمٌ ضَخْمٌ. وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ. وَأَنَا سِلْمٌ إنْ شِئْتَ. وَحَرْبٌ إنْ أَرَدْتَ. فَقُلْ لِي مَنْ أنت[٨]؟ فَقالَ: سِلْمًا أَصَبْتَ. فَقُلْتُ: خَيْرًا أَجَبْتَ

---

(١) فزارة: إحدى قبائل العرب والنجيبة: الكريمة من الإبل. والجنيبة المطية تأخذها معك في أسفارك لتستريح عليها إذا كلت الأولى: وتقدم مثل ذلك ويسبحان أي إنهما لسرعة جريهما وخفة حركتهما يشبهان السابح في اليم. (٢) أهم بالوطن: أي أعتزم السير إليه.

(٣) يثنيني: يعطفني عن مقصدي والوعيد الزجر والمراد به الشدة والأهوال التي تكون في الليل، والبيد جمع بيداء وهي الصحراء، والمعنى أنني عزمت عزما صادقا لم يزحزحني عنه خطر الليل وشدته ولا طول المسافة وبعد الشقة.

(٤) شبه النهار بدوحة قال أنه كان يخبط ورقها بعصا التسيار أي بالسير الشبيه بالعصا.

(٥) الغطاط على وزان سحاب القطا وهو يضرب به المثل في الهداية فإذا كان يضل فلاشك أنه لا ينجو من الضلالة أحد قال:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(٦) الوطواط: الخفاش طائر معروف يبصر ليلا ولا يرى نهارا.

(٧) السايح الذي يمر عن يمينك والبارح الذي يمر عن شمالك والمعنى أنه لم يكن يقع نظره إلا على الوحوش من سبع وضبع مرة عن يمينه ومرة عن يساره.

(٨) المراد أنه واجهه بكل ما ذكر لئلا يظن به الضعف فيحمل عليه ثم تدخل معه في الحديث ليعرف من هو.

فَمَنْ أَنْتَ؟ قالَ: نَصِيحٌ إنْ شاوَرْتَ. فَصِيحٌ إنْ حاوَرْتَ. وَدُونَ اسمِي لِثامٌ. لاَ تُمِيطُهُ الأَعْلاَمُ[١]. قُلْتُ: فَما الطُّعْمَةُ. قالَ: أَجُوبُ جُيُوبَ الْبِلاَدِ. حَتَّى أَقَعَ عَلَى جَفْنَةِ جَوَادٍ. وَلِي فُؤَادٌ يَخْدِمُهُ لِسانٌ. وَبَيانٌ يَرْقُمُهُ بَنانٌ[٢]. وَقُصارَايَ كَرِيمٌ يَخْفِضُ لِي جَنِيبَتَهُ. وَيَنْفُضُ إلَيَّ حَقِيبَتَهُ[٣]. كابْنِ حَرَّةٍ طَلَعَ عَلَيَّ بالأَمْسِ. طُلُوعَ الشَّمْسِ. وَغَرَبَ عَنِّي بِغُرُوبِها لكِنَّهُ غابَ وَلَمْ يَغِبْ تَذَكارُهُ. وَوَدَّعَ وَشَيَّعَتْنِي آثارُهُ وَلاَ يُنْبِئُكَ عَنْها[٤]. أَقْرَبُ مِنْها. وَأَوْمأَ إلَى ما كانَ لَبِسَهُ. فَقُلْتُ: شَحَّاذٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أَخَّاذٌ. لَهُ فِي الصَّنْعَةِ نَفاذٌ. بَلْ هُوَ فِيها أُسْتاذٌ[٥]. وَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تَرْشَحَ لَهُ وَتَسِحَّ عَلَيْهِ[٦]. فَقُلْتُ: يا فَتَى قَدْ جَلَّيْتَ عِبارَتَكَ فأَيْنَ شِعْرُكَ مِنْ كَلاَمِكَ. فَقالَ: وَأَيْنَ كَلاَمِي مِنْ شِعْرِي. ثُمَّ اسْتَمَدَّ غَرِيزَتَهُ[٧]. وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ[٨]. بِصَوْتٍ مَلأَ الْوَادِي وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَارْوَعَ أَهْدَاهُ لِيَ اللَّيْلَ وَالْفَلا
وَخَمْسٌ تَمَسُّ الأَرْضَ لَكِنْ كَلا وَلا[٩]

---

(١) نصيح إن شاورت: أي لا يخدعك ولا يغشك بل ينصحك ويفيدك وفصيح إن حاورت. أي: إذا كلمته لم تجد إلا خلابة وذرابة وقوة عارضة، وهذه أوصافي ونعوتي ولكن لا سبيل إلى اسمي ولا طريق لعرفانه لأنني لم اتخذ علما أجعله شعاري.

(٢) الطعمة: أي المكسب والحرفة التي تطعم منها وأراد بما ذكره أن حرفته التجوال والطواف لعله يجد كريما يدعوه إلى جفنته.

(٣) قصارای: أي أنه منتهى أملي، جنيبته: أحد شقي حمله أو الدابة التي تسير جنب دابته والحقيبة وعاء اللباس ونحوه.

(٤) أي لا يخبرك بما أسداه إلى مخبر صادق كنفس الذي نالني منه وأومأ: أشار.

(٥) له في الصنعة نفاذ: أي أنه قدير ماهر وهو فيها أستاذ أي معلم تؤخذ عنه أساليبها وفنونها.

(٦) الرشح: خروج الماء نقطة نقطة كالعرق والسح تدفقه من أعلى والمراد لا مناص لك من إعطائه.

(٧) الغريزة: السجية واستمدها طلب منها المعونة لتظهر كفاءته ويتضح مقداره. (٨) صاح.

(٩) أروع: شهم، أهداه لي الليل: دلني عليه السرى، والفلا: الصحراء وخمس تمس الأرض: المراد بها الأرجل لأن أصابعها خمسة ولأنها تلامس الأرض ويروى حمش بالحاء المهملة المضمومة والشين جمع أحمش: أي سريع والمراد بها قوائم الفرس وقوله كلا ولا كناية عن سرعة السير وتقارب ملامستها للأرض.

عَرَضْتُ عَلى نَارِ الْمكَارِمِ عوْدَهُ فكَانَ مُعَمًّا فِي السِّيادَةِ مُخْوِلا[١]
وَخادَعْتُهُ عَنْ مَالِهِ فَخَدَعْتُهُ وَسَاهَلْتُهُ مِنْ بِرِّهِ فَتَسَهَّلا[٢]
وَلَمَّا تَجَالَيْنَا وَأَحْمَدَ مَنْطِقِي بَلانِيَ مِنْ نَظْمِ الْقَرِيضِ بِمَا بَلا[٣]
فَمَا هَزَّ إلاَّ صَارِمًا حِينَ هَزَّنِي وَلَمْ يَلْقَنِي إلاَّ إلى السَّبْقِ أوَّلا[٤]
وَلَمْ أرَهُ إلَّا أغَرَّ مُحَجَّلا وَمَا تَحْتَهُ إلَّا أغَرَّ مُحَجَّلا[٥]

فَقُلْتُ لَهُ: عَلى رِسْلِكَ يَا فَتَى[٦]. وَلَكَ فِيمَا يَصْحَبُنِي حُكْمُكَ فَقَالَ: الْحَقِيبَةُ بِما فِيهَا. فَقُلْتُ: إنَّ وَحَامِلَتَهَا[٧].

ثُمَّ قَبَضْتُ بِجُمْعِى عَلَيْهِ وَقُلْتُ: لاَ وَالَّذِي أَلْهَمَها لَمْسًا. وَشَقَّهَا مِنْ وَاحِدَةٍ خَمْسًا[٨] لاَ تُزَايِلْنِي أَوْ أَعْلَمَ عِلْمَكَ[٩].

---

(١) العود أصله عام في كل ما يصيبه الإحراق ثم اختص بنوع معروف، ومعنى معما مخولا أي له عم وخال: أنه عريق في السيادة قد نالها عن آبائه.

(٢) خدعه أي خالسه فانخدع أي جازت عليه الحيلة والأصل أن الكريم يستهين بماله ويحتقره فلا يعرف أساليب جمعه والتحفظ به.

(٣) تجالينا: أي أوضح كل منا نفسه للآخر، أحمد: رضى وأثنى عليه وبلاني: اختبرني.

(٤) الصارم: السيف المسلول القاطع أي أنه حين اختبرني وجدني كالسيف مضاء وسرعة وألفاني سباقا.

(٥) الأغر الذي في جبهته بياض، والمحجل الذي في قوائمه ذلك وينعت بهما الفاضل النابه وفي الحديث (أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة).

(٦) أي انتظر وتأن.

(٧) إن: حرف يراد بها الجواب بمعنى نعم أي لك الحقيبة والناقة التي تحملها.

(٨) ألهمها لمسا: جعل فيها القدرة على الإدراك بوجه اللمس، وشقها من واحدة خمسا: أي جعلها فروعا خمسة لأصل واحد والضمير للأصابع واكتفى بما سيذكر من نعوتها وأوصافها عن تقدمها لأنها تتعين بذلك أو يقال أن تقدمها في ضمن الجمع المذكور أنه قبض به عليه مسوغ للإضمار.

(٩) زايله: برح مكانه وعلم علمه: عرفه والمعنى لا تبرح مكانك ولا تفارقني حتى تعرفني بنفسك.

فَحَدَرَ لِثَامَهُ عَنْ وَجْهِهِ[١]. فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَمَا لَبِثْتُ أَنْ قُلْتُ:

تَوَشَّحْتَ أَبَا الْفَتْحِ ... بِهَذَا السَّيْفِ مُخْتَالاَ[٢]
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ ... إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالاَ[٣]
فَصُغْ مَا أَنْتَ حَلَّيْتَ ... بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالاَ[٤]

المقامة الجاحظية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَثَارَتْنِي وَرِفْقَةً وَلِيمَةٌ[٥] فَأَجَبْتُ إِلَيْهَا لِلْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ. وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ. فَأَفْضَى بِنَا السَّيْرُ إِلَى دَارٍ[٦]:

تُرِكَتْ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ ... تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ ... وَاسْتَزَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُ[٧]

---

(١) حدر لثامه عن وجهه: أي أزاله وكشف عن نفسه ليتضح لي شخصه ويظهر خَفِيُّه.

(٢) توشحت: أي اتخذته وشاحا أو تقلدته، واختال: أي زهى وأعجب بنفسه والمعنى: أنك تقلدت هذا السيف فأعجبت وتكبرت.

(٣) المعنى: ما يفيدك لبس السيف وما يغنيك تقلده وهو لا يتخذ إلا لقتال به والدفاع عن النفس ولست من هذا في العير ولا في النفير.

(٤) الخلخال: نوع من الحلي تلبسه المرأة في ساقها والمراد السخرية منه والاستهزاء به أي أنه خير لك أن تجعل هذه الحلية خلخالا لا يفيدك ويغنيك من أن تجعلها لسيف لا تستعمله ولا أنت له أهل.

(٥) أثارتني: حركتني من أثارت الريح الغبار هيجته والوليمة الدعوة للطعام.

(٦) أفضى بنا السير: انتهى.

(٧) أي أن هذه الدار جامعة لأنواع المحاسن فكأنها خليت بالحسن وعرض عليها أن تنتقي منه خياره وتنتخب أطايبه فأخذت طريفه أي حديثه وطلبت المزيد على ذلك لتهبه غيرها.

قَدْ فُرِشَ بِسَاطُهَا. وَبُسِطَتْ أَنْمَاطُهَا. وَمُدَّ سِمَاطُهَا[١]. وَقَوْمٍ قَدْ أَخَذُوا الْوَقْتَ بَيْنَ آسٍ مَخْنُودٍ. وَوَرْدٍ مَنْضُودٍ. وَدَنٍ مَفْضُودٍ وَنَايٍ وَعُودٍ[٢] فَصِرْنَا إِلَيْهِمْ وَصَارُوا إِلَيْنَا[٣]. ثُمَّ عَكَفْنَا عَلَى خِوَانٍ قَدْ مُلِئَتْ حِيَاضُهُ وَنَوَّرَتْ رِيَاضُهُ. وَاصْطَفَّتْ جِفَانُهُ. وَاخْتَلَفَتْ أَلْوَانُهُ[٤].

فَمِنْ حَالِكٍ بِإِزَائِهِ نَاصِعٌ[٥]. وَمَنْ قَانٍ تِلْقَاءَهُ فَاقِعٌ. وَمَعَنَا عَلَى الطَّعَامِ رَجُلٌ تُسَافِرُ يَدُهُ عَلَى الْخِوَانِ. وَتَسْفِرُ بَيْنَ الأَلْوَانِ[٦]. وَتَأْخُذُ وُجُوهُ الرُّغْفَانِ. وَتَفْقَأُ عُيُونَ الْجِفَانِ[٧]. وَتَرْعَى أَرْضَ الْجِيرَانِ[٨]. وَتَجُولُ فِي الْقَصْعَةِ. كَالرُّخِّ فِي الرُّقْعَةِ[٩]. يَزْحَمُ بِاللُّقْمَةِ اللُّقْمَةَ. وَيَهْزِمُ بِالْمَضْغَةِ الْمَضْغَةَ. وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سَاكِتٌ لاَ يَنْبِسُ بِحَرْفٍ. وَنَحْنُ فِي الْحَدِيثِ نَجْرِي مَعَهُ حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلَى ذِكْرِ الْجَاحِظِ

---

(١) الأنماط: جمع مفرده نمط وهو غطاء الفرش وظهارته والسماط من الطعام ما يمد عليه وجمعه سمط بضمتين.

(٢) الآس ما تسميه العامة: الريحان، ومخضود: أي اتخذت منه أشكال للزينة فتجمع وتثنى من غير كسر، وورد منضود: أي بعضه فوق بعض، والدن: وعاء الخمر، والناي والعود نوعان من آلات اللهو والطرب.

(٣) أي استقبلونا وكل منا سار نحو رفيقه.

(٤) الخوان المائدة قبل أن يكون عليها طعام والجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة.

(٥) حالك: أي أسود شديد السواد وناصع أبيض شديد البياض والقاني الأحمر والفاقع: الأصفر والمراد بيان اختلاف الألوان.

(٦) أي أن هذا الرجل كان في سرعة أكله وامتداد يده إلى البعيد عنه من أصناف الطعام يشبه المسافر، وسفر بين القوم فهو سفيرهم أي مشى في الصلح بينهم يشبه توفيقه بين المطاعم ومزجه بعضها ببعض يمكن يكون حاله ذلك.

(٧) الرغفان: جمع رغيف وهو ذو طاقين أحدهما يكون رقيقا سريع التناول وهو الذي كان ذلك الرجل يبادر إليه والمراد أنه كان يسارع إلى أطايب المأكولات حتى إنه ليأخذ من الجفنة أحسنها وأفضلها.

(٨) أي إنه لم يكن يتأدب ويراعى حقوق الذين معه بل كان يعدو على الذي أمامهم.

(٩) الرخ: قطعة في الشطرنج تسميها العامة (الطابيه) وهي تذهب وتجيء في نواح أربع لا يفضلها إلا (الفرز).

وَخَطابَتِهِ[١]. وَوَصْفِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ وَذَرَابَتِهِ[٢]. وَوَافَقَ أَوَّلُ الْحَدِيثِ آخِرَ الْخِوانِ. وَزُلْنا عَنْ ذلِكَ الْمَكانِ[٣]. فَقالَ الرَّجُلُ: أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ فَأَخَذْنا في وَصْفِ الْجاحِظِ وَلَسَنِهِ. وَحُسْنِ سَنَنِهِ في الْفَصاحَةِ وَسُنَنِهِ. فِيما عَرَفْناهُ[٤]. فَقالَ: يَا قَوْمِ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجالٌ. وَلِكُلِ مَقامٍ مَقالٌ. وَلِكُلِّ دارٍ سُكَّانٌ[٥]. وَلِكُلِّ زَمانٍ جاحِظٌ. ولَو انْتَقَدْتُمْ. لَبَطَلَ ما أَعْتَقَدْتُمْ. فَكُلٌّ كَشَرَ لَهُ عَنْ نابِ الإِنْكارِ[٦]. وَأَشَمَّ بِأَنْفِ الإِكْبارِ. وَضَحِكْتُ لهُ لأَجْلَبَ ما عِنْدَهُ[٧] وَقُلْتُ: أَفِدْنا. وَزِدْنا. فَقالَ: إِنَّ الْجاحِظَ في أَحَدِ شِقَّيِ الْبَلاغَةِ يَقْطِفُ. وَفي الآخَرِ يَقِفُ[٨]. وَالْبَلِيغُ مَنْ لَمْ يُقَصِّرْ نَظْمُهُ عَنْ نَثْرِهِ. وَلَمْ يُزْرِ كَلامُهُ بِشِعْرِهِ[٩]. فَهَلْ تَرْوُونَ لِلْجاحِظِ شِعْرًا رَائِعًا؟ قُلْنا: لَا[١٠]. قالَ: فَهَلُمُّوا إِلَى كَلامِهِ فَهُوَ بَعِيدُ

---

(١) الجاحظ: هو إمام أهل الأدب أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة المولود بالبصرة حوالي سنة ١٦٠، تربى حتى أصبح إماما في كل فن فهو راوية، فيلسوف، متكلم كاتب، مترسل، مؤرخ، شاعر، مصنف، عالم بالحيوان والنبات والجماد، له من أمهات كتب هذا الفن كتاب الحيوان وكتاب النبات وله غيرهما تأليفات كثيرة في الأدب منها البيان والتبيين وكتاب البخلاء وكان سمحا جوادا كثير المواساة لأخوانه.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن داذويه المقفع: أحد فحول البلاغة وأساطينها وثاني اثنين مهدا للناس طريق الترسل ورفعا لهم معالم صناعة الإنشاء أولهما: عبد الحميد بن يحيي.

(٣) أي إنه اتفق أن أول حديثنا عند انتهاء الأكل فتركنا مكاننا ونحن لم نتغلغل في البحث والكلام.

(٤) اللسن ذلاقة اللسان وشدة انطلاقه في الحجة والحديث وسنن فلان بفتح أوله طريقته، وبتثليثه منهجه وسبيله.

(٥) أي أنه ليس من شأنكم أن تغامروا بأنفسكم في هذا الميدان لأنكم لستم من أبطاله.

(٦) كشر له عن نابه أي أظهره وأبانه ويكون ذلك غالبا عند الضحك.

(٧) أي أنني لم أنكر عليه كلامه كمن كان معي بل أظهرت له السرور لمقوله لأعلم ما عنده.

(٨) يقطف: يسير مسرعا والمعنى إنه لم يؤت البلاغة كلها لأنه إذا نثر أتى بالعجب العجاب وإذا شعر قصر دون الغاية.

(٩) أي وليس هذا من نعت البلغاء لأن البليغ من برز في النوعين ولم يعجز عن أحدهما.

(١٠) أي هل تحفظون من كلام الجاحظ شعرًا يروعكم سماعه أي يملك عليكم قلوبكم.

الإشارَاتِ[١]. قَلِيلُ الاسْتِعارَاتِ[٢]. قَرِيبُ الْعِبارَاتِ[٣]. مُنْقادٌ لِعُرْيانِ الْكَلامِ يَسْتَعْمِلُهُ. نَفُورٌ مِنْ مُعْتاصِهِ يُهْمِلُهُ[٤]. فَهَلْ سَمِعْتُمْ لَهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً. أَوْ كَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ؟ فَقُلْنا: لا[٥]. قالَ: فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنَ الْكَلامِ ما يُخَفِّفُ عَنْ مَنْكِبَيْكَ وَيَنِمُّ عَلَى ما في يَدَيْكَ؟ فَقُلْتُ: أي وَاللهِ. قالَ: فاطْلِقْ لِي عَنْ خِنْصِرِكَ. بِما يُعِينُ عَلَى شُكْرِكَ. فَنُلْتُهُ رِدائِي. فَقالَ:

لَعَمْرُ الَّذِي أَلْقَى عَلَيَّ ثِيابَهُ ... لَقَدْ حُشِيَتْ تِلْكَ الثِّيابُ بِهِ مَجْدَا
فَتًى قَمَرَتْهُ الْمَكْرُماتُ رِداءَهُ ... وَما ضَرَبَتْ قِدْحًا وَلا نَصَبَتْ نَرْدَا[٦]
اعِدْ نَظَرًا يا مَنْ حَبانِي ثِيابَهُ ... وَلا تَدَعِ الأَيّامَ تَهْدِمُنِي هَدَّا
وَقُلْ لِلْلاوُلَى إِنْ أَسْفَرُوا أَسْفَرُوا ضُحًى ... وَإِنْ طَلَعُوا في غُمَّةٍ طَلَعُوا سَعْدَا[٧]
صِلُوا رَحِمَ الْعَلْيا وَبُلُّوا لِهاتَها ... فَخَيْرُ النَّدَى ماسَحَّ وَابِلُهُ نَقْدَا[٨]

---

(١) هلم: اسم فعل معناه تعال يستعمل هكذا للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث والمعنى: تعالوا ننظر في كلامه والمراد النثر لأنهم انتهوا من الحكم على شعره وكونه بعيد الإشارة مما يقدح في فصاحته.

(٢) قليل الاستعارات: أي ليس انغلاقه وعسر فهمه مبنيا على استعمال الاستعارة التي تحتاج لدقة فهم وإعمال فكر لأنه يسلك إلى الحقيقة دائما ولا يجري للاستعارة إلا نادرًا.

(٣) قريب العبارات: أي متقاربها وذلك يدل على نضوب معينه.

(٤) يقال: فلان يكسو ألفاظه بالبلاغة إذا كان يأتي بها رائعة خلابة: وهو يقول: إن الجاحظ يجيء بالكلام عريان أي لا مسحة عليه من حسن السبك والفصاحة.

(٥) يسألهم عن كلام الجاحظ هل فيه كلمة لم ينقلها عن سواه ليستدل بذلك على ما يقول.

(٦) قامرته فقمرته أي غالبته فغلبته والمعنى أن المكارم غالبت هذا الرجل فغلبته فهو يصفه بالخضوع لسلطان الفضائل والانقياد لصولتها والسير تحت لوائها.

(٧) اسفروا كشفوا عن وجوههم والمراد ظهروا. والغمة الكربة والظلمة والمعنى أيهذا الذي منحني ثوبه جدد النظر في حاجتي فلعله يظهر لك أنني أستحق عطية أخرى وهبة ثانية وقل لأصحابك الذين من صفتهم أنهم إذا ظهروا ظهروا ظهور الضحى وإن طلعوا في كربة وظلمة طلعوا طلوع الكوكب السعدى.

(٨) البيت كله مقول القول في سابقه واللهاة الحلق وهو بفتح أوله ومثله اللها فإما بضم أوله فهو جمع معناه العطايا وفي المثل اللها تفتح اللها أي العطايا تطلق الألسنة بالمديح والمعنى امنحوني ما =

قالَ عِيسَى بْنُ هِشام: فَارْتاحَتِ الجماعَةُ إلَيْهِ. وَانْثالَتِ الصِّلاتُ عَلَيْهِ[١]. وَقُلْتُ لَمَّا تآنَسْنا: مِنْ أَيْنَ مَطْلِعُ هذَا الْبَدْرِ؟ فَقالَ:

إسْكَنْدريَّةُ داري لَوْ قَرَّ فِيها قَراري
لَكِنَّ لَيْلِي بِنَجْدٍ وَبِالْحِجازِ نَهاري[٢]

المقامة المكفوفية

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشام قَالَ: كُنْتُ أَجْتَازُ فِي بَعْضِ بِلادِ الأَهْوَازِ. وَقُصارَايَ لَفْظَةٌ شَرُودٌ أَصِيدُهَا. وَكَلِمَةٌ بَلِيغَةٌ أَسْتَزِيدُهَا[٣] فَأَدَّانِيَ السَّيْرُ إِلَى رُقْعَةٍ فَسِيحَةٍ مِنَ الْبَلَدِ وَإِذَا هُناك قَوْمٌ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْبِطُ الأَرْضَ بَعَصًا عَلَى إِيقَاعٍ لاَ يَخْتَلِفُ[٤] وَعَلِمْتُ أَنَّ مَعَ الإِيقَاعِ لَحْنًا[٥]. وَلَمْ أَبْعُدْ لأَنَالَ مِنَ السَّمَاعِ حَظًّا. أَوْ أَسْمَعَ مِنَ الْفَصِيحِ لَفْظًا[٦] فَما زِلْتُ بالنَّظَّارَةِ أَزْحَمُ هذا وَأَدْفَعُ ذَاكَ حَتَّى

ترضى عنه العلياء ويتصل معها بنسب ويشفي برحائها لأنها عطشى مقطوعة القرابة فإذا فعلتم ذلك فقد تكفلتم لها بأقرباء يتصل نسبهم بنسبها ويعينونها في شدتها.

(١) الصلاة بكسر أوله جمع صلة وهي المنحة والعطية انثالت: انهالت وكثر رميها إليه.

(٢) المعنى أن شمس حياتي بزغت بالإسكندرية وأتمنى ألا أبرحها وألا يرميني الدهر بما يزحزحني عنها (ومعنى التمني مأخوذ من لو) ولكن الدهر لا يجيبني إلى طلبي ولا يساعدني على رغبتي بل يقذف بي في الحجاز طورا وفي نجد تارة أخرى.

(٣) اجتاز: أسير وأمر، والأهواز: بلاد بين البصرة وفارس تقدم تفصيلها، شرود: جموح نافرة لا تسكن، والمعنى أنه كان يمر ببلاد الأهواز وغايته التي يتمناها لفظة غريبة لم يسمع بها يستفيدها أو كلمة فصيحة يجعلها زيادة على ما عنده.

(٤) أي أنه يردد خبط العصا ترديدا متناسبا لا فرق بين أوله وثانيه.

(٥) المعنى أنني ظننت أنه لابد أن يكون هذا الترديد مصحوبا بغناء وتلحين ناسب الملحن بينه وبينه.

(٦) أي أنني لم أذهب بعيدا لئلا يحرمني البعد من إحدى الفائدتين بل اقتربت فإن لم أستطع أن أعقل عنه التلحين لم يفتني لفظه الفصيح.

وَصَلْتُ إِلَى الرَّجُلِ[١] وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ مِنْهُ إِلَى حُزُقَّةٍ كَالْقَرَنْبَى أَعْمَى مَكْفُوفٍ. فِي شَمْلَةِ صُوفٍ. يَدُورُ كَالْخُذْرُوفِ[٢] مُتَبَرْنِسًا بِأَطْوَلَ مِنْهُ مُعْتَمِدًا عَلَى عَصًا فِيهَا جَلاجِلُ يَخْبِطُ الأَرْضَ بِهَا عَلَى إِيقَاعٍ غَنِجٍ. بِلَحْنٍ هَزِجٍ. وَصَوْتٍ شَجٍ. مِنْ صَدْرٍ حَرِجٍ[٣]. وَهُوَ يَقُولُ:

يا قَوْمُ قَدْ أَثْقَلَ دَيْنِي ظَهْرِي ... وَطالَبَتْنِي طَلَّتِي بِالْمَهْرِ[٤]
أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غِنًى وَوَفْرِ ... سَاكِنَ قَفْرٍ وَحَلِيفَ فَقْرِ[٥]
يا قَوْمُ هَلْ بَيْنَكُمُ مِنْ حُرّ ... يُعِينُنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ
يا قَوْمُ قَدْ عِيلَ لِفَقْرِي صَبْرِي ... وَانْكَشَفَتْ عَنِّي ذُيُولُ السِّتْرِ[٦]
وَفَضَّ ذَا الدَّهْرُ بِأَيْدِي الْبَتْرِ ... مَا كَانَ لِي مِنْ فِضَّةٍ وَتِبْرِ[٧]
آوِي إِلَى بَيْتٍ كَقِيدِ شِبْرِ ... خَامِلِ قَدْرٍ وَصَغِيرِ قَدْرِ[٨]
لَوْ خَتَمَ اللهُ بِخَيْرِ أَمْرِي ... أَعْقَبَنِي عَنْ عُسُرٍ بِيُسْرِ

---

(١) النظارة: جمع ناظر وهم القوم المجتمعون عليه الناظرون إليه.

(٢) الحزقة القصير العظيم البطن والقرنبى إحدى دواب الأرض تشبه الخنفساء. والشملة بفتح أوله ومثله المشمل والمشملة بكسر أولهما. كساء دون القطيفة يديره الرجل على جسده والخذروف لعبة يجعل فيها الصبيان خيطا ويديرونها به تشبه ما يسمى الآن (النحلة، المتخذة من الطين) وهي معروفة في بعض ريف مصر.

(٣) غنج: حسن، هزج: ذي ترنم، شج: أي به آثار الحزن والأسى حرج: ضيق.

(٤) الطلة: الزوجة، وإنما تطلب الزوجة مهرها إذا كان زوجها لم يؤده إليها أو طلقها وهي تطلب مؤجله ويدور بذهننا أن المعنى: أنها تطالبه بالطلاق لعسره وضيق يده من إطلاق المسبب على السبب.

(٥) القفر: الأرض المجدبة.

(٦) عيل: فقد، والمعنى أن الفقر وسوء الحال أفقدا تصبري وذهبا بتجلدي وكشفا أستاري.

(٧) البتر: القطع شبهه بإنسان له يد لكمال قدرته على التفريق وتمزيق الشمل، والتبر: الذهب قبل سبكه والمعنى: أن الدهر فرق ما اجتمع لي من الذهب وصيرني مسكينا بائسا.

(٨) قدر بفتح أوله: مكانة، والقدر بالكسر آنية الطبخ والمعنى أنني أسكن دارا صغيرة لا تكفي في حال أني غير مشهور ولا صيت لي وآنيتي التي أطبخ طعامي فيها صغيرة وكل هذا كنايات عن شدة الفقر واضمحلال حاله.

هَلْ مِنْ فتًى فِيكمْ كريم النَّجْرِ مُحْتَسِبٍ فِيَّ عَظِيمَ لأَجْرِ[١]
إنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَنِمًا لِلشُّكْرِ؟

قالَ عِيسَى بْنُ هِشام: فَرَقَّ لَهُ وَاللهِ قَلْبي. وَاغْرَوْرَقَتْ لهُ عَيْنِي. فَنُلْتُهُ دِينَارًا كانَ مَعِي. فَما لَبِثَ أنْ قالَ:

يا حُسْنَها فاقِعَةً صَفْرَاءْ مَمْشُوقَةً مَنْقُوشَةً قَوْرَاءْ[٢]
يَكادُ أَنْ يَقْطُرَ مِنها الْمَاءْ قَدْ أَثْمَرَتْها هِمَّةٌ عَلْيَاءْ[٣]
نَفْسُ فَتًى يَمْلِكُهُ السَّخاءْ يَصْرِفُهُ فِيهِ كَما يَشاءْ[٤]
يا ذَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَا الثَّناءْ ما يَتَقَصَّى قَدْرَكَ الإِطْرَاءْ[٥]
إمْضِ إلَى اللهِ لَكَ الْجَزَاءْ[٦]

وَرَحِمَ اللهُ مَنْ شَدَّها فِي قَرْنِ مِثْلِها. وَآنَسَها بأُخْتِها. فَنالَهُ النَّاسُ ما نالُوهُ ثُمَّ فارَقَهُمْ وَتَبِعْتُهُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مُتَعامٍ لِسُرْعَةِ ما عَرَفَ الدِّينَارَ[٧].

---

(١) النجر والنجار: الأصل ومحتسب: صانع لوجه الله غير منتظر جزاء والمعنى: أنني أتمنى أن يكون من بينكم رجل طيب الخيم كريم الأصل يسدى إلى معروفه، ويصنع بي خيرا راجيا بذلك وجه الله إذا كان لا يريد أن يفعل لأشكره وأثني عليه.

(٢) فاقعة: شديدة الصفرة، ممشوقة: خفيفة: قوراء: أراد مستديرة والضمير للدينار باعتباره قطعة من الذهب.

(٣) أي أنها لحسنها وجمال رونقها وبهائها يكاد الماء يتقاطر منها وقد كانت من ثمرات رجل ذي همة عالية ومروءة عظيمة.

(٤) أي أن هذه الهمة هي نفس فتى من صفته أن الكرم يملك زمام أموره فيجعله يتصرف فيها كيفما شاء الكرم.

(٥) توجه بالخطاب إلى الذي منحه القطعة فذكر له أن مقداره يعجز طوق المادحين ويبلد قرائحهم فلا يستطيعون الوفاء له بحق الثناء.

(٦) أضاف جزاءه إلى الله لأنه الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فهو وحده الذي يجزي هذا الممدوح بما يستحقه.

(٧) أي أنه ظهر لي أنه غير مكفوف حقيقة بل هو يتصنع ذلك بدليل سرعة معرفته للدينار ووصفه له على الفور الصفات التي لا تنطبق على سواه.

فَلَمَّا نَظَمَتْنا خَلْوَةٌ[١] مَدَدْتُ يُمْنايَ إِلَى يُسْرَى عَضُدَيْهِ وَقُلْتُ: وَاللهِ لَتُرِيَنِّي سِرَّكَ. أَوْ لأَكْشِفَنَّ سِتْرَكَ. فَفَتَحَ عَنْ تَوْأَمَتِي لَوْزٍ[٢] وَحَدَرْتُ لِثامَهُ عَنْ وَجْهِهِ[٣] فإِذَا وَاللهِ شَيْخُنا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: أَنْتَ أَبُو الْفَتْحِ؟ فقالَ: لا.

أَنَا أَبُو قَلْمُونِ فِي كُلِّ لَوْنٍ أَكُونُ[٤]
اخْتَرْ مِنَ الْكَسْبِ دُونَا فَإِنَّ دهْرَكَ دُونُ[٥]
زَجِّ الزَّمَانَ بِحُمْقٍ إِنَّ الزَّمَانَ زَبُونُ[٦]
لا تُكْذِبَنَّ بِعَقْلٍ مَا الْعَقْلُ إِلاَّ الْجُنُونُ[٧]

المقامة البخارية

حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: أَحَلَّني جامِعَ بُخاري يَوْمٌ وَقَدِ انْتَظَمْتُ مَعَ رُفْقَةٍ فِي سِمْطِ الثُّرَيَّا[٨].

---

(١) نظمتنا: جمعتنا، ومنه قيل للشعر: نظم، لأنه يجمع الكلام المتناسب بعضه إلى بعض.

(٢) التوأم في أصل الوضع: الذي جاء مع غيره في الولادة، واللوز معروف، والتوأم فيه: أن يجتمع في الواحدة لبان وأراد بهما عينيه، وكنى بذلك عن صحتهما وتناسبهما.

(٣) يقال: انحدر إذا نزل من أعلى إلى أسفل وأريد هنا مطلق الانتقال من مكان إلى آخر.

(٤) القلمون: ثوب يراعى عند نسجه أن يظهر في عدة ألوان، والمعنى أنه قلب لا يستقر على حال.

(٥) يقول: إن هذا الزمن دنئ سافل يواتي الأخساء، ويقبل على السفلة، فإذا شئت أن تكون ذا وفر موسرا فاختر من الحرف ما كان دنيئا ليتناسب مع دهرك فيقبل عليك.

(٦) الزبون: الناقة التي تدفع حالبها برجليها، أو الحرب التي يدفع بعضها بعضا، والمعنى لا تطلبن من دهرك أن يسعفك بحاجتك فإنه يدفع طالب الخير كالناقة التي تدفع حالبها بل دافعه بالحمق لتظهر عليه وتنال مأربك منه.

(٧) أي لا تصدق من يقول لك أن نوال أغراضك بالعقل فإنه ليس العقل الذي ينيلك إلا الجنون.

(٨) السمط: السلك ما دام فيه اللؤلؤ، والثريا: نجوم سبعة مجتمعة لا تفترق والمراد إنهم متألفون متحابون لا يتصور فراقهم كما لا يتصور افتراق الثريا ويروى بدل سمط: سلك وهو ظاهر.

وَحِينَ احْتَفَلَ الْجَامِعُ بِأَهْلِهِ طَلَعَ أَلَيْنا ذُو طِمْرَيْنِ قَدْ أَرْسَلَ صِوانًا[١]. وَاسْتَتْلى طِفْلاً عُرْيانًا[٢] يَضِيقُ بالضُّرِّ وُسْعُهُ. وَيأْخُذُهُ الْقُرُّ وَيَدَعُهُ[٣]. لا يَمْلِكُ غَيْرَ الْقِشْرَةِ بُرْدَةً. وَلا يَكْتَفي لِحِمايَةِ رِعْدَةٍ[٤]. فَوَقَفَ الرَّجُلُ وَقالَ: لا يَنْظُرُ لِهذا الطِّفْلِ إلاَّ مَنِ اللهُ طَفَّلُه، وَلا يَرِقُّ لِهذا الضُمرِّ إلاَّ مَنْ لا يأْمَنُ مَثْلَهُ[٥]. يا أَصْحابَ الخُزوزِ المفْرُوزَةِ. والأَرْدِيَةِ المَطْرُوزَةِ. وَالدُّورِ المنجَّدَةِ. والقُصُورِ المشَيَّدَةِ[٦]. إنَّكُمْ لَنْ تأمَنُوا حادِثًا. ولَنْ تَعْدَمُوا وَارِثًا. فَبَادِرُوا الخَيْرَ ما أمكنَ. وَأَحْسِنُوا مَعَ الدَّهْرِ ما أَحْسنَ فقَدْ واللهِ طَعِمْنَا السِّكْباجَ. وَرَكِبْنا الهِمْلاجَ. وَلَبِسْنا الدِّيباجَ وافْتَرَشْنا الحَشَايَا، بالْعَشَايَا[٧]. فَمَا رَاعَنا إلاَّ هُبُوبُ الدَّهْرِ بِغَدْرِهِ. وانْقِلابُ المجَنِّ لِظَهْرِهِ[٨]. فَعَاد الهِمْلاجُ قَطُوفًا. وَانْقَلَبَ الدِّيباجُ صُوفًا[٩]. وَهَلُمَّ جَرًّا إلَى ما تَشاهِدُونَ مِنْ حالي وَزِيِّي. فَهَا نَحْنُ نَرْتَضِعُ مِنَ الدَّهْرِ ثَدْيَ عَقيمٍ. وَنَرْكَبُ مِنَ

---

(١) ذو طمرين: أي رجل يلبس ثوبين قد أبلى الدهر جدتهما، والصوان وعاء الثوب وكنى بإرساله عن عدم وجود شيء به.

(٢) استتلى: جعله تابعا.

(٣) القر: شدة البرد.

(٤) القشرة: المراد بها الجلد، والبردة: الثياب، والمعنى أنه لا يجد ما يقي به جسده ويدفع عنه لفح الحر وزمهرير البرد غير جلده، ولا يكتفي: أي لا يملك الكفاية التي تحميه من الرعدة وهي اصطكاك الأسنان وقشعريرة البدن من برد ونحوه.

(٥) المعنى أن الشفقة على هذه الطفل العريان إنما تدخل قلب امرئ له أطفال قد أشرب الله قلبه حبهم ولا يرحمه إلا إنسان يعلم أن الدهر لا يدوم.

(٦) الخُزُوز: الثياب تنسج من حرير أو منه ومن الصوف، والأردية الأكسية، والمطروزة المعلمة، والمنجدة المزخرفة، والمشيدة أي المرفوعة.

(٧) السكباج: لحم يطبخ بالخل ويجعل معه مرق، والهملاج: الدابة السريعة في سيرها، والديباج الحرير، والحشايا الوسادة المحشوة للجلوس عليها تشبه ما يسمى الآن (شلته).

(٨) راعنا: أفزعنا، والمعنى إننا كنا مترفين كما وصفت لكم فلم نشعر إلا وقد حاربنا الدهر وأثار علينا غدره ورمانا بشره.

(٩) القطوف: الدابة البطيئة في سيرها والمعنى أن كل شيء قد تبدل وحَالَ عما كان عليه.

الْفَقْرِ ظَهْرِ بَهيم[١]. فَلا نَرْنُو إلاّ بِعَيْنِ الْيَتيم. وَلاَ نَمُدُّ ألاَّ يَدَ الْعديم[٢] فَهَلْ مِنْ كَريم يَجْلو غَياهِبَ هذِهِ الْبُؤُوسِ. وَيَفُل شَبَا هذِهِ النُّحوسِ[٣].

ثُمَّ قَعَدَ مُرْتَفِقًا[٤] وَقالَ لِلطِّفْلِ: أَنْتَ وَشَأْنُكَ. فَقالَ: ما عَسَى أنْ أَقُولَ وَهذا الْكلامُ لَوْ لَقِيَ الشَّعْرَ لَحلَقَهُ. أَوْ الصَّخْرَ لَفَلَقَهُ. وَإنَّ قَلْبًا لَمْ يُنْضِجْهُ ما قُلْتَ لَنِيءٌ وَقَدْ سَمِعْتُمْ يا قَوْمْ. ما لَمْ تَسْمَعُوا قبْلَ الْيَوْم. فَلْيُشْغِلْ كُلٌّ مِنْكُمْ بِالْجُودِ يَدَهُ. وَلْيَذْكُرْ غَدَهُ. وَاقيًا بِيَ وَلَدَهُ. وَاذْكُروني أَذْكُرْكُمْ. وَأَعْطوني أَشْكُرْكُمْ.

قالَ عِيسى بْنُ هِشام: فَما آنَسَني فِي وَحْدَتي إلَّا خاتَمٌ خَتَّمْتُ بِهِ خِنْصِرَهُ[٥] فَلَمَّا تَناوَلَهُ أَنْشَأَ يَصِفُ الْخَاتَمَ عَلَى الإِصْبَعِ وَجَعَل يَقُولُ:

وَمُمَنْطِقٍ مِنْ نَفْسِهِ بِقَلادَةِ الْجَوْزاءِ حَسْنَا[٦]
كَمُتَيَّمٍ لَقِيَ الْحَبِيـ ـبَ فَضَمَّهُ شَغَفًا وَحُزْنَا[٧]

---

(١) العقيم: المرأة التي لا يولد لها ومن كانت هذه حالها لا يدر ثديها فلا ينتفع بها رضيع فهو كناية عن أن الدهر لا يجود عليهم وأنهم لا يحصلون من سعيهم على طائل منه، والبهيم الذي كل لونه أسود لا يشوبه بياض ومنه قولهم: ليل بهيم إذا اشتدت ظلمته والمراد أن الدهر ألزمهم حالة واحدة.

(٢) اليتيم الصغير بعد موت أبيه وعادة أن ينكسر قلبه ويحزن فؤاده فإذا نظر إلى النعمة على غيره فبعين كسيرة. والعديم: المعدم الذي لا يجد شيئا فإذا هو مديده فإنما يمدها مستجديا لا عَاطِيًا ومستميحا لا مانحا.

(٣) يجلو: ينير، غياهب: ظلمات شبه الفقر والإملاق بليل اشتدت ظلمته استعارة مكنية وأسند الظلمات للبؤوس تخييلا، ويفل: يكسر، والشبا: جمع شباة وهي سن الرمح أو هي حد كل شيء.

(٤) مرتفعا بعين مهملة أي في مكان عال ويروى مرتفقا بمثناة فوقية ومعناه مستندا إلى مرفقيه وقال للطفل تحدث أنت عن شأنك وصف لهم حالك.

(٥) يقول إنه لم يجد حينذاك إلا خاتما جعله في إصبعه الخنصر وقد جعل المال كالصديق الذي يؤنسك إذا انفردت ويسليك إذا شجيت ويروح عنك إذا تألمت.

(٦) المنطقة: حزام يشد به الوسط فيدور حوله والفعل منه انتطق إذا لبسها، والقلادة: نوع من الحلي تتخذ في الصدور، والجوزاء: مجموع كواكب ولما كان الخاتم ليس له منطقة خارجة عن ذاته قال إن الدائرة التي اتخذها من نفسه.

(٧) المتيم: الذي شفه الغرام ونزل به الوجد والشغف: شدة الحب وهو الذي يحل بشغاف القلب

مُتَأَلِّفٍ مِنْ غَيْرِ أُسْـ ـرَتِهِ عَلَى الأَيَّامِ خِدْنَا
عِلْقٌ سَنِيٌّ قَدْرُهُ لَكِنَّ مَنْ أَهْدَاهُ أَسْنَى[1]
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْوَرَى فِي الْمَجْدِ لَفْظًا كُنْتَ مَعْنَى

قالَ عِيسى بْنُ هِشامٍ:

فَنُلْناهُ ما تاحَ لَنا مِنَ الْفَوْرِ. فأَعْرَضَ عَنَّا. حامِدًا لَنا. فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرَتِ الْخَلْوَةُ عَنْ وَجْهِهِ. فإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. وَإِذَا الطَّلاَ زُغْلُولُهُ. فقُلْتُ[2]:

أَبَا الْفَتْحِ شِبْتَ وَشَبَّ الْغُلاَمُ
فَأَيْنَ السَّلاَمُ وَأَيْنَ الْكَلاَمُ[3]

فقالَ:

غَرِيبًا إِذَا جَمَعَتْنَا الطَّرِيقُ أَلِيفًا إِذَا نَظَمَتْنَا الْخِيَامُ[4]

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مُخَاطَبَتِي فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ.

= والفعل منه شغف بوزن منع ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠] وإذا كان المحب حين يلقي حبيبه مسلما أو مودعا يضمه إلى نفسه حتى ليخيل للناظر إنهما واحد فقد شبه تضام الإصبع إلى الخاتم بهذه الهيئة.

(١) العلق: النفيس الغالي من كل شيء. سنى: أي رفيع عظيم. يقول إن هذا الخاتم جميل الرواء رفيع القدر نفيس غير إن ذلك الذي قدمه إلى أرفع منه قدرا.

(٢) الطلا: ولد الظبية ساعة يولد والصغير من كل شيء ومثله الطلو وجمعه أطلاء وطلاء وطلي وطليان كرغفان وغربان. وزغلوله: ولده.

(٣) أي أنك لم تفاتحني الحديث ولم تقرئني السلام ولم تسامرني كعادتك مع أنك قد بلغت سنا لا يعذر فيه من نسي رفقته وأهمل واجب خلانه.

(٤) أراد الاعتذار له عن تركه سنة الصداقة وواجب الأخوة بأنه تعمد ذلك لئلا يفتضح حاله للناس فقال: نحن إنما نتعارف ونتذاكر حلو الأحاديث ولذيذ الأسمار حينما نكون بنجوة من الناس في موطننا وخيامنا فأما هنا في الطريق فلا سبيل لغير إنكارك.

المقامة القزوينية

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:

غَزَوْتُ الثَّغْرَ بِقَزْوِينَ[١]. سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ. فِيمَنْ غَزَاهُ. فَما أَجْزَنا حُزْنًا. إلاَّ هَبَطْنا بَطْنًا[٢]. حَتَّى وَقَفَ الْمَسِيرُ بِنا عَلَى بَعْضِ قُرَاهَا. فَمالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنا إلى ظِلِّ أَثْلاَتٍ[٣]. في حُجْرَتِها عَيْنٌ كَلِسانِ الشَّمْعَةِ[٤]. أصفَى مِنَ الدَّمْعَةِ. تَسِيحُ في الرَّضْرَاضِ. سَيْحَ النَّضْناضِ[٥] فَنِلْنا مِنَ الطَّعامِ ما نِلْنا. ثُمَّ مِلْنا إلى الظِّلِّ فَقِلْنا[٦].

فَما مَلَكَنا النَّوْمُ حَتَّى سَمِعْنا صَوْتًا أَنْكَرَ مِنْ صَوْتَ حِمارٍ. وَرَجْعًا أَضْعَفَ مِنْ رَجْعِ الحُوَارِ[٧]. يَشْفَعُهُما صَوْتُ طَبْلٍ كأَنَّهُ خارِجٌ مِنْ مَاضِغَى أَسَدٍ[٨]. فَذَادَ عَنِ الْقَوْمِ. رَائِدَ النَّوْمِ[٩]. وَفَتَحْتُ الْتَوْأَمَتَينِ إلَيْهِ وَقَدْ حالَتِ الأَشْجارُ

(١) قزوين إحدى بلاد الديلم.

(٢) أجزنا: قطعنا، والحزن ما ارتفع من الأرض وغلظ، والبطن: المنخفض السهل والمعنى أننا كنا نعلو تارة ونسفل أخرى ونرتفع أحيانا وننخفض أخرى لأن الطريق لم تكن واحدة بل كانت كثيرة المنخفضات والمرتفعات.

(٣) الهاجرة: شدة الحر وقد هجر تهجيرا إذا سار فيها وأثلات جمع أثلة وهي شجرة عالية وريفة الظل.

(٤) يقال: كذا في حجرة كذا إذا كان قريبا منه والمعنى أن بجوار هذه الأشجار عينا ماؤها يشبه لسان الشمعة أي ضوءها في الصفاء والبريق.

(٥) الرضراض: الأرض ذات الحجارة الصغيرة والحصا، والنضناض: الحية التي تتلوى دائما والمعنى أن هذه العين تسيل على الأرض وتتلوى فوقها تلك الحية.

(٦) قال يقيل قيولة نام عند القائلة وهي وقت الظيرة.

(٧) الحوار ولد الناقة ورجعه سيره والمراد أنه سمع صوتا شديدا وسيرا خفيفا.

(٨) شفعهما: يجعلهما اثنين: وهما في الحقيقة شيئان ولكنه فرضهما واحدا لصدورهما عن شخص واحد وقد شبه صوت الطبل في جهارته وشدته بصوت الأسد.

(٩) ذاد: منع، والرائد: الرجل يسبق القافلة ليختبر لها خصب الأرض وصلاحها للسير وفي الحديث (والرائد لا يكذب أهله) وجري مجرى المثل.

دُونَهُ[١] . وَأَصغَيْتُ فإِذَا هُوَ يقُولُ: عَلَى إِيقَاعِ الطُّبُولِ:

أَدْعوا إلى الله فهل من مُجيب ... إلى ذرا رحب ومرعى خصيب[٢]
وجنةٍ عالية ما تني ... قطوفها دانية ما تغيب[٣]
يا قوْمِ إنّي رجُلٌ تائبٌ ... من بلدِ الْكُفْرِ وأمْري عجيب[٤]
إنْ أكُ آمنْتُ فكمْ ليْلة ... جحدْت ربي وأتيْتُ الْمُريبْ[٥]
يا ربّ خنزير تمشْمشْتُه ... ومُسْكِرٍ أحْرزْتُ منهُ النَّصيبْ[٦]
ثمّ هداني اللهُ وانْتاشني ... من ذلّة الْكُفْرِ اجْتهادُ الْمُصيبْ[٧]
فظلْتُ أخْفي الدّين في أسْرتي ... وأعْبُدُ الله بقلْبٍ منيب[٨]
أسْجُدُ للاّت حذار العدى ... ولا أرى الْكعْبة خوف الرّقيبْ[٩]
وأسألُ الله إذا جنّني ... ليْلٌ وأضْناني يوم عصيب[١٠]
ربّ كما أنْك أنْقذْتني ... فنجّني إنّي فيهمْ غريبْ[١١]

---

(١) التوأمتين: العينين لأنهما متشابهتان فكأنهما ولدا معا.

(٢) الذرى: الناحية والجهة، والرحب: الواسع، والخصيب: الممرع الكثير العشب والكلأ، والمعنى: أنا أدعو لدين الله وهو الناحية المتسعة والمربع الخصيب فهل يتبعني أحد منكم.

(٣) ونى، ينى: تأخر أو قصر أو ابتعد والقطوف: المراد بها الثمار والمعنى أن هذه الجنة التي أدعو إليها كثيرة الثمار مع قربها وعدم تخلفها عمن يكون فيها ممن يجيبون الدعوة إلى الله في هذه الحياة.

(٤) تائب: راجع يؤيده روايتها في بعض النسخ ثائب بالثاء المثلثة.

(٥) جحدت ربي: أنكرته ولم أومن به. والمريب الذي يتسلط عليك بالشكوك والأوهام أو الذي تفعله وأنت ترتاب فيه.

(٦) تمششته: أكلت مشاشه والمشاش جمع مشاشة وهي العظمة اللينة.

(٧) انتاشه: أخرجه. (٨) قلب منيب: مُعْتَرِف بربوبيته سليم.

(٩) اللات: اسم صنم، وأراد من الكعبة جهة القبلة أي أنه ما كان يتوجه إليها خشية الرقباء من قومه وعشيرته وجعلهم عدى لمعاداتهم له في الدين.

(١٠) جنه الليل: ستره وأخفاه عن العيون.

(١١) أي أنه كان يدعو الله أن ينجيه منهم ويتم نعمته عليه التي أولها إنقاذه من دينهم.

ثُمّ اتّخذْتُ اللّيلَ لي مرْكبًا وما سوى العزْمِ أمامي جنيبُ[١]
فقدْكَ منْ سيْري في ليْلةٍ يكادُ رأْسُ الطّفْلِ فيها يشيبُ[٢]
حتّى إذا جُزْتُ بلادَ العِدى إلى حمى الدّينِ نفضْتُ الوجيبْ[٣]
فقُلْتُ إذْ لاحَ شعارُ الهُدى نصْرٌ من اللهِ وفتْحٌ قريبْ

فَلَمَّا بَلَغَ هذَا الْبَيْتَ قالَ: يا قَوْمُ وَطِئْتُ دارَكُمْ بِعَزْمٍ لا الْعِشْقُ شاقَهُ[٤]. وَلا الْفقْرُ ساقَهُ. وَقَدْ تَرَكْتُ وَرَاءَ ظَهْرِي حَدَائِقَ وَأَعْنابًا. وَكَواعِبَ أَتْرابًا[٥]. وَخَيْلاً مُسَوَّمَةً[٦]. وَقَناطِيرَ مُقَنْطَرَةً. وَعُدَّةً وَعَدِيدًا. وَمَرَاكِبَ وَعَبِيدًا. وَخَرَجْتُ خُرُوجَ الحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهِ. وَبَرَزْتُ بُرُوزَ الطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ[٧]. مُؤْثِرًا دِينَ عَلَى دُنْيايَ[٨]. جامِعًا يُمْنايَ إِلى يُسْرَايَ[٩]. وَاصِلاً سَيْرِي بُسَرايَ[١٠]. فَلَوْ دَفَعْتُمُ النَّارَ بِشَرَارِها. وَرَمَيْتُم الرُّومَ بِحِجارِهَا. وَأَعَنْتُمُونِي عَلَى غَزْوِها[١١] مُساعَدَةً وإِسْعادًا. وَمُرافَدةً وَإِرْفادًا. وَلاَ شَطَطَ فَكُلٌّ عَلَيَّ قَدْرِ قُدْرَتِهِ. وَحَسَبِ ثَرْوَتِهِ[١٢]. وَلا أَسْتَكْثِرُ الْبَدْرَةَ.

---

(١) ركب الليل: أي فيه والجنيب الناقة التي يأخذها المسافر جوار ناقته ليركبها إذا تعبت الأولى، وقد استعارها لعزمه دلالة على أنه كان دائم العزيمة ثابتها.

(٢) قدك أي: يكفيك.

(٣) الوجيب: خفقان القلب واضطراب دقاته من خوف أو فزع أو نحوهما، ونفضه: طرحه كأنه شيء يلفظ ويرمى به وذلك تمثيل لشدته وهوله حتى أنه ليكاد يكون كذلك.

(٤) شاقه: هيجه وأثاره، والمعنى: أنني لم أنزل بلادكم مشوقا بدواعي العشق ولا مسوقا بالرغبة في الغنى.

(٥) الكواعب: الجواري اللائي برز ثديين، أترابا: متشابهات في السن لدات.

(٦) مسومة: معلمة. (٧) برزت: ظهرت، وكر الطائر: عشه. (٨) مؤثرا: مفضلا.

(٩) كناية عن عدم وجود شيء فيها يريد بذلك الدلالة على إطلاقه يديه علامة الفقر.

(١٠) السرى بالضم مقصورا: سير الليل أو أوله خاصة، والسير عام. ولكنه أراد به خصوص السير بالنهار والمعنى جاعلا وقتي كله سيرا مبادرة إلى الهرب والنجاة منهم.

(١١) يطلب منهم أن يمكنوه من غزو بلاد الروم وهو رومي فكأنهم حين يساعدونه على ذلك قد دفعوا النار بشرارها وهي من جنس النار والفقرة الثانية من قولهم: أرم فلانا بحجره أي بضريبه وقريعه.

(١٢) الشطط: مجاوزة الحد، والمعنى: أنه لا يريد منهم فوق الطاقة ولا ما لا يستطيعونه.

وَأَقْبَلُ الذَّرَّةَ. وَلا أَرُدُّ التَّمْرَةَ[١]. وَلِكُلّ مِنِّي سهَمْانِ سَهْمٌ أُذَلِّقُهُ لِلِّقاءِ. وآخَرُ أُفَوِّقُهُ بِالدُّعاءِ[٢]. وَأُرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ. عَنْ قَوْسِ الظَّلْماءِ. قالَ عِيسى بنُ هِشام: فاسْتفَزَّني رَائِعُ أَلْفاظِهِ[٣]. وَسَرَوْتُ جِلْبابَ النَّومِ[٤]. وَعَدَوْتُ إلى الْقَوْمِ[٥]. فإِذَا وَاللهِ شَيْخُنا أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ بِسَيْفٍ قَدْ شَهَرَهُ. وَزِيٍّ قَدْ نَكَّرَهُ[٦]. فَلَمَّا رآني غَمَزَني بِعَيْنِهِ[٧] وقالَ: رَحِمَ اللهُ مَنْ أعانَنا بِفاضِلِ ذَيْلِهِ. وَقَسَمَ لَنا مِنْ نَيْلِهِ. ثُمَّ أَخَذَ ما أَخَذَ وَخَلْوتُ بِهِ فَقُلْتُ: أَأَنْتَ مِنْ أَوْلادِ النَّبِيطِ؟ فقَالَ[٨]:

أنا حالي من الزما ن كحالي مع النسبْ[٩]

---

(١) البدرة ألف درهم أو أكثر والذرة النملة الصغيرة أو الجزء من الهباء ويضرب بها المثل في الحقارة والقلة.

(٢) يقال: ذلق السهم إذا حدده، وفوقه إذا أعده للرمي والمراد باللقاء غزو الروم والمعنى أن من أعانني بما طلبت أكافئه بأن أقوم له بالاستعداد لنصرته على عدوه فأنفعه عاجلا وبأن أدعو له الله فأنفعه آجلا.

(٣) استفزني: استهواني واستخفني، رائع: عجيب: بديع.

(٤) سروت: ألقيت: خلعت، والجلباب: ما يلبس فوق الثياب وإضافته إلى النوم من إضافة المشبه به للمشبه كما في قولهم: ذهب الأصيل، ولجين الماء، والتماثل بينهما أن كل واحد منهما يعم البدن.

(٥) عدوت: أسرعت.

(٦) شهره: رفعه، والزي: الهيئة وأراد بقوله: نكره أنه غيره وأخفى نفسه تحت زي لا يعرفه فيه أحد.

(٧) أي أشار إلى إشارة خفية لأتستر عليه ولا أظهر أمره.

(٨) النبيط ككلمة العجم: يطلقها العرب على كل من ليس عربيا وعلى هذا قال أبو العلاء المعري:

أين امرؤ القيس والعذارى إذ مال من تحته الغبيط
استعجم العرب في الموامي بعدك واستعرب النبيط

والموامي جمع موماة وهي الصحراء. وقيل: هو خاص بالإطلاق على جيل كانوا ينزلون بالبطحاء بين العراقين.

(٩) تشبيه مقلوب يريد أن حاله في انتسابه مثل حال الزمان فكما أن الدهر سريع التقلب لا يدوم على حال واحدة ولا يبقى في زي واحد فكذلك هو.

نسبي في يد الزما ن إذا سامه انقلب[١]
أنا أمسي من النبيـ ط و أضحى من العرب[٢]

المقامة الساسانية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشام قالَ: أحلَّتْني دِمَشْقَ بَعْضُ أسْفارِي[٣]. فَبَيْنا أنَا يَوْمًا عَلَى بابِ دارِي. إذْ طَلَعَ عَليَّ مِنْ بَني ساسانَ كَتِيبَةٌ قَدْ لَفُّوا رُؤُوسَهُمْ[٤]. وَطَلَوْا بِالْمَغرَةِ لُبُوسَهُمْ[٥]. وَتأبَّطَ كل وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَجَرًا يَدُقُّ بِهِ صَدْرَهُ[٦]. وَفِيهِمْ زَعِيمٌ لَهُمْ يَقُولُ وَهُمْ يُرَاسِلُونَهُ[٧]. وَيَدْعُو وَيُجاوِبُونَهُ. فَلَمَّا رآني قالَ:

أُريدُ مِنْكَ رَغِيفا يَعْلُو خُوانًا نَظِيفا[٨]
أُرِيدُ مِلْحًا جَرِيشًا أُرِيدُ بَقْلاً قَطِيفا[٩]

---

(١) أي أن الزمان قد امتلك زمام نسبه يصرفه كيف شاء فهو ينتسب طواعية للزمن وحسبما يريد وإضافة اليد للزمان تخييل لتشبيهه بالإنسان المتصرف الكامل القدرة.

(٢) أراد أنه يتغير دائما فالإصباح والإمساء ليس مرادا بهما معناهما الأصلي بل التحول في مطلق زمان.

(٣) بعض فاعل أحل، وأسند الإحلال للسفر لأنه السبب فيه والداعي إليه.

(٤) الكتيبة الجماعة من الجيش وأراد بها هنا مطلق الجماعة، وبنو ساسان المراد بهم الشحاذون والمتسولون.

(٥) طلا الشيء بالشيء جعله له طلاء أي دهن ظاهره به والمغرة طين أحمر يجعل صبغا والمراد أنهم أشاروا بذلك إلى مسكنتهم وسوء حالهم.

(٦) تأبط جعله تحت إبطه ليدق به صدره أي يضرب عليه به وهذه إحدى عوائد المتسولين ليستنزلوا الرحمة من قلوب الناس عليهم وليكون أدعى إلى الإشفاق بهم.

(٧) زعيم القوم: رئيسهم، ويراسلونه: يتابعونه.

(٨) الخوان المائدة قبل وضع الطعام عليها.

(٩) البقل: ما يأكله الناس أثناء طعامهم كالمقدونس مثلا، وقطيفا: أي ورقا بلا جذر ليكون أدعى إلى النظافة.

أُريدُ لَحْمًا غَرِيضًا أُرِيدُ خِلًّا ثَقِيفًا[١]
أُرِيدُ جَدْيًا رَضِيعًا أُرِيدُ سِخْلًا خَرُوفًا[٢]
أُرِيدُ مَاءً بِثَلْجٍ يُغْشِي إِنَاءً طَرِيفًا
أُرِيدُ دَنَّ مُدَامٍ أُقُومُ عَنْهُ نَزِيفًا[٣]
وَسَاقِيًا مُسْتَهِشًّا عَلَى الْقُلُوبِ خَفِيفًا[٤]
أُرِيدُ مِنْكَ قَمِيصًا وَجُبَّةً وَنَصِيفًا[٥]
أُرِيدُ نَعْلًا كَثِيفًا بِهَا أَزُورُ الْكَنِيفَا[٦]
أُرِيدُ مِشْطًا وَمُوسَى أُرِيدُ سَطْلًا وَلِيفًا[٧]
يَا حَبَّذَا أَنَا ضَيْفًا لَكُمْ وَأَنْتَ مُضِيفًا[٨]
رَضِيتُ مِنْكَ بِهَذَا وَلَمْ أُرِدْ أَنْ أَحِيفَا[٩]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَنُلْتُهُ دِرْهَمًا وَقُلْتُ لَهُ: قَدْ آذَنْتُ بِالدَّعْوَةِ وَسَنُعِدُّ وَنَسْتَعِدُّ[١٠]. وَنَجْتَهِدُ وَنَجِدُّ. وَلَكَ عَلَيْنَا الْوَعْدُ مِنْ بَعْدُ[١١] وَهَذَا الدِّرْهَمُ تَذْكِرَةٌ

(١) لحم غريض: طري، وخل ثقيف: شديد الحموضة.

(٢) السخل: ولد الضأن، وأبدل منه خروفا ليدل على أنه أراده ذكرا لأن لحم الذكر من الضأن أطيب من لحم أنثاه.

(٣) نزيفا: سكران. (٤) مستهشا: سريع الطرب، خفيف الحركة، كثير الدعابة.

(٥) القميص والجبة: معروفان، والنصيف: العمامة.

(٦) نعلا كثيفا: ثخينا، وبها يروى.

(٧) السطل: إناء يوضع الماء فيه معروف عند العامة والمراد أدوات النظافة.

(٨) المضيف: صاحب الدار الذي يكون عنده الضيف يقول: إذا قبلتني عندك ضيفا فنعم الضيف أنا ونعم صاحب الدار أنت.

(٩) أحيف: أجور أو أشق عليك يعني أنني أقتنع منك بهذا القدر من الكرامة وما أحب أن أثقل كاهلك بالمطالب.

(١٠) آذنت بالدعوة: أعلمتك بها ورضيتك ضيفا وسنعد: بمعنى نهنئ لك ما طلبت. ونستعد: نتهيأ لملاقاتك واستقبالك.

(١١) أي: لا يكن طمعك في استدعائنا إياك اليوم فانتظره وخذ الآن هذ الدرهم لتتذكرنا به.

مَعَكَ فَخُذِ الْمَنْقودَ. وَانْتظِرِ الْمَوْعُودَ. فَأَخَذَهُ وَصارَ إِلىَ رَجُلٍ آخَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَلْقاهُ بِمِثْلِ ما لَقِيَنِي[١]. فَقالَ:

يا فاضلاً قَدْ تبدّي ... كأنهُ الغصْنُ قدّا[٢]
قد اشْتهى اللّحْمَ ضِرْسي ... فاجْلدْهُ بالْخُبْز جلدَا[٣]
وامْنُنْ علىَ بشيْءٍ ... واجْعلْهُ للْوقْت نقْدَا[٤]
أطْلِقْ مِن الْيدِ خصْرَا ... واحْلُلْ من الْكيس عقْدَا
واضْمُمْ يديْك لأجْلي ... إلى جناحك عمْدَا

قالَ عِيسَى بْنُ هِشام: فَلَمَّا فَتَقَ سَمْعي مِنْهُ هذا الْكَلامُ عَلِمْتُ أَن وَرَاءَهُ فَضْلاً[٥] فَتبِعْتُهُ حَتَّى صارَ إِلىَ أُمِّ مَثْواهُ[٦]. وَوَقَفْتُ مِنْهُ بِحَيْثُ لاَ رَآني وَأَرَاهُ. وَأَماطَ السَّادَةُ لُثُمَهُمْ[٧] فإِذَا زَعِيمُهُمْ أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ: ما هذِهِ الْحِيلَةُ وَيْحَكَ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

هذا الزّمانُ مَشُومْ ... كما تراهُ غشُومْ[٨]

---

(١) أي أنني توهمت أنه حفظ هذا الكلام فهو يقوله لكل من لقيه.

(٢) تبدي: ظهر. قدا: قامة وهذه اللفظة تمييز ومن عادتهم أن يشبهوا القامة بالغصن في اعتداله قال الشاعر وفيه اللف والنشر:

كيف أسلو وأنت حقف وغصن ... وغزال قدا ولحظا وردفا

(٣) يقول: إن ضرسي قد أجرم جرما فظيعا باشتهائه اللحم وإن لم يذق فأصبح يستحق العقوبة فأدها أنت بأن تجلده بالخبز، وقد أبدع جدا في هذه الحيلة لطلب الخبز.

(٤) نقدا: حالا والمعنى لا تؤخر منتك فخير البر عاجله.

(٥) فتق سمعي: خرقها كأنما كانت رتقاء. وفضلا: بقية. والمعنى أنني حينما سمعت كلامه ورأيته يذكر لكل واحد نوعا من فصيح القول وبارع الأسلوب أيقنت أن لهذا المقال بقية وأنه لم ينضب معينه ولم تنفد كلماته.

(٦) المثوى: الإقامة. وأم مثواه: كناية عن امرأته لأنها موجودة حيث يقيم أو لأنها التي تحمله على الإقامة.

(٧) أماط: أزاح. لثمهم: جمع لثام وهو ما يغطي الوجه.

(٨) مشوم: أي جالب للشؤم آت بالنحس، وغشوم: قاس. ظالم: شديد عات.

الحُمْقُ فيهِ مليحٌ والعقلُ عيبٌ ولُومُ[١]
والمالُ طَيفٌ ولكنْ حولَ اللئامِ يحومُ[٢]

المقامة القردية

حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: بَيْنا أَنا بِمَدينَةِ السَّلامِ[٣]. قافِلاً مِنَ الْبَلَدِ الْحَرامِ[٤]. أَمِيسُ مَيْسَ الرِّجْلَةِ[٥]. عَلَى شاطِيءِ الدِّجْلَةِ[٦] أَتَأَمَّلُ تِلْكَ الطَّرائفَ. وَأَتَقَصَّى تِلْكَ الزَّخارِفَ[٧]. إِذِ انْتَهَيْتُ إِلى حِلْقَةِ رِجالٍ مُزْدَحِمينَ يَلْوي الطرَبُ أَعْناقَهُمْ وَيَشُقُّ الضَّحِكُ أَشْداقَهُمْ[٨]. فَساقَنِي الْحِرْصُ إِلى ما ساقَهُمْ. حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ رَجلٍ دُونَ مَرْأَى وَجْهِهِ لِشِدَّةِ الهَجْمَةِ. وَفَرْطِ الزَّحْمَةِ[٩]. فإِذَا هُوَ قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ.

---

(١) الحمق: الغباوة وضعف العقل، ولوم: مخفف لؤم مهموزا والمعنى أن الجهالة وضعف المدارك أمر مستحسن مقبول في زمننا هذا والعقل منقصة ومذمة:

كم عالم عالم أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

(٢) الطيف: الخيال الذي يمر بك في نومك. ويحوم: يدور والمعنى أن المال سريع في انتقاله سرعة الطيف وشيك التحول كثير التردد ولكنه إنما يدور على اللئام ويقع لدى الخبيثين، فمن شاء أن يثري أو يكون ذا بسطة من المال فليس له إلا أن يتصف بصفاتهم ويتخلق بأخلاقهم.

(٣) مدينة السلام هي بغداد.

(٤) قافلا: راجعا وآيبا، والبيت الحرام المراد مكة.

(٥) أميس: أتبختر في مشيتي، والرجلة: نوع من البقل تنبت في مجرى السيل وتسارع في الكبر فيأتيها الماء فيقتلعها وبها يضرب المثل في الحمق وتسمى البقلة الحمقاء.

(٦) الدجلة نهر ببغداد هو والفرات صنوان.

(٧) الطرائف: جمع طريفة وهي الأمر الجميل المستحدث ومثلها الطرفة بضم أوله واتقصى: أبالغ في البحث كأنه من أقصى الشيء بمعنى غايته ونهايته.

(٨) يعني أنه ظهرت علائم الغرابة عليهم في التواء أعناقهم وكثرة ضحكهم.

(٩) يعني أن زحام الواقفين وكثرتهم منعاني عن رؤيته وإن كنت بحيث أسمع صوته.

وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ . فَرَقَصْتُ رَقْصَ الْمُحَرَّجِ[١] . وَسِرْتُ سَيْرَ الأَعْرَجِ[٢] . فَوْقَ رِقابِ النَّاسِ يَلْفِظُنِي عاتِقُ هذا السُّرَّةِ ذَاكَ حَتَّى افْتَرَشْتُ لُحِيَةَ رَجُلَيْنِ . وَقَعَدْتُ بَعْدَ الأَيْنِ[٣] . وَقَدْ أَشْرَقَنِي الْخَجَلُ بِرِيقِهِ[٤] . وَأَرْهَقَنِي الْمَكانُ بِضِيقِهِ[٥] . فَلَمَّا فَرَغَ الْقَرَّادُ مِنْ شُغْلِهِ . وَانْتَفَضَ الْمَجْلِسُ عَنْ أَهْلِهِ قُمْتُ وَقَدْ كَسانِي الدَّهَشُ حُلَّتَهُ[٦] وَوَقَفْتُ لأَرى صُورَتَهُ . فإِذَا هُوَ واللهِ أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : مَا هذِهِ الدَّناءَةُ وَيْحَكَ[٧] ؟! . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلُذْتُ لِلأَيامِ لا لِي
فَاعْتَبْ عَلَى صَرْفِ اللَّيالِي[٨]
بِالْحُمْقِ أَدْرَكْتُ الْمُنَى
وَرَفَلْتُ فِي حُلَلِ الْجَمالِ[٩]

---

(١) أراد أسرعت في السير إليه لاكتشاف حاله كما يسرع الكلب الذي علمه صاحبه شدة العدو وسرعة القفز .

(٢) المراد أنه كان يتلوى في سيره ذات اليمين وذات الشمال .

(٣) الاين : التعب والإعياء والكلال ، وأراد أنه جلس في شدة الزحمة فكأنه جلس على وجوه الناس .

(٤) أشرقني : أغصني ، والخجل : الحياء الشديد والمعنى أنني خجلت حتى سال ريقي لدرجة أني غصصت به فإضافة الريق للخجل من إضافة الشيء إلى سببه .

(٥) أرهقني : كلفني شدة وحملني مشقة .

(٦) حلته : لباسه ، وشبه الدهش بإنسان يكسوه بلبوسه وأضاف الحلة إليه تخييلا .

(٧) الدناءة : الخسة والمعنى كيف تتعاطي هذه الحرفة الخسيسة التي لا يحترفها غير أدنياء النفوس .

(٨) صرف الليالي : محنها ومصائبها ، والمعنى إنه لا ذنب لي في انتهاج هذه الخطة لأن شدائد الدهر هي التي ساقتني إليها فإن كنت عاتبا ولابد فاجعل عتابك موجها لها .

(٩) المعنى أنني نلت ما تمنيت وبلغت ما أملت بتجاهلي إذ أن الزمن لا يسعف إلا الجهلاء .

المقامة الموصلية

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ:

لَما قَفَلْنا مِنَ الْمَوْصِلِ[١]. وهَمَمْنا بِالْمَنْزِلِ[٢]. وَمُلِكَتْ عَلَيْنا الْقافِلَةُ. وَأُخِذَ مِنَّا الرَّحْلُ وَالرَّاحِلَةُ جَرَتْ بِي الْحُشاشَةُ إِلَى بَعْضِ قُراها[٣] وَمعَى الإِسْكَنْدَرِي أَبُو الْفَتْحِ فَقلْتُ أَيْنَ نَحْنُ مِنَ الْحِيلَةِ؟[٤]. فَقالَ: يَكْفِي اللهُ[٥]. وَدُفِعْنا إِلَى دَارٍ قَدْ ماتَ صاحِبُها. وَقامَتْ نَوادِبُها. وَاحْتَفَلَتْ بِقَوْمٍ قَدْ كَوَي الْجَزَعُ قُلُوبَهُمْ[٦]. وَشَقَّتِ الْفَجِيعَةُ جُيُوبَهُمْ[٧]. وَنِساءٍ قَدْ نَشَرْنَ شُعُورَهُنَّ[٨]. يَضْرِبْنَ صُدُورَهُنَّ وَجَدَدْنَ عُقودَهُنَّ. يَلْطِمْنَ خُدُودَهُنَّ[٩].

---

(١) الموصل بلدة بين العراق والجزيرة ويقال لها وللجزيرة: موصلان تغليبا.

(٢) هم بالشيء وتهممه طلبه والمعنى وطلبنا دارا نحلها وننزل فيها.

(٣) أي تاقت نفسي ورغبت في الخروج إلى بعض القرى طلبا للرياضة وترويحا للنفس. والحشاشة ما تبقى من الحياة وكأن السفر أجهده وأنهك جسمه حتى عبر بذلك.

(٤) أي ما قيمة اتصالنا بها وقدرتنا عليها وهل نحن بمقربة منها فنستطيع أن نجري فيها شوطًا ونبلغ بها مأربا.

(٥) أراد إيكال الأمر له تعالى وأنه الذي يقدرهم على استعمال الحيلة وهي كلمة تقال في العادة عند العزم على ارتكاب الأمر وفعله مثل: إن شاء الله.

(٦) الجزع: الحزن وقد شبهه بالنار في شدة تأثيره وقوة فعله فيهم وأسند الفعل وهو كوى إليه على سبيل الاستعارة التخييلية.

(٧) الجيوب جمع جيب وهي طوق القميص ونحوه من الثياب وفي الحديث. (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب).

(٨) نشرن شعورهن: أرسلنها وتركنها غير مجدلة.

(٩) شددن عقودهن: جمع عقد بفتح أوله أي ربطن على أعناقهن وبعض المواضع من جسمهن ليتسنى لهن اللطم وفي بعض النسخ جددن بالجيم بدل شددن والمعنى قطعن عقودهن والمراد بالعقود على هذا القلائد.

فَقالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: لَنا فِي هذا السَّوادِ نَخْلَةٌ. وَفِي هذا الْقَطِيعِ سَخْلَةٌ[١]. وَدَخَلَ الدَّارَ لِيَنْظُر إِلَى الْمَيْتِ وَقَدْ شُدَّتْ عِصابَتُهُ لِيُنْقَلَ. وَسُخِّنَ ماؤُهُ لِيُغْسَلَ. وَهُيِّئَ تابُوتُهُ لِيُحْمَلَ. وَخِيطَتْ أَثوابُهُ لِيُكفَّنَ. وَحُفِرَتْ حُفْرَتُهُ لِيُدْفَنَ[٢]. فَلَمَّا رَآهُ الإِسْكَنْدَرِيُّ أَخَذَ حَلْقَهُ. فَجَسَّ عِرْقَهُ. فقالَ: يا قَوْمُ اتَّقُوا اللهَ لا تَدْفِنُوهُ فَهُوَ حَيٌّ وَإِنَّمَا عَرَتْهُ بَهْتَةٌ. وَعَلَتْهُ سَكْتَةٌ[٣]. وَأنا أُسَلِّمُهُ مَفْتُوحَ الْعَيْنَيْنِ[٤]. بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فقالُوا: مِنْ أَيْنَ لَكَ ذلِكَ؟ فقالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذا ماتَ بَرَد اسْتُهُ[٥] وهذا الرَّجُلُ قَدْ لَمَسْتُهُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ حَيٌّ فَجَعَلوا أَيْدِيهُمْ في اسْتِهِ. فَقالوا: الأَمْرُ عَلَي ما ذَكَرَ. فافْعَلوا كَما أَمَرَ[٦]. وقامَ الإِسْكَنْدَرِيُّ إِلَى الْمَيْتِ. فَنَزَع ثِيابَه ثُمَّ شَدَّ لهُ الْعَمائِمَ[٧]. وعَلَّقَ عَلَيْهِ تَمائِمَ[٨]. وأَلْعَقَهُ الزَّيْتَ[٩]. وَأَخْلَى لهُ الْبَيْتَ. وقالَ: دَعُوهُ. وَلا تُرَوِّعُوهُ[١٠]. وإِنْ سَمِعْتُمْ لهُ أَنِينًا فلاَ تُجِيبُوهُ. وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ شاعَ الْخَبَرُ

---

(١) المراد بالسواد: النخيل المتكاثف وعبر عنه بذلك لأن لون السواد هو الظاهر الغالب عليه ومنه قيل لريف العراق ورساتيقها سواد والقطيع جماعة الغنم والسخلة ولد الضأن ذكرا أو أنثى والمعنى أن لنا في هذا المكان لمنفعة.

(٢) المراد من كل هذا الدلالة على أن الجميع قد أيقنوا بموته وتأكدوا من مفارقته الحياة فاشتغلوا بإعداد ما يلزم لمواراته التراب إكراما له لأن كرامة الميت في سرعة دفنه.

(٣) عرته: نزلت به ودهته، وبهتة: بغتة أي أمر منعه عن الحديث وشبهه من أمارات الحياة، وسكتة نازلة بالمخ تعطل المرء عن أعمال الأحياء وقد لا يكون ميتا فيتوهم من يراه أنه مات.

(٤) أي حيا.

(٥) يروى: برد أبطه وهي أكثر أدبا وتحشما بل وأقرب إلى العقل وذلك أن الإبط مكان كثير الدفء في حال الحياة بما يكون من اجتماع العضد إليه.

(٦) أي إننا وجدنا الأمر كما قال فامتثلوا أمره واعملوا بإشارته.

(٧) العمائم جمع عمامة وهي علامة الأحياء فوق رءوسهم كالعصائب للأموات.

(٨) التمائم: جمع تميمة وهي ما يوضع على وجه الصبي والمسحور ونحوهما لتقيهما العين كالتعويذ قال بعض الشعراء:

بلاد بها حل الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

(٩) ألعقه وضع في فمه وإنما ألعقه الزيت ليلين منه ما يبس ويطري ما جف.

(١٠) أي اتركوه ولا تزعجوه بأصواتكم.

وَانْتَشَرَ. بِأَنَّ الْمَيْتَ قَدْ نُشِرَ. وأَخَذَتْنا الْمَبارُّ. مِنْ كُلِّ دَارٍ[١]. وانْثالَتْ عَلَيْنا الْهَدَايا مِنْ كُلِّ جَارٍ[٢]. حَتَّى وَرِمَ كيسُنا فِضَّةً وتِبْرًا[٣] وامْتَلأَ رحْلُنا أقطًا وتَمْرًا[٤]. وَجَهِدْنا أنْ نَتَهزَ فُرْصَةً[٥] في الهَرْبِ فَلَمْ نجِدْها حَتَّى حَلَّ الأَجَلُ الْمَضْرُوبُ وَاسْتُنْجِزَ الوَعْدُ المَكْذُوبُ[٦] فقالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: هَلْ سَمِعْتُمْ لِهَذَا الْعَلِيلِ رِكْزًا[٧]. أوْ رأَيْتمْ مِنْهُ رَمْزًا؟[٨]. فقالُوا: لا. فقالَ: إنْ لَمْ يَكُنْ صَوَّتَ مُذْ فارَقْتُهُ. فَلَمْ يَجِيءْ بَعْدُ وَقْتُهُ[٩]. دَعُوهُ إلى غَدٍ فإِنَّكُمْ إذا سَمِعتُمْ صَوْتَهُ. أَمِنْتمْ مَوْتَهُ. ثُمَّ عَرِّفُوني لأَحْتالَ في عِلاجِهِ. وَإِصْلاحِ ما فَسَدَ مِنْ مِزاجِهِ[١٠]. فَقالوا: لا تُؤَخِّرْ ذلِكَ عَنْ غَدٍ. قَالَ: لا.

فَلَمَّا ابْتَسَمَ ثَغْرُ الصُّبْحِ[١١] وَانْتَشَرَ جَناحُ الضَّوِّ. في أُفُقِ الْجَوِّ جاءَهُ الرِّجالُ

---

(١) المبار: جمع مبرة وهي العطية وكأن الميت كان عزيزا لدى الجميع من جيرته وعارفيه حتى لم تبق دار إلا وقد جاءتهما صلة منها. (٢) انثالت: انهالت وتتابعت.

(٣) التبر: الذهب قبل أن يسك نقودا، والمراد: أنه وصل إليهما ما لم يطق كيسهما حمله حتى لقد ورم أي انفتخ.

(٤) الرحل: الوعاء يوضع فيه متاع المسافرين كالعدل ونحوه، والأقط: اللبن يجعل فيه الملح ويجفف وربما سمى جبنا والتمر معروف والمراد أن العطايا لم تقتصر على النقود بل كان منها بعض المطاعم الجافة التي يستطيع المسافر حملها.

(٥) جهدنا: أي بذلنا كل ما في وسعنا لنجد وقتا يشتغل عنا القوم فيه فنطلق لأنفسنا العنان طلبا للنجاة منهم وخوفا لما عساه أن يكون حينما تفتضح حيلتنا وتظهر خدعتنا.

(٦) أي طلبوا منا الوفاء بما وعدهم الإسكندري.

(٧) الركز: الصوت الخفي وفي التنزيل (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا).

(٨) رمزا: إشارة. والمراد هل ظهرت عليه أمارة الحياة؟.

(٩) أي أن لهذه التمائم وقتا يظهر إذا ظهر صوته فما دام لم يفعل فإن الوقت لم يحن.

(١٠) أي اتركوه إلى غد ليصوت فتظهر فائدة هذه التمائم ومتى فعل ذلك لم تبق من خشية عليه ويريد بهذا تأجيل المواعيد لعله يتمكن من الهرب.

(١١) أي حينما لاح النهار وظهرت تباشير الصباح والمراد أنهم سارعوا إليه بمجرد طلوع النور وانفلاق الظلام.

أَفْوَاجًا[١]. وَالنِّساءُ أَزْوَاجًا. وَقالوا: نُحِبُّ أَنْ تَشفِي الْعَليلَ. وَتَدَعَ الْقالَ وَالْقِيلَ[٢]. فَقالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: قُومُوا بِنا إِلَيْهِ ثُمَّ حَدَرَ التمائِمَ عَنْ يَدِهِ[٣] وَحَلَّ الْعَمائِمَ عَنْ جَسَدِهِ[٤]. وَقالَ: أَنِيمُوهُ عَلَي وَجْهِهِ. فأُنِيمَ. ثُمَّ قالَ: أَقِيمُوهُ عَلَى رِجْلَيْهِ. فأُقِيمَ. ثُمَّ قالَ: خَلُّوا عَنْ يَدَيْهِ. فسَقَطَ رَأْسِيًّا[٥] وَطَنَّ الإِسْكَنْدَرِيُّ بِفِيهِ[٦] وَقالَ: هُوَ مَيْتٌ كَيْفَ أُحْيِيهِ؟. فَأَخَذَهُ الْخُفُّ[٧]. وَمَلَكَتْهُ الأَكُفُّ. وَصَارَ إِذَا رُفِعَتْ عَنْهُ يَدٌ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أُخْرى.

ثُمَّ تَشاغَلُوا بتَجْهِيزِ الْمَيْتِ. فانْسَلَلْنا هارِبِينَ حَتَّى أَتَيْنا قَرْيَةً عَلى شَفِيرِ وَادٍ[٨] السَّيْلُ يُطَرِّفُها[٩] وَالمَاءُ يَتَحَيَّفُها[١٠]. وَأَهْلُها مُغْتَمُّونَ لاَ يَمْلِكُهُمْ غُمْضُ اللَّيْلِ[١١]. مِنْ خَشْيَةِ السَّيلِ.

---

(١) جماعات يتلو بعضهم بعضا.

(٢) العليل: المريض لأنهم اعتقدوا ذلك والمعنى أنا لا نقبل منك التسويف والإمهال ولا نرضى إلا أن تشفيه كما زعمت.

(٣) حدر: أبعدها ونحاها عن مكانها.

(٤) كانت العمائم فوق رأسه فقط فعبر عنها بالجسد تعبيرا باسم الكل عن البعض.

(٥) سقط رأسا: أي على رأسه علامة على أنه لم يتمالك نفسه ولم يستطع القيام وذلك دلالة الموت ويروى: رأسيا أي ثابتا لا يتحرك.

(٦) الطنين: صوت الذباب. ولما كان الخجل قد عقد لسانه وحبس صوته عبر به إذ هو أضعف الأصوات.

(٧) الخف: الحذاء. وأخذه أي أخذوه به وأراد ضربوه إهانة لقدره واستصغارا لشأنه ويروى الجف بالجيم وهو الكثير من الناس ومعنى ملكته الأكف أنها أحاطت به وتناولته من كل جهة حتى صار كعبد امتلكته فليس في طوقه الفزار منها.

(٨) شفير الوادي: أعلا حرفه.

(٩) يطرفها أي يجعل بعض أطرافها في البعض الآخر لأنه إذا سال في طرف انتقل سكانه إلى الطرف الثاني مأخوذ من قولهم طرف الخيل إذا رد بعضها على بعض.

(١٠) يتحيفها: يجور عليها فينقص أطرافها.

(١١) الغمض: النوم وقد شبهه بإنسان له سطوة ونفوذ يمتلك بهما وأسند إليه الفعل تخييلا.

فقالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: يا قَوْمُ أَنا أَكْفيكُمْ هذا الْمَاءَ وَمَعَرَّتَهُ[١]. وَأَرُدُّ عَنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ مَضَرَّتَهُ. فأَطيعوني. وَلاَ تُبْرِمُوا أَمْرًا دُوني[٢]. قَالوا: وَما أَمْرُكَ؟ فقَالَ: اذْبَحُوا في مَجْرَى هذَا الْماءِ بَقَرَةً صَفْرَاءَ. وَأْتُوني بِجَارِيَةٍ عَذْرَاءَ[٣]. وَصَلُّوا خَلْفِي رَكْعَتَيْنِ يَثْنِ اللهُ عَنْكُمْ عِنان هذَا الْماءِ. إِلَى هذِهِ الصَّحْراءِ[٤]. فإِن لَمْ يَثْنِ فَدَمِي عَلَيْكُمْ حَلالٌ[٥]. قَالوا: نَفْعَلُ ذلِكَ.

فَذَبَحُوا الْبَقَرَةَ وَزَوَّجُوهُ الْجَارِيَةَ وَقَام إِلَى الرَّكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا. وَقَالَ: يَا قَوْمُ احْفَظُوا أَنْفُسكمْ لاَ يَقَعْ مِنْكُمْ فِي الْقِيَامِ كَبْوٌ. أَوْ فِي الرُّكوعِ هَفْوٌ. أَوْ فِي السُّجُودِ سَهْوٌ. أَوْ فِي الْقُعودِ لَغْوٌ[٦]. فَمَتَى سَهَوْنَا خَرَجَ أَمَلُنَا عَاطِلاً. وَذَهَبَ عَمَلُنا باطِلاً[٧]. وَاصْبُروا عَلَى الرَّكْعَتَينِ فَمَسَافَتُهُمَا طَوِيلَةٌ، وَقَامَ لِلرَّكْعَةِ الأُولَى فانْتَصَبَ انْتِصَابَ الْجِذْعِ[٨]. حَتَّى شَكَوْا وَجَعَ الضِّلْعِ[٩]. وَسَجَدَ. حَتَّى ظَنوا أَنَّهُ قَدْ

---

(١) معرته: أذاه. ولما كان في هجوم السيل عليهم خروج لهم من ديارهم وظهور لحرائرهم عبر عن أذاه بالمعرة التي هي الفضيحة والعار.

(٢) أي لا تبتوا في هذا الشأن برأي ما لم أشاركم فيه.

(٣) عذراء: بكر، وأراد بتخصيص البقرة بأن تكون صفراء أن يوهمهم أن لهذا اللون خاصة وأنهم متى فعلوا نجحوا في أملهم ولم تخب ظنونهم وليوجه أفكارهم إلى قصة بني إسرائيل والقتيل وأن الله اختار لهم هذا اللون في بقرتهم حيث قال: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩].

(٤) يثنى يحول وكأنه فرض الماء دابة جموحا فأضاف إليه العنان وهو اللجام.

(٥) أي إذا لم يكن ما أردتم وهو تحويل الماء عنكم بعد هذا الذي أمرتكم به فقد أبحت لكم أن تقتلوني.

(٦) كبو: أي لا تملوا الوقوف ولا تتعبوا منه فتكبوا أي تقعوا، هفو أي لا تسأموا طول الركوع فتسرعوا إلى القيام، من هفا يهفو إذا أسرع سهو: أي لا تستطيلوا السجود مهما بلغ فيسهو أحدكم فيرفع رأسه، لغو. أي لا تقرأوا غير الوارد في السنة مهما امتد أجل القعود.

(٧) أي أن نجاح آمالنا موقوف على أداء الصلاة على وجهها الذي ذكرت لكم.

(٨) أي وقف معتدلا اعتدال جذع النخلة ثابتا ثباته لا يتحرك ولا يميل.

(٩) إذا طال القيام بلا حركة ملت الأعضاء وتألمت الأضلاع وهو قد أطال عليهم حتى أحسوا بذلك.

هَجَدَ[١] . وَلَمْ يَشْجُعُوا لِرَفْعِ الرُّؤُوسِ . حَتَّى كَبِرَ لِلْجُلوسِ ثُمَّ عَادَ إِلَى السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ وَأَوْمأَ إِلَيَّ[٢] فَأَخَذْنَا الْوَادِيَ وَتَرَكْنَا الْقَوْمَ سَاجِدِينَ لاَ نَعْلَمُ مَا صَنَعَ الدَّهْرُ بِهِمْ .

فَأَنْشَأَ أَبُو الْفَتْحِ يَقُولُ :

لا يُبْعِدِ اللهُ مِثْلِي ... وَأَيْنَ مِثْلِي أَيْنَا؟
لِلَّهِ غَفْلَةُ قَوْمٍ ... غَنِمْتُهَا بِالْهُوَيْنَا!
اكْتَلْتُ خَيْرًا عَلَيْهِمْ ... وَكِلْتُ زُورًا وَمَيْنَا[٣]

المقامة المضيرية

حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ :

كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ[٤] وَمَعِي أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ رَجُلُ الْفَصاحَةِ يَدْعُوهَا فَتجِيبُهُ . وَالْبَلاَغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ[٥] . وَحَضَرْنا مَعَهُ دَعْوَةَ بَعْضِ التُّجَّارِ فَقُدِّمَتْ إِلَيْنا

---

(١) هجد : نام ، أي أنه أطال في السجود حتى حسبوا أن النوم قد غلبه ومع ذلك فإنهم لم يستطيعوا أن يرفعوا رؤوسهم خوفا مما حذرهم منه وهو ضياع المقصود .

(٢) أومأ إلي : أشار لي إشارة خفية لأقوم معه .

(٣) يقول : إنني رجل داهية يندر وجود مثلي في الدهاء والحيلة ولقد استطعت أن أصل إلى ما أغلق دون الناس جميعا بدون كد ولا إجهاد وأخذت منهم عظيما ومع ذلك لم أعطهم شيئا غير الكذب والخداع .

(٤) البصرة مدينة معروفة اختطها عتبة بن غزوان صاحب رسول الله ﷺ وبأمر أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة من الهجرة كانت مساحتها في عهد خالد القسري فرسخين في مثلهما وبلغ عدد سكانها في عهد المنصور الخليفة العباسي مبلغا عظيما حتى لقد أرادوا أن يقسموا على من يستحق العطاء ألف ألف درهم فلم يأخذ كل واحد أكثر من درهمين .

(٥) أي أنه الوحيد المالك لزمام البلاغة والمصرف لاعنتها والقدير على رياضتها وهي لا تعصى له أمرا ولا تخالف له رغبة ما شاء تشاء وما كره تكره .

مَضِيرَةٌ[١] تُثْني عَلَى الْحَضارَةِ[٢]. وَتَترَجْرَجُ في الْغَضارَةِ[٣]. وَتُؤْذِنُ بِالسَّلامَةِ[٤]. وَتَشْهدُ لِمُعاوِيةَ رَحِمَهُ اللهُ بِالإمامَةِ[٥]. في قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْها الطَّرْفُ. وَيَمُوجُ فِيها الظَّرْفُ[٦]. فلَمَّا أَخَذَتْ مِنَ الْخُوانِ مَكانَها[٧]. وَمِنَ الْقُلوبِ أَوْطانَها[٨]. قامَ أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ يَلْعَنُها وَصاحِبَها. وَيَمْقُتُها وآكِلَها. وَيَثْلِبُها وَطابِخَها[٩]. وَظَنَنَّاهُ يَمْزَحُ فإِذَا الأَمْرُ بِالضِّدِّ. وَإِذَا الْمِزَاحُ عَيْنُ

---

(١) المضيرة نوع من الطعام يتخذ من اللحم واللبن الحامض وربما أضيف إليه الحليب ثم يوضع على ذلك التوابل والأبزار.

(٢) أي تدل على أن أهل الحضر أقدر في صنعها من البدو فتشهد لهم بطول الباع.

(٣) تترجرج: تموج وتتحرك، والغضارة القصعة.

(٤) أي أن من يأكلها لا يتشكى ولا يتألم وذلك من أسباب الإقبال عليها ودواعي التسارع إليها.

(٥) كان جلساء معاوية رضي الله عنه يقولون: إن طعامه دسم. ولم يشايعه في إمامته حال حياة علي كرم الله وجهه غير من يريدون ذلك فلو كانت هذه المضيرة عنده لكانت من دواعي التفافهم حوله.

(٦) يزل: ينبو، ويبعد، ويزلق، والطرف: العين. ويروى يكل من الكلال وهو الإعياء والتعب، وأصل الظرف: ذلاقة اللسان وحسن البيان وقوة العارضة في الذي يأخذ القلب ويملك النفس، وأراد منه هنا مجرد الحسن والجمال من باب إطلاق المسبب وإرادة السبب، والمعنى أن هذه القصعة كانت براقة كثيرة التألق شديدة اللمعان، بهجة الرواء حتى أن البصر لا يثبت عليها ولا يستطيع إدامة رؤيتها لأن أشد الأشياء تفريقا للعين أكثرها وميضا وبريقا وأنها وسيعة بعيدة الجوانب حتى أن الحسن والبهاء ليموجان فيها.

(٧) الخوان- كما سبق مرارا- ما يوضع عليه الطعام ومعنى أنها أخذت مكانها منه: أنها وضعت عليه.

(٨) الوطن هو المحل الذي يلازمه الإنسان في أغلب حياته، وذلك كناية عن أن جمال المضيرة قد شغف قلوبهم وحل منها محل الحبيب من قلب المحب.

(٩) مقته يمقته مقتا ومقاتة: أبغضه وكرهه، ومثله مقته (بالتضعيف) فهو مقيت وممقوت، وثلبه يثلبه- من باب ضرب- لامه، وعابه، وطرده، وثلمه والاسم المثلبة (بفتح اللام وتضم) والمعنى أنه ما فتئ يسب ويشتم ويلوم ويلعن كل من كانت له يد في تقديم هذه المضيرة.

الْجِدِّ[١] . وَتَنَحَّى عَنِ الْخوانِ[٢] . وتَرَكَ مُساعَدَةَ الإِخْوَانِ. وَرَفَعْناها فارْتَفَعَتْ مَعَها الْقُلوبُ وَسافَرَتْ خَلْفَها الْعُيُونُ[٣] وَتَخلَّبَتْ لَها الأَفْواهُ[٤] . وَتَلَمَّظَتْ لَها الشِّفاهُ[٥] . وَاتَّقَدَتْ لَها الأَكْبادُ وَمَضَى في إِثْرِها الْفُؤَادُ[٦] . وَلكِنا ساعَدْناهُ عَلَى هَجْرِها وَسأَلْناهُ عَنْ أَمْرِها[٧] .

فقالَ: قِصَّتي مَعَها أَطْوَلُ مِنْ مُصِيبتي فِيها. وَلَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِها لَمْ آمَنِ الْمَقْتَ. وَإِضاعَةَ الْوقتِ[٨] . قُلْنا: هاتِ. قالَ: دَعاني بَعْضُ التُّجَّارِ إِلَى مَضِيرَةٍ وَأَنَا بِبَغْدَادَ وَلزِمَنِي مُلازَمَةَ الْغَرِيمِ. وَالْكَلْبِ لأَصْحابِ الرَّقِيمِ[٩] . إِلى أَنْ أَجَبْتُهُ إِلَيْهَا وَقُمنا فَجَعلَ طُولَ الطَّرِيقِ يُثْنِي عَلَى زَوْجَتِهِ. وَيُفَدِّيها بِمُهْجَتِهِ. وَيَصِفُ حِذْقَها في

---

(١) المعنى: أننا ما كنا نتوهم أنه يكون جادا في كلامه لما كانت عليه المضيرة من البهاء والرونق ولكنه كان حقيقة جادا.

(٢) تنحى: ابتعد.

(٣) يعني أننا كنا نتمنى لو دامت أمامنا فلما رفعناها كراهية منا توجهت إليها قلوبنا وانصرفت نحوها أعيننا.

(٤) أي سال لعابها وجرى ريقها.

(٥) أصل التلمظ إخراج اللسان: ليأخذ ما على الشفتين من آثار الطعام، وقد أسنده إلى الشفتين لأنه لا بد من حركتهما حينذاك، وكأنهم تخيلوا أنهم طعموا منها فتلمظوا.

(٦) اتقدت: احترقت، وإنما يحترق كبد المرء إذا فقد عزيزا عليه، وذلك كناية عن شدة تألمهم لتفويته عليهم لذة التمتع بأكلها، ومضى الفؤاد: أي أنه قد ذهل كل منا وأخذته الدهشة فكأنه قد ضاع صوابه وفقد رشده.

(٧) المعنى أننا وافقناه على ما فعل وأظهرنا له الرضا عنه والقبول لتركها غير أننا سألناه عن الذي دعا إلى ذلك إذ لم يكن تركها مما يعد أمرا مرضيا فنسكت عنه.

(٨) أي أن الحادثة يطول بي شرحها فلو أني حدثتكم بها لخفت منكم كراهيتي ولم آمن أن يضيع في سردها وقت نكون في حاجة إليه.

(٩) أصحاب الرقيم هم أصحاب الكهف الذين جرى ذكرهم في الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩] وكان لهم كلب لم يفارقهم. والغريم صاحب الدين وهو لا يفارق مدينه ولا يخفف عليه الطلب.

صَنْعَتِها. وَتأنقها في طَبْخِها[١]. وَيَقُولُ: يا مَوْلايَ لوْ رأيْتَها. وَالْخِرْقَةُ في وَسْطِها[٢]. وَهْيَ تَدُورُ في الدُّوْرِ. مِنْ التَّنُّورِ إلَى الْقُدُورِ. وَمِنَ الْقُدُورِ إلى التَّنُّورِ[٣]. تَنْفُثُ بِفِيها النَّارَ[٤]. وَتَدُقُ بِيَدَيْها الأَبْزَارَ[٥]. وَلوْ رأَيْتَ الدُّخَانَ وَقَدْ غَبَّرَ في ذلِكَ الوَجْهِ الْجَمِيلِ. وَأَثَّرَ في ذلِكَ الْخَدِّ الصَّقِيلِ[٦]. لرَأَيْتَ مَنْظَرًا تَحارُ فِيهِ الْعُيُونُ. وَأَنَا أعْشقُها لأَنَّها تَعْشَقُني. وَمِنْ سَعادَةِ المَرْءِ أنْ يُرْزَقَ المُساعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِهِ. وَأنْ يُسْعَدَ بِظَعِينَتِهِ[٧] وَلاَ سِيَّما إذَا كانَتْ مِنْ طِينَتِهِ. وَهيَ ابْنَةُ عَمِّي لَحًّا[٨]. طِينَتُها طِينَتي. وَمَدِينَتها مَدِينَتي. وَعُمُومَتها عُمُومَتي. وَأرُومَتُها أرُومَتي[٩]. لكِنها

---

(١) يثني على زوجته: يمدحها ويذكر محاسنها، يفديها بمهجته: يجعل نفسه فداء لها وذلك كناية عن عزتها عليه ومحبته لها، والحذق- بكسر أوله وفتحه- ومثله الحذاق والحذاقة- بكسرهما وفتحهما كذلك- المهارة، وفعله حذق (بوزني ضرب وعلم). وتأنق في عمله: صنعه بالإتقان والحكمة ومثله تنوق: والمعنى أنه ظل يصف لي مهارة زوجه في الذي تصنع ويحدثني عن إتقانها وحكمتها في عملها. والضمائر عائدة على زوجته، وإذا كانت ماهرة في جميع أعمالها فهي لاشك حاذقة في صنع المضيرة. وربما صح عودها على المضيرة.

(٢) الخرقة: لباس يجعله الطاهي (الطباخ) فوق صدره ويرسله إلى آخر ثيابه ليتقي به الوضر والدهن ورشاش الطعام وتسمى الآن بمصر (الفوطة). والجملة كناية عن نظافتها واهتمامها بالتأنق والإجادة.

(٣) التنور ما يخبز فيه أنواع الخبز والقدور جمع قدر وهو الإناء الذي يطبخ فيه. (٤) تنفث: تنفخ.

(٥) الأبزار والأبازير: مايوضع على الطعام لتمليح طعمه وإعطائه نكهة طيبة كالفلفل والقرنفل ونحوهما.

(٦) الخد الصقيل: المجلو النظيف ويروى الأسيل وهو اللين المستطيل.

(٧) أصل الظعينة المرأة في الهودج وأراد منها هنا المرأة فقط من إطلاق المقيد على المرسل والمعنى: أن من تمام رفاهية الإنسان واطمئنان عيشته واستتباب راحته أن تكون زوجته مساعدة لا خالفة ولا مشاكسة بحيث تطيعه إذا أمر وتسره إذا نظر وتحفظه إذا غاب وتفرحه إذا حضر.

(٨) لحا: أي قرابة متصلة، أي أقرب أخ لأبي.

(٩) الأرومة الأصل وهي بفتح الأول- ويضم- والجمع: أروم. وأراد من الطينة المنبت والمعنى أنني وأياها نشترك في المنبت (أي مكان الوجود) والمقام (أي مكان الإقامة) والعمومة والأصل فهي أشبه الناس بي وأنا أشبه الناس بها ولم تكن تليق إلا لي ولم أكن أجمل إلا لها.

أَوْسَعُ مِنِّي خُلْقًا[١]. وَأَحْسَنُ خَلْقًا وَصَدَعَني بِصِفاتِ زَوْجَتِهِ. حَتَّى انْتَهَيْنا إلى مَحَلَّتِهِ[٢]. ثُمَّ قالَ: يا مَوْلايَ تَرى هذِهِ الْمَحَلَّةَ. هيَ أَشْرَفُ مَحالِّ بَغْدادَ يَتَنافَسُ الأَخْيارُ في نزُولِها. وَيَتَغايَرُ الْكِبارُ في حُلُولِها[٣]. ثُم لا يَسكُنها غَيْرُ التُّجارِ. وَإنمَّا الْمَرْءُ بِالْجارِ[٤]. وَدارِي في السِّطَةِ مِنْ قِلادَتِها[٥]. وَالنُّقْطَةِ مِنْ دائِرَتِها كَمْ تُقَدِّرُ يا مَوْلايَ أُنْفِقَ عَلَى كُلِّ دارٍ مِنْها؟ قُلْهُ تَخْمِينًا. إنْ لَمْ تَعْرِفْهُ يَقِينًا[٦]. قُلْتُ: الْكَثِيرُ.

---

(١) أي أنها أجمل مني وأحسن أخلاقا، والخلق بضمتين واحد الأخلاق وهي الخصال التي يكون عليها المرء من خير وشر ويعرفه علماء النفس بأنه طبيعة تحمل صاحبها على اكتساب المحمدة أو ارتكاب المفسدة، والخلق بفتح فسكون: الخلقة.

(٢) صدعني: جلب إليّ الصداع، وهو بوزن غراب- وجع يأخذ الرأس والفعل: صدع (بالبناء للمجهول مضعفا) تصديعا ويجوز في الشعر صدع كعنى فهو مصدوع. والمعنى أنه ظل يكثر من الكلام في شأن زوجته والحديث عنها حتى أورثني الصداع وجلب إلى وجع الرأس، وبغداد مقسمة إلى محلات كتقسيم القاهرة إلى (أقسام وأحياء). فمحلته أي: الجهة التي يسكنها من بغداد والحي الذي يقيم به.

(٣) يقال: نافس وتنافس إذا رغب على وجه المباراة والمسابقة في مكارم الأمور ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطفّفين: ٢٦]. وغايره: عارضه أو بادله، والمعنى أن هذه المحلة أفضل محال بغداد وأحسنها لذلك فإنك ترى الكبار والعلية يتبارون في سكناها ويتسابقون للحلول بها ويتعارضون في دورها ومنازلها أو يتبادلون ذلك فيها.

(٤) من وصايا أمير المؤمنين: يا بني سل عن الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار، وقد نصح به كرم الله وجهه النصيحة الغالية فإن جار السوء يكدر صفو الحياة ويؤلم نفوس جيرانه، والحديث الشريف: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) وهذا التاجر يقول أن جميع جيرانه تجار فهو يريد أن يتمدح جيرانه ليلزم من ذلك امتداح نفسه ومنزله. وقد قال بعض الشعراء:

يلومونني إن بعت بالرخص منزلي ... ولم يعلموا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلو الديار وترخص

(٥) السطة: الوسط، وأنفس ما يكون في العقود والقلائد من حبات اللؤلؤ الواسطة فكأنه يقول إنه يقطن أشرف نقطة في هذه المحلة.

(٦) أي إن كنت لا تستطيع أن تقدر على وجه اليقين نفقاتي على هذه الدار فلا بأس من أن تقول كم تتوهم أنني أنفقت.

فقالَ: يا سُبْحانَ اللهِ! ما أكْبرَ هذَا الْغَلَط! تَقُولُ الْكَثِيرَ فقَطْ؟ وَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ[١]. وَقَالَ: سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ الأَشْياءَ.

وَانْتَهَيْنَا إلى بابِ دَارِهِ. فَقالَ: هذِهِ دَاري، كَمْ تُقَدِّرُ يا مَوْلايَ أَنْفقْتُ عَلَى هذِهِ الطَّاقَةِ؟[٢] أَنْفَقْتُ وَاللهِ عَلَيْها فَوْقَ الطَّاقَةِ[٣] وَوَرَاءَ الْفاقَةِ[٤]. كَيْفَ تَرى صَنْعَتَها وَشَكْلَها؟ أَرَأَيْتَ باللهِ مِثْلَها؟ انْظُرْ إلَى دَقائِقِ الصَنْعَةِ فيها وَتَأَمَّلْ حُسْنَ تَعْريجِها فَكَأَنَّمَا خُط بالْبِرْكارِ[٥]. وَانْظُرْ إلىَ حِذْقِ النَّجَّارِ فِي صَنْعَةِ هذَا الْبابِ. اتَّخَذَهُ مِنْ كَمْ؟. قُلْ: وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَم. هُوَ ساجٌ مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ لا مَأْرُوضٌ وَلاَ عَفِنٌ[٦]. إذَا حُرِّكَ أَنَّ[٧] وَإذَا نُقِرَطَنَّ[٨]. مَنِ اتَّخَذَهُ يا سَيِّدي؟. اتَّخَذَهُ أَبُو إسْحٰقَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبِصْرِيُّ وَهُوَ وَاللهِ رَجُلٌ نَظيفُ الأَثْوَابِ. بَصيرٌ بِصَنْعَةِ الأَبْوَابِ[٩] خَفيفُ الْيَدِ فِي الْعَمَلِ، للّهِ دَرُّ ذلِكَ الرَّجُلِ! بِحَياتي لا اسْتَعَنْتَ إلاَّ بِهِ عَلَى مِثْلِهِ[١٠] وهذِهِ الْحَلَقَةُ تَرَاها اشْتَرَيْتُها فِي سُوقِ الطَّرَائِفِ مِنْ عِمْرانَ الطَّرائِفِي بِثَلاثَةِ دَنانيرَ مُعِزِّيَّةٍ[١١] وَكَمْ

---

(١) أي: أظهر حزنه وأسفه بتنفسه من أعماق صدره تنفسا عاليا على عدم مبالغتي له في النفقات.

(٢) النافذة (الشباك). (٣) القدرة والإمكان.

(٤) الفاقة: الفقر والإملاق، والمعنى أنه أنفق عليها مقدارا يسوق إليه الفاقة ويجلب له الفقر ويجر عليه الإملاق.

(٥) البركار ويسمونه أيضا الفرجار: آلة لتحديد الدوائر وتنظيمها يأمن بها الصانع من اختلاف النسب في التدوير وهي التي تسمى الآن (برجل) والمعنى ظاهر.

(٦) الساج: شجر يطول ويرتفع جدا ويوجد بالهند. المأروض الذي أكلته الأرض وهي دويبة صغيرة، والعفن: الذي أصابته الرطوبة.

(٧) أي إذا فتح أو أغلق سمع صوت يشبه الأنين.

(٨) أي وإذا دق عليه كان له طنين وذلك دليل سلامته وجودة خشبه وصنعته.

(٩) أراد من وصف الصانع بأنه نظيف الأثواب أن يصف مصنوعاته بالنظافة والرواء والبهجة وأراد من كونه بصيرا بالصنعة أنها بالغة حد الإتقان متناهية الجودة والمتانة.

(١٠) أي إذا شئت أن تعمل مثل هذا الباب فلا تطلب غير ذلك الرجل الماهر الذي دلت صنعته في هذا الباب على حذقه.

(١١) الحلقة: هي التي يدق بها عند الاستفتاح ويجذب منها عن الإغلاق وسوق الطرائف كان =

فيها يا سَيِّدي مِنَ الشَّبَهِ؟[١] فيها سِتَّةُ أَرْطالٍ وَهِي تَدُورُ بِلَوْلَبٍ فِي الْبابِ[٢] بِاللهِ دَوِّرْها. ثُمَّ انْقُرْها وَابْصُرْها. وَبِحَياتي عَلَيْكَ لا اشْتَرَيْتَ الحلَقَ إلاَّ مِنْهُ فَلَيْسَ يَبيعُ إلاَّ الأَعْلاقَ[٣] ثمَّ قَرَعَ الْبابَ وَدَخَلْنا الدِّهْليزَ وَقالَ: عَمَّرَكِ اللهُ يا دارُ. وَلا خرَّبَكَ يا جِدارُ. فَمَا أَمْتَنَ حيطانَكِ. وَأَوْثَقَ بُنْيانَكِ وَأَقْوى أَساسَكِ.

تَأَمَّلْ بِاللهِ مَعارِجَها[٤]. وَتَبَيَّنْ دَواخِلَها وَخَوارِجَها وَسَلْني: كَيْفَ حَصَّلتَها. وَكَمْ مِنْ حيلَةٍ احْتَلْتَها. حَتَّى عَقَدْتَها[٥]. كانَ لِي جارٌ يُكْنى أَبا سُلَيْمانَ يَسْكُنُ هذِهِ الْمَحَلَّةَ وَلَه مَنَ الْمالِ ما لا يَسَعُهُ الْخَزْنُ. وَمِنَ الصَّامِتِ ما لا يَحْصُرُهُ الْوَزْنُ[٦]. ماتَ رَحِمَهُ اللهُ وَخَلَّفَ خَلْفًا أَتْلَفَهُ بينَ الْخَمْرِ وَالزَّمْرِ[٧] وَمَزَّقَهُ بَينَ النَّرْدِ وَالْقَمْرِ[٨] وَأَشْفَقْتُ أَنْ يَسُوقَهُ قائِدُ الاضطِرارِ. إلَى بَيْعِ الدَّارِ. فَيَبيعَها في أَثْناءِ الضَّجَرِ. أَوْ يَجْعلَها عُرْضةً لِلْخَطَرِ. ثُمَّ أَراها. وَقَدْ فاتَنِي شِراها. فأَنْقَطِعُ عَلَيْها حَسَراتٍ. إلَى يَوْمِ المَماتِ[٩]. فَعَمَدْتُ إلَى أَثْوابٍ لا تَنِضُّ تِجارَتُها فَحَمَلْتُها إلَيْهِ. وَعَرَضْتُها

ببغداد لبيع النفائس والذخائر، والطرائف: جمع طريفة وهي المستحدث المعجب ومنه: هذا من طرائف مالي، وهذه طرفة من الطرف، ويقال: مال طريف وطرف ومطرف ومستطرف، وأطرفت شيئًا واستطرفته أخذته طريفًا ولم يكن لي. والدنانير المعزية المنسوبة إلى المعز لدين الله.

(١) الشبه بفتحتين: النحاس الأصفر.

(٢) قال صاحب القاموس: ويقال للماء الذي يحمل منه الفتح ما يسعه فيضيق صنبوره عنه من كثرته فيستدير الماء عند فمه ويصير كأنه بلبل آنية- لولب- قال شارح القاموس: قال أبو منصور ولا أدري أعربي هو أم معرب غير أن أهل العراق أولعوا باستعمال اللولب.

(٣) الأعلاق النفائس جمع علق ومتى كان لا يبيع إلا الذخائر وكانت هذه منه فإنها ذخيرة.

(٤) المعارج جمع معراج وهو الدرج تصعد به إلى سطح الدار أو الطابق الثاني منها وهو السلم أيضًا.

(٥) عقدتها: ملكتها.

(٦) الصامت الذهب والفضة ونحوهما.

(٧) خلف: ترك- ويقال للولد الصالح خلف بفتحتين وللفاسد الطالح خلف بفتح فسكون وفي التنزيل (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة).

(٨) المراد أنه بدد أموال أبيه في الملاهي والمفاسد وما لا يعود عليه بالفائدة.

(٩) أي أنني خفت أن تتحكم فيه دواعي السرف وشهوة الإنفاق- وقد أضاع ما كان تحت يده من

عَلَيْهِ[١] . وَساوَمْتُه عَلَى أَنْ يَشتريها نَسِيَّةً[٢] . وَالمُدْبِرُ يَحْسَبُ النَّسِيَّةَ عَطِيَّةً[٣] . وَالْمُتَخَلِّفُ يَعْتَدُّها هدِيَّةً. وَسَأَلْتُهُ وَثِيقَةً بِأَصْلِ الْمالِ. فَفَعَلَ وَعَقَدَها لِي[٤] .

ثُمَّ تَغافَلْتُ عِنِ اقْتِضائِهِ[٥] . حَتَّى كادَتْ حاشِيَةُ حالِهِ ترِقُّ فَأَتَيْتُهُ فاقْتَضَيْتُهُ. وَاسْتَمْهَلَنِي فَأَنْظَرْتُهُ[٦] . وَالْتَمَسَ غَيْرَها مِنَ الثِّيابِ فَأَحْضَرْتُهُ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ دارَهُ رَهِينَةً لَدَيَّ[٧] . وَوَثِيقَةً في يَدَيَّ. ففَعَلَ ثُمَّ دَرَّجْتُهُ بالْمُعامَلاتِ إلى بَيْعِها حَتَّى حَصلَتْ لي بِجَدِّ صاعِدٍ[٨] . وَبَخْتِ مُساعِدٍ. وَقُوَّةِ ساعِدٍ. وَرُبَّ ساعٍ لِقاعِدٍ[٩] .

أموال أبيه- فتسوقه الضرورة لبيع هذه الدار ثم يشتريها منه سواي فأظل آسفًا عليها إلى أن أفارق الحياة الدنيا والضجر: التبرم والتألم مع الملل والسآمة، وانقطع عليها حسرات مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨] أي لا تحزن ولا تشتد بك الحسرة من أجلهم.

(١) نضت التجارة: كسدت ولم ترج، وتحولت فقدا بعد أن كانت متاعا (ضدان) والثاني هو المراد هنا، والمعنى: أنني أخذت بعض أثواب لا يتصور أن يتجر فيها لعدم رواج سوقها وحملتها إليه.

(٢) نسية: أي مع تأخير الثمن.

(٣) المدبر هو الذي يسير إلى الخلف وأراد منه المفلس لأنه كأنه بعد العز والغنى يسير في طريق عكس الذي كان يسلكه.

(٤) الوثيقة: الصك الذي يكتب فيه الدين وعقدها أي حررها والتزم بما فيها.

(٥) مطالبته بالدين الذي عليه.

(٦) أي انتظرت حتى علمت أنه موشك على الافتار فجئته أطلب منه الأداء فطلب مني أن أمهله فأمهلته أي أعطيته مهلة.

(٧) الرهن عين توضع في يد الدائن لتكون تأمينًا له على ماله حتى إذا أفلس المدين استوفى الدائن منها.

(٨) درجته، واستدرجته، معناهما: أدنيته مما أريد على التدريج فتدرج أي دنا وكأن الأصل في اشتقاق هذا اللفظ الدرج الذي هو المرقاة لأنها تدنى الإنسان شيئًا فشيئًا من علوها، وجد صاعد: حظ موفور، وبخت مرتفع.

(٩) رب ساعٍ لقاعد: أي أن بعض الناس يكد نفسه ويجهدها ويحملها العناء والمشقة ويجشمها المخاوف والمخاطر ثم لا ينال من سعيه ودأبه ولا يصيب من جده ونصبه شيئًا بل يكون عليه الغرم ولغيره الغنم. وتكون مهمته العمل ولسواه الربح والجزاء وذلك مثله كمثل الذبالة تضيء للناس

وَأنا بِحَمْدِ اللهِ مَجْدُودٌ [١] وَفي مِثْلِ هذِهِ الأَحْوالِ محْمودٌ وَحَسْبُكَ يا مَوْلاي أنِّي كُنْتُ مُنْذُ لَيالٍ نائِمًا في الْبَيْتِ مَعَ مَنْ فِيهِ إذْ قُرِعَ عَلَيْنا الْبابُ. فَقُلْتُ: مَنِ الطَّارِقُ الْمُنْتابُ [٢]. فإذا امْرَأَةٌ مَعَها عِقْدُ لآلٍ في جلْدَةِ ماءٍ وَرِقَّةِ آلٍ [٣] تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ. فأَخَذْتُهُ مِنها إخْذَةَ خَلْسٍ. وَاشْتَرَيْتُهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ [٤] وَسَيكُونُ لهُ نَفْعٌ ظَاهِرٌ. وَرِيْحٌ وَافِرٌ. بِعَوْنِ اللهِ تَعالَى وَدَوْلَتِكَ.

وَإنمَّا حَدَّثْتُك بِهذَا الْحَدِيثِ لِتَعْلَم سَعَادَةَ جَدِّي في التِّجارَةِ. وَالسَّعادَةُ تُنْبِطُ الْمَاءَ مِنَ الْحِجارَةِ [٥]. اللهُ أكْبرُ! لاَ يُنْبِئُكَ أصْدَقُ مِنْ نَفْسِكَ. وَلاَ أقْرَبُ مِنْ

وهي تحترق والجملة بدون الواو مثل ويروى معه وآكل غير حامد ويقال أن أول من قاله النابغة الذبياني وكان قد وفد إلى النعمان بن المنذر وفودٌ من العرب فيهم رجل من بني عبس يقال له شقيق فمات عنده فما حبا النعمان الوفود بعث إلى أهل شقيق بمثل حباء الوفد فقال النابغة حين بلغه ذلك: رب ساع لقاعد. وقال للنعمان:

أبقيت للعبسي فضلا ونعمة ومحمدة من باقيات المحامد
حباء شقيق فوق أعظم قبره وما كان يحبى قبله قبر وافد
أتى أهله منه حباء ونعمة ورب امرئ يسعى لآخر قاعد

ويروى: اسلمى أم خالد. رب ساع لقاعد. قالوا إن أول من قال ذلك أمير المؤمنين معاوية ابن أبى سفيان.

(١) مجدود: محظوظ.

(٢) المنتاب: الذي أتى دارك في وقت لا يأتي فيه الناس وأصله الطارق مرة بعد مرة فاستعير للطارق مطلقا من باب إطلاق المقيد وإرادة المطلق وهو معروف عند علماء البيان أو أنه جعل تردده على البيوت التي قبله كأنها تردد على بيته وكأنه لم يجئه إلا بعد أن طرق بيوت جيرانه جميعًا.

(٣) لآل: أصله لآلئ جمع لؤلؤة ثم سهلت الهمزة فجرى مجرى قاضي، والآل: السراب، وهو الذي يظهر من بعيد كأنه ماء، يقول: إن هذا العقد في الصفاء واللمعان يشبه الماء وفي الرقة يشبه الآل.

(٤) ثمن بخس: قليل، والخلس يشبه السرقة فكأنه حين أخذه بالقليل من الثمن قد سرقه.

(٥) تنبط: تخرج يقول: إن من رزق السعادة ويمن الطالع وحسن الحظ وجد الربح في الذي لا يتوهمه فيه وأتاه من حيث لا ينتظره.

أَمْسِكَ[١]. اشْتَرَيْتُ هذَا الْحَصِيرَ فِي الْمُنادَاتِ. وَقَدْ أُخْرِجَ مِنْ دُورِ آلِ الْفُرَاتِ. وَقْتَ الْمُصادَرَاتِ. وَزَمَنَ الغارَاتِ[٢]. وَكُنْتُ أَطْلُبُ مِثْلَه مُنْذُ الزَّمَنِ الأَطْوَلِ فَلاَ أَجِدُ. وَالدَّهْرُ حُبْلَى لَيسَ يُدرَى مَا يَلِدُ[٣]. ثُم اتَّفَقَ أَنِّي حَضَرْتُ بَابَ الطَّاقِ. وَهذا يُعْرَضُ فِي الأَسْوَاقِ. فَوَزَنْتُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا دِينَارًا. تأَمَّلْ باللّهِ دِقَّتَهُ وَلِينَهُ وَصَنْعَتَهُ وَلوْنَهُ فَهُوَ عَظِيمُ الْقَدْرِ. لا يَقَعَ مِثْلُهُ إلاَّ فِي النَّدْرِ[٤]. وَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِأَبِي عِمْرَنَ

---

(١) الله أكبر. كلمة أجراها مجرى التعجب كسبحان الله، وينبئك: يخبرك، والمعنى أنه لا يخبرك عن أحوالك ولا يحدثك بشؤونك أصدق من نفسك لأنها هي التي تعلم مقدار الحقيقة كما لا يكون أقرب للصدق ولا أدعى إليه من الحديث عن أقرب أيامك الماضية وهو الأمس لأنه أعلقها بالذهن.

(٢) المنادات: يشبه ما يسمى الآن (بالمزاد)، ودور الفرات: منازل عائلة كان لها هذا اللقب وكان بعضهم وزيرًا للمقتدر بالله العباسي وهو علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وأصلهم من صريفين من أعمال دجيل وكانوا أجل الناس فضلا وكرما ونبلا ووفاء ومروءة وكان (أبو الحسن) من أفضل الناس وأعظمهم جودا وكرما وكانت أيامه مواسم للناس وأعيادا ولما جرت الفتنة وخلع المقتدر بالله بن المعتضد العباسي وبويع ابن المعتز ثم استظهر المقتدر عليه واسترجع ملكه واستقرت له الخلافة أرسل إلى أبى الحسن علي بن الفرات فأحضره واستوزره وخلع عليه فنهض بتسكين الفتنة أحسن نهوض ودبر الدولة في يوم واحد وقرر القواعد واستمال الناس وفي ذلك يقول بعض شعراء الدولة:

ودبرت في ساعة دولة تميل بغيرك في أشهر

قالوا: إنه تولى الوزارة للمقتدر ثلاث مرات وفي المرة الثالثة قبض عليه ثم قتل سنة ٣١٢ وصودرت أمواله- فهو يشير بذلك إلى أنه نفيس عالي القدر عظيم القيمة مما اقتناه الرؤساء واختزنته الأمراء ورغبه كبار الدولة.

(٣) شبه الدهر في مجيئه بما لا يفكر فيه وإتيانه على خلاف الظنون بالمرأة الحبلى فإنك تعلم أنها تلد ولكن لا تتحقق من نوعه وكذلك الزمان تعلم أن فيه حوادث ولا تدري ما هي كالتشبيه الذي في قول الشاعر:

والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

(٤) الندر والنادر: القليل والمعنى: إنه لا يتفق مثل هذا الحصير في كل حين بل إنه يغلب عدم وجوده وذلك بعد وصفه بالنفاسة ودقة الصنعة وجودتها شبه تأكيد.

الْحَصِيرِيِّ فَهُوَ عَمَلُه وَلَهُ ابْنٌ يَخْلُفُهُ الآنَ في حانُوتِهِ لا يُوجَدُ أَعْلاقُ الْحُصُرِ إلاَّ عِنْدَهُ فَبِحَياتي لا اشْتَرَيْتَ الْحُصُرَ إلاَّ مِنْ دُكَّانِهِ. فالمُؤْمِنُ ناصِحٌ لإِخْوَانِهِ: لا سِيَّما مَنْ تَحَرَّمَ بِخِوَانِهِ[١] وَنَعُودُ إلى حَديثِ الْمَضيرَةِ. فَقَدْ حانَ وَقْتُ الظَّهيرَةِ. يا غُلامُ الطَّسْتَ وَالْمَاءَ[٢]. فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبرُ رُبمَّا قَرُبَ الْفَرَجُ. وَسَهُلَ الْمَخْرَجُ. وَتَقَدَّمَ الْغُلامُ. فَقالَ: تَرى هذا الْغُلامَ. إنَّهُ رُومِيُّ الأَصْلِ عِرَاقِيُّ النَّشْءِ[٣]. تَقَدَمْ يا غُلامُ

(١) حرم الإنسان وحريمه: ما يحميه ويقاتل عنه ويمنع دونه ومن هذا سمي بيت الله بالحرم وفيه يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] ويقال تحرم فلان من فلان بحرمة: أي تمنع واحتمى بذمة. وفلان في حريمك أي منعتك وذمتك وحصنك وحمايتك بحيث تلتزم الدفاع عنه، وأبو الفتح سيتناول مع ذلك التاجر المضيرة على خوان واحد فكأنه لاذ بجواره ولجأ إليه ولذلك تجب عليه نصيحته وتوضيح الأمر له.

(٢) الطست والماء مفعولان لفعل مضمر أي أحضرهما، والطست كلمة تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى إدخالها في لغتها والأمر في ذلك على وجوه فمنه ما يكون في اللغتين قائما على لفظ واحد وذلك مثل: التنور، والخمير، والزمان، والدين، والكنز، والدرهم، والدينار، ومنه ما لا وجود له إلا في الفارسية فتعربه العرب بنوع من أنواع التعريب كالنحت مثلا أو تنقله بحاله وذلك كثير مثل: الكوز، والإبريق، والطست، والخوان، والطبق، والقصعة، والخز، والديباج، والسندس، والياقوت، والفيروزج، والبلور، والكعك، والسميذ، والدرمك، والفالوذج، والجوزينج، واللوزينج، والجلاب، والكرويا، والقرفة، والزنجبيل، والنرجس، والبنفسج، والسوسن، والمسك، والعنبر، ومنه نوع انتسبت فارسيته وحكيت عربيته مثل: الكف، والساق، والفراش، والبزاز، والوزان، والكيال، والمساح، والدلال، والصراف، والبيطار، والخراط، والغلط، والصواب، والخلوق، والمشجب، واللهو، والقمار، والسفط، وكما نقلت العرب عن الفارسية فقد نقلت عن لغات أخرى كالرومية وذلك مثل: الفردوس للبستان، والقسطاس الميزان، والسجنجل المرآة، والبطاقة لرقعة فيها رقم المتاع، والقسطل الغبار، والنقرس والقولنج: مرضان معروفان، والترياق دواء السموم، والقراميد الحجارة، والقنطار: معروف، وإنما بسطنا الكلام والنقل هنا بعض البسط لنشير همم أدباء امتنا وعلمائها المتمكنين في اللغة، الضاربين فيها بسهم وفير إلى كد قرائحهم واتصال مجهوداتهم لينقلوا أو يعربوا تلك الكلمات التي استحدثت بعد عهود آبائنا وموروثينا، ولغتنا والحمد لله قد شهد لها العدو والحميم بأنها أوسع اللغات وأقواها على احتمال آلاف الكلمات.

(٣) النشء: المنشأ، والمعنى أنه رومي تربى بالعراق وتعلم الخدمة فيها.

وَاحْسِرْ عَنْ رَأْسِك[١]. وَشَمِّرْ عَنْ ساقِكَ. وَانْضُ عَنْ ذِراعِكَ[٢]. وَافْتَرَّ عَنْ أَسْنانِكَ[٣] وَأَقْبِلْ وَأَدْبِرْ. فَفَعَلَ الْغُلامُ ذلِكَ.

وَقالَ التَّاجِرُ: بِاللهِ مَنِ اشْتَراهُ؟ اشْتَراهُ وَاللهِ أَبُو الْعَبَّاسِ. مِنَ النَّخَّاسِ[٤]. ضَعِ الطَّسْتَ. وَهاتِ الإِبْرِيقَ. فَوَضَعَهُ الْغُلامُ وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ وَقَلَّبَهُ وَأَدارَ فيهِ النَّظَرَ ثُمَّ نَقَرَهُ. فَقالَ: انْظُرْ إِلى هذا الشَّبَهِ كَأَنَّهُ جُذْوَةُ اللَّهَب. أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ[٥]. شَبَهُ الشَّامِ. وَصَنْعَةُ الْعِراقِ[٦]. لَيْسَ مِنْ خُلْقانِ الأَعْلاقِ[٧]. قَدْ عَرَفَ دارَ الْمُلُوكِ وَدارَها[٨]. تَأَمَّلْ حُسْنَهُ وَسَلْنِي مَتَى اشْتَرَيْتُهُ؟ اشْتَرَيْتُهُ وَاللهِ عامَ الْمَجاعَةِ. وَادَّخَرْتُهُ لِهذِهِ السَّاعَةِ. يا غُلامُ الإِبْرِيقَ. فَقَدَّمَهُ. وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ فَقَلَّبَهُ. ثُمَّ قالَ: وَأُنْبُوبُهُ مِنْهُ[٩] لا يَصْلُحُ هذا الإِبْرِيقُ إِلاَّ لهذا الطَّسْتِ. وَلا يَصْلُحُ هذا الطَّسْتُ إِلاَّ مَعَ هذا الدَّسْتِ[١٠]. وَلا يَحْسُنُ هذا الدَّسْتُ إِلاَّ في هذا الْبَيْتِ. وَلا يَجْمُلُ هذا الْبَيْتُ إِلاَّ مَعَ هذا الضَّيْفِ. أَرْسِلِ الْماءِ يا غُلامُ. فَقَدْ حانَ وَقْتُ الطَّعامِ. بِاللهِ تَرى هذا الْماءَ ما اصْفاهُ أَزْرَقُ كَعَيْنِ السِّنَّوْرِ[١١]. وَصافٍ كَقَضيبِ الْبَلَّوْرِ[١٢]. اسْتُقِيَ مِنَ

---

(١) احسر: اكشف. (٢) انْضُ: انزع من نضا ينضو.

(٣) وافتر: اضحك حتى تكشف عن أسنانك.

(٤) النخاس: الذي يبيع العبيد ويطلق العبد على الأبيض والأسود بالسواء.

(٥) أي: أن نحاس هذا الإبريق في صفائه ولمعانه يشبه القطعة من النار لأنهار تبرق وتلمع أو القطعة من الذهب لأنها صافية براقة.

(٦) أي أنه من نحاس الشام وكانت مشهورة بجودة نحاسها وقد صنع في العراق وهي إذا ذاك مهبط الحذق ومغنى المهارة.

(٧) خلقان: جمع خلق وهو البالي، والأعلاق: جمع علق وهو النفيس، والمعنى أنه نفيس ولكن لم يتطرق إليه البلى.

(٨) أي أنه كان عند بعض الملوك. (٩) الأنبوب: المكان الذي ينزل منه الماء.

(١٠) الدست المكان المهيأ لمقابلة الضيفان وهو أشرف ما يكون في البيت وصدر الدار.

(١١) السنور: القط.

(١٢) البلور، بوزن تنور وسنور وسبطر: نوع من الزجاج وقال الفيروزبادي: إنه جوهر يريد هذا ويضرب به المثل في النقاء والصفاء.

الْفُرَاتِ[١]. وَاسْتُعْمِلَ بَعْدَ الْبَيَاتِ[٢]. فجَاءَ كَلِسانِ الشَّمْعَةِ. في صَفاءِ الدَّمْعَةِ. وَلَيْسَ الشَّأْنُ في السَّقَّاء. الشَّأْنُ في الإِناءِ. لا يَدُلكَ عَلَى نَظافَةِ أسبَابِهِ. أَصْدَقُ مِنْ نَظافَةِ شَرابِهِ[٣].

وَهذا الْمِنْديلُ سَلْني عَنْ قِصَّتِهِ. فَهُوَ نَسْجُ جُرْجانَ[٤]. وَعَمَلُ أَرَّجانَ. وَقَعَ إِلَيَّ فاشْتَرَيْتُهُ فاتَّخَذَتِ امْرَأتي بَعْضَهُ سَراويلًا. وَاتَّخَذْتُ بَعْضَهُ مِنْديلًا[٥] دَخَلَ في سَراويلِها عِشْرُونَ ذِراعًا. وَانْتَزعْتُ مِنْ يَدِها هذَا القَدْرَ انْتِزَاعًا[٦]. وَأَسْلَمْتُهُ إِلَى الْمُطَرِّزِ حَتَّى صَنَعَهُ كَما تَرَاهُ وَطَرَّزَهُ[٧]. ثُم رَدَدْتُهُ مِنَ السُّوقِ. وَخَزَنْتُهُ فِي الصُّنْدُوقِ. وَادَّخَرْتُهُ لِلظِّرَافِ. مِنَ الأَضْيافِ[٨]. لَمْ تُذِلَّهُ عَرَبُ الْعامةِ بأَيْدِيهَا وَلا النِّسَاءُ لِمَآقِيهَا[٩]. فَلِكلِّ عِلْقٍ يَوْمٌ. وَلِكُلِّ آلةٍ قَوْمٌ[١٠]. يَا غُلامُ الْخُوَانَ. فقَدْ طَالَ

---

(١) استقي: أخذ. (٢) أي ولم نستعمله إلا بعد أن ظن ليلته في إناء.

(٣) أي أن الإناء الذي بات فيه هو سبب صفائه ونظافته ويدلك على ذلك ما تجده في الماء من هذه النعوت والصفات.

(٤) المنديل: خرقة تستعمل لتجفيف الأيدي من الماء. وأرجان: بهمزة مفتوحة فراء مشددة مفتوحة: إحدى بلاد فارس.

(٥) سراويل: جمع سروال أو سروالة أو سرويل بكسر السين في الثلاثة وبالشين المثلثة لغة وهو نوع من الثياب.

(٦) انتزعت: أخذت بشدة. والمعنى أنها كانت تريد أن تستبقيه كله لنفسها ضنا به وحرصًا عليه لجودته ونفاسته ولكني لم أشأ أن أوافقها على ذلك بل أخذته منها رغمًا عنها.

(٧) طرزه: وشى أطرافه بالحرير ونحوه والتطريز معروف.

(٨) ادخرته: أبقيته والظراف بكسر أوله: جمع ظريف وهو الحسن الزي الجميل المنظر.

(٩) أي لم أخرجه لأحد حتى تتبذله العامة فتذله وكأنه جعل استعمال غير الظراف له مذلة وهوانا والفعل يصح قراءته مضعفًا ومن غير تضعيف، يقال: ذله وأذله واستذله (بتشديد اللام فيهن) كما يقال: أذلته والمعنى أهنته واحتقرته وهونت من شأنه ولم أحسن القيام عليه. والمآقي جمع مؤق وهو مؤخر العين مما يلي الأنف فإما مما يلي الصدغ فهو اللحاظ بكسر أوله.

(١٠) يعني أنه لا يجوز أن يجعل كل شيء من النفائس لكل ضيف طارق بل ينبغي أن ترتب على قدر الناس ومستواهم.

الزَّمانُ. والقِصَاعَ. فَقَدْ طَالَ الْمِصَاعُ[١]. وَالطَّعَامَ. فَقَدْ كَثُرَ الْكَلامُ. فأتى الْغُلامُ بِالْخُوَانِ. وَقَلَبَهُ التَّاجِرُ عَلَى المَكَانِ. وَنَقَرَهُ بِالْبَنانِ. وَعَجَمَهُ بِالأَسْنانِ[٢]. وَقالَ: عَمَّرَ اللهُ بَغْدَاذَ فَما أَجْوَدَ مَتاعَها. وَأَظْرَفَ صُنَّاعَها. تَأَمَّلْ بِاللهِ هذَا الْخُوَانَ. وَانْظُرْ إِلَى عَرْضِ مَتْنِهِ. وَخِفَّةِ وَزْنِهِ[٣]. وَصَلابَةِ عُودِهِ وَحُسْنِ شَكْلِهِ.

فقُلْتُ: هذَا الشَّكْلُ. فَمتَى الْآكلُ[٤]؟ فقالَ: الآنَ. عَجِّلْ يا غُلامُ الطَّعَامَ[٥]. لكِنَّ الْخُوَانَ قَوائِمُهُ مِنْهُ[٦]. قالَ أَبُو الْفَتْحِ فَجاشَتْ نَفْسِي[٧]. وَقُلْتُ: قَدْ بَقِي

---

(١) المصاع بكسر أوله أصله المجالدة، وما أشبه هذا الحديث البارد والكلام الممل بالمقاتلة والمكافحة ولعمري لو أن أبا الفتح كان في معركة القتال لما لقي من الضيق وتألم النفس وشدة الكرب عشير ما لقيه من صاحبه ولما كان يحتمل من بأس خصمه وشجاعته وقوته وجلاده نصف ما لقيه من نذالة هذا وبرود طبيعته.

(٢) قلبه على المكان: أي على الفور، هذا هو الذي يتبادر لنا ولعل الأصل فيه أن المرء إنما يحصل منه في مكانه الذي يكون فيه أحب الأشياء إليه سرعة نفاذ واقتراب مضاء، ولم نعثر على تعبير مثل هذا ولا حل له، ونقره ضربه، والبنان: أطراف الأصابع، وعجمه بالأسنان: عضه بها ليخبره، والمعنى أنه فعل كل هذه الأفعال ليمتدحه ويثني عليه.

(٣) عمر الله بغداد: جعلها عامرة آهلة بالسكان، وارفة النعمة، رخاء. والمتن في أصل الوضع: الظهر وأراد منه المكان الذي يوضع عليه الطعام من الخوان، وإذا كان عريضا أي متسع المساحة أو عريض السمك فذلك يقتضي أن يكون وزنه ثقيلا بمقدار سمكه ولكنه أراد أن يبين جودة خشبه الذي صنع منه فذكر أنه خفيف لا مثل ما يتبادر إلى الذهن من ثقله وصعوبة حمله.

(٤) أي: لقد طال بي الانتظار وسمعت منك كثيرًا، ورأيت شكل خوانك ولكن متى يحين الوقت لتحضر الأكل.

(٥) عجل الطعام: أحضره في العاجل، والعاجل والعاجلة: ضد الآجل والآجلة، وهو الوقت الذي يقرب من زمانك الذي أنت فيه وقد عجل تعجيلا وتعجل ومنه قوس عجلى بوزان سكرى إذا كانت سريعة السهم.

(٦) أي أنه له مزية خليقة بأن تلتفت إليها وهي أن ظهره وقوائمه التي يقف عليها قطعة واحدة.

(٧) جاشت: تحركت وغلت قال الشاعر:

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

الْخَبزُ وَآلاتُهُ. وَالْخُبزُ وَصِفاتُهُ[١] وَالْحِنْطَةُ مِنْ أَيْنَ اشْتُرِيَتْ أَصْلاً[٢]. وَكَيْفَ اكْتَرِي لَهَا حَمْلاً[٣]. وَفي أَيِّ رَحًى طَحَنَ[٤]. وَإِجَّانَةٍ عَجَنَ[٥]. وَأَيَّ تَنُّورٍ سَجَرَ[٦]. وَخَبَّازٍ اسْتَأْجَرَ.

وَبَقِيَ الْحَطَبُ مِنْ أَيْنَ احْتُطِبَ. وَمتى جُلِبَ. وَكَيْفَ صُفِّفَ. حَتَّى جُفِّفَ. وَحُبِسَ. حَتَّى يَبِسَ.

وَبَقِيَ الْخَبَّازُ وَوَصْفُهُ وَالتِّلْمِيذُ وَنَعْتُهُ[٧] وَالدَّقِيقُ وَمَدْحُهُ. وَالْخَمِيرُ وَشَرْحُهُ. وَالْمِلْحُ وَمَلاَحَتُهُ. وَبَقِيَتِ السُّكُرَّجاتُ[٨] مَنِ اتخَّذَها. وكَيْف انْتقَذَها[٩]. وَمَنِ اسْتَعْمَلَها. وَمَنْ عَمِلَها. وَالْخلُّ كَيفَ انْتُقِيَ عِنَبُهُ أَوْ اشْتُرِيَ رُطَبُهُ[١٠]. وكَيفَ

(١) الخبز- بالفتح-: مصدر خبز وبابه ضرب، والخبز- بالضم- معروف. والمعنى: أنه قد بقي أن يتكلم حينما يجيء الطعام على كيفة الخبز ويشرح لي كيف أشتري آلاته ويصفها وصفا يطيل الأمد ويزيد الكمد ثم يتكلم عن الرغفان فينعتها ويمدحها ويثني عليها وفي ذلك المضيعة للوقت وازدياد الألم الناجم عن كثرة كلامه.

(٢) أي: من أي مكان اشترى أصلها وهو الحب.

(٣) حملا: المراد منه الحامل لأنه هو الذي يكتري وكثيرا ما يعبر بالمصدر عن اسمى الفاعل والمفعول كالخلق مرادا به المخلوق.

(٤) الرحا: معروفة وهي مؤنثة والمثنى رحوان ورحيان (واوية ويائية) والجمع أرح وأرحاء. ورحاء لغة فيها والتثنية رحاءان، والجمع أرحية.

(٥) الإجانة: إناء يستعمل في الغسيل والعجين ونحوهما.

(٦) التنور: الموقد الذي يخبز فيه، وسجره: أشعله وأوقده.

(٧) أي أنه بقي الكلام على أشياء كثيرة لأنه لن يترك شيئا يتعلق بالطعام نوع تعلق حتى يذكره ويأتي على جملته وتفصيله. والمراد بالتلميذ: فتى الخباز.

(٨) السكرجات: جمع سكرجة وهي الصحفة وجمعها صحاف كجفنة وجفان وزنا ومعنى والمراد أنه لابد أن يتكلم عن الأواني التي ستكون فيها ألوان الطعام كيف وقعت له وعند أي الأمراء والملوك كانت، وأي صانع ماهر ذلك الذي صنعها.

(٩) استخلصها من بائعها.

(١٠) كان المعروف عندهم إذ ذاك خل العنب وخل الرطب فحسب ولابد أن يكون أحدهما على الخوان وهو سيتكلم عنه وعن كيفية شرائه والسبيل التي سلكها حتى وصل إليه.

صُهْرِجَتْ مِعْصَرَتُهُ[١]. وَاسْتُخْلِصَ لُبُّهُ. وَكَيْفَ قُيِّرَ حُبُّهُ[٢]. وَكَمْ يُساوِي دَنُّهُ. وَيقِيَ الْبَقْلُ كَيْفَ احْتِيلَ لَهُ حَتَّى قُطِفَ[٣]. وَفي أيِّ مَبقَلةٍ رُصِفَ[٤]. وَكَيْف تُؤُنِّقَ حَتَّى نُظِّفَ[٥]. وَبقِيَتِ الْمَضِيرَةُ كَيْفَ اشْتُرِيَ لَحْمُها. وَوُفِيَّ شَحْمُها. وَنُصِبَتْ قِدْرُها. وَأُجِّجَتْ نارُها[٦]. وَدُقَّتْ أبْزارُها. حَتَّى أُجِيدَ طَبْخُها وَعُقِدَ مَرَقُها. وَهذَا خَطْبٌ يَطُمُّ[٧]. وَأمْرٌ لا يَتمُّ. فَقُمْتُ. فَقالَ: أيْنَ تُرِيدُ؟ فقُلْتُ: حاجَةٌ أقْضِيها. فقالَ: يا مَوْلاي تُرِيدُ كَنِيفًا يُزْرِي بِرَبِيعِيِّ الأَمِيرِ. وَخَرِيفِيِّ الْوَزِيرِ[٨]. قَدْ جُحِّصَ أعْلاهُ وَصُهْرِجَ أسْفلُهُ[٩] وَسُطِّحَ سَقْفُهُ وَفُرِشَتْ بِالمَرْمَرِ أرْضُهُ. يَزِلُّ عَنْ حائِطِهِ الذَّرُّ فَلا يَعْلَقُ[١٠]. وَيَمْشِي عَلَى أَرْضِهِ الذُّبَابُ فَيَزْلَقُ[١١]. عَلَيْهِ بابٌ غِيرَ أنَّهُ مِنْ خَلِيطَيْ ساج

---

(١) صهرجت طليت بالصاروج وهو أخلاط من النورة ونحوها.

(٢) الحب بالضم هنا بمعنى الخابية كالدن وقير طلى بالقار الذي هو القطران.

(٣) أي قطع ورقه دون جذره.

(٤) المبقلة: مكان البقل الذي يزرع فيه، ورصف: أي نظم بعضه بجوار بعض.

(٥) تأنق: استعمل الدقة في عمله. والمعنى كيف استعملت الدقة والحذق في تنظيف هذا البقل مما لابد أن يكون عالقا به من طين ونحوه.

(٦) اججت أي أوقدت وأشعلت قال: لدى حطب جزل ونار تأججا

(٧) يطم: يشتد ويعظم والمعنى أن هذا رزء لا قدرة لي على احتمال مثله وبلية لا قبل لي بها فيجب أن أتدارك نفسي بالنجاء منها.

(٨) الربيعي: المكان يتخذ للإقامة فيه أثناء زمن الربيع، والخريفي الذي يتخذ لزمن الخريف: ومثلها تبذل الهمة في إجادتها ويقال: أزرى به وازدراه إذا حقره وتهاون بشأنه، ومنه الزاري على الإنسان وهو الذي لا يعده شيئا وصاحب المضيرة- أضره الله- يزعم أن كنيفه خير من ربيعي الأمير وأحسن من خريفي الوزير وأنهما بجواره مزدريان مستخف بهما وقبحه الله فما أقل عقله وأكثر سماجته وتهوسه وأنه لحرى بأن يقطع عمره بين جدران ذلك الذي أعجبه وراق في نظره.

(٩) جصص طلى بالجص وهو الجير، وصهرج: تقدم قريبا معناه.

(١٠) الذر: جمع ذرة وهي أصغر النمل ومنه سمى الرجل (ذرا) وكنى (أبو ذر) وعلق بالشيء علوقا: تعلق، والمعنى أنه لا يثبت ولا يستطيع البقاء لملاسته.

(١١) أراد أنه شديد الملاسة أيضا.

وَعاجٍ[١] . مُزْدَوِجَينِ أَحْسَنَ ازْدِواجٍ . يَتَمَنَّى الضَّيْفُ أَنْ يأْكُلَ فِيهِ . فقُلْتُ : كُلْ أَنْتَ مِنْ هذَا الْجِرابِ . لَمْ يَكُنِ الْكَنِيفُ في الحِسابِ . وَخَرَجْتُ نَحْوَ الْبابِ . وَأَسْرَعْتُ في الذَّهَابِ . وَجَعَلْتُ أَعْدُو[٢] وَهْوَ يَتْبَعُني وَيَصِيحُ يَا أَبا الْفَتْحِ المَضِيرَةَ . وَظَنَّ الصِّبْيانُ أَنَّ الْمُضِيرَةَ لقَبٌ لِي فَصاحُوا صِياحَهُ[٣] . فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ . مِنْ فَرْطِ الضَّجَرِ[٤] . فَلقِيَ رَجُلٌ الْحجَرَ بِعِمامَتِهِ . فَغاصَ في هامَتِهِ[٥] . فأُخِذْتُ مِنَ النِّعَالِ بِما قَدُمَ وَحَدُثَ . وَمِنَ الصَّفْعِ بِمَا طابَ وَخَبُثَ[٦] . وَحُشِرْتُ إِلَى الْحبسِ . فأَقَمْتُ عامَينِ في ذلِكَ النَحْسِ فَنذَرْتُ أَنْ لا آكُلَ مِضيرَةً ما عِشْتُ . فَهَلْ أنا في ذَا يَا آلَ هَمذَانَ ظالِمٌ[٧] . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَقَبِلْنا عُذْرَهُ . وَنَذَرْنا نَذْرَهُ . وَقُلْنا : قَدِيمًا جَنَتِ الْمَضِيرَةُ على الأَحْرَارِ[٨] . وَقَدَّمَتِ الأَرَاذِلَ على الأَخْيارِ .

المقامة الحرزية

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ :

لمَّا بَلَغَتْ بيَ الْغُرْبَةُ بَابَ الأَبْوَابِ[٩] . وَرضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ[١٠] . وَدُونَهُ

(١) غير أنه أي الفواصل بين الواحه ، والعاج : سن الفيل .

(٢) أسير بسرعة . (٣) أي أنهم صاروا ينادونني بما سمعوا منه .

(٤) فرط الضجر : شدة السآمة والملل .

(٥) هامة الرجل : رأسه ، وغاص الحجر فيها : أي شجها ودخل فيها .

(٦) الصفع : الضرب على القفا خاصة .

(٧) أي : هل ظلمتكم حين أنكرت عليكم أكل المضيرة ما دام هذا هو السبب أو هل ظلمت في نذري هذا .

(٨) اللهم إنه لا توجد جناية أعظم إيلاما للنفس وأشد تنكيلا بها من هذه الجريمة وإنما أسندها إلى المضيرة لأنها سببه .

(٩) أحد ثغور بحر الخزر سمى بذلك لأنه كان يحيط به سور كثير الأبواب الحديدية .

(١٠) مثل يضرب لخيبة الرجاء وضياع الأمل وأصله من قول امريء القيس :

مِنَ الْبَحْرِ وثَّابٌ بِغارِبِهِ [١]. وَمِنَ السُّفُنِ عَسَّافٌ بِرَاكِبِهِ [٢]. اسْتَخَرْتُ اللهَ فِي الْقُفُولِ [٣] وَقَعَدْتُ مِنَ الْفُلْكِ. بِمَثَابَةِ الْهُلْكِ [٤]. ولمَّا مَلَكَنا البَحْرُ [٥] وَجُنَّ علَيْنا اللَّيْلُ [٦]. غَشِيَتْنا سَحابَةٌ تَمُدُّ مِنَ الأَمْطارِ حِبالًا [٧]. وَتَحْدُو مِنَ الْغَيْمِ جِبَالًا [٨] بِرِيحٍ تُرْسِلُ الأَمْوَاجَ أَزْوَاجًا. والأمْطارَ أَفْوَاجًا [٩]. وبَقِينا في يَدِ الْحَيْنِ [١٠]. بَيْنَ البَحْرَيْنِ. لا نَمْلِكُ عُدَّةً غَيْرَ الدُّعاءِ. وَلا حِيلَةً إلاَّ الْبُكَاءَ [١١]. وَلا عِصْمَةً غَيْرَ

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

(١) وثاب: صيغة مبالغة من وثب أي ارتفع، والغارب: أصله الكاهل أو ما بين السنام والعنق وجمعه غوارب وهو هنا أعلى الموج والمعنى أنني أحببت الأوبة إلى وطني والعود لدياري ولكني وجدت أنه يمنعني من ذلك بحر متلاطم الأمواج مرتفعها.

(٢) عساف: شديد الاعتساف وهو السير في غير المسلك المطلوب.

(٣) الرجوع.

(٤) المثابة: المكان، والهلك: الهلاك أي جلست في مكان لا ينجو الجالس فيه.

(٥) أي صرنا منه بحيث لا نستطيع الفكاك والتخلص.

(٦) جن عليه الليل وجنه الليل يجنه بالضم جنونا وأجنه: ستره وأخفاه.

(٧) يقال: غشيه الأمر وتغشاه وأغشيته إياه وغشيته: إذا غطاه وأحاط به ومنه قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] ومنه سميت القيامة غاشية وقيل لأنها تغشي الناس أي تغميهم: ولما كان الحبل متصلا ليس لأجزائه تقاطع ولا انفكاك: - شبه به المطر في اتصاله وكثرته.

(٨) تحدو: تسوق. والغيم: السحاب، وتقول: غامت السماء تغيم غيومة وأغامت وأغيمت وتغيمت، ولسنا ندري كيف تسوق السحابة جبال السحاب اللهم إذا كان مجرد استتباعها له يسمى سوقا فأما إذا أريد من السحاب المطر كما في قول الشاعر:

إذا نزل السحاب بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

فيكون المعنى أظهر وأوضح.

(٩) جماعات. (١٠) الهلاك.

(١١) العدة بضم أوله: ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح قيل ومنه قوله تعالى: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهمزة: ٢] أي اتخذه عدة وقيل بل المعنى جعله ذا عدد، والحيلة اسم من الاحتيال وكذا الحول والحيل يقال: لا حيل ولا قوة لغة في حول وهو أحيل منه وما أحيله لغة في أحوله- ويقال: ماله حيلة ولا محالة ولا احتيال ولا محال بمعنى واحد.

الرَّجَاءِ[١]. وطوَيْناها لَيْلةً نابِغِيَّةً[٢]. وأصْبَحْنا نَتَباكَى ونَتَشاكَى[٣] وَفِينا رَجُلٌ لا يَخْضَلُّ جَفْنُهُ[٤]. وَلا تَبْتَلُّ عَيْنُهُ. رَخِيُّ الصَّدْرِ مُنْشَرِحُهُ. نَشِيطُ الْقَلْبِ فَرِحُهُ[٥]. فَعَجِبْنا وَاللهِ كُلَّ الْعَجَب. وقُلْنا لهُ: ما الَّذِي أَمَّنَكَ مِنَ الْعَطَبِ؟[٦]. فقالَ: حِرْزٌ لا يَغْرَقُ صاحِبُهُ[٧]. وَلَوْ شِئْتُ أنْ أمْنَحَ كُلاًّ مِنْكُمْ حِرزًا لَفَعَلْتُ[٨]. فَكلٌّ رَغِبَ إلَيْهِ وَألَحَّ في الْمَسْئَلةِ عَلَيْهِ[٩].

---

(١) العصمة: الوقاية.

(٢) نسبة إلى النابغة الذبياني وهو الذي أكثر من وصف ليله بالطول والشناعة كقوله:

فبت كأن العائدات فرشن لي هراسابه يعلى فراشي ويقشب

وقوله: فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

وقوله: كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلت: ليس بمنقض وليس الذي يهدم النجوم بآيب

(٣) يبكي كل واحد منا سوء حاله ويشكو صروف دهره خشية الغرق وضياع الحياة.

(٤) اخضل الزرع: تبلل وندى والشيء الخضل: الرطب وجفن العين معروف وعدم ابتلاله كناية عن عدم بكاء صاحبه.

(٥) رخي الصدر: واسعه وسعة الصدر وانشراحه: كناية عن عدم التألم واطمئنان الخاطر وارتياح الضمير ويقال نشط الرجل بالكسر نشاطا فهو نشيط، ونشط إذا طابت نفسه، والمعنى أنه كان بيننا رجل لم يعمل عملنا ولم تظهر عليه علامات التأثر ولم يفزعه حالنا ولا جزع مثلنا بل كان على العكس ظاهر السرور طلق الوجه بسام الثغر ضاحك السن.

(٦) العطب: التلف والهلاك وأمنك منه جعلك تأمن وقوعه ولا تخشى نزوله.

(٧) الحرز المراد هنا ما يكتب في الأوراق ويجعل كالتمائم يعلقه المرء أو يحمله لغرض من الأغراض.

(٨) أمنح: أعطى، والفعل (منح) من باب قطع والاسم المنحة بكسر أوله والمعنى أن في مقدوري أن أعطي كل واحد منكم حرزا حتى يأمن على نفسه من الغرق ولا يخشى ثورة البحر فتطمئن نفسه ويثلج صدره ويستريح خاطره ولا يأخذه الفزع فيكون مثلي.

(٩) رغب إليه: طلب منه، فأما رغبه ورغب فيه وارتغب فيه فمعناها أراده، ورغب عنه: كرهه، وألح في المسألة: أكثر من سؤاله وكرر من طلبه والمعنى: أنه لم يبق من بيننا من لم يطلب منه حرزا يتقي به هياج البحر وشدته ويبالغ في طلبه هذا واشتدت بنا الرغبة على قدر شدة الحاجة.

فقالَ: لَنْ أفْعَلَ ذلِكَ حَتَّى يُعْطِيني كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ دِينارًا الآن وَيَعِدَني دِينارًا إذا سَلِمَ[١].

قالَ عِيسى بنُ هِشام: فَنَقَدْناهُ ما طَلَبَ. وَوعَدْناهُ ما خَطَبَ[٢]. وآبتْ يَدُهُ إلى جَيْبِهِ[٣] فأَخْرَجَ قِطْعَةَ دِيباجٍ. فِيها حُقَّةُ عاجٍ[٤]. قَدْ ضُمِّنَ صَدْرُها رِقاعًا وَحذَفَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا[٥]. فلَمَّا سَلِمَتِ السَّفِينَةُ. وأَحَلَّتْنَا الْمَدِينَةَ[٦] اقْتَضى النَّاسَ ما وَعدُوهُ. فَنقَدُوهُ[٧]. وانْتَهى الأَمْرَ إلىَّ فقالَ: دَعُوهُ[٨]: فقُلْتُ: لَكَ ذلِكَ بَعْدَ أنْ تُعْلِمَني سِرَّ حَالِكَ[٩]. قالَ: أنا مِنْ بِلادِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ. فَقلْتُ: كَيْفَ نَصَرَكَ الصبْرُ وخَذَلَنا[١٠]؟ فأَنْشأَ يَقُولُ:

---

(١) المعنى أنه أبى أن يجيبنا إلى مسألتنا إلا إذا أعطيناه الأجر ووعدناه بإجزال العطاء بعد النجاء.

(٢) نقدناه: أعطيناه حالا، ووعدناه ما خطب: أي أعطيناه وعدا أكيدا إننا ننجز له طلبه الثاني بعد النجاة.

(٣) وآبت يده أي رجعت ولا يستلزم ذلك أن تكون أصلها فيها فكثيرا ما يستعمل مثل هذا في معنى صارت.

(٤) حقة: وعاء صغير، والعاج: سن الفيل.

(٥) حذف: أي رمى لكل واحد منا ورقة من تلكم الورقات والرقاع جمع واحده رقعة وهي ما يكتب فيه والمعنى أنه أطلع من جيبه وعاء يشتمل عدة أوراق قد كتب فيهن وناول كل واحد منا واحدة.

(٦) أحلتنا، وصلت بنا حتى حللنا المدينة أي نزلناها وأتينا محلاتها.

(٧) اقتضي: طلب منهم الوفاء. أي بعد أن نجونا من الغرق ودخلنا المدينة التي قصدناها طالبنا بالوفاء والإنجاز بما وعدناه فلم يتخلف أحد منا بل كنا سراعا إلى إجابة دعوته.

(٨) أي أنهم مازالوا يعطونه الواحد بعد الآخر حتى وصلت النوبة إلي وبقي علي أن أنقده ولكنه بادر إلى أمرهم بتخليتي وإعفائي.

(٩) المعنى: أن لك أن تحكم عليهم بأن يتركوني ولك أن تجاب إلى هذه البغية ولكن بشرط أن تخبرني بأمرك وتشرح لي حقيقتك.

(١٠) شبه الصبر بإنسان يأخذ بيد بعض الناس فيعينها ويترك البعض وأسند إليه فعلا من خواص المشبه به ترشيحا.

ويْـكَ لـولا الـصَّـبْـرُ مـا كُـنْـ
ـتُ مَـلأْتُ الْـكِـيـسَ تـبـرا[١]
لَـنْ يَـنـالَ الْـمَـجْـدَ مَـن ضْـا
قَ بِـمـا يَـغْـشـاهُ صَـدْرا[٢]
ثُـمَّ مـا أعْـقَـبَـنـي الـسَّـا
عَـةَ مـا أُعْـطِـيـتُ ضَـرَّا[٣]
بَـلْ بِـهِ أشْـتَـدُّ أزْرَا
وبِـهِ أجْـبُـرُ كَـسْـرا[٤]
وَلَـوَ أنِّـي الْـيَـوْمَ فـي الْـ
غَـرْقَـى لَـمَـا كُـلِّـفْـتُ عُـذْرَا[٥]

(١) أي أنه لولا ما تدرعت به من الصبر لما سألتموني وكشفت لكم المسألة ونشأ عن ذلك أني أخذت منكم مالا ملأت به كيسي.

(٢) يغشاه ينزل به من الحوادث والمعنى أن بلوغ المجد والوصول إلى غاية الرفعة لا يكونان مع الجزع والخوف.

(٣) أعقبني: أورثني. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا ﴾ [التوبة: ٧٧] أي أورثهم بخلهم نفاقا. والمعنى: أن الذي أعطيته وهو ما أخذته منكم في السفينة لم يكن سببا في إيصال الضر إلى ولم يورثني شيئا من المساءة.

(٤) المعنى: أن الذي أخذته لم يتسبب لي عنه ضرر بل بالعكس سيقوى ساعدي ويصلح حالي وينعم عيشي.

(٥) المعنى: أنني لو كنت غرقت معكم لما كان هناك ضرر على وذلك لأنه لا يوجد من يسألني عن فائدة حرزي فأتكلف له الاعتذار وأتمحل أوهن الحجج وأضعف البراهين على صدقي والمراد أن يذكر له أنه كان يعتقد فوزه في حال نجاتهم بما يأخذه منهم وإذا كان الغرق قد كتب عليه معهم فما ضره ألا يأخذ منهم فرأى أن يحتال هذه الحيلة ليبتز منهم ما يصلح شأنه ويقيم حاله ويسعد باله.

المقامة المارستانية (١)

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قال:

(١) أنا وإن كنا نعتقد أن هذه المقامات وما أشبهها قصص متخيلة منتحلة نرى مع هذا أنه كما تضم السجون كثيرًا من المظلومين والأبرياء فكذلك توصد أبواب المارستان على كثير من العقلاء وأرباب النهي ونحن نذكر هنا حادثًا تاريخيًا عن رجل منهم قد يكون أمس بالأدب من الحادث الذي ذكره البديع ولو أن المتنبي كما استظهر أحد أدباء هذا العصر كان مجنونا فكم في الناس من يود بجدع الأنف لنفسه مثل هذا الجنون-

قال أبو بكر الأزهر: حدثني المبرد قال: قال لي المازني: أنت تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواضع المجانين والمعالجين فما معنى ذلك؟ قال: فقلت: أعزك الله تعالى إن لهم طرائف من الكلام قال: فأخبرني بأعجب ما لقيته من المجانين.

فقلت: دخلت يوما إليهم فمررت على شيخ منهم وهو جالس على حصير قصب فجاوزته إلى غيره فقال: سبحان الله تعالى.. أين السلام؟ من المجنون أنا أو أنت؟ فاستحييت منه فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد على أنا نصرف سوء أدبك على أحسن جهاته من العذر لأنه كان يقال: أن للقادم على القوم دهشة، أجلس أعزك الله عندنا وأومأ إلى موضع من الحصير فقعدت ناحية استجلب مخاطبته فقال لي وقد رأى معي محبرة: أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما، أمجالس أصحاب الحديث الأغثاث أو الأدباء أصحاب النحو والشعر؟ فقلت: الأدباء، قال: أتعرف أبا عثمان المازني؟ قلت: نعم، قال: أتعرف الذي يقول فيه؟

وفتى من مازن أستاذ أهل البصره
أمه معرفة وأبوه نكره

فقلت: لا أعرفه، فقال: أتعرف غلامًا له نبغ في هذا العصر معه ذهن وله حفظ وقد برز في النحو يعرف بالمبرد؟ فقلت: أنا ولله عين الخبير به، قال: فهل أنشدك شيئا من شعره؟ قلت: لا أحسبه يحسن قول الشعر، قال: يا سبحان الله! أليس هو القائل؟:

حبذا ماء العناقيد بريق الغانيات
بهما ينبت لحمي ودمي أي نبات
أيها الطالب أشهى من لذيذ الشهوات

دَخَلْتُ مارِسْتانَ الْبَصْرَةِ[١] وَمَعي أَبُو داوُدَ الْمُتَكَلِّمُ[٢] فَنَظَرْتُ إلى مَجْنُونٍ تَأْخُذُني عَيْنُهُ وَتَدَعُني[٣] فَقالَ: إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ فَأَنْتُمْ غُرَباءُ[٤]. فَقُلْنا: كَذلِكَ.

كل بماء المزن تفاح خدود الفتيات

قلت: قد سمعته ينشد هذا في مجلس الأنس، فقال: يا سبحان الله! أو لا يستحي أن ينشد مثل هذا حول الكعبة؛ ثم قال: وما تسمع ما يقولون في نسبه؛ قلت: يقولون: هو من الأزد أزد شنوءة ثم من ثماله، قال: قاتله الله ما أبعد غوره! أتعرف قوله؟

سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون: ومن ثماله؟
فقلت: محمد بن يزيد منهم فقالوا: زدتنا بهم جهاله
فقال لي المبرد: خل قومي فقومي معشر فيهم نذاله

فقلت: أعرف هذا العبد الصمد بن المعدل يقولها فيه، فقال: كذب من ادعاها، هذا لرجل لا نسب له يريد أن يثبت له بهذا الشعر نسبا، فقلت: أنت أعلم، فقال: يا هذا قد غلبت خفة روحك على قلبي وقد أخرت ما كان يجب تقديمه، ما الكنية أصلحك الله؟ قلت: أبو العباس، قال: فما الاسم؟ قلت: محمد، قال: فالأب؟ قلت يزيد: قال: قبحك الله، أحوجتني إلى الاعتذار مما قدمت ذكره، ثم وثب باسطًا يده يصافحني فرأيت القيد في رجله إلى خشبة فأمنت غائلته،

فقال: يا أبا العباس، صن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع فليس يتهيأ أن تصادف مثلي على مثل هذه الحالة، أنت المبرد أنت المبرد؟ وجعل يصفق، وانقلبت عينه، وتغيرت حالته، فبادرت مسرعًا خوفًا أن تبدر لي منه بادرة، وقبلت- والله- منه فلم أعاود إلى مجلس بعدها.

ولسنا ندري أي كارثة أصابت ذلك الفكر الناضج، والعقل السديد فشدته إلى السارية، وغادرته حليف القيود والأغلال؟ ولكن الجنون فنون، ولعله كان مجنونًا بجنون العظمة، أو جنون العبقرية، وأهل العبقرية النابغون- على رأي مذهب طبائع الإنسان- في منزلة آخذة بطرفي العقل والجنون.

(١) المارستان مكان تداوي فيه المجانين.

(٢) المتكلم أي أحد علماء الكلام وهو النظر في العقائد.

(٣) كناية عن توجيه نظره إليه، وتأميله فيه.

(٤) كان من عوائد العرب أن يعرفوا حوادثهم ومجريات أحوالهم بأن يزجروا طيرا فإن مر بهم يمينا تفاءلوا وإن مر شمالا تشاءموا وأشهرهم في ذلك بنو لهب قال الشاعر:

فَقالَ: مَنِ الْقَوْمُ لِلهِ أَبُوهُمْ؟ فَقُلْتُ: أَنَا عِيسى بْنُ هِشام وَهذا أَبُو داوُدَ الْمُتَكَلِّمُ. فَقالَ: الْعَسْكَرِيُّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقالَ: شاهِتِ الْوُجوهُ وَأَهْلُها[1] إِنَّ الْخِيَرَةَ لِلهِ لا لِعَبْدِهِ. وَالأُمُورَ بيدِ اللهَ لا بَيَدِهَ[2].

= خبير بنو لهب فلا تك ملغيا مقالة لهبي إذا الطير مرت

وقال بعض الشعراء:

فإن زجروا طير بنحس تمر بي زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا

(١) أي بئست هذه الوجوه وقبح أهلها.

(٢) أبو داود أحد المعتزلة الذين يقولون أن العبد خالق أفعال نفسه والمجنون يرد عليه هذا القول، ومجمل القول في هذه المسألة التي ثارت عجاجتها بين الفرق الإسلامية إنهم انقسموا في الرأي على ثلاثة أوجه، فقالت الجماعة: إن الله تعالى هو خالق أفعال العبد اختيارية أو اضطرارية لكن للعبد كسبا يقتضي أن يوجه قدرته وإرادته نحو العمل فيختار أحد النجدين، وبه يثاب، وعليه يعاقب، ونصوص الكتاب تشهد لهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] وقال المعتزلة: الموجد للاختيارية منها هو العبد بل قال بعضهم: الخالق لها هو العبد.

واستدلوا على ذلك بأنه لولا استقلال العبد بفعله الاختياري لما كان هناك معنى للتكاليف الشرعية ولبطل المدح والذم والثواب والعقاب ولم يبق لبعثة الرسل إنزال الكتب ودعوة الناس إلى الإيمان والطاعات فائدة قطعية بل مقتضى الحكمة الإلهية أن يجعل الثواب والعقاب ونحوهما متصلين بسبب من فعل العبد لا أن يكون منشأهما شيئا كان هو سبحانه الخالق له وموجده وكيف يكون من عدل الله وقضائه أن يحاسب إنسانا على ما لم يفعله ولم يكن له فيه اختيار.

وهو مردود بأن صحة التكليف وما معه لا تتوقف على كون العبد هو الموجد للفعل والخالق له بل يكفي فيها اختياره وصرف قدرته وإرادته إليه وإن فائدة البعثة وما معها لا يلزم أن تكون سببًا في إيجاد العبد فعل الخير وإنشائه وخلقه بل يكفي في فائدتها أن تكون داعية للعبد إلى صرف قدرته وتوجيه إرادته إلى الفضائل والخيرات، وقال الجبرية: لا اختيار للعبد في شيء من أفعاله أصلا لأن العبد وجميع صفاته من قدرة وإرادة وعلم وغيرها وجميع أفعاله صادرة من الله تعالى، والعبد لا يعلم تفاصيل فعل من أفعال نفسه والاختيار تابع للعلم، وهو مدفوع بأنه لو كان مسلوب الاختيار لم يكن هناك فرق بين حركة البطش وحركة الارتعاش، ولما صح تكليفه وبأن الكسب- وهو رأي الجماعة- لا يتوقف على العلم التفصيلي بل يكفي فيه العلم الإجمالي فأما الذي يتوقف على العلم =

وَأَنْتمْ يا مَجُوسَ هذِهِ الأُمَّةِ تَعيشُونَ جَبْرًا. وَتَمُوتُونَ صَبْرًا. وَتُساقُونَ إلى المَقْدُورِ قَهْرًا[١] وَلَوْ كُنْتُمْ في بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ. أَفَلا تُنْصِفُونَ. إنْ كانَ الأَمْرُ كَما تَصِفُونَ؟. وَتَقُولونَ: خالِقُ الظُّلَمِ ظالِمٌ! أَفَلا تَقُولُونَ: خالِقُ الْهُلْكِ هالِكٌ[٢]؟ أَتَعلَمُون يَقينًا. أَنَّكُمْ أَخْبَثُ مِنْ إبْليسَ دِينًا؟ قالَ: رَبِّ بِما أَغْوَيْتَني. فَأَقَرَّ وَأَنْكَرْتُمْ. وَآمَنَ وَكَفَرْتُمْ[٣].

التفصيلي فهو الخلق والإيجاد وهو رأي المعتزلة، قالوا: وكان أبو العلاء المعري يرى رأي الجبرية حيث يقول:

رماه في اليم مكتوفا وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء

ونحن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى فإن فيلسوف المعرة كان حائرًا مضطربا تتنازعه أفكار كثيرة ولم يقف عند حد مذهب جماعة يصح أن ينسب إليه.

(١) المجوس: جماعة اتخذت من دون الله آلهة نسبوا إليهم خلقهم وإيجادهم واعتقدوا أن بيدهم زمام أمورهم، والمجنون يقول لأبي داود أنه من مجوس المسلمين وذلك لأنه من جماعة المعتزلة الذين يرون للعبد قدرة على الخلق والإيجاد فكأنهم أشبهوا المجوس في إسنادهم الإنشاء لغيره سبحانه وتعالى، وجبرا قسرا، والمعنى: أنه يرد عليه بأن ظاهر حاله في حياته ينقض مذهبه فإنه قد ولد دون أن يختار، وتنزل به المحن، وتعتريه الشدائد، وتحيط به الملمات. من غير أن يكون له رأي في شيء من ذلك فكيف يعتقد أنه مخير في شؤونه مريد والآية التي ذكرها تؤيد دعواه، وتقيم حجته.

(٢) من أدلة المعتزلة على دعواهم قولهم: أن من الأفعال قبيحا كالكفر والظلم وبقية المعاصي، وخلق القبيح قبيح، والله تعالى منزه عن القبيح فيجب ألا يكون خالقه وحنيئذ يلزم أن يكون العبد خالقا لأفعاله، وهو مردود بأنه لا يقبح من الله جلت قدرته شيء لأنه الحكيم القادر على كل شيء القائم على كل نفس بما كسبت. وإنما القبيح كسب القبيح وهو الأمر الذي تتعلق به قدرة العبد وإرادته وقد نقض المجنون دعواهم بأنه لو صح أن يكون خلق القبيح قبيحا للزم منه أن يكون كل خالق شيء متصفا بمخلوقه.

ويلزم من هذا أن يكون خالق الموت ميتا وهم يعتقدون أن الله خالق الموت لأنه اضطراري ولعمري أن ذلك رد في نهاية الإحكام وغاية القوة.

(٣) أي أن إبليس أسند الأغواء إلى الله تعالى وهو شر كما تقولون فأقر بإيكال الأمر كله لله وإسناده إليه وأنتم أنكرتم ذلك وآمن بقضاء الله وقدره ولم تذعنوا لهما.

وَتَقُولونَ: خُيِّرَ فاخْتَارَ[١]. وَكَلاَّ فَإِنَّ المُخْتارَ لا يَبْعَجُ بَطْنَهُ[٢]. وَلا يَفقَأُ عَيْنَهُ[٣]. وَلا يرْمِي مِنْ حالِقٍ ابْنَهُ[٤]. فَهَلِ الإِكْراهُ. إلاَّ ما تَرَاهُ[٥]؟؟ وَالإِكْراهُ مَرَّةً بالمِرَّةِ. وَمَرَّةً بالدِّرَّةِ[٦]. فَلْيُخْزِكُمْ أَنَّ القُرْآنَ بَعِيضُكُمْ. وَأَنَّ الْحَديثَ يَغيظُكُمْ[٧]. إذا سَمِعْتم: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦] أَلْحَدْتُمْ[٨]. وَإذا سَمِعتمْ: (زُوِيَتِ لِيَ الأَرْضُ فَأُريتُ مَشارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا) جَحَدْتُمْ[٩]. وَإذا

(١) إحدى دعاوى المعتزلة، يقولون: إن الله عرض الأفعال خيرها وشرها على العبد فاختار منها لنفسه الأعمال التي نهجها وسار عليها.

(٢) بعج بطنه بالسكين: شقه، فهو مبعوج وبعيج، وبابه قطع.

(٣) فقأ عينه وبخقها- وبابه قطع-: غورها وأتلفها.

(٤) حالق: مرتفع، أي: لو كان للعبد الاختيار الذي تدعونه أنتم لما اختار هذه المضرات الظاهر ضررها البين نكالها.

(٥) أي هل تعرف لذلك الإكراه معنى غير ذلك السوق الذي ترى العباد يسيرون بمقتضاه؟ وهل يمكنك أن تفهم له مغزى أو تتبين له طريقا غير ذلك الظاهر الذي ساق الناس إلى أعمالهم فتراهم مسخرين ولا قدرة لأحدهم على معاندته والوقوف في طريقه.

(٦) المرة: العقل والمراد أن الإكراه نوعان: نوع خفي، وهو التسلط على المشاعر وقهر العقل وغلبته. ونوع طاهر وهو السوق بالعصي، ويخيل لي أن في هذا نوع ميل إلى مذهب الجبرية الذين يقولون بجبر العبد وعدم اختياره وذلك أن مذهب الجماعة وسط بين المذهبين كما أسلفنا.

(٧) البغض: المقت والكراهية، والبغيض الممقرت والمكروه والمعنى: أن من أسباب خزيكم وخجلكم أن يكون كتاب الله ممقوتا عندكم غير محبوبا لديكم لأنه ناطق بالحجة ضدكم.

(٨) ألحد في دين الله: حاد عنه وعدل ولحد من باب قطع: لغة فيه، وقرئ قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ [النحل: ١٠٣] بها، والتحد: مثله، والمعنى أنكم حينما تسمعون نسبة الإضلال الذي هو شر للعبد إلى الله في محكم كتابه تميلون وتتأولون وتنتحلون وتقولون الذي لا ينطبق مع القرآن في شيء.

(٩) زوي الشيء يزويه زيا: جمعه وقبضه والحديث من خوارق العادات، والمعتزلة لا ينكرونها، وإنما ينكرون المعراج وهو صعود النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما فوق السموات السبع حيث لا يعلم إلا الله، ويقولون: إنما كان في النوم لا في اليقظة كما روى في حديث عائشة وهذا الحديث يقرب الاستدلال على أنه كان حقيقة وفي اليقظة كما يقول الجماعة فهو يقول له أنكم حينما يذكر لكم هذا الحديث تجحدون أي تنكرون نسبته إلى الرسول لأنه يدحض مدعاكم ويقيم الحجة عليكم.

سَمِعتم: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَقْطِفَ ثِمَارَها. وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ حَتى أَتقَيْتُ حَرَّها بِيَدِي) أَنْغَضتم رُؤُسَكُمْ وَلَوَيْتُمْ أَعْناقَكُمْ[١].

وَإِنْ قيلَ: عَذابُ القَبْرِ تَطَيَّرْتُم[٢]. وَإِنْ قيلَ: الصِّراطُ تَغامَزْتُمْ[٣]. وَإِنْ ذُكِرَ الْميزانُ قُلْتمْ: مِنَ الْفِرْغِ كِفَّتاهُ[٤] وَإِنْ ذُكِرَ الْكِتابُ قلْتمْ: مِنَ القِدِّ دَفَّتاهُ[٥]. يا أَعْداءَ الْكِتابِ وَالْحَديثِ بِماذا تَطَيَّرون؟. أَباللهِ وَآياتِهِ وَرَسُولِهِ تَسْتَهْزِؤُنَ؟. إِنَّما مَرَقَتْ مارِقَةٌ فَكانوا خَبَثَ الْحَديثِ[٦].

---

(١) نغض رأسه من باب نصر وجلس: تحرك، وأنغض فلان رأسه أي حركه كالمتعجب ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١] ويقال: نغضه (متعديا) أيضا، والمعنى: أنكم حين تسمعون ذكر الجنة والنار بما يدل على وجودهما اليوم تتعجبون وتعرضون عن القائل لأنكم ترون كلامه كالشجا في حلوقكم، والمعتزلة ينكرون وجود الجنة والنار اليوم فأما الجماعة فيقولون إنهما موجودتان الآن مخلوقتان قبل خلق الإنسان بدليل ما ذكره الله تعالى من قصة آدم وحواء وإسكانهما في الجنة وإخراجهما منها ولقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ والصيغة تقتضي الوجود بالفعل في هذه الأثناء.

(٢) تطيرتم: تشاءمتم، والمعتزلة ينكرون العذاب في القبر والحديث ناطق بتسفيههم والرد عليهم فقد قال صلى الله عليه وسلم: (القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، مر على قبرين فقال: أنهما ليعذبان وما يعذبان في كثير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة) وقال الله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

(٣) من دعاوي المعتزلة أن الصراط المذكور في الكتاب هو الطريق المعنوي وليس هناك كما يقول الجماعة جسر ينصب على شفير النار يجتازه المؤمنون وتزل عليه أقدام المبطلين وصريح الكتاب والحديث ضدهم فقد ورد في الحديث وصفه وذكر كيفية العبور عليه واجتيازه.

(٤) أي تهزأتم بذلك، والفرغ بكسر أوله: الفراغ، والمراد عدم وجوده والله يقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾.

(٥) القد- بكسر أوله-: الجلد أي أدعيتم أنه حادث ووصفتموه بصفات الحوادث، والقول الفصل أن القديم هو صفة الله الكلامية فأما الحروف التي نقرأها والكاغد والورق فمحدثة.

(٦) خبث الحديد وغيره بفتحتين: ما نفاه الكير، ويقال: مرق السهم من الرمية إذا خرج من الجانب الآخر، وبابه دخل ومنه سميت الخوارج مارقة لقوله صلى الله عليه وسلم: (يمرقون من =

ثُمَّ مَرَقْتُمْ مِنْها فَأَنْتُمْ خَبَثُ الْخَبيثِ[١]. يا مَخانيثَ الْخَوارِجِ تَرَوْنَ رَايَهُمْ إِلاَّ القِتَالَ![٢] وَأَنْتَ يا ابْنَ هِشامٍ تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتَكْفُرُ بِبَعْضٍ؟. سَمِعْتُ أَنَّكَ افْتَرَشْتَ مِنْهُمْ شَيْطانَةً[٣]!.

أَلَمْ يَنْهَكَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أن تَتخِذَ مِنْهُمْ بِطانَةً[٤]؟. وَيْلَكَ هَلا تَخَيَّرْتَ لِنُطْفَتِكَ. وَنَظَرْتَ لِعَقِبِكَ[٥]. ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ ابْدُلْنِي بِهؤُلاءِ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَشْهِدْني مَلائِكَتَكَ[٦]. قالَ عِيسى بْنُ هِشامٍ: فبَقِيتُ وَبَقِيَ أَبُو دَاوُدَ لا نُحِيرُ جَوَابًا[٧] وَرَجَعْنا عَنْهُ بِشَرٍّ وَإِنِّي لأَعْرِفُ في أَبي دَاوُدَ انْكِسارًا حَتَّى أَرَدْنا الافْتِراقَ قالَ: يا عِيسى هذا وَأَبيكَ الْحَديثُ فمَا الَّذي أرادَ بالشَّيْطانَةِ؟ قُلْتُ: لا وَاللهِ ما أَدْرِي غَيْرَ أَنِّي هَمَمْتُ

= الدين كما يمرق السهم من الرمية) والمعنى أنه خرجت جماعة فكانت للحديث كالصدأ للحديد.

(١) ثم خرجتم أنتم عنها فكان خبثكم أشد.

(٢) الخوارج: جماعة خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقاموا في وجهه يفسقونه ويحاربونه لتحكيمه عَمْروًا وأبا موسى وقالوا ليس الحكم إلا لله فكل من أسنده لغيره فقد فسق، والمعتزلة يرون أن واحدا من الإمامين (علي ومعاوية) قد فسق ولكنهم لم يجزموا بواحد بعينه وهم لا يرون قتاله ولذلك فإن المجنون جعلهم مخانيث الخوارج لأنهم بينهم كالرجل الذي يتطبع بطبائع النساء بين الرجال.

(٣) تزوجت امرأة منهم.

(٤) بطانة الرجل ووليجته: خاصته ومن يشتد بهم أزره ويقوى ساعده ولعل أصله بطانة الثوب ضد ظهارته لأن بها يقوى الثوب ويكون أكثر تحملا.

(٥) في الحديث: (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس، إياكم وخضراء الدمن قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء، لا تجعلوا نطفكم إلا في طهارة) فكل هذا حث على اختيار الزوجة وانتخابها من طواهر النساء وفضلياتهم.

(٦) أشهدني: أرني، والمراد أخرجني من هذه الحياة التي تجمعني بهؤلاء الأقذار وادعني إلى الحياة الأخرى لا لقي ملائكتك.

(٧) يقال كلمته فما أحار جوابا: أي ما رجع، وقال الأخطل:

هلا ربعت فتسأل الأطلالا ولقد سألت فما أحرن سؤالا

ومنه يقال حاورته أي راجعته، وهو حسن الحوار، وكلمته فما رد إلى محوره.

أَنْ أَخْطُبَ إلى أَحَدِهِمْ وَلَم أُحَدِّثْ بِما هَمَمْتُ بِهِ أَحَدًا. وَاللّهِ لا أَفْعَلُ ذلِكَ أَبَدًا. فَقالَ: ما هذا وَاللهِ إلا شَيْطانٌ. في أَشْطانٍ[١] فَرَجَعْنا إلَيْهِ. وَوَقفْنا عَلَيْهِ. فابْتَدَرَنا بالْمَقالِ وَبَدَأْنا بالسُّؤالِ. فَقالَ: لَعَلَّكُما آثَرْتُما. أَنْ تَعْرِفا مِنْ أَمْري ما أَنْكَرْتُما[٢].

فَقُلْنا: كُنْتَ مِنْ قَبْلُ مُطَّلِعًا عَلَى أُمُورِنا. وَلَمْ تَعْدُ الآنَ ما في صُدُورِنا[٣]. فَفَسِّرْ لَنا أَمْرَكَ. وَاكْشِفْ لَنا سِرَّكَ. فَقالَ:

أنا ينبوعُ العجائبْ ... في احتيالي ذُو مَراتبْ[٤]
أنا في الحقِّ سنامٌ ... أنا في الباطلِ غاربْ[٥]
أنا إسكندرُ داري ... في بلادِ اللهِ سارِبْ[٦]
أغتدي في الدَّيرِ قسًّا ... ميسًا وفي المَسْجِدِ راهبْ[٧]

المقامة المجاعية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: كُنْتُ بِبَغْدادَ عامَ مَجاعَةٍ[٨]. فَمِلْتُ إلى جَماعَةٍ.

---

(١) يقال: عندي شطن قوي وهو الحبل يستقي به وتربط به الدابة وجمعه أشطان.

(٢) آثرتما: فضلتما ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي فضلك، والمعنى أني أرى في عودتكما أنكما فضلتما أن تتبينا ما خفي عليكما من أمري.

(٣) تعد: تجاوز، والمعنى أنك الآن كدى قبل قد تفرست فينا فلم تخطئ فراستك ولم يخب ظنك.

(٤) أي أنا مصدر كل عجيبة، ومورد كل غريبة، ومعدن كل شاردة.

(٥) السنام: أعلى ظهر البعير، والغارب: كاهله، وهو مرتفع أيضا، والمعنى أنه إذا أراد الحق كان في أعلى مكانه منه وأن شاء الباطل برع فيه أيضا.

(٦) السارب: الذاهب في الأرض نهارا كالهائم الذي لا يدري أين يتوجه.

(٧) أي أنه ذو ألوان فتارة يدعو إلى هذا وطورا إلى ذاك والمراد مجرد التقلب إلى ألوان مختلفة.

(٨) قحط. أمحال. جدب. شدة.

قَدْ ضَمَّهُمْ سِمْطُ الثُّرَيَّا(١). أَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيًّا. وَفيهِمْ فتًى ذُو لثْغةٍ بِلِسانِهِ(٢). وَفَلِجٍ بِأَسْنانِهِ(٣).

فَقالَ: ما خَطْبُكَ(٤)؟. قُلْتُ: حالانِ لا يُفْلِحُ صاحِبُهما: فَقيرٌ كَدَّهُ الْجُوعُ(٥). وَغَريبٌ لا يُمْكِنُهُ الرُّجُوعُ(٦).

فَقالَ الْغُلامُ: أيُّ الثُّلْمَتَينِ تُقَدِّمُ سَدَّها(٧)؟ قُلْتُ: الْجُوعُ قَدْ بَلَغَ مِنِّي مَبْلَغًا(٨)! قالَ: فَما تَقولُ في رَغيفٍ عَلَى خُوانٍ نَظيفٍ. وَبَقْلٍ قَطيفٍ(٩). إلى خَلٍّ ثَقيفٍ(١٠). وَلَوْنٍ لطيفٍ. إلى خَرْدَلٍ حِرِّيفٍ(١١). وَشِواءٍ صَفيفٍ. إلى مِلْحٍ

---

(١) السمط: السلك ما دام اللؤلؤ منظوما به وإلا فهو سلك. والثريا: مجموع كواكب يشبهون بها الجماعات المتآلفة.

(٢) أي أنه يبدل بعض الحروف ببعض.

(٣) الفلج تباعد ما بين الأسنان وهو من محاسنها.

(٤) ما حاجتك؟ أو ما هو الأمر الذي آلمك فجئت تشكو منه؟

(٥) كده: أتعبه، وأجهده، ونال منه، وأعياه.

(٦) أي لا يستطيع العودة إلى وطنه، ولا يقدر على الأوبة لداره.

(٧) الثلمة: هي الشق في الحائط ونحوه وليس مما يرتاب فيه أن الجوع والاغتراب أكبر ما ينزل بسعادة المرء فيعطلها.

(٨) أي أنني أفضل رد عادية الجوع لأنه أقوى وآكد وقد أصبح وطؤه على ثقيلا، وعبئه متعبا كادا، وقد تحملت له العناء والمشقة، وشربت منه الأمرين، فخلصني منه أو لا، ونجني من آلامه بادئ ذي بدء.

(٩) الخوان: المائدة قبل أن يوضع عليها طعام فإذا وضع فهي مائدة.

(١٠) بقل قطيف: مقطوف: أي ورق بلا جذور، وخل ثقيف حامض جدا.

(١١) اللون: الدقل: وهو نوع من النخل، وهو جمع واحدته لينة وأصلها لونة بالواو ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت ياء ومنه قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ وثمرها سمين يسمى العجوة، وقد تجمع على لين، والمراد هنا نبيذ ذلك التمر، والخردل حب شجر معروف، وحريف: أي له لذعة في اللسان وأصل هذه الكلمة (الحرف) بوزن قفل: وهو حب الرشاد، وإنما يستحب مثل ذلك أثناء الطعام لأنه يجدد الشهوة إلى الأكل.

خَفيفٍ[١] . يُقَدَّمُهُ إلَيْكَ الآنَ مَنْ لا يَمْطُلُكَ بِوَعْدٍ[٢] وَلا يُعَذِّبُكَ بِصَبْرٍ . ثُمَّ يَعُلُّكَ بَعْدَ ذلِكَ[٣] بِأَقْداحٍ ذَهَبِيَّةٍ . مِنْ راحٍ عِنَبِيَّةٍ[٤]؟ أذاكَ أحَبُّ إلَيْكَ أمْ أوْساطٌ مَحْشُوَّةٌ[٥] .

---

(١) الشواء بكسر الشين: اللحم المشوي. والقطعة منه شواءة، والفعل: شوي يشوي شيا وتقول: انشوى اللحم، ولا تقل: اشتوى، والصفيف- بوزان أمير-: ما صف في الشمس ليجف أو على النار لينشوي، والمعنى: هل تريد أن أقدم لك لحما قد جعل شواء وأجيئك معه بقليل من الملح ليساعدك على الأكل.

(٢) لا يسوف عليك بل يسرع لك بالإنجاز والتنفيذ.

(٣) أصل العل الشرب مرة بعد أخرى وأراد منه هنا مطلق شيء يجيء بعد آخر.

(٤) أي: خمر متخذة من العنب وقد أولع الشعراء قديمهم وحديثهم بالكلام عنها ووصفها، قال أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز:

وحلو الدلال مليح الغضب ... يشوب مواعيده بالكذب
سقاني وقد سل سيف الصبا ... ح والليل من خوفه قد هرب
عقارا إذا ما جلتها السقا ... ة ألبسها الماء تاج الحبب
فأصلح بيني وبين الزمان ... وأبدلني بالهموم الطرب
وما العيش إلا لمستهتر ... تظل عواذله في شغب
يهيم إلى كل ما يشتهي ... وإن رده العذل لم ينجذب
ويسخو بما قد حوت كفه ... ولا يتبع المن ما قد وهب
فكم فضة فضها في سرو ... ر يوم وكم ذهب قد ذهب

والمبرز في هذه الحلبة ذو المعاني الفياضة والأساليب المستملحة هو الحسن بن هاني أبو نواس الذي يقول:

وكأس كمصباح السماء شربتها ... على قبلة أو موعد بلقاء
أتت دونها الأيام حتى كأنها ... تساقط نور من فتوق سماء
ترى ظهرها من ظاهر الكاس ساطعا ... عليك ولو غطيتها بغطاء

ولابن الرومي كلام جزل وشعر رائع في هذا الباب وهو الذي يقول:

يمل كل شراب من يعاقره ... وشارب الراح مشعوف بها عانى
كريقة المرء لا تنفك في فمه ... وما يمل لها طعم لأبان

(٥) أي أماكن جمعت كثيرا من الظراف.

وَأكْوابٌ مَمْلُوَّةٌ[١] . وَأنْقالٌ مُعَدَّدَةٌ[٢] . وَفُرُشٌ مُنَضَّدَةٌ[٣] . وَأنْوارٌ مُجَوَّدَةٌ[٤] وَمُطْرِبٌ مُجِيدٌ[٥] . لهُ مِنَ الْغَزَالِ عَيْنٌ وَجِيدٌ[٦]؟ فإنْ لمْ تُرِدْ هذَا وَلا ذَاكَ . فَما قَوْلُكَ في لَحْمٍ طَرِيٍّ . وَسَمَكٍ نَهْرِيٍّ[٧] وَبَاذِنْجانٍ مَقْلِيٍّ . وَرَاحٍ قُطْرُبُّلِيٍّ[٨] . وَتُفاحٍ

(١) الأكواب : جمع كوب وهو الكوز ما لم يكن به عروة وأراد بها أكواب الخمر وكؤوسها .

(٢) أنقال جمع نقل وهو بفتح أوله ما ينتقل عليه من الخمر ومنه إليها .

(٣) نضد متاعه من باب ضرب- وضعه منتظما مرتبا مصفوفا ، ونضده تنضيد أيضا : للمبالغة في وضعه متراصفا .

(٤) جاد الشيء يجود جودة (بفتح الجيم وضمها) ، صار جيدا ، وأجاده وجوده : صيره كذلك ، ومعنى تجويد الأنوار : أنه قد أجيد سراجها وتؤنق في مسارجها .

(٥) التطريب في الصوت : مده وتحسينه ، ولو كان المطرب مأخوذا من هذا لكان على زنة اسم الفاعل من المضعف ، ولعله مأخوذ من أطرب بمعنى بعث الطرب إلى غيره مع ملاحظة ذلك المعنى ، والطرب : خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور .

(٦) الجيد : العنق ومثل هذا قول المجنون :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق

ومن بديع ما قيل في القيان قول ابن الرومي :

ظبية تسكن القلوب وترعا ها وقمرية لها تغريد
حسنها في العيون حسن جديد فلها في القلوب حب جديد
تتغنى كأنها لا تغني ،من سكون الأوصال، وهي تجيد
مد في شأو صوتها نفس كا ف كأنفاس عاشقيها مديد
وأرق الدلال وال... منه وبراه الشجا فكاد يبيد
فتراه يموت طورا ويحيى مستلذ بسيطه والنشيد
في هوى مثلها يخف حليم راجع حلمه ويغوي رشيد
خلقت فتنة غناء وحسنا ما لها فيها جميعا نديد
لي حيث انصرفت منها رفيق من هواها وحيث حلت قعيد
عن يميني وعن شمالي وقدا مي وخلفي فأين عنه أحيد

(٧) لحم طري : أي لا يجهد المعدة ولا يحملها مشقة كلحم الطير ، والسمك النهري : المستخرج من النهر ، وهو أكثر طراءة من سمك البحر الملح ، والمعنى : إذا كنت لا تستطيع الموافقة على حضور مجلس الغناء ومشاركة الندماء في احتساء الخمر فماذا ترى في مثل هذا .

(٨) قطربل : قرية بالعراق شهيرة بالخمر وقال أبو نواس :

جَنِيٍّ[١]. وَمَضْجَعٍ وَطِيٍّ[٢]. عَلَى مَكانٍ عَلِيّ[٣]. حِذَاءَ نَهْرٍ جَرَّارٍ. وَحَوْضٍ ثَرْثَارٍ[٤]. وَجَنَّةٍ ذَاتِ أَنْهارٍ؟

قَال عِيسى بْنُ هِشامٍ: فقُلْتُ: أنا عَبْدُ الثَّلاثَةِ[٥]. فقَالَ الغُلامُ: وَأنا خادِمُها لَوْ كانَتْ[٦]. فَقُلْتُ: لا حَيَّاكَ اللهُ، أَحْبَيْتَ شَهَوَاتٍ قَدْ كانَ الْيَأْسُ أماتَها[٧]. ثُمَّ قَبَضْتَ لهَاتَها[٨]. فَمِنْ أيِّ الْخَرَاباتِ أَنْتَ[٩]؟. فقَالَ:

أنا مِنْ ذَوِي الإِسْكَنْدَرِيَهْ ... مِنْ نَبْعَةٍ فِيهِمْ زَكِيَهْ[١٠]

سَخُفَ الزَّمانُ وَأهلُهُ ... فَرَكِبْتُ مِنْ سُخْفِي مَطِيَّهْ[١١]

قطربل مربعي ولي بقري الكر ... خ مصيف وأمي العنب

ترضعني درها وتلحفني ... بظلها والهجير يلتهب

(١) يقال: ثمر جنى إذا كان حين اقتطافه قريبا، والفاكهة أجود ما تكون إذا كانت كذلك.

(٢) مضجع وطي: لين، هانئ، لا تمل النوم فيه.

(٣) مرتفع، وذلك من دواعي الرغبة.

(٤) أي يسمع به صوت الماء دائما لدوام جريه.

(٥) أي أريد كل هذه الأمور التي ذكرت.

(٦) أي كما أنك تشتاقها وتتمنى وجودها بين يديك فكذلك أنا ولكن الحصول عليها عسير.

(٧) أي أثرت في نفسي دواعي الشهوة إلى أشياء كان الفقر قد أيأسني من بلوغها.

(٨) اللهاة: الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم، والجمع اللها واللهوات واللهيات أيضا، والمعنى: أنك بعد أن هيجت ساكن الشهوة إلى ما ذكرت من المطعم والمشرب لم تنقع الغلة ولم تبل الأوام بل تركتني أتألم وأتضجر.

(٩) والخرابات: الأمكنة المتخربة التي لا يسكنها أحد، ويزعمون أنها تكون مأوى الشياطين، فالمعنى: أنت شيطان من أي مكان.

(١٠) أي أنا من أصل أصيل في الإسكندرية.

(١١) السخف- بوزن القفل-: رقة العقل، وبابه طرب فهو سخيف، والمعنى أن الزمان وأهله قد رقت عقولهم وضعفت أحلامهم فالتزمت أن أكون مثلهم فتعمدت السخف وتصنعت الجهالة.

المقامة الوعظية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشَام قالَ : بَيْنا أنا بِالْبَصْرَةِ أمِيسُ[١] . حَتَّى أدَّانِي السَّيْرُ إلَى فُرْضَةٍ قَدْ[٢] كَثُر فِيها قَوْمٌ عَلَى قَائِم يَعِظُهُمْ وَهُوَ يقُولُ : أيُّها النَّاسُ إنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدًى[٣] . وَإنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا[٤] وَإنَّكُمْ وَارِدُوا هُوَّةٍ[٥] . فأَعِدُّوا لَهَا ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . وَإنَّ بَعْدَ الْمَعاشِ مَعادًا[٦] . فأَعِدُّوا لهُ زَادًا . ألا لا عُذْرَ فقَدْ بُيِّنَتْ لَكُمُ المَحَجَّةُ[٧] . وَأُخِذَتْ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةُ . مِنَ السَّماءِ بِالْخَبَرِ . وَمِنَ الأَرْضِ بِالْعِبرِ[٨] . ألا وَإنَّ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ عَلِيمًا . يُحْيِي الْعِظامَ رَمِيمًا[٩] ألا وَإنَّ الدُّنْيا دَارُ جَهازٍ . وَقَنْطَرَةُ جَوَازٍ[١٠] . مَنْ عَبَرَها

---

(١) أي اختال في مشيتي ، وأتبختر في سيري .

(٢) فرضة : فرجة ، ثلمة .

(٣) أيْ هملاً لا راعي لكم .

(٤) أي إن كنتم تظنون أنكم تفرون اليوم فإن الغد ملاقيكم فأعدوا له .

(٥) الهوة في الأصل : الحفرة العميقة وأراد منها القبر .

(٦) المعاد : الرجوع والمعنى أن بعد هذه الحياة حياة أخرى ترجعون فيها إلى الله وكما أنكم لا تحيون هنا إلا بالزاد وأنتم تتكالبون عليه فاجمعوا شيئا من الزاد تستمدون منه هناك وهو العمل الصالح .

(٧) الحجة : الطريقة الواضحة ، والحجة البرهان .

(٨) أي نزل عليكم من السماء دليل الشرع وبين أيديكم دليل العقل وهو التدبر في الأكوان وملكوت الأرضين والعبرة بالكسر : الاسم من الاعتبار وجمعها عبر .

(٩) بدأ الخلق : أنشأه أول مرة ، والرميم : البالي ، وهو فعيل من قولهم : رم العظم يرم رمة بكسر الراء في الأخيرين إذا بلى وتقادم عليه العهد والمعنى : أن الله جلت قدرته قد أنشأكم أول مرة وأوجدكم بداءة عالما بكم خبيرا بما تكونون عليه وأنه لن يعجز على إعادتكم ليعرضكم على الحساب ويناقشكم فيما أسلفتم في أيام حياتكم الأولى وإذا كان حاله كذلك فقد وجب على عبده إلا يلهو عن مراقبته وحساب نفسه .

(١٠) جهاز العروس والسفر- بفتح الجيم وكسرها : متاعه وحمولته التي يأخذها معه المسافر ، والجواز : المرور ، والسلوك ، والسير ، والمعنى : أن هذه الحياة ليست إلا سوقا تتجهزون منها لسفركم الطويل ، وطريقا تسلكونه إلى مقصدكم الذي تريدونه فانتقوا من المتاع ما تعلمون أنه يعينكم في سفركم ولا يضركم ، وأسلكوا الطريق التي لا يشوبها عوج ولا تنهشكم أسودها .

سَلِمَ. وَمَنْ عَمَرَها نَدِمَ[١]. أَلا وَقَدْ نَصَبَتْ لَكُمُ الْفَخَّ وَنَثَرَتْ لَكُمُ الْحَبَّ. فَمَنْ يَرْتَعْ. يَقَعْ. وَمَنْ يَلقُطْ. يَسْقُطْ[٢].

أَلا وَإِنَّ الْفَقْرَ حِلْيَةُ نَبِيِّكُمْ فاكْتَسُوها. وَالْغِنى حُلَّةُ الطُّغْيانِ فَلاَ تَلْبَسُوها[٣]. كَذَبَتْ ظُنُونَ الْمُلْحِدِينَ. الَّذِينَ جَحَدُوا الدِّينَ. وَجَعَلوا الْقُرْآنَ عِضِينَ[٤]. إِنَّ بَعْدَ الْحَدَثِ جَدَثًا[٥]. وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا[٦]. فَحَذارِ حَرَّ النَّارِ[٧]. وَبَدارِ عُقْبَى الدَّارِ.

أَلا وَإِنَّ الْعِلْمَ أَحْسَنُ عَلَى عِلاَّتِهِ. وَالْجَهْلَ أَقْبَحُ علي حَالاتِهِ[٨]. وَإِنَّكُمْ أَشْقَى

---

(١) عبرها: تخطاها، وعمرها: أقامَ فيها العمارات.

(٢) أي أن الدنيا كصياد ينصب حبائله للطير لا يريد بذلك منفعة الطير ولكنه يريد منفعة نفسه فكل طائر يلقط الحب يقع في هذه الأحبولة.

(٣) المعنى: لا يزدهيكم رونق الغنى ولا تغرنكم مظاهره ولا يخدعكم سرابه الألاء فإنه عرض زائل ومتاع قليل وهو مع ذلك مثار الاغترار ومنشأ التهلكة ورداء من لبسه نسى الله واتبع هواه فأضله وأرداه، ولا تأنفوا الفقر، ولا تنفروا من الإملاق فإنه يذكركم بالخالق دائمًا ويحثكم على طاعته وضوانه، ولقد خير النبي عليه السلام في أن يكون له مثل جبل أحد ذهبًا فقال: لا، يا رب، أجوع يومًا فأحمدك، وأشبع يومًا فأشكرك. فتشبهوا به وسيروا سيرته وانهجوا طريقه.

(٤) عضين: جمع عضه وهي الفرقة، كانوا يختلفون في تأويله بالسحر والكهانة والأساطير، والمعنى: أن هؤلاء الذين عاندوا النبي ولم يقبلوا قوله واستكبروا عن الاستجابة له قائلين: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين. - قد كذبوا في هذه الدعوى، وضلوا عن الصراط فلا تسمعوا لهم ولا تقولوا بقولهم.

(٥) الحدث: الحياة في هذه الدنيا. والجدث: القبر.

(٦) عبثا: بلا حكمة وأراد من هذا أن يبين لهم أن المعاد أمر يقتضيه العقل ولا يأباه كل ذي فكر لأن من اعتقد أنه لم يوجد في هذه الحياة ليتمتع بلذائذها ويثلج بنعائمها ثم لا يكون بعد ذلك شيء فقد ضل ضلالا بعيدًا بل لابد وأن تكون هناك حكمة في هذا الوجود هي، إثابة الخيرين والتنكيل بالأشرار.

(٧) حذار: اسم فعل بمعنى احذروا وبدار اسم فعل معناه بادروا.

(٨) أي أن العلم وإن كان فيه تعب ومشقة ولكنه حسن وجميل بخلاف الجهل وأن صحبته الدعة والراحة.

مَنْ أَظَلَّتْهُ السَّماءُ. إنْ شَقِيَ بِكُمُ الْعُلماءُ[١] النَّاسُ بِائِمَّتِهِمْ. فإنِ انْقَادُوا بازِمَّتِهِم. نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ[٢].

وَالنَّاسُ رَجُلانِ: عالِمٌ يَرْعَى. وَمُتَعَلِّمٌ يَسْعَى. وَالبَاقُونَ هامِلُ نَعامٍ. وَرَاتِعُ أَنْعامٍ[٣]. وَيْلُ عالٍ أُمِرَ مِنْ سَافِلِهِ. وَعالِمِ شَيءٍ مِنْ جاهِلِهِ[٤].

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عَلَّى بْنَ الْحُسَيْنِ كانَ قائِمًا يَعِظُ النَّاسَ وَيَقُولُ:

يا نَفْسُ حَتَّامَ إلى الحَياةِ رُكُونُكِ. وَإلى الدُّنْيا وَعَمارَتِها سُكُونُكِ[٥]. أما اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضي مِنْ أَسْلافِكِ. وَبِمَنْ وَارَتْهُ الأَرْضُ مِنْ أُلافِكِ[٦]. وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِنْ إخْوَانِكِ. وَنُقِلَ إلى دَارِ الْبِلَى مِنْ أَقْرانِكِ[٧]؟؟

---

(١) المعنى إذا لم تهتدوا بهدى العلماء ولم تنهجوا سبيلهم فقد حلت بكم الشقوة.

(٢) أي ليس الناس إلا بقوادهم وهم أئمة الدين فإن أسلموا لهم زمامهم نجوا وإن جمحوا هلكوا.

(٣) أي لا يعد إنسانًا إلا واحد من اثنين عالم أو متعلم، وهو من حديث علي: كن عالمًا أو متعلمًا ولا تكن الثالثة فتهلك.

(٤) ليس أشق على النفس ولا أنكى بها من سافل يأتمر العلية بأمره أو جاهل يرشد العالم إلى ما لا يعلمه.

(٥) ركن إليه- من باب دخل، وركن أيضًا بالكسر-: مال وسكن، والمعنى: ألا ترتدعين أيتها النفس الغاوية عن الميل إلى لذات الدنيا وشهواتها وتخلعين عنك ثوب التكالب على جمعها وإقامة العمائر بها.

(٦) يقال: ألفت الموضع آلفه إلفا، وألفته أولفه إيلافًا، مؤالفة وإلافا: أي أحببته ورغبت فيه، ومنه: الإلف يقال: حنت الإلف إلى الإلف، والأليف وجمعه ألائف بزنة تبيع وتبائع فأما الألاف فجمع آلف بمعنى محب وراغب، بزنة كافر وكفار، والمعنى: ألم تكن لك بمن سبقك من الناس موعظة فتهتدي إلى ما ينجيك؟ ثم ألم تأخذك الحسرة على نفسك بعد ما تبين لك أن إخوانك ومحبيك ومن كنت تركن إليهم قد صاروا إلى الأجداث وتواروا تحت التراب؟؟؟

(٧) الفجيعة: الرزيئة. وقد فجعته المصيبة- من باب قطع- وفجعته أيضا تفجيعا: أوجعته وآلمته، والأقران جمع واحده قرن وهو بفتح أوله: مثلك في السن تقول: هو على قرني أي على سني، وبكسره قريعك في الشجاعة وضريبك والمعنى: ألا تردعك المصائب التي نزلت بعشيرتك وإخوانك فتألمت لها نفسك ثم ألم يحزنك انتقال لداتك وقرنائك إلى الحياة الثانية فتعتبر بهم.

فَهُمْ فِي بُطُونِ الأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا
مَحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالِ دَوَاثِرُ[١]
خَلَتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ
وَسَاقَتْهُمُ نَحْوَ المَنَايَا المَقَادِرُ[٢]
وَخَلَّوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَضَمَّتْهُمُ تَحْتَ التُّرَابِ الْحَفَائِرُ[٣]

كَمِ اخْتَلَسَتْ أَيْدِ الْمَنُونِ. مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ[٤]. وَكَمْ غَيَّرَتْ بِلاها. وَغَيَّبَتْ أَكْثَرَ الرِّجَالِ فِي ثَرَاها؟؟

وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ لُخِطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَاثِرُ[٥]
عَلَى خَطَرٍ تَمْشِي وَتُصْبِحُ لا هِيَا أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ؟[٦]

---

(١) بوال: جمع بال وهو الخلق الرث ودواثر جمع داثر وهو الهالك.

(٢) أقوت: خلت وأقفرت، قال النابغة:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

والعراص: جمع عرصة وهي الفضاء بين الدور، والمقادير: الأقضية، وأحكام الله.

(٣) المعنى: أنهم نزحوا عن هذه الحياة تاركين أموالهم وذخائرهم التي قضوا أعمارهم في جمعها وتحصيلها واستنفدوا أيامهم في الكدح لها والجد عليها وكأنهم كانوا لا يظنون وراءهم مثل ذلك اليوم فلما ذهبوا ضمت أجسامهم حفرة صغيرة ووسعهم جحر ضيق وكانت الدنيا كلها تضيق في وجوههم.

(٤) أي أن الموت أباد كثيرا من جماعات الناس وأفنى العديد من الأمم والقرون: جمع قرن وهو أهل الزمان الواحد. قال الشاعر:

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب

وهو أيضًا ثمانون سنة وقيل ثلاثون سنة.

(٥) أكب فلان على كذا وانكب: لزمه وما فتئ يفعله، والمنافسة: المباراة والتسارع إلى العمل، والتكاثر: المكاثرة في الأعمال والأموال ونحوهما أي المغالبة في كثرتهما والمعنى أنك مقبل على الدنيا تجمع لذاتها وتنافس فيها أهلها في حرص منك ومغالبة ومنافسة كأنك تعتقد دوام الحال لك.

(٦) أي أنك تسير في الدنيا سيرا خطيرا بحيث لو عقلت لعلمت أنك تعرض بنفسك للشقاوة والهلاك.

وإنَّ امْرأً يَسْعى لِدُنْياهُ جاهِدًا ... ويَذْهَلُ عَنْ أُخْراهُ لاشَكَّ خاسِرُ[١]

أُنْظُرْ إلى الأُمَمِ الْخَالِيَةِ[٢]. وَالمُلُوكِ الفَانِيَةِ[٣] كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمُ الأَيامُ[٤].

وَأَفْنَاهُمُ الْحِمَامُ[٥] فأَنْمَحَتْ آثارُهُم. وَبَقِيَتْ أَخْبارُهُم[٦].

فاضْحَوْا رَميما في الْتُّرابِ وأَقْفرتْ ... مجالِسُ مِنْهُمْ عُطِّلَتْ ومقاصِرُ[٧]

وَخلَّوا عَنِ الدُّنيا وَما جَمَعُوا بِها ... وَما فازَ مِنْهُمْ غَيرُ مَنْ هُوَ صابِرُ

وَحلُّوا بِدَارٍ لا تَزاوُرَ بَيْنَهُمْ ... وَأَنى لِسُكانِ الْقُبُورِ التَزاوُرُ[٨]

فَما إنْ تَرَى إلاَّ رُمُوسًا ثَوَوْا بِها ... مُسطَّحَةً تَسْفي عَلَيْها الأَعاصِرُ[٩]

---

(١) والمعنى أنه لا ريب في أن الذي يكون همه تحصيل الدنيا دون أن يهتم بشأن حياته الأخرى سيخسر في صفقته ويؤوب بالخذلان المبين.

(٢) الماضية. (٣) التي ذهبت من قبل.

(٤) انتسفهم: أي أهلكتهم ولم تبق لهم أثرا من قولهم نسف البناء إذا اقتلعه من أصله.

(٥) الحمام بالكسر الموت.

(٦) انمحت وامحت: خفيت ولم يبق لها أثر وامتحت لغة فيه ضعيفة، والمعنى أن آثارهم ومصنوعاتهم لم يبق منها شيء غير الذكرى والأخبار، وما أبدع قول أمير الشعراء في هذا العصر (شوقي بك) في هذا المعنى:

كل حي على المنية غاد ... تتوالى الركاب والموت حاد

ذهب الأولون قرنا فقرنا ... لم يدم حاضر ولم يبق باد

هل ترى منهم وتسمع عنهم ... غير ذكى مآثر وأيادي؟

(٧) أقفرت: خلت، قال عبيد بن الأبرص:

أقفر من أهله ملحوب ... فالعطبيات فالجنوب

والمقاصر: المقاصير جمع مقصورة وهي الدار التي يختص بها صاحبها والمعنى: أنهم أصبحوا تحت التراب عظاما بالية وأجساما نخرة في حين أن مجالس لهوهم ومغاني أنسهم في هذه الحياة الدنيا قد خلت منهم، وأن مساكنهم التي كانوا قد قصروها على أنفسهم وكانت تتحلى بهم كما تتحلى الحسناء بنفيس القلائد أصبحت معطلة منهم.

(٨) أي أنهم في أخراهم لا تنتقل أجسامهم لزيارة بعضهم كما كانوا هنا وذلك من علامات الوحشة، لأن العزلة من أكبر دواعي الانقباض وأسباب الاستيحاش.

(٩) رموسا: جمع رمس وهو القبر، وثوى يثوى ثواء: أقام، والأعاصر: جمع إعصار وهي الريح الشديدة، وتسفى عليها: تحمل الغبار إليها.

كَمَ عايَنْتَ مِنْ ذِي عِزَّةٍ وَسُلْطانٍ. وَجُنُودٍ وأعْوَانٍ. قَدْ تمَكَّنَ مِنْ دُنْياهُ. وَنالَ مِنها مُناهُ. فَبَنيَ الْحُصُونَ وَالدَّساكِرَ. وَجَمَعَ الأعْلاقَ وَالْعَساكِرَ[١].

فما صرفتْ كفَّ المنيّة إذْ أتتْ ... مُبادِرةً تهْوي إليهِ الذَّخائرُ[٢]

ولا دفَعتْ عنْهُ الْحُصُونُ الَّتي بَني ... وَحفَّتْ بها أنْهارُها والدَّساكِرُ[٣]

ولا قارَعتْ عنْهُ الْمَنيّةَ حيلَةٌ ... وَلا طَمِعتْ في الذَّبِّ عنْهُ الْعَساكِرُ[٤]

يا قَوْمُ الْحَذَرَ الْحَذَرَ. وَالْبِدارَ الْبِدارَ. مِنَ الدُّنْيا وَمَكايِدِها. وَما نَصَبَتْ لَكُمْ مِنْ مَصايِدِها. وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِنْ زِينَتِها. وَاسْتَشْرَفَتْ لَكُمْ مِنْ بَهجَتِها[٥].

وَفي دُونِ ما عايَنْتَ منْ فَجَعاتِها ... إلى رَفْضِها داعٍ وبالزُّهْدِ آمِرُ[٦]

فَجِدَّ ولا تَغْفُلْ فَعَيْشُكَ بائِدٌ ... وَأنْتَ إلى دارِ الْمَنيَّةِ صائِرُ[٧]

وَلا تَطْلُبِ الدُّنيا فإنَّ طِلابَها ... وَإنْ نِلْتَ منْها رَغْبَةً لكَ ضائِرُ[٨]

---

(١) الحصن: البناء حول القرية أو المدينة، والأعلاق: النفائس والعسكر: الجيش، وعسكر: هيأه.

(٢) الذخائر: جمع ذخيرة، وهي فاعل صرفت في أول البيت، والمعنى: أنه لم تنفعه ذخائره، ولم تدفع عنه ضرا ولم تجلب له خيرا.

(٣) الدساكر جمع دسكرة وهي البناء الذي يكون كالقصر من حوله بيوت.

(٤) قارعت: دافعت، والذب: الذود، والمنع، والدفاع، والمعنى: أن حيله وأفكاره التي كان يدبر بها ملكه لم تدافع عنه حين نزل الموت به ولا أمكن لجيوشه التي أعدها لمحاربة الأعداء والكفاح والجلاد أن تمنع عنه أو تحميه لأن الموت سلطان قاهر لا قدرة لمخلوق على دفعه.

(٥) المعنى: حاذروا من الدنيا ولا تأمنوا لها ولا تنخدعوا بها فقد نصبت لكم الفخاخ ونشرت بينكم العيون والرقباء لتستطلع أمركم ثم تأخذكم في أشراكها، ألا وأن من أشراكها وفخاخها ذلك الرواء الظاهري وتلك الزينة الخادعة التي تظهر لكم فيها وهذه البهجة وذلك الرونق الخلاب الذي تطلع عليكم به.

(٦) أي أن أقل من الذي شاهدته من أفعال دنياك كفيل بأن يردعك عن غيك ويسير بك إلى رشدك.

(٧) بائد: هالك، أي أن ما أنت فيه من متاع هذه الفاتنة شيء مصيره إلى الزوال فلا تغفل عن ذلك واجتهد في الذي يدوم ويبقى.

(٨) ضائر: مضر، وهو خبر أن، والمعنى أن طلب الدنيا ولو كان يعقبه نوال شيء منها لا يفيدك بل يضرك.

وكَيْفَ يَحْرَصُ عَلَيْها لَبيبٌ. أوْ يُسَرُّ بِها أريبٌ. وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مَنْ فَنائِها[١]؟ أَلاَ تَعْجَبُونَ مِمَّنْ يَنامُ وَهُوَ يَخْشى الْمَوْتَ وَلا يَرْجُو الْفَوْتَ[٢]؟

أَلا لا وَلَكِنَّا نَغُرُّ نُفُوسَنا ... وَتَشْغَلُها اللَّذّاتُ عَمَّا تُحاذِرُ[٣]

وَكَيفَ يَلَذُّ الْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ ... بِمَوْقِفِ عَدْلٍ؟ حَيْثُ تُبْلى السَّرائِرُ[٤]

كَأَنَّا نَرى أَنْ لا نُشُورَ وَأَنَّنا ... سُدًى ما لَنا بَعْدَ الْفَناءِ مَصايِرُ![٥]

كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيا مِنْ مُخْلِدٍ إلَيْها[٦] وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْها. فَلَمْ تَنْعَشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ. وَلَمْ تُقِلْهُ مِنْ صَرْعَتِهِ. وَلَمْ تُداوِهِ مِنْ سَقَمِهِ وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ[٧].

بَلى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرِفْعَةٍ ... مَوارِدَ سُوْءٍ ما لَهُنَّ مَصادِرُ[٨]

---

(١) أي لا يتصور أن يحرص على الدنيا رجل آتاه الله حصافة الرأي ورزقه سداده لأن من كان ذلك شأنه فهو لاشك واثق تمام الثقة بأنها لا تدوم ولا تبقى.

(٢) أراد من النوم التقصير في أعمال البر والخير، والمعنى: أنه من أشد ما يدعو إلى العجب ويثير دواعي الغرابة أن يغفل امرؤ عن صنائع المعروف وهو يعتقد أن وراء هذه الحياة موتا وأن بعد ذلك اللقاء فراقا وليس عنده أمل في أن ينسأ له في أجله ويؤخر موعده.

(٣) أي أننا لا نتعجب من الذي يرقب الموت ولا يظن أنه مفلته ثم ينام ملء عينيه بل نحن نغتر ونخدع أنفسنا فتستهوينا اللذائذ والشهوات وتنسينا ذلك الذي نخافه ونخشاه وهو لنا بالمرصاد وذلك هو الموت.

(٤) بلاه يبلوه، وأبلاه وابتلاه: اختبره، وجربه، والسرائر: جمع سريرة وهي ما انطوت عليه نفسك وقرفى ضميرك، والمعنى أنه لا يجد للعيش طعما ولا مساغا ولا يستلذه كل إنسان علم أنه سيعرض على الله في يوم يؤخذ فيه بالنواصي والأقدام وتفتضح السرائر وتظهر المكنونات.

(٥) النشور: البعث والمعنى أن أفعالنا هذه تشبه أفعال من لا يدين بالبعث ويعتقد أننا أوجدنا في هذه الحياة بلا راع يكفلنا ولن نصير إليه فيحاسبنا.

(٦) مخلد اسم فاعل من أخلد بمعنى سكن واستراح وهدأ.

(٧) صرعت: غلبت وقهرت، ونعشه- من باب قطع-: رفعه، ولا يقال: أنعشه، والعثرة: الكبوة، والمعنى: أن هذه الدنيا قد قهرت بصروفها كل من سكن إليها وهدأت نفسه لها فلم ترفعه من كبوة ولم تأخذ بيده بل بقي يرزح تحت أعبائها واستمر مثقلا بمتاعبها وآلامها المَنايَا.

(٨) المورد ومثله الورد- بكسر أوله-: مكان الورود، والمصدر ومثله الصدر- بفتحتين-: الأوبة، والرجوع وهو من قولهم: صدر عن الماء وعن البلاد- من بابي نصر ودخل- أي رجع، =

فلمّا رأى أنْ لا نجاة وأنّهُ هُوَ الْموتُ لا يُنْجيهِ مِنْهُ الْمُؤازِرُ[١]
تَندّمَ لَوْ أغْناهُ طُولُ ندامةٍ عليهِ وأبْكتْهُ الذُّنُوبُ الْكبائِرُ[٢]

بَكي عَلَي ما سَلَفَ مِنْ خَطاياهُ. وَتَحسَّرَ عَلَي ما خَلَّفَ مِنْ دُنْياهُ حَيْثُ لَمْ يَنْفَعْهُ الاِسْتِعبارُ[٣]. وَلَمْ يُنْجِهِ الاِعْتِذارُ[٤].

أحاطتْ بِهِ أحْزانُهُ وَهُمُومُهُ وَأبْلسَ لَما أعْجزَتْهُ الْمعاذِرُ[٥]
فلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْموْتِ فارِجٌ وَلَيسَ لَهُ مِمَّا يُحاذِرُ ناصِرُ[٦]
وَقَدْ خَسِئَتْ فَوْقَ المنِيَّةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُها مِنْهُ اللُّهى وَالْحناجِرُ[٧]

فإلى مَتى تُرَقِّعُ بِآخِرَتِكَ دُنْياكَ[٨]. وَتَرْكَبُ في ذاكَ هَواكَ؟ إنِّي أَراكَ ضَعيفَ اليَقينِ يا رَاقِعَ الدُّنْيا بالدِّينِ! أبِهذا أَمَرَكَ الرَّحْمنُ. أَمْ عَلَى هذا دَلَّكَ القُرآنُ[٩]؟

= والمعنى: أن هذه الدنيا قد ذهبت به وأخذته إلى أماكن يلقي فيها الجهد والإعياء بعد أن لبس ثوب العز، وتقلد وسام الرفعة وليست له أوبة ولا رجعة عنها.

(١) المؤازر: المساعد، والمعاضد، والناصر.

(٢) أي أنه حين علم أن الموت نازل به لا يدفعه عنه صديق ولا حميم أسف على تفريطه ولكن الأسف لا يجديه، وبكي طويلا على ما قدم من ذنوب وآثام واجترح من خطايا وسيئات.

(٣) الاستعبار: البكاء مأخوذ من العبرة بالفتح وهي الدمعة.

(٤) أي أنه لا ينجو إذا اعتذر، والمعنى: أنه بكي وأذرف دمع عينه سخينا في موقف لا يفيده ذلك فيه، ومكان لا تنفعه الإنابة به ولا تنقذه المعذرة.

(٥) أبلس: حزن، والمعاذر: جمع معذرة وفي الأمثال (المعاذر مكاذب) والمعنى أن همومه وأحزانه تجمعت عليه فأراد أن يعتذر لينجو منها فلم يستطع إلى الاعتذار سبيلا فاشتد غمه.

(٦) فارج: مفرج.

(٧) خسئت: بعدت أو طفت واللها جمع لهاة وهي اللحمة التي تشرف على الحلق عن أقصى سقف الفم والحناجر جمع حنجرة وهي مكان خروج الصوت والنفس، والمعنى: أن نفسه بعدت عن جسمه وطفت عليه حينما نزلت المنية به وقد طفقت لهاته وحنجرته تردد صوته وترجع أنفاسه، وذلك يكون عند الحشرجة في أغلب الناس.

(٨) أي تصلح دنياك بإفساد آخرتك وهو مثل قول الشاعر:

نرقع دنيانا بإفساد ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(٩) المعنى: أنك - أيهذا الذي تصلح دنياك بإفساد دينك وتلم شعثها وترأب صدعها بتشتيت شمله

تُخرِّبُ ما يَبقى وتَعْمُرُ فانيًا
فلا ذاكَ مَوْفُورٌ ولاذاكَ عامِرُ[١]
فهَلْ لكَ إنْ وافاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً
ولَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللهِ عاذِرُ؟[٢]
أتَرْضَى بأنْ تَقْضِي الْحياةَ وتَنقَضِي
ودِينُكَ مَنقوصٌ ومَالُكَ وافِرُ؟؟[٣]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ لِبَعْضِ الْحَاضِرِينَ: مَنْ هذَا؟ قالَ: غَرِيبٌ قَدْ طَرأ لا أعْرِفُ شَخْصَهُ فاصْبِرْ عَلَيْهِ إلَى آخِرِ مَقامَتِهِ. لَعَلَّهُ يُنْبِئُ بَعَلامَتِهِ. فَصَبَرْتُ فقالَ: زَيِّنُوا الْعِلمَ بِالْعَمَلِ وَاشْكُرُوا الْقُدْرَةَ بِالْعَفْوِ[٤] وَخُذُوا الصَّفْوَ وَدَعُوا الْكَدَرَ يَغْفِرِ اللهُ لِي وَلَكُمْ. ثُم أرَادَ الذَّهابَ فَمَضَيْتُ على أثَرِهِ فقُلْتُ: مَنْ أنْتَ يَا شَيْخُ؟ فقالَ: سُبْحانَ اللهِ! لَمْ تَرْضَ بِالْحِلْيَةِ غَيَّرْتَها حَتَّى عَمَدْتَ إلَى الْمَعْرِفَةِ فانْكَرْتَها[٥]. أنا أبُو الْفَتْحِ الإسْكَنْدَرِي. فَقُلْتُ: حَفِظَكَ اللهُ فما هذا الشَّيْبُ[٦]؟ فقالَ:

= وتفريق مجتمعه- لم تكن قوي الإيمان شديد الاعتقاد لأن هذه خصلة لم يأمرك بها الله ولم يقرك عليها كتابه فتجتهد في تحصيلها وتدأب على العمل بها.

(١) المعنى على الاستفهام التوبيخي ومعناه أنه ليس بالحكمة ولا أصالة الرأي أن تخرب دينك وهو أمر يبقى لك وينفعك عند الله وتصلح دنياك هي ذاهبة عنك أن اليوم أو غدا ثم لا تؤوب لك فكأنك قد خسرت بذلك الأمرين وضاع عليك المنفعتان لأن عمار الدنيا لا يبقى ولأن الدين بعملك غير عامر.

(٢) المعنى: هب أنك كنت تقول في نفسك بأنك تائب فيما بعد فهل ضمنت ذلك وأخذت به عهدا وكيف يكون حالك لو جاءك الموت قبل أن تستعد للإتابة وتعمل بالتوبة؟ أو تجد عند الله من يعتذر عنك أو يقبل معذرتك إن قدمتها؟

(٣) المعنى هل يعجبك ويروق في نظرك أن تترك هذه الحياة ومالك كثير لا يحصره العد وأنت لم تكسب في دينك شيئا.

(٤) أي أن الله أنعم عليكم بنعمة القدرة فاشكروا له عليها بالعفو عمن أساء إليكم.

(٥) أي لم تكتف بأن ادعيت تغيير حالي وشكلي فجئت تنكر معرفة اسمي وكنيتي.

(٦) أي أن العذر لي أني لم أرك بهذا الشيب.

نـذيـرٌ ولـكـنَّـهُ سـاكـتٌ وضـيـفٌ ولـكـنَّـهُ شـامِـتُ[١]
وإشْـخـاصُ مَـوْتٍ وَلـكـنَّـهُ إلـى أنْ أُشَـيِّـعَـهُ ثـابِـتُ[٢]

المقامة الأسودية

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ:

كُنْتُ أُتَهَمُ بِمالٍ أصَبْتُهُ. فَهمْت على وَجْهِي هارِبًا حَتَّى أتَيْتُ الْبَادِيَةَ فأَدَّتْنِي الْهَيْمَةُ[٣]. إلَى ظلِّ خَيْمَةٍ فَصادَفْتُ عِنْدَ أطْنابِها فَتًى[٤]. يَلْعَبُ بِالتُّرابِ. مَعَ الأتْرابِ[٥]. وَيُنْشِدُ شِعْرًا يَقْتَضِيهِ حَالهُ. وَلا يَقْتَضِيهِ ارْتجالهُ[٦]. وَأبْعَدْتُ أنْ يُلْحِمَ نَسِيجَهُ[٧]. فقُلْتُ: يَا فَتَى الْعَرَبِ أتَرْوِي هذَا الشِّعْرَ أمْ تَعْزِمُهُ[٨]؟ فقَالَ: بَل أعْزِمُهُ وَأنْشَدَ يَقُولُ:

إنِّـي وإنْ كُـنْـتُ صَـغِـيـرَ الـسِّـنِّ وَكَـانَ فِـي الْـعَـيْـنِ نُـبُـوعَـيِ
فَـإنَّ شَـيْـطَـانِـي أمِـيـرُ الْـجِـنِّ يَـذْهَـبُ بِـي فِـي الـشِّـعْـرِ كُـلَّ فَـنِّ

---

(١) ينذرني بالموت ودنو الأجل ولكن مع الصمت، وضيف نزل بي غير أنه شامت.

(٢) إشخاص موت ازعاجه والرسول المخبر به وعادة الرسول أن يرجع بعد تأدية رسالته ولكن هذا لا يرتحل حتى أودعه بترك الحياة.

(٣) هام على وجهه يهيم إذا سار عن غير قصد معلوم والواحدة منه هيمة.

(٤) الطنب بضمتين: حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد وجمعه أطناب وطنبة والمراد هنا الكناية عن القرب منها.

(٥) الترب بكسر أوله اللدة وسنينك ومن ولد معك وهي تربى والجمع أتراب.

(٦) أي أن هذا الشعر يصف حاله التي هو عليها تماما فالحال يقتضيه ولكن سنه وكونه مرتجلا يبعدان أن يكون الشعر له.

(٧) أي وكنت في نفسي أعتقد أنه من العسير عليه أن يكون أبا عذرة هذا الشعر وصاحبه.

(٨) رواية الشعر حفظه ونقله عن الغير وعزمه صياغته ونظمه وأصل العزم النية الحاملة على العمل أريد منه هنا العمل لأنه مسبب عنها.

حَتَّى يَرُدَّ عَارِضَ التَّظَنِّي
فَامْضِ عَلَى رِسْلِكَ واغْرُبْ عَنِّي[١]

فَقُلْتُ: يَا فَتَى الْعَرَبِ أَدَّتْنِي إِلَيْكَ خِيْفَةٌ فَهَلْ عِنْدَكَ أَمْنٌ أَوْ قِرىً؟[٢]

قالَ: بَيْتَ الأَمْنِ نَزَلْتَ. وَارْضَ الْقِرَى حَلَلْتَ[٣]. وَقامَ فَعَلِقَ بِكُمِّي. فَمَشَيْتُ مَعَهُ إِلى خَيْمَةٍ قَدْ أُسْبِلَ سِتْرُها[٤]. ثُمَّ نَادَى: يَا فَتاةَ الْحَيِّ هذَا جارٌ نَبَتْ بِهِ أَوْطانُهُ[٥]. وَظَلَمَهُ سُلْطانُهُ[٦]. وَحَداهُ إِلَيْنَا صِيتٌ سَمِعَهُ. أَوْ ذِكْرٌ بَلَغَهُ[٧]. فَأَجِيرِيهِ[٨]. فقالَتِ الْفَتَاةُ: اسْكُنْ يَا حَضَرِيُّ:

أَيا حَضَرِيُّ اسْكُنْ وَلا تَخْشَ خِيفَةً
فَأَنْتَ بِبَيْتِ الأَسْوَدِ بْنِ قِنانِ

---

(١) تعتقد العرب أن لكل شاعر هاجسًا من الجن يلقى إليه بشعره كما يقولون أن هاجس امرئ القيس كان اسمه لافظ بن لاحظ وسيأتي لذلك ذكر في المقامة الأبليسية، ونبو العين: تجافيها لحقارة المنظور إليه، والتظني: الظن والمعنى: لا يحطن من قدرتي ولا يزرين بقدري في نظرك أن تراني صغير السن وأن تجد في منظري منشأ لابتعاد عيون الناس عني وتجافيها دوني لأن الشيطان الذي يملي على هذا الشعر ليس أحد السوقة من الشياطين بل هو رئيسهم وأميرهم وقوة الخيال وشدة العارضة يتبعان ذلك وأنه ليملي إلى الشعر الجيد المصقول المتين في جميع الأبواب وكل الأفانين ليدفع عني مظنة انتحال ما ليس لي وخير لك بعد أن عرفت ذلك كله ألا تقف حائراً مرتابا في أمري.

(٢) الخيفة- الخوف- والمعنى أنني إنما لجأت إلى هنا من الخوف فأنا في حاجة للأمن وقد سرت طويلا حتى نال مني الجوع وأحتاج إلى القرى وهي الضيافة.

(٣) أي أنك قد جئت بيتا لا يخاف اللاجئ إليه وادراك السير إلى أرض أهلها كرام يرحبون بالضيف ويكرمون نزله.

(٤) علق بكمي: أمسك بي وكأنه لحرصه على إكرامه يخشى أن يفلت منه.

(٥) الظاهر أن المراد بالجار هنا المستجير وربما صح إرادة معناه المعروف ويكون جواره لهم فيما يقيمه بينهم، ونبت به أوطانه أي اشتد عليه المقام فيها كأنما لفظته إلى غيرها فهو حقيق بأن تكرمي مثواه وتبالغي في العناية به.

(٦) ويروى: وطلبه، أي بحث عنه لينكل به.

(٧) حداه: ساقه- والمعنى أن الذي جاء به إلينا شهرة عرفها عنا.

(٨) لعل في هذه الكلمة قرينة على إرادة ما رأيناه في معنى الجار.

أعرَبَ بنِ أُنْثَى مِنْ مَعَدٍّ ويَعْرُبٍ وأَوْفاهُمْ عَهدًا بِكُلِّ مكانِ[١]
وأَضْربِهِمْ بالسَّيْفِ مِنْ دُونِ جارِهِ وأَطْعَنِهِمْ مِنْ دونِهِ بِسِنانِ[٢]
كأنَّ المَنايا والعَطايا بِكَفِّهِ سحابانِ مَقْرُونانِ مُؤْتَلِفانِ[٣]
وأَبْيَضَ وَضَّاحِ الجَبينِ إذا انْتَمى تَلاقَى إلى عِيصٍ أَغَرَّ يَمانِي[٤]
فَدُونَكَهُ بَيتَ الجِوارِ وسَبْعَةٌ يَحُلُّونَهُ شَفَّعْتَهُمْ بِثَمانِ[٥]

فأَخَذَ الْفَتَى بيَدِي إلى الْبَيتِ الَّذِي أَوْمأَتْ إلَيْهِ[٦]. فَنَظَرْتُ فإذَا سَبْعَةُ نَفَرٍ فيهِ. فَما أَخَذَتْ عَيْنِي إلاَّ أبا الْفَتحِ الإِسْكَنْدَرِيَّ في جَمْلَتِهِمْ[٧] فَقُلتُ لهُ: وَيْحَكَ بِأَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ؟ فقالَ:

نَزَلْتُ بالأَسْوَدِ في دارِهِ أَخْتارُ مِنْ طَيِّبِ أَثْمارِها[٨]

---

(١) يعرب ابن قحطان: أول من تكلم بالعربية في رأي كثير من المحققين ويستدلون على ذلك بمثل قول حسان: تعلمتم من منطق الشيخ يعرب. ومعد بن عدنان: الجد التاسع عشر للنبي صلى الله عليه وسلم. والمعنى أن الممدوح الذي نزلت داره عزيز منيع الحمى لا يخشى على جاره ضيم.

(٢) المعنى أنه يذب عمن لجأ إليه ويدفع عنه عدوان مريديه ولا يألو في ذلك جهدا.

(٣) المنايا: جمع منية وهي الموت، والمعنى: كأنه من فرط شجاعته وكرمه قد اقترن الجود والإقدام بيده فصارا سحابين. أحدهما ينقع الغلة ويحيي موات الأرض ويعشب جديبها. وثانيهما ينزل كسفًا على قوم فيفنيهم ويستأصل شأفتهم. وهذا البيت في نظرنا خير من قول طرفة بن العبد:

يداك يد خيرها يرتجى وأخرى لأعدائها غائظة

(٤) انتمى: انتسب، عيص: أصل، مأخوذ من العيص الذي هو الشجر ينبت بعضه في أصول بعض، وقولهم والمرء يشبه عيصه أي أصله دليل، والمراد من بياضه نقاء عرضه، والمعنى أنه إذا انتسب فإنما ينتسب إلى أشرف أصل وأطيب أرومة من نسب اليمانية.

(٥) أي أقبل عليه فإنه بيت اللاجئين ودار المستجيرين وأن عنده سبعة نزلوا به مثلما نزلت وستكون أنت ثامنهم.

(٦) أومأت: أشارت.

(٧) المعنى: أنني لم أعرف أحدًا منهم غيره ولذلك فإن عيني أطالت النظر إليه، والتحديق فيه.

(٨) أي: أنا مثلك جئت هذه الدار مستأمنًا فأنزلت مكانا رحبا وخيروني في أموالهم فأنا بينهم أختار أطيبها وأكرمها.

فَقُلتُ: إنِي رَجُلٌ خائِفٌ هامتْ بي الْخِيفَةُ مِنْ ثارِها[١]
حِيلَةُ أمْثالي على مِثْلِهِ في هذِهِ الْحالِ وَأطْوارِها[٢]
حَتَّى كَساني جابِرًا خَلَّتي وَماحِيًا بَيِّنَ آثارِها[٣]
فَخُذْ مِنَ الدَّهْرِ وَنَلْ ما صَفا مِنْ قَبْلِ أنْ تُنْقَلَ عَنْ دارِها[٤]
إيَّاكَ أنْ تُبْقِي أُمْنِيَّةً أوْ تَكْسَعَ الشَّوْلَ بِأغْبارِها[٥]

قالَ عِيسى بنُ هِشامٍ:

فَقلت يَا سُبْحانَ اللهِ! أيَّ طَرِيقِ الْكُدِيَةِ لِم تَسلَكْها[٦]؟ ثُمَّ عِشْنا زَمانًا في ذلِكَ الْجَنابِ حَتَّى أمِنَّا. فَرَاحَ مُشَرِّقًا وَرُحْتُ مُغَرِّبًا[٧].

---

(١) يريد أنه حين استجاره ذكر له خوفه وأنه غير آمن على نفسه من جماعة يتعقبونه طلبا لثاراتهم وأضاف الثار للخفيفة في قوله: (ثارها) كما يضاف السبب للمسبب.

(٢) المعنى: أن العفاة كلهم يتحيلون على ذوي المكارم بمثل هذه الحيلة التي تحيلت بها عليه وأنه لن يسأل عن حقيقة أمري ليتبين صدق حديثي أو كذبه لأن شرف النفس وكرم الطبع لا يوجبان ذلك.

(٣) جبر الكسر يجبره جبراً: أي عالجه وأصلح فاسده، والخلة- بفتح أوله-: الفقر والحاجة، والبين الظاهر، ومحا يمحو محوًا: أزال، والمعنى أنه لم يزل يحتال حيلته إلى أن كساه كسوة جبر بها فقره وأزال آثار إملاقه.

(٤) أي: لا تترك شيئًا مما يجلب لك السرور وصفاء النفس وانشراح الخاطر دون أن تأخذ منه طرفا وتنال حظك منه وإياك أن تدخر في ذلك وسعًا أو تألو جهدًا فإن أيام الحياة قليلة لا تحتمل أن تنغصها ولا تكفي لتكديرها بالمخاوف والمزعجات وسوف تنقل عنها فاغتنم أيامها وانتهز عمرك بها فليست الحياة إلا اختلاسات تختلسها من يد الزمن وفرص تغتنمها من بين أوقاته.

(٥) الشول: الناقة أتى على ولادتها سبعة أشهر، ويقال: كسع الناقة بغبرها إذا ضرب أخلافها بالماء ليرجع اللبن فتكون أقوى وأشد، يريدون بهذا إدخاره للأيام المقبلة (وأخلاف الناقة كثدي المرأة) والمعنى لا تدخر شيئا للزمن القابل فإنما دهرك الحاضر ولك الساعة التي أنت فيها.

(٦) الكدية: سؤال الناس واستجداؤهم وطلب عطاياهم والمعنى أنك عرفت طرق الاستجداء كلها فلم تترك طريقا إلا سلكته ولا بابا من أبوابها إلا ولجته.

(٧) أي لم نزل في جوار ذلك الرجل الكريم حتى أفرخ روعنا ثم تفرقنا فسرت إلى وطني وسار إلى نصب شباكه.

المقامة العراقية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ:

طُفْتُ الآفاقَ. حَتَّى بَلَغْتُ الْعِراقَ(١). وَتَصَفَّحْتُ دَواوينَ الشُّعَراءِ. حَتَّى ظَنَنْتُني لَمْ أُبْقِ في الْقَوْسِ مِنْزَعَ ظَفرٍ(٢). وَأَحَلَّتْني بَغْدادُ فَبَيْنَما أَنا عَلَى الشَّطِّ إِذْ عَنَّ لي فَتًى في أَطْمارٍ يَسْأَلُ النَّاسَ وَيَحْرِمُونَهُ(٣) فَأَعْجَبَتْني فَصاحَتُهُ. فَقُمْتُ إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ عَنْ أَصْلِهِ وَدارِهِ. فَقالَ: أَنا عَبْسِيُّ الأَصْلِ إِسْكَنْدَرِيُّ الدَّارِ(٤). فَقُلْتُ: ما هذا اللِّسانُ. وَمِنْ أَيْنَ هذا الْبَيانُ(٥)؟ فَقالَ: مِنَ العِلْمِ. رُضْتُ صِعابَهُ(٦). وَخُضْتُ بِحارَهُ. فَقُلْتُ: بِأَيِ العُلُومِ تَتَحَلَّى(٧)؟ فَقالَ: لي في كُلِّ كِنانَةٍ سَهْمٌ فأَيُّها تُحْسِنُ(٨)؟

---

(١) العراق: بلاد من عبادان إلى الموصل طولا ومن القادسية إلى حلوان عرضا سميت بذلك لتواشج عراق النخل والشجر فيها أو لأنه استكف أرض العرب أو سمى بعراق المزادة لجلدة تجعل على ملتقى طرفي الجلد إذا خرز في أسفلها أو لأن العراق بين الريف والبر أو لأنه على عراق دجلة والفرات أي شاطئها أو هي كلمة معربة عن إيران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر.

(٢) المنزع بوزن منبر: السهم، والظفر: الفوز والغلبة، وأضيف المنزع إليه لأنه أداته وآلته التي تستعمل من أجله، والمعنى: أنه زاول كتب الشعر وقرأ دواوينه حتى توهم في نفسه أنه استقصى جميعها ولم يبق شيء لم يطلع عليه.

(٣) عَنَّ: ظهر لي شاب يلبس أثوابا خلقة وهو يطلب من الناس فلا يعطونه ويسألهم فلا يجيبونه بل يردونه بخيبته.

(٤) المعنى: أن أصلي ومنشأي من العرب من قبيلة عبس ولكني أقيم بالإسكندرية وهي إحدى بلاد الأندلس.

(٥) أي: ما هذه البلاغة وما تلك الحصافة؟ ومن أين لك هذا المنطق الفصيح وذلك اللفظ الأنيق؟

(٦) راض يروض رياضا ورياضة: ذلل، والصعاب جمع صعبة وهي الجامح الحرون وكأنه شبه العلم بالدابة التي يكون شأنها ذلك لاستيلائه عليه وتفوقه فيه.

(٧) أي: أن العلوم كثيرة وفنونها متشعبة فبأي فرع تستمسك وأي نوع قد ضربت فيه بسهم وفير.

(٨) الكنانة: الوعاء الذي توضع فيه السهام، والمعنى: أنني حزت من كل فن طرفا وأخذت من كل نبعة سهما، وأنت أي علم تعرف حتى أناقشك فيه وأحاورك؟.

فَقُلتُ: الشِّعْرَ. فَقالَ: هَلْ قالَتِ الْعَرَبُ بَيْتًا لا يُمْكِنُ حَلُّهُ[١]؟ وَهَلْ نَظَمَتْ مَدْحًا لَمْ يُعْرَفْ أَهْلُهُ[٢]؟ وَهَلْ لَهَا بَيْتٌ سَمُجَ وَضْعُهُ. وَحَسُنَ قَطْعُهُ[٣]؟

وَأَيُّ بَيتٍ لا يَرْقَأُ دَمْعُهُ[٤]؟ وَأَيُّ بَيت يَثقُلُ وَقْعُهُ[٥]؟ وَأَيُّ بَيتٍ يَشُجُّ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبُهُ[٦]؟

وَأَيُّ بَيتٍ يَعْظُمُ وَعِيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ[٧]؟ وَأَيُّ بَيتٍ هُوَ أَكْثَرُ رَمْلاً مِنْ يَبْرِينَ[٨]؟ وَأي بَيتٍ هُوَ كَأَسْنانِ الْمَظلُومِ. وَالمِنْشارِ الْمَثلُومِ[٩]؟ وَأَيُّ بَيتٍ يَسُرُّكَ أَوَّلُهُ وَيَسُوءُكَ آخِرُهُ[١٠]؟ وَأَيُّ بَيتٍ يَصْفَعُكَ باطِنُهُ، وَيَخْدَعُكَ ظاهِرُهُ[١١]؟ وَأَيُّ بَيتٍ لا

---

(١) حله: نثره وذلك أن الشعر متى نثر تغير وزنه واختل، وهذا البيت لا يكون كذلك بل يبقى موزونا فكأنه لا يمكن فيه الحل.

(٢) أي هل لها كلام لم يعرف الذي قيل فيه.

(٣) أي أن معناه ردئ واقتطاعه عما قبله وعدم اتصال معناه بمعناه حسن.

(٤) رقأ الدمع والدم: سكن، وبابه قطع، والمعنى هل تعرف للعرب بيتا كله مدامع وعبرات لا تسكن ولا تغيض؟

(٥) أي يعسر النطق به لتنافر بين ألفاظه أو يعسر الوصول إلى معناه لتعقيد في أسلوبه أو أن ألفاظه تمثل لك شدة وبأسا ونحوهما.

(٦) يشج: يكسر، ويأسو: يداوي، وعروض البيت: الكلمة الأخيرة في المصراع الأول وضربه: الكلمة الأخيرة في المصراع الثاني، والمعنى: أن القارئ إذا وصل إلى العروض حسب هناك ضربا وشجارا وإذا وصل الضرب ألفى ودادة وسلاما.

(٧) أن أنه جاء في صورة عظيمة من صور الوعيد ولكن شأنه صغير قلما يهتم به.

(٨) يبرين، ويقال فيه: ابرين، موضع بإزاء الإحساء كثير الرمال والمعنى أن البيت فيه ما يمثل لك ذلك ويزيد عنه.

(٩) المنشار: آلة النجار وهو معروف والمثلوم: المتكسر، وأسنان المظلوم: أي المضروب على فمه ظلما تكون متكسرة متباعدة والبيت يشبه ذلك لكثرة شيناته التي لكل واحدة منها أسنان ثلاث.

(١٠) أي إذا وصفت بأوله فرحت وإن وصفت بآخره ألمت.

(١١) أي أن سبك ألفاظه واختيارها يوهمك أن له معنى جليلا فإذا تكشفت عنه كان له أثر سيئ في نفسك.

يُخْلَقُ سامِعُهُ. حَتَّى تُذْكَرَ جَوامِعُهُ[١]؟ وَأي بَيتٍ لا يُمكِنُ لَمْسُهُ[٢]؟ وَأيُّ بَيتٍ يَسْهُلُ عَكْسُهُ[٣]؟ وَأيَّ بَيتٍ هَوَ أطْوَلُ مَثِلِهِ، وَكَأَنَّهُ لَيسَ مِنْ أهْلِهِ[٤]؟ وَأيُّ بَيتٍ هُوَ مَهِينٌ بِحَرْفٍ. وَرَهينٌ بِحَذْفٍ[٥]؟؟

قَالَ عيسى بْنُ هِشام: فَوَاللهِ ما أجَلْتُ قِدْحًا فى جَوَابِهِ[٦]. وَلا اهْتَدَيْتَ لِوَجْهِ صَوَابِهِ. إلاَّ: لا أعْلَمُ[٧]. فَقَالَ: وَما لا تَعْلَمُ أكثرُ[٨] فَقُلتُ: ما لَكَ مَعَ هذا الْفَضْلِ. تَرْضى بِهذا العَيْشِ الرذْلِ[٩]؟ فَأَنْشَأَ يَقولُ:

بُؤْسًا لِهذا الزَّمانِ مِنْ زَمَنٍ ... كُلُّ تَصاريفِ أمْرِهِ عَجَبُ[١٠]

أصْبَحَ حَرْبًا لِكُلِّ ذي أدَبٍ ... كَأنَّمَا ساءَ أُمَّهُ الأدَبُ[١١]

فَأَجَلتُ فيهِ بَصَرى. وَكَرَّرْتُ في وَجْهِهِ نَظَري[١٢]. فإذا هُوَ أبُو الْفَتْحِ

---

(١) أي أن السامع لا يستطيع أن يفهم معناه الذي أريد منه حتى يأتي المتكلم على آخره.

(٢) المعنى أن ما اشتمل عليه البيت من الألفاظ التي تدل على معان ليس من الميسور لمسها بل ولا الدنو منها كالبرق والغيم. (٣) عكس البيت: جعل صدره عجزًا وعجزه صدرا.

(٤) الأبيات المتفقة في بحر واحد تكون متقاربة متجانسة في هذه الصفة ويكون بينها ارتباط كآصرة القرابة والأهلية، والمعنى: أي بيت هو أكثر حروفا وكلمات من بيت آخر مثله في البحر بحيث لو قرأهما واحد لم يعتقد أنهما من بحر واحد ولم يثق بأن بينهما ذلك الارتباط.

(٥) مهين: أي بما اشتمل عليه من الهجاء ورهين بحذف: أي أنه متى حذف منه شيء انقلب معناه.

(٦) أجلت: حركت، والمعنى: أن كلامه وقع عندي موقع الغرابة فلم أستطع أن أضرب في تفهمه بسهم.

(٧) المعنى: أنني لم أعرف من وجوه الصواب شيئا أجيبه به إلا قولي في كل مسألة: لا أعلم.

(٨) لمعنى أنك تصورت في هذا أنك لا تعرفه ولكن الذي لا يمكنك أن تتصور عنه شيئا بالسلب أو الإيجاب أكثر.

(٩) الرذل: المرذول، والمعنى: أن علو كعبك وارتفاع شأوك لا يليق بهما ظاهر حالك.

(١٠) بؤسا: قبحا ومذمة، تصاريف أمره: تدبيراته في شؤونه وأحواله، والمعنى: أن كل ما يفعله هذا الزمن القبيح عجيب جدا وموضع للغرابة والاستنكار.

(١١) المعنى: أن هذا الدهر لا يعاكس إلا أهل الفضل وذوي الآداب كأن له ثأرا عندهم.

(١٢) أي أنني أدمنت النظر إليه وظللت أتفرس في وجهه لأعرف من هو.

الإسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلتُ: حَيَّاكَ اللهُ وَأَنْعَشَ صَرْعَكَ[١] إنْ رَأَيْتَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ بِتَفْسيرِ ما أَنْزَلتَ. وَتَفْصيلِ ما أَجْمَلتَ. فَعَلتَ. فَقَالَ: تَفْسيرُهُ: أَمَّا البَيتُ الَّذي لا يُمْكِنُ حَلهُ فَكَثيرٌ وَمِثالُهُ قَوْلُ الأَعْشى[٢]:

دراهِمُنا كُلُّها جَيِّدٌ فَلا تَخْبِسَنَّا بِتَنْقادِها

(١) أنعش صرعك: أقامك من سقطتك وهي لغة رديئة أن صح ورودها وقد أسلفنا ذلك.

(٢) هو: أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل رابع فحول الجاهلية، وأمدحهم للملوك، وأوصفهم للخمر، وأغزرهم شعرا، وأكثرهم عروضا وافتنانا وطوالا جيادا، وينتهي نسبه إلى بكر بن وائل، وكان من أهل اليمامة يسكن قرية منها تسمى منفوحة ونشأ في بدء أمره راوية لخاله المسيب بن علس أحد الشعراء المقلين المجيدين وكان الأعشى يطرى شعره ويأخذه منه حتى إذا جاد شعره ونبه شأنه قصد الملوك والأجواد وطوف إليهم الآفاق وأقاصي البلدان مادحا لهم مستجديا عطاياهم وهو أول من مدح في شعره بالسؤال وطلب الحاجة وكان ينتاب بالمدح بني عبد المدان ملوك نجران وأساقفتها يقيم عندهم ما يشاء يشرب الخمر ويسمع الغناء ويأخذ عنهم بعض آرائهم في العقائد فجاد لذلك وصفه للخمر وظهر بعض معتقدهم في شعره كما كان ينتاب ملوك الحيرة وخاصة الأسود أخا النعمان بن المنذر وما زال هذا شأنه حتى طمع في جوائز كسرى فرحل إليه يمدحه بالشعر العربي فأجزل عطاءه وإن لم يرق عنده شعره لسوء ترجمته له.

وعمي الأعشى، وطال عمره حتى كان الإسلام وعظم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بين العرب فأعد له قصيدة يمدحه بها أولها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

ومنها: فأقسمت لا أرثي لها من كلالة ولا من وجي حتى تلاقي محمدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلفى من فواضله ندى

نبي يرى ما لا يرون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا

وقصده بالحجاز فلقيه كفار قريش وصدوه عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة ويرجع إلى بلده لتخوفهم أثر شعره ففعل ولما قرب من اليمامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات ودفن بلدته منفوحة باليمامة.

ومعنى البيت المذكور: لا تضيع علينا الوقت لتفرز نقودنا وتتبين زيفها من جيدها فإنها لا تشتمل زيوفا، وأما كونه غير قابل للحل فمعناه أنه جاء كما يجئ النثر ليس فيه تقديم ولا تأخير فلا يمكن أن يصاغ في صورة غير هذه ثم لو أنك قلت: داهمنا جيد كلها، لم يختل الوزن.

وَأَمَّا الْمَدْحُ الَّذي لَم يُعْرَفْ أَهْلُهُ فَكَثيرٌ وَمِثالُهُ قَوْلُ الْهُذَلِيِّ[١]:

وَلَمْ أَدرِ مَنْ أَلْقى عَلَيْهِ رِداءَهُ عَلى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ ماجِدٍ مَحْضِ

وَأَمَّا البَيتُ الَّذي سَمُجَ وَضْعُهُ. وحَسُنَ قَطْعُهُ. فَقَوْلُ أَبي نُواسٍ[٢]:

---

(١) شعراء هذيل كثيرون منهم أبو بكر الشاعر الإسلامي الصحابي وأبو صخر مادح عبد الملك بن مروان وهو أحد شعراء الدولة الأموية وأبو خراش الذي ينسب له هذا البيت وسببه أن رجلا قد ألقى رداءه على أخيه ليحميه من أعدائه ويجيره من خصومه وقبله:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض

فوالله ما أنسى قتيلا رزئته بجانب قوسى ما مشيت على الأرض

ونسبه الأستاذ الإمام للأعشى.

(٢) هو أبو الحسن علي بن هاني الشاعر المتفنن الماجن، الجاد، صاحب الصيت الطائر، والشعر السائر، ورأس المحدثين بعد بشار وهو فارسي الأصل ولد بقرية من كورة خوذستان (شرقي البصرة) سنة ١٤١ ونشأ يتيما فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده فتعلم العربية ورغب في الأدب فلم تعبأ أمه بحاله وأسلمته إلى عطار بالبصرة فمكث عنده لا يفتر عن معاناة الشعر والاختلاف إلى الأدباء والمجان إلى أن صادفه عند العطار والبة بن الحباب الشاعر الماجن الكوفي في إحدى قدماته إلى البصرة فأعجب كل منهما بالآخر فأخرجه والبة معه إلى الكوفة فبقي معه ومع ندمائه من خلعاء الكوفة وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعا وقدم بغداد وقد أربت سنه على الثلاثين فاتصل ببعض الأمراء وبلغ خبره الرشيد فأذن له في مدحه فمدحه بقصائد طنانة وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ومنهم الخصيب عامل مصر ثم انقطع إلى محمد الأمين وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ولم يلبث بعد أن خرج من السجن أن مات سنة ١٩٩.

وكان أبو نواس جميل الصورة، فكه المحضر، كثير الدعابة، حاضر البديهة متينا في اللغة والشعر والأدب متعصبا لليمانية على المضرية وأكثر علماء الشعر ونقدته على أن أبا نواس أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفننا، وأرصنهم قولا، وأبدعهم خيالا، مع دقة لفظ، وبديع معنى ومن جيد شعره:

تقول غداة البين إحدى نسائهم لي الكبد الحرى فسر ولك الصبر

وقد خضبتها عبرة فلدمعها على خدها خد وفي نحرها نحر

وقالت: إلى العباس؟ قلت: فمن إذا؟ ومالي عن العباس معدي ولا قصر

فهل يكلفن إلا براحته الندى وهل يزهون إلا بأوصافه الشكر؟ =

فبتنا يرانا الله شرَّ عصابةٍ تُجرِّرُ إذْ يالَ الفُسُوقِ ولا فخرْ

وأمَّا البَيتُ الَّذي لا يَرْقَأُ دَمْعُهُ فَقَوْلُ ذي الرُّمَّةِ[١] :

ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسَكِبُ كأنَّهُ مِنْ كُلاً مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ[٢]

فإنَّ جَوامِعَهُ: إمَّا ماءٌ، أوْ عَينٌ، أوْ انْسِكابٌ، أوْ بَوْلٌ، أوْ نَشيئَةٌ، أوْ أسْفَلُ مَزادَةٍ، أوْ شِقٌّ، أوْ سَيَلانٌ. وَأمَّا البَيتُ الَّذي يَثْقُلُ وَقْعُهُ فَمِثْلُ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ[٣] :

والبيت المذكور في المقامة مقطوع عما قبله لأنه قد ذكر قبل ذلك أنواع اللذائذ التي اغتنموها في ليلتهم، وقد أحسن في هذا القطع.

(١) ذو الرمة: هو غيلان صاحب مى (تقدمت ترجمته) ولا يرقأ دمعه أي لا يجف لكثرته وقد بين البديع معنى هذا في المقامة.

(٢) الكلية، والكلوة- بضم أولهما- ولا تقل كلوة بالكسر-: إحدى لحمتين منتبرتين حمراوين لازقتين بعظم الصلب عند الخاصرتين في كظرين من الشحم والجمع كليات وكلى، ومفرية: أي مقطوعة، وسرب: سائل من قولهم: سربت المزادة فهي سربة- وبابه- فرح-: أي سالت وإذا تقطعت الكلى سال بول المرء من دون أن يقدر على حبسه. وما أسمج هذا التشبيه وأبرده!!

(٣) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي مولى بني العباس الشاعر، المكثر، المطبوع صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، والمعاني المخترعة والأهاجي المقذعة، ولد ببغداد سنة ٢٢١ ونشأ بها وأقام كل حياته وكان كثير التطير جدا وله فيه أخبار غريبة حتى كان أصحابه إذا أرادوا أن يعبثوا به أرسلوا إليه من يَتطير من اسمه فلا يخرج من بيته ويمتنع من التصرف سائر يومه وكان القاسم بن عبيد الله وزير المعتز يخاف هجوه ويخشى فلتات لسانه ويقال: أنه دس عليه من أطعمه خشكنانه (ترادف ما يسمى الآن ((بسكويتا)) مسمومة فأكلها ثم أتى منزله وأقام به أياما ومات سنة ٢٨٣ ببغداد، وقيل: بل مرض ووصف له الطبيب دواء فيه سم فغلط في مقداره وأكثر منه فمات، وقال ابن الرومي الشعر في كل غرض ولا سيما الوصف والهجاء ونبغ في الشعر نبوغا لم يقصر به كثيرا عن درجة البحتري، وربما فاقه في اختراع المعاني النادرة أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد ووضعها في قالب أحسن وكان إذا اخترع المعنى أو ولده من كلام غيره لا يزال يستقصي فيه وينظمه بوجوه مختلفة حتى لا يدع فيه بقية، وهو ممن جمع صقال اللفظ، وإجادة المعنى، ويكفيه فضلا أن يكون المتنبي أحد رواة ديوانه والآخذين عنه ومن معانيه البديعة قوله:

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أطال هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه =

إذا مـنَ لَـمْ يَـمـنُـنْ بِـمَـنَ يَـمْـنُـهُ وَقالَ لِنَفْسي: أيُّها النَّفْسُ أَمْهِلي

وَأَمَّا البَيتُ الَّذي تَشُجُّ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبُهُ فَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

دلَـفْـتُ لَـهُ بِـأَبْـيَـضَ مَـشْـرَفِـيٍّ

كَـمـا يَـدْنُـو الْـمُـصَـافِـحُ لِـلـسَّـلامِ[1]

وَأَمَّا البَيتُ الَّذي يَعْظُمُ وَعيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ فَمِثالُهُ قَوْلُ عَمْرو بْنِ كُلْثُوم[2]:

= وقوله وقد غاب عن بغداد في بعض أسفاره:

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب اللهو وهو جديد

فإذا تمثل في الضمير رأيته وعليه أغصان الشباب تميد

وقوله وهو يجود بنفسه:

غلط الطبيب على غلطة مورد عجزت موارده عن الأصدار

والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة الأقدار

ومعنى البيت الذي بالمقامة: أن الممدوح إن أحسن لم يطلب شكر إحسانه ولم يرج من ورائه خيرا لنفسه فهو يمن بطبعه، ومعنى أنه ثقيل الوقع: إنك تجد في عبارته نبوا وجفاء لتكرار المن أربع مرات.

(١) عروض هذا البيت (مشرفي) وهو السيف ومن خصاله أنه يكسر ويميت (وضربه السلام) وهو الأمن ومن خصائصه تطبيب الآلام، ودلفت: سرت.

(٢) وهو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي سيد تغلب وفارسها واحد فتاك العرب وشعرائها المشتهرين بقصيدة واحدة والمجيدين للفخر، وأمه ليلى بنت مهلهل أخى كليب، نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفرانية شجاعا، هماما، خطيبا، جامعا لخصال الشرف، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة، وقاد الجيوش مظفرا في كثير من أيامهم، وأكثر ما كانت فتن تغلب وحربها مع أختها بكر بن وائل بسبب الحرب المشؤومة المشهورة بحرب البسوس وكان آخر صلح لهم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر ولم تمض مدة يسيرة حتى حدث بين وجوه القبيلتين ملاحاة ومشادة ومشاحة في مجلس عمرو بن هند قام أثناءها شاعر بكر الحارث ابن حلزة اليشكري وأنشد قصيدته المشهورة وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر فانصرف بن كلثوم وفي نفسه ما فيها. ثم خطر في نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأمه ليلى بنت مهلهل وأغرى هندا أمه أن تستخدمها في قضاء أمر فصاحت ليلى: واذلاه، فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه ثم رحل توا إلى بلاد الجزيرة وأنشد معلقته التي أولها:

كَأَنَّ سُيُوفَنا مِنَّا وَمِنْهُمْ مَخارِيقٌ بِأَيدي لاعِبينا

وَأَمَّا البَيتُ الَّذي هُوَ أَكثرُ رَمْلاً مِنْ يَبْرِينَ فَمِثْلُ قَوْلِ ذي الرُّمَّةِ[١]:

مُغَرْوَرِيًا رَمَضَ الرَّضْراضِ يَرْكُضُهُ وَالشَّمْسُ حيرَى لها في الْجوِّ تَدْوِيمُ

وَأَمَّا البَيتُ الَّذي هُو كَأَسْنانِ الْمَظلومِ. وَالْمِنْشارِ الْمَثْلُومِ فَكَقَوْلِ الأَعْشى[٢]:

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلى الْحانُوتِ يَتْبَعُني شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ[٣]

وَأَمَّا الْبَيتُ الَّذِي يَسُرُّكَ أَوَّلُهُ وَيَسُوؤُكَ آخِرُهُ فَكَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

مِكَرِ مِفَرٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[٤]

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

ومن سامى فخره قوله وهو يتوعد عمرو بن أبى حجر الغساني:

ألا فاعلم- أبيت اللعن- أنا على عمد سنأتي ما نريد
تعلم أن محملنا ثقيل وأن ذياد كبتنا شديد
وأنا ليس حي من معد يوازننا إذا لبس الحديد

والمخاريق: الخرق المفتولة التي يلعب بها الصبيان وليس أهون خطبا منها ولا تجد أخف ضرر فيها ومن هذا كان هذا البيت صغير الشأن وإن كان سياقه في أمر عظيم وهو تشبيه حالهم وإقدامهم على العدو رافعي السيوف.

(١) ذو الرمة تقدم. وليس في البيت ما يفيد كثرة الرمل كما ذكر اللهم إلا إذا أراد كثرة الراءات في البيت ولكنه بعيد جد البعد.

(٢) تقدمت ترجمة الأعشى، والبيت من معلقته التي يقول في أولها:

ودع هريرة أن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل؟

(٣) والحانوت: دكان الخمار يذكر ويؤنث والشاوي الذي يشوي اللحم والمشل بكسر الميم وفتح الشين: المستحث والجيد السوق، وقيل الذي يشل اللحم في السفود، والشلول بفتح الشين مثل المشل ويروى: نشول بفتح النون وهو الذي يأخذ اللحم من القدر، ويرى شليل بصيغة المصغر، والشلشل بضم الشينين كقنفذ: الخفيف اليد في العمل والمتحرك والشول بفتح فكسر هو الذي يحمل الشيء وقيل هو المعنى بحاجته ويروى شمل وهو الطيب النفس والرائحة.

(٤) مكر مفر بكسر ميمهما على وزان مفعل الموضوع للمبالغة ومعنى مقبل مدبر معا أنه سلس العنان شديد العدو وقد شبهه في عدوه بالحجر لأنه يطلب الانحطاط بطبعه من غير واسطة فكيف إذا أعانته قوة دفاع السيل من مرتفع عال.

وَأما الْبيتُ الَّذِي يُصْفِعُكَ باطِنُهُ وَيَخْدَعُكَ ظاهِرُهُ فَكقَوْل الْقائِلِ:

عاتَبْتُها فَبكتْ وَقالتْ يا فَتى نَجاكَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْ عَتْبي

وَأما الْبَيتُ الَّذِي لا يُخْلقُ سامِمُهُ. حَتَّى تُذْكر جوَامِعُهُ فَكقَوْلِ طَرَفَةَ:

وَقُوفًا بِها صَحْبي عليَّ مَطِيَّهُمْ يقُولونَ: لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ[1]

فإِنَّ السَّامِعَ يَظُنُّ أَنَّكَ تُنْشِدُ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ.

وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي لا يُمكِنُ لمسُهُ فَكَقَوْلِ الْخُبزُرُزِّيِّ:

تَقَشَّعَ غَيمُ الْهَجْرِ عَنْ قَمرِ الْحُبِّ

وَأَشْرَقَ نُورُ الصُّلْحِ مِنْ ظُلَمَةِ الْعَتْبِ[2]

---

(١) البيت في معلقة امرئ القيس وقافيته: (وتحمل) وهي أكثر دورانا على الألسنة وشهرة من معلقة طرفة فقبل أن يذكر القارئ القافية لا يدري السامع أنه ينشد لطرفة.

(٢) لم نقف على ترجمة حقيقية تثبت هذا البيت لشاعر ولكن الذي عثرنا عليه ترجمة لرجل اسمه (نصر بن أحمد الخبزارزي) قال عنه أبو منصور الثعالبي: وقد بلغني من غير جهة أنه كان أميًّا لا يتهجى وكانت حرفته خبز الأرز في دكانه بمربد البصرة فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره وأحداث البصرة يتنافسون في ميله إليهم وذكره لهم ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته، وكان ابن لكك على ارتفاع مقداره ينتاب دكانه ويسمع شعره اهـ، ونحن نكاد نجزم بأن البيت لهذا الشويعر لأنا نجد كلامه الذي عثرنا عليه كله على هذا النمط فمن ذلك قوله:

قالوا: عشقت صغيرا؟ قلت: أرتع في روض المحاسن حتى يدرك الثمر
ربيع حسن دعاني لافتتاح هوى لما تفتح منه النور والزهر

وقوله:

ورد الخدود ورمان النهود وأغـ ـصان القدود تصيد السادة الصيدا
شرطي إذا ما رأيت الخصر مختصرا والردف مرتدفا والقد مقدودا

وألفاظ البيت المذكور في المقامة تدل على أشياء لا يمكن لمسها ولا الدنو منها في أصل معناها فالقمر والنور والظلمة معان لا أجسام لها وما له جسم منها وهو القمر بعيد المنال ولما أضيف القمر للحب والغيم للهجر والنور للصلح والظلمة للعتب أضحى كل شيء سوى تخيله ذهنا بعيدا جدًّا.

وَكَقَوْلِ أبي نُوَاسٍ:

نَسِيمٌ عَبِيرٍ فِي غَلالَةِ مَاءٍ وَتِمْثَالُ نُورٍ فِي أَدِيمِ هَوَاءِ[١]

وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي يَسْهُلُ عَكْسُهُ فَكَقَوْلِ حَسَّانٍ[٢]:

---

(١) العبير: الرائحة الطيبة المستحسنة، والغلالة: الثوب، والأديم: الجلد، ومن ذا الذي يستطيع أن يلمس نسيم الريح الطيب أو ثوب الماء أو صورة النور أو جلد الهواء؟ بعيد غاية العبد أن يوجد القدير على هذا.

(٢) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشعر أهل المدر وفحل شعراء المخضرمين وهو من بني النجار من أهل المدينة نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها إذ أدرك الكثير من فحولها فلم يقصر عن اللحاق بهم بل بذَّ الكثير منهم وكان يمدح الملوك والمناذرة والغساسنة في الجاهلية ويرحل إليهم فينال منهم جزيل العطايا وأكثر من كان يمدحهم ويكثر انتجاعهم آل جفنة من ملوك غسان لما بين أهل يثرب والغساسنة من صلة النسب وقرب الجوار فكان له من جوائزهم مدد لا ينقطع حتى ناله منهم شيء بعد أن أسلم وتنصروا. ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم الأنصار- أسلم معهم ودافع عنه بلسانه كما دافع قومه الأنصار بسيوفهم، فكان لقوله من النكاية في قريش وأعداء النبي أحسن بلاء وأحمد أثر. وكان شاعر أهل المدر في الجاهلية وشاعر اليمانية في الإسلام ولم يكن في أصحاب رسول الله ولا في أعدائه حين دعوته إلى الله أشعر منه وكان رسول الله ينصب له منبرا بالمسجد ويسمع هجاءه في أعدائه ويقول: (أجب عني، اللهم أيده بروح القدس).

ومن شعره في الجاهلية:

ولقد تقلدنا العشيرة أمرها ونسود يوم النائبات ونعتلي
ويسود سيدنا جحاجح سادة ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابة فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوك ركابنا ومتى نحكم في البرية نعدل

ومن شعره في الإسلام يفاخر وفد تميم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سننًا للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق- فاعلم- شرها البدع
إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

بيضُ الْوُجُوه كَرِيمَةٌ أَحْسابُهُمْ شُمُّ الأُنُوف مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ

وَأما الْبَيْتُ الذِي هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ فَكَحماقَةِ الْمُتَنَبِي [١]:

أعفة ذكرت في الوحي عفتهم لا يطمعون ولا يزري بهم طمع
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم وإن أصيبوا فلا خوف ولا جزع

ومما سار من شعره مسير الأمثال قوله:

وإن امرأ يمسي ويصبح سالما من الناس- إلا ما جنى- لسعيد

وقوله: رب حلم أضاعه عدم المـا ل وجهل غطى عليه النعيم

وقوله: فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

ومات رضي الله تعالى عنه في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ وقد عمر قريبا من ١٢٠ سنة.

والشم: جمع اشم، وهو المتصف بالشَّمَم الذي هو عزة النفس وكرامتها وأصله ارتفاع قصبة الأنف: وسهولة عكس هذا البيت تقديم شطره الثاني على الأول من غير اختلال في المعنى وعكسه بعضهم هكذا:

سود الوجوه لئيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر الحكيم صاحب الأمثال السائرة والمعاني النادرة وخاتم ثلاثة الشعراء وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء وهو من سلالة عربية من قبيلة جعف بن سعد العشيرة أحد قبائل اليمانية.

ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ في محلة كندة، ونسب إليها- وليس بكندي- ونشأ بها وأولع بتعلم العربية من صباه وكان نادرة في الحفظ لا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر، وكان أبوه- فيما يقال- سقاء فخرج به إلى الشام ورأى أبو الطيب أن استتمام علمه باللغة والشعر لا يكون إلا بالمعيشة في البادية فخرج إلى بادية بني كلب وهو بعد فتى لا يزيد عمره على عشرين سنة فأقام بينهم مدة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة إذ كانت لا تزال صحيحة بالبادية حتى أحاط بغريبها وحوشيها فعظم شأنه بينهم. وكانت الأعراب الضاربون بمشارف الشام شديدي الشغب على ولاتها فوشى بعضهم إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدية بأن أبا الطيب ادعى النبوة في بني كلب وتبعه منهم خلق كثير ويخشى على ملك الشام منه فخرج لؤلؤ إلى بني كلب وحاربهم وقبض على المتنبي وسجنه طويلا ثم استتابه وأطلقه فخرج من السجن وقد لصق به اسم «المتنبي» مع كراهته له.

فأما منزلته في الشعر فقد شهد له أبو العلاء المعري- وهو من تعرف بعد غوره وفرط ذكائه وتوقد خاطره وشدة تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية- بالسبق، وقدمه على نفسه

عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ جُدْ قُدْ مُرِ انْه اسْرُفْهُ تُسَلْ
غِظ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زِغْ دِلِ ابْنِ نَلْ

وَأما الْبَيْتُ الذِي هُوَ مُهِينٌ بِحَرْفٍ. وَرهِينٌ بِحَذْف. فَكَقَوْلِ أبى نُوَاس:

لقدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلى بَابِكُمْ كَما ضَاعَ دُرٌّ عَلى خالصهْ

وَكَقَوْلِ الْآخَرِ:

إنَّ كَلامًا تَراهُ مَدْحًا كَانَ كَلامًا عَلَيْهِ ضَاءَ

يَعْنِي أَنَّهُ إذَا أَنْشَدَ «ضَاعا» كانَ هَجَاءً. وَإذَا أَنْشَدَ «ضاءَ» كانَ مَدْحًا[1].

قالَ عِيسى بْنُ هِشامٍ: فَتَعَجَّبْتُ وَاللهِ مِنْ مقَالِهِ. وَأعْطَيْتُهُ ما يَسْتَعِينُ بِهِ علَى تَغْيِيرِ حالِه. وَافْتَرقْنا.

= وغيره، وهو الذي يقول عنه ابن رشيق: ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس. ومن شعره:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم
أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم
وبيننا- لو رعيتم ذاك- معرفة أن المعارف في أهل النهي ذمم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

وعش من العيشة، وابق من البقاء، واسم من السمو، وسد من السيادة، وجد من الجود، وقدمن قيادة الجيوش، ومر من الأمر، وأنه من النهي، وره من الرؤيا، وفه من فاه أي تكلم، وتسل أي يسألك الناس عما أغلق عليهم، وغظ من الغيظ، وارم من الرماية، وصب من الإصابة، واحم من الحماية أي الوقاية واغز من الغزو، واسب من السبى، ورع من الروع وهو الخوف، وزع من الوزع وهو الكف، ود فعل بقى على حرف واحد أصل أخذه من وداه أي أعطى ديته أو أخذها ول فعل كذلك من الولاية وابن من البناء والمراد به بناء المجد والمكرمات ويروى اثن من الثناء ونل من النوال.

(١) الكلام ظاهر.

المقامة الحمدانية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قَالَ: حَضَرْنَا مَجْلِسَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ يَوْمًا[1]

---

(١) هو أبو الحسن على أشهر أمراء الدولة الحمدانية من قبيلة تغلب. وكان سيف الدولة يملك حلب والعواصم ثم أخذ دمشق من الاخشيدية ومات سنة ٣٥٧ وكان أخوه الحسن ناصر الدولة يملك الموصل والجزيرة وخلف سيف الدولة ابنه سعد الدولة وخلف ناصر الدولة ابنه أبو تغلب ثم أخوه الغضنفر وسيف الدولة ممدوح أبى الطيب وله فيه المديح الذي خلد اسمه أبد الدهر ومنه.

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

قال عنه صاحب اليتيمة: كان غرة الزمان، وعماد الإسلام، ومن به سداد الثغور وسداد الأمور، وكانت وقائعه في عصاة العرب يكف بأسها، وتفل أنيابها وتذل صعابها، وتكف الرعية سوء آدابها. وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلية الشعراء، ويقال أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر اهـ. وكان مع ذلك أديبا نقادة شديد العارضة سريع البديهة ومن شعره في وصف قوس قزح:

وساق صبيح للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا على الجود كنا والحواشي على الأرض
يطرزها فوق السحاب بأصفر على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض

وأنشده أبو الطيب المتنبي قصيدته التي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

فلما وصل قوله:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال: قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد علي امرئ القيس قوله:

وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ فَرَسٌ. مَتَى ما تَرْقَ الْعَيْنُ فِيهِ تُسْهِلْ. فَلَحَظَتْهُ الْجَماعَةُ[١].

وَقالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ:

أَيُّكُمْ أَحْسَنَ صِفَتَهُ. جَعَلْتُهُ صِلَتَهُ[٢]. فَكُلٌّ جَهِدَ جَهْدَهُ. وَبَذَلَ ما عِنْدَهُ[٣]. فَقالَ أَحَدُ خَدَمِهِ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ رأَيْتُ بِالأَمْسِ رَجُلاً يَطَأُ الْفَصاحَةَ بِنَعْلَيْهِ[٤].

= كأني لم أركب جواد للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخيلي كرى كرة بعد أجفال

وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين

كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول:

كأني لم أركب جوادا ولم أقل لخيلي كري كرة بعد أجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

(ليكون قد جمع ما يناسب الركوب مع لذته، ويضم لذة الشرب إلى لذة النساء وهما أقرب الأشياء تناسبا) ولك أن تقول:

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال: أبو الطيب أيد الله مولانا أن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا. ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لأن البزاز لا يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبية وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء. وأنا لما ذكرت الموت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه من أن تكون باكية قلت: ووجهك وضاح وثغرك باسم، لا جمع بين الأضداد في المعنى وأن لم يتسع اللفظ لجمعها.

فانظر إلى دقة الملاحظة مع سرعة البديهة وقوة العارضة.

(١) لحظته الجماعة: نظروا إليه وتأملوا فيه.

(٢) الصلة في الأصل: العطية وأراد منها هنا الجزاء والمكافأة.

(٣) جهد جهده: أي اجتهد بكل ما فيه من قوة وأفرغ قصاري جهده في أن ينعته ليكون له.

(٤) أي أنه قد أصبح ملك الفصاحة وفارسها.

وَتَقِفُ الأَبْصارُ عَلَيْهِ[١]. يَسْأَلُ النَّاسَ. وَيَسْقِي اليأسَ[٢]. وَلَوْ أَمَرَ الأَمِيرُ بِإِحْضارِهِ. لَفَضَلَهُمْ بِحَضارِهِ[٣].

فقالَ سَيفُ الدَّوْلَةِ: عَلَيَّ بِهِ في هَيْئَتِهِ فَطارَ الْخَدَمُ في طَلَبِهِ. ثُمَّ جاءُوا لَلْوَقْتِ بِهِ. وَلم يُعْلِمُوهُ لأَيَّةِ حالٍ دُعِيَ[٤] ثُمَّ قُرِّبَ وَاسْتُدْنِي وَهُوَ في طِمْرَيْنِ قَدْ أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيهِما وَشَرِبَ[٥]. وَحِينَ حَضَرَ السِّمَاطَ. لَثَمَ الْبِساطَ[٦]. وَوَقَفَ فقالَ سَيفُ الدَّوْلَةِ: بلغَتْنا عَنْكَ عارِضَةٌ فأَعْرِضْها في هذَا الْفَرسِ ووَصْفِهِ[٧].

فقَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ كَيْفَ بِهِ قَبْلَ رُكُوبِهِ وَوثوبِهِ. وَكَشفِ عُيُوبِهِ وَغُيُوبِهِ[٨]؟ فقالَ: ارْكَبْهُ.

---

(١) أي لا تتحول عنه ولا تبصر إلى سواه لأنها أضحت أسيرة لديه بما شاقها منه.

(٢) يسأل الناس: يطلب منهم العطاء. ويسقى: يذم ويعيب واليأس أي الحال التي لزمته.

(٣) الحضار بكسر أوله: قوة البيان وجودة القريحة من قولهم: ناقة حضار إذا جمعت قوة وجودة سير أو هو من قولهم: رجل حضر بفتح فضم إذا كان ذا بيان وفقه.

(٤) أي أنهم لم يبطئوا في استدعائه ولم يخبروه بما كان في المجلس وذلك كتمهيد لنعته بالفصاحة والبيان الكاملين.

(٥) طمرين: ثوبين خلقين وأكل الدهر عليهما وشرب من قول بعضهم:

سألتني عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

(٦) حضر فعل يتعدى ويكون لازما تقول: حضره وتحضره وأحضر الشيء وأحضره إياه والسماط جماعة الحاضرين مع الأمير ولثم البساط قبله إجلالا لشأنه.

(٧) العارضة: البديهة، وقيل هي الصرامة وهي المضاء في الأمور يقال رجل صارم وصرامة إذا كان ماضيا في الأمور ومنه فلان صريم سحر على هذا الأمر أي: متعب حريص عليه. والمعنى أنه وصل إلينا أن لك بديهة حاضرة وأنك ماض في البراعة قوي البيان فإذا كان ذلك حقافا نشره علينا في وصف هذا الفرس.

(٨) وثب من مكان إلى مكان وثبا ووثوبا ووثيبا ووثبانًا ووثب إليه: ظفر، وفرس وثابة: سريعة، والغيوب: جمع غيب وهو ما خفي على الإنسان فلم يعلم به والمعنى: أنه لا طاقة لي على وصفه ولا سبيل إلى نعته حتى أركبه وأركض به فأعلم سرعته وأتبين ما خفي عني من صفاته التي لا تظهر بمجرد النظر ليكون وصفي صحيحا صادقا.

فَرَكِبَهُ وَأَجْرَاهُ ثُمَّ قالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ هُوَ طَوِيلُ الأُذُنَيْنِ. قَلِيلُ الإِثْنَيْنِ. وَاسِعُ الْمراثِ. لَينُ الثَّلاثِ[١] غَلِيظُ الأَكْرُعِ. غامِضُ الأَرْبَعِ[٢]. شَدِيدُ النَّفْسِ. لَطِيف الْخَمسِ[٣]. ضَيِّقُ الْقَلْتِ. رَقِيقُ السِّتِ[٤]. حَدِيدُ السَّمْعِ. غَلِيظُ السَّبْعِ[٥]. دَقِيقُ اللِّسانِ. عَرِيضُ الثَّمانِ[٦]. مَدِيدُ الضْلِعِ. قَصِيرُ التِّسْعِ[٧]. واسِعُ الشَّجْرِ.

---

(١) المراث ومثله المروث بوزن منبر مبعر الفرس. ولين الثلاث سيأتي في كلامه تفسيره وقد سبق المفضل الضبى إلى مثل ذلك، روى الزجاج قال: قال المفضل الضبى: قال لي أمير المؤمنين المنصور: صف لي الجواد من الخيل فقلت يا أمير المؤمنين إذا كان الفرس طويل ثلاث قصير ثلاث رحب ثلاث صافي ثلاث فذلك الجواد الذي لا يباري قال: فسرها. فقلت: أما الثلاث الطوال فالأذنان والهادي والفخذ. وأما القصار فالظهر والعسيب والساق وأما الرحاب فاللبان والمنخر والجبهة، والصافية الأديم والعين والحافر. غير أن البديع قد زاد فيها وبسط الوصف بأكثر منه. وقد وصف ابن أقيصر الفرس فقال: إذا استقبلته أقعي، وإذا استدبرته جبا، وإذا اعترضته استوى. وفي هذا المعنى يقول أنيف بن جبلة الضبى فارس الشيط:

ولقد شهدت الخيل يحمل شكتى عتد كسرحان القصيمة منهب
أما إذا استقبلته فكأنه للعين جذع من أوال مشذب
وإذا اعترضت به استوت أقطاره وكأنه مستدبرًا متصوب

والقصيمة: رملة تنبت الغضى ذئبها خبيث، وأوال- بوزن سحاب- جزيرة كبيرة بالبحرين بينها وبين القطيف مسيرة يوم في البحر عندها مغاص اللؤلؤ.

(٢) الكرع، محركة، قوائم الدابة، والكراع بوزن غراب ويؤنث والجمع أكرع وأكارع مستدق الساق: وغامض الأربع سيأتي معناه في المقامة.

(٣) يروى: النفس بالتحريك ومعناه أنه إذا تنفس كان نفسه طويلا وشديدًا. ويروى النفس بفتح فسكون ومعنى شدة النفس شهامتها وقوتها والعرب تتمدح بكرم الخيل وشدتها وطيب أصلها كما تمدح ذلك في الأناسي ولطيف الخمس معناه مذكور في كلامه.

(٤) أصل القلت النقرة في الجبل وهو في الفرس النقرة في رأس الورك يكون في جوفها الموقف وهو عصبة إذا انفكت عرجت الدابة.

(٥) من الأوصاف التي تمتدحها العرب في الخيل أن يكون في أذنيها صلابة فإذا استرختا كانت مذمومة ويقولون عن الفرس المسترخي الأذنين أخذي، فمعنى حديد السمع شديد الأذنين صلبهما.

(٦) الدقيق ضد الغليظ (٧) مديد: ممتد مستكمل أضلاعه.

بَعِيدُ الْعَشْرِ[١]. يأْخُذُ بالسَّابِحِ. وَيُطْلِقُ بالرَّامِحِ. يَطلُع بِلائِحٍ. وَيَضْحَكُ عَنْ قارِحٍ[٢]. يَخُدُّ وَجْهَ الْجَدِيدِ. بمَدَاقِّ الْحَدِيدِ[٣]. يَحْضِرُ كالْبَحْرِ إذَا ماجَ. وَالْسَّيْلِ إذَا هاجَ[٤].

فقَالَ سَيفُ الدَّوْلةِ: لَكَ الْفَرَسُ مُبارَكًا فِيهِ. فقَالَ: لا زِلْتُ تأْخُذُ الأَنْفَاسَ. وَتَمْنحُ الأَفْرَاسَ[٥].

ثُمَّ انْصَرَفَ وَتَبِعْتُهُ وَقُلْتُ: لَكَ عَلَّى مَا يَلِيقُ بِهذَا الْفَرَسِ منْ خِلْعَةٍ إنْ فَسَّرْتَ ما وَصَفْتَ. فقَالَ: سَلْ عَمَّا أَحْبَبْتَ. فقُلْتُ: ما مَعْنَى قَوْلِكَ بعِيدُ الْعَشْرِ؟

فقَالَ: بعِيدُ النَّظَر وَالْخَطْو[٦] وَأعالي اللحيينَ[٧] وما بين الوقبين[٨]

---

(١) الشجر بفتح فسكون مخرج الفم أو مؤخره أو ما انفتح من منطبق الفم أو ملتقى اللهزمتين أو ما بين اللحيين والجمع أشجار وشجور وشجار.

(٢) يأخذ بالسابح: أي يبتدي سيره بيديه اللتين تشبهان يدي السابح، ويطلق بالرامح أي أنه يتبعهما رجليه الرامحتين أي السريعتين من رمح إذا ركض، ويطلع بلائح. أي أنه يلاقيك بوجه لائح أي مشرق ذي غرة. ويضحك عن قارح: أي يظهر لك سنه الذي يدلك على بلغ التسع من عمره.

(٣) يخد: يشق ويروى يحز أي يقطع. والجديد الأرض ويروى الكديد وهو ما غلظ منها. والمداق جمع مدق بكسر ففتح أو بضمتين. والمعنى أنه يسير سيرًا متواصلا وكأنه في سيره يشق وجه الأرض بحوافره التي تشبه المداق.

(٤) أحضر الفرس أي ارتفع في عدوه وأسرع والبحر إذا ماج تدافعت أمواجه وتلاحق بعضها ببعض- والعرب تشبه الفرس بالماء كثيرًا وتضع له أسماء مأخوذة من أسماء بعض المياه وأماكنها فمن ذلك الغمر إذا كان كثير الجري. واصل الغمر الماء الكثير. ومنه اليعبوب إذا كان سريع الجري وأصله الجدول السريع. ومنه الجموم إذا كان كلما ذهب منه إحضار جاءه إحضار وأصله البئر التي لا ينزح ماؤها ومن ذلك سكب وفيض إذا كان خفيف الجري سريعه وأصلهما فيض الماء وانسكابه وهكذا.

(٥) أي أدام الله نعمتي الشجاعة والكرم لتنتهب النفوس وتعطي النفيس.

(٦) يرى الشيء عن بعد ويسرع إليه.

(٧) عظمي الحنك اللذين يكون عليهما الأسنان.

(٨) الوقب النقرة أي نقرة في الجسد. والوقبان من الفرس نقرتان فوق عينيه.

والجاعرتين[١] . ومَا بَينَ الْغُرَابَينِ[٢] . وَالْمَنْخَرَيْنِ . وَما بَينَ الرِّجْلَيْنِ . وَما بَينَ الْمَنْقَبِ والصِّفاقِ[٣] . بعيدُ الْغايَةِ في السِّباقِ . فقُلْتُ : لا فُضَّ فُوكَ فمَا مَعْنىَ قَوْلِكَ قَصِيرُ التِّسْعِ . قالَ : قَصِيرُ الشَّعْرَةِ[٤] قَصِيرُ الأُطْرَةِ[٥] قَصِيرُ الْعَسيبِ[٦] . قَصِيرُ الْقَضيبِ[٧] . قَصِيرُ الْعَضُدَيْنِ[٨] . قَصِيرُ الرُّسْغَينِ[٩] . قَصِيرُ النَّسَا[١٠] قَصِيرُ الظَّهْرِ[١١] قَصيرُ الوَظِيفِ[١٢] . فقُلْتُ : لِلهِ أَنْتَ! فَما مَعْنىَ قَوْلِكَ : عَرِيضُ الثَّمانِ؟ قالَ : عَرِيضُ الْجَبْهَةِ[١٣] عَرِيضُ الوَرِكِ[١٤] عَرِيضُ الصَّهْوَةِ[١٥] عَرِيضُ الكَتِفِ[١٦] عَرِيضُ الْجَنْبِ[١٧] عَرِيضُ الْعَصَبِ[١٨] عَرِيضُ الْبَلْدَةِ[١٩] عَرِيض صَفْحَةِ الْعُنُقِ[٢٠] فقُلْتُ : أَحْسَنْتَ فَما مَعْنى قَوْلِكَ غَليظُ السَّبْعِ؟ قالَ : غَليظُ الذِّرَاعِ غَليظُ

---

(١) الجاعرتان حرفا الورك المشرفان على الفخذين .

(٢) الغرابان هما طرفا الوركين الأسفلان .

(٣) المنقب موضوع على السرة ينقبه البيطار والصفاق ما بين الجلد والمصران .

(٤) إذا كان الفرس قصير شعر الجلد رقيقه فهو أجرد وهو ممدوح .

(٥) الأطرة : ما أحاط بالظفر من اللحم .

(٦) العسيب عظم الذنب .

(٧) الذكر .

(٨) العضد من الإنسان ما بين مرفقه والكتف ومن الفرس ما بين الكتف والركبة .

(٩) الرسغ : المستدق بين الحافر والوظيف من يد أو رجل .

(١٠) النسا : عرق يخرج من الورك ويصل إلى الحافر .

(١١) يريد من ظهره المكان الذي يركبه الفارس منه .

(١٢) الوظيف : مستدق الذراع والساق .

(١٣) الجبهة : أعلى الوجه .

(١٤) الورك : معروف .

(١٥) الصهوة : مكان الفارس في ركوبه .

(١٦) الكتف : ما فوق العضد .

(١٧) الجنب : المراد به ما بين أعلاه وآخره .

(١٨) العصب : أطناب المفاصل التي تربط بعض أجزاء الجسم ببعض .

(١٩) البلدة : الصدر .

(٢٠) صفحة العنق : جانبه .

الْمَحْزِمِ[١] غَلِيظُ الْعُكْوَةِ[٢] غَلِيظُ الشَّوى[٣] غَلِيظُ الرُّسْغِ غَلِيظُ الْفَخِذَيْنِ غَلِيظُ الْحاذِ[٤]. قُلْتُ: لِلهِ دَرُّكَ! فما مَعْنى قَوْلِكَ رَقِيقُ السِّتِّ؟ قالَ: رَقِيقُ الْجَفْنِ رَقِيقُ السَّالِفَةِ[٥] رَقِيقُ الْجَحْفَلَةِ[٦] رَقِيقُ الأَدِيمِ[٧] رَقِيقُ أَعالى الأُذُنَيْنِ رَقِيقُ الْعُرُضَيْنِ[٨]. فَقُلْتُ: أَجَدْتَ فَما مَعْنى قَوْلِكَ لَطِيفُ الْخَمْسِ؟ فَقالَ: لَطِيفُ الزَّوْرِ. لَطِيفُ النَّسْرِ[٩]. لَطِيفُ الْجَبهَةِ. لَطِيفُ الرُّكْبَةِ. لَطِيفُ الْعُجايَةِ[١٠]. فَقُلْتُ: حَيَّاكَ اللهُ فَما مَعْنى قَوْلِكَ غامِضُ الأَرْبَعِ؟ قالَ: غامِضُ أَعالِي الْكَتِفَيْنِ[١١] غامِضُ الْمِرْفَقَيْنِ[١٢] غامِضُ الْحِجاجَيْنِ[١٣] غامِضُ الشَّظى[١٤] قُلْتُ: فما مَعْنى قَوْلِكَ لَيِّنُ الثَّلاثِ؟ قالَ: لَيِّنُ الْمَرْدَغَتَيْنِ[١٥] لَيِّنُ الْعُرْفِ[١٦] لَيِّنُ الْعِنانِ[١٧]. قُلْتُ: فَما مَعْنى قَوْلِكَ قَلِيلُ الإِثْنَيْنِ؟ قالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الوَجْهِ قَلِيلُ لَحْمِ المَتْنَيْنِ[١٨] قُلْتُ: فَمِنْ أَيْنَ مَنْبِتُ هذَا الْفَضْلِ؟ قالَ: مِنَ الثُّغُورِ الأُمَوِيَّةِ. وَالْبِلادِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ[١٩]:

---

(١) موضع الحزام.
(٢) العكوة: أصل الذنب.
(٣) الشوى: جلدة الرأس.
(٤) الحاذ الظهر ويروى الجبال، ومعناها العروق التي تربط اليد.
(٥) السالفة: ما تقدم من عنقه.
(٦) الجحفلة للفرس ونحوه مثل الشفة للإنسان والمشفر للبعير.
(٧) الأديم: الجلد.
(٨) العرضان: هما جانبا العنق.
(٩) النسر: هو لحمة تشبه النواة أو الحصاة تكون في باطن حافر الفرس من أعلاه.
(١٠) العجاية: عصب مركب فيه فصوص من عظام كفصوص الخاتم عند رسغ الدابة.
(١١) معناه أنه مكتنز اللحم ليس بناشز العظم.
(١٢) المرفقان مؤخر العضدين اللذين يتصل عليهما العضدان.
(١٣) الحجاج: منبت الحاجب.
(١٤) الشظى: عظم مستدق لاصق بالركبة أو الذراع أو هو عصب صغار فيه.
(١٥) المردغة: ما بين العنق والترقوة.
(١٦) الشعر النابت على محدب عنقه.
(١٧) أراد بلين عنانه سهولة قياده وسلاسته.
(١٨) المتنان: ما يحيطان بالصلب عن يمين وشمال من العصب.
(١٩) الأموية: المنسوبة لبني أمية، وببلاد الأندلس مدينة اسمها إسكندرية فهو ينتسب إليها.

فقُلْتُ: أَنْتَ مَعَ هذَا الْفَضْلِ. تُعَرِّضُ وَجْهكَ لِهذَا الْبَذْلِ؟

فأَنْشأَ يَقُولُ:

سَاخِفْ زَمَانَكَ جِدًّا ... إِنَّ الزَّمَانَ سَخِيفْ[١]

دَعِ الْحَمِيَّةَ نَسْيًا ... وَعِشْ بِخَبِرٍ وَرِيفْ[٢]

وَقُلْ لِعَبْدِكَ هذَا ... يَجِيبُنَا بِرَغِيفْ

المَقَامَةُ الرُّصَافِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ:

خَرَجْتُ مِنَ الرُّصافَةِ[٣] أُرِيدُ دارَ الْخِلافَةِ. وَحَمَّارَةُ الْقَيْظِ. تَغْلى بِصَدْرِ الْغَيْظِ[٤]. فَلَمَّا نَصَفْتُ الطَّرِيقَ[٥] اشْتَدَّ الْحَرُّ وَأَعْوَزَنِي الصَّبْرُ[٦]. فَمِلْتُ إِلى مَسْجِدٍ قَدْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ سِرَّهُ وَفِيهِ قَوْمٌ يَتَأَمَّلونَ سقُوفَهُ. وَيَتَذاكرونَ وُقُوفَهُ[٧].

---

(١) السخف: الحمق، والمعنى: أن عليك أن تجاري الدهر في حماقته لتنال منه رغباتك فإنه لا يفل الحديد إلا الحديد.

(٢) قال الأستاذ الإمام: الريف: السعة في المأكل والمشرب واقتصر عليه مع أنه تغمده الله برحمته كان يكتب في شرحه كل ما يتصور أن يرجع الكلام إليه ونحن نقول أنه لا يبعد أن تكون الكلمة مأخوذة من ورف الظل يرف ورفا ووريفا إذا طال وامتد ويكون المعنى وعش بخير ممتد متسع وهو ظاهر وبديع.

(٣) الرصافة بضم أوله: اسم لبلدان كثيرة منها واحدة بالشام وأخرى بالبصرة وثالثة بالأندلس ورابعة بإفريقية وقرية بواسط وأخرى بنيسابور واسم محلة ببغداد التي هي دار الخلافة أي المكان الذي يجلس فيه الخلفاء.

(٤) حمارة القيظ: شدة الحر.

(٥) نصفت الطريق أي قطعت نصفه أو انتصفته أي صرت في نصفه.

(٦) أي افتقرت إلى الصبر لأنه ذهب مني كله.

(٧) أي أعمدته وسواريه جمع واقف.

وَأَدَّاهُمْ عجزُ الْحديثِ[١] إلى ذِكْرِ اللُّصُوصِ وَحِيَلِهِمْ. وَالطَّرَّارينَ وَعَمَلِهِمْ[٢] فَذَكَروا أَصْحابَ الْفُصوصِ[٣]. مِنَ اللُّصوصِ. وَأَهْلَ الْكَفِّ وَالْقَفِّ[٤]. وَمَنْ يَعْمَلُ بِالطَّفِّ[٥]. وَمَنْ يَحْتالُ في الصَّفِّ[٦] وَمَنْ يَخْنُقُ بِالدَّفِّ[٧]. وَمَنْ يُكْمِنُ في الرَّفِّ. إلى أَنْ يُمْكِنَ اللَّفُّ[٨] وَمَنْ يُبَدِّلُ بِالْمَسْحِ[٩]. وَمَنْ يَأْخُذُ بِالْمَزْحِ[١٠]. وَمَنْ يَسْرِقُ بِالنُّصْحِ[١١] وَمَنْ يَدْعُو إلى الصُّلْحِ[١٢]. وَمَنْ قَمَشَ بِالصَّرْفِ[١٣]. وَمَنْ

---

(١) آخره.

(٢) الطرارون: الذين يختلسون المال خفية من طر إذا شق أو قطع وهم الذين يقال لهم اليوم (نشالون).

(٣) جماعة ينقشون أسماء بعض الناس على فصوص ثم يذهبون إلى ديارهم حال غيبتهم يطلبون من المال ما أرادوا دون أن ينكر عليهم أهل البيت والفص علامة.

(٤) أهل الكف: الذين يدخلون بين متشاجرين ليكفوهم عن الشجار ويختلسون في هذه الأثناء أموالهم وأهل القف: الذين يختلسون المال بين أصابعهم.

(٥) أي يسرق بالتطفيف في المكيال.

(٦) أي يسرق من صفوف المصلين منتهزًا اشتغالهم بالصلاة.

(٧) أي يدخل للسرقة فإذا تعرض له رب البيت قتله ويكون معه جماعة يضربون بالطبول والدفوف حتى إذا صاح لا يسمعه أحد ولا يغيثه إنسان.

(٨) يختفي في مكان الأمتعة حتى يتمكن من جمعها والفرار بها.

(٩) الذي يضع دراهم زائفة في فمه ثم يأخذ من آخر دراهم جيدة ويدنيها إلى فمه ثم يمسحها موهما أنه يختبرها وهو في الواقع يستبدلها بما معه من الرديء.

(١٠) الذي يختلس دراهمك فإذا عرفت ذلك منه ردها إليك يوهمك أنه يمازحك.

(١١) الذي يسرق منك نقودك على هيئة النصيحة لك كمن يدخل عليك وبين يديك دراهم فيقول لك لا تفعل هذا فإن بعض الناس كان مثلك فدخل عليه طرار فوضح يده على كيسه هكذا (ويضع يده) ثم أخذه هكذا (ويأخذه) ثم سار إلى الباب هكذا (ويسير) ثم خرج هكذا (ويخرج) وحينئذ يغلق الباب ويفر.

(١٢) الذي يرتقب حصول الخلاف بين اثنين فيدخل بينهما ولا يزال ينتهز غفلتهما بشأنهما حتى يسلب ما قدر عليه من مالهما.

(١٣) قمش جمع ومعناه الذي يجيء إلى الصيرفي يوهمه أنه يريد صرف دينار مثلا فيختلس الذي أمامه ويهرب.

أَنْعَسَ بِالطَّرْفِ[١]. وَمَنْ باهَتَ بِالنَّرْدِ[٢]. وَمَنْ غَالَطَ بِالْقِرْدِ[٣]. وَمَنْ كابَرَ بِالرَّيْطِ. مَعَ الإِبْرَةِ وَالْخَيْطِ[٤]. وَمَنْ جاءَكَ بِالْقُفْلِ[٥]. وَشَقَّ الأَرْضَ مِنْ سُفْلٍ[٦]. وَمَنْ نَوَّمَ بِالْبَنْجِ[٧]. أو أَحْتَالَ بِنِيرَنْجٍ[٨] وَمَنْ بَدَّلَ نَعْلَيْهِ. وَمَنْ شَدَّ بِحبْلَيْهِ[٩]. وَمَنْ كابَرَ بِالسَّيْفِ[١٠]. وَمَنْ يَصْعَدُ في الْبِيرِ[١١]. وَمَنْ سارَ مَعَ الْعِيرِ[١٢]. وَأَصْحابُ الْعَلاماتِ[١٣] وَمَنْ يَأْتي الْمَقاماتِ[١٤].

---

(١) أي الذي يتناوم لينام صاحب المال فإذا نام أخذ ماله.

(٢) أي الذي يدخل الدار ومعه النرد فإذا توسطها وعلم به صاحبها بسط النرد فإذا جاء ليقبض عليه نادى بأنه يظلمه في اللعب ولا يعطيه ما قامره به.

(٣) الذي يكتري قرادًا يوقفه على باب دكان ليشتغل به صاحب الدكان فيسرقه.

(٤) الريط: جمع ريطة والمراد به هنا الثياب الذي يلبس فوق غيره. وهذه الحيلة هي أن الطرار يرفع ثوب بعض المارة خلسة ويمسك بطرفها الأسفل ثم يأخذ في خياطته بما على العاتق فإن لم يشعر به صاحب الثياب أخذ همبانه (وهو وعاء دراهمه) وإذا استشعره صاح: أني كنت أخيط لك ثوبك هكذا أفلا تريد.

(٥) الذي يبيع التاجر قفلا سهل الفتح فإذا أغلق التاجر به جاء فسرقه.

(٦) الذي يحفر حفيرة في الأرض حتى تصل الدار فإذا نام أهلها دخلها.

(٧) البنج: مخدر معروف.

(٨) النيرنج: ضرب من الشعبذة يشبه السحر.

(٩) بدل نعليه: الذي يدخل الحمام أو المسجد ومعه نعل خلق ثم ينتهز غفلة الناس ويتحين اشتغالهم فيأخذ نعلين جديدين ويخرج وشد بحبليه: الرجل يصعد جدارا أو يرقى سطحا ثم يشد على ما يجده من المتاع حبلا يكون قد ترك طرفه في الأرض من أسفل الدار مثلا ثم ينزل فيشد ذلك الحبل ويأخذ ما علق به ويسير.

(١٠) كابر بالسيف: أي عاند به جهارا وهؤلاء قطاع الطريق.

(١١) يصعد في البير: الرجل يختبئ في بئر فإذا ورده قوم وأدلى أحدهم دلوه صعد المختبئ فيه فيخافونه وهم يحسبونه من الجن فيتذرع بذلك إلى سلبهم وسرقتهم.

(١٢) العير: جماعة المسافرين كالقافلة، وهذا يسير معهم يوهمهم أنه أحدهم حتى إذا وجد منهم غرة انتهزها.

(١٣) أي الذين يجعلون لأنفسهم شعارا كشعار المتصوفة وأمثالهم يريدون بذلك أن يطمئن الناس لهم فإذا تمكنوا من ذلك سرقوهم.

(١٤) الذي يلبس لباس العلية والكبراء ليدخل بيوتهم من غير ممانعة فتتسنى له السرقة.

وَمَنْ فَرَّ مِنَ الطَّوْفِ[١] . وَمَنْ لاذَ مِنَ الْخَوفِ[٢] . وَمَنْ طَيَّرْ بِالطَّيْرِ[٣] . وَمَنْ لاعَبَ بِالسَّيْرِ . وَقالَ: اجْلِسْ وَلا ضَيْرٌ[٤] . وَمَنْ يَسْرِقُ بِالْبَوْلِ[٥] وَمَنْ يَنْتَهِزُ الْهَوْلَ[٦] . وَمَنْ أَطْعَمَ في السُّوقِ. بِما يَنْفُخُ في الْبُوقِ[٧] . وَمَنْ جاءَ بِبَسْتُوقٍ[٨] وَأَصْحابُ الْبَساتِينِ[٩] . وَسُرَّاقُ الرَّوازِينِ[١٠] . وَمَنْ ضَبَرَ في الصَّرْحِ[١١] . وَمَنْ سَلَّمَ في السَّطْحِ[١٢] . وَمَنْ دبَّ بِسِكِّينٍ. عَلَى الْحائِطِ مِنْ طينٍ[١٣] . وَمَنْ جاءَكَ

---

(١) الطوف: العسس ورجال الشرطة الذي يطوفون لحفظ الأمن والفار منهم الذي يجري أمامهم دون أن يطلبوه فإذا لقى دارا دخلها حتى إذا فطن له ربها ذكر له أنه هارب من الطوف لأنهم يريدونه ظلما فينجو.

(٢) لاذ، التجأ وهو الذي يقبل عليك ويحتمي بك يوهمك أنه يخاف عدوا فإذا لاحت له منك غرة انتهزها.

(٣) الذي يتخذ حماما يطيره ويدخل البيوت فإن سأله أحد زعم أنه يبحث عن حمامه.

(٤) السير: قطعة من جلد واللاعب به الذي يلاعبك ويداعبك في إخفاء بعض الأشياء فمن لم يعرفها ضربه وفي هذا منازعة تمكنه من الخلسة.

(٥) الذي يجلس بجانب المال ويكشف سوأته موهما أنه يبول فيخجل صاحب المال فيخفي وجهه فيتمكن اللص من السرقة.

(٦) الذي يرتقب حصول كارثة كحريق أو معركة فيدخل بين الناس وينتهز اشتغالهم للسرقة والاختلاس.

(٧) الرجل ينادي في السوق بأنه يعالج الشهوة بدواء يعرفه.

(٨) البستوق، والبستوقة: الإناء الذي يتخذ للماء (كالدورق والقلة) ومعنى هذا: الرجل الذي يدخل البيوت وبيده هذا فإن عثر به أحد قال: أني أريد أن تملأوا لى هذا ماء وإذا لم يعثر به أحد ووجد شيئا أخذه وانطلق.

(٩) أصحاب البساتين: الرجل يأتيك فيمتدح نفسه بالمهارة في خدمة البساتين والحنكة في القيام عليها ثم لا يزال بك حتى توليه شؤون بستانك فإذا تولاه سرق ما شاء بدون أن يشتبه به أحد.

(١٠) الروازين: جمع روزنة وهي الكوة.

(١١) ضبر: وثب، والصرح: البناء العالي.

(١٢) الذي معه حبل كالسلم يرميه على الدار ثم يصعد عليه.

(١٣) الذي يصعد على الحائط ومعه سكين يضرب بها من يتعرض له.

في الْحينِ. يُحَيِّي بالرَّيَاحينِ[١]. وَأصْحابُ الطَّبْرَزِينِ. كَأعْوَانِ الدَّوَاوِينِ. وَمَنْ دبَّ بِأَنِينٍ. عَلَى رَسْمِ الْمَجانينِ[٢]. وَأصْحابُ المَفَاتيحِ[٣]. وَأهْلُ الْقُطْنِ وَالرِّيحِ[٤]. وَمَنْ يَقْتَحِمُ الْبابَ. عَلَى زِيِّ مَنِ انْتابَ[٥]. وَمَنْ يَدْخُلُ في الدَّارِ. عَلى صُورَةِ مَنْ زارَ. وَمَنْ يَدْخُلُ بِاللِّينِ. عَلى زيِّ الْمَساكينِ. وَمَنْ يَسْرِقُ في الْحَوْضِ. إذَا أمْكَن في الْخَوْضِ[٦]. وَمَنْ سَلَّ بِعُودَيْنِ[٧]. وَمَنْ حَلَّفَ بالدَّيْنِ[٨]. وَمَنْ غالَطَ بِالرَّهْنِ[٩]. وَمَنْ سَفْتَجَ بِالدَّيْنِ[١٠]. وَمَنْ خالَفَ بِالْكِيسِ[١١]. وَمَنْ زَجَّ

---

(١) الذي يدخل عليك وبيده باقة زهر فإن أحسست به أوهمك أنه جاء مهديا إياه لك.

(٢) دب: أي مشي، والمعنى: الذي يدخل الدور للسرقة فإن أبصره أحد ما صاح صياح المجانين ليظن الناس به ذلك فيتركوه.

(٣) الذين يحملون مفاتيح كثيرة ليفتحوا بها الدور والصناديق.

(٤) جماعة تجعل في أيديها قطعا من القطن المندوف ثم ينفخونه ليطير إلى بعض البيوت فيدخلونها بحجة البحث عنه.

(٥) أي الرجل الذي يدخل الدار كأنه ضيف فإن وجد من أهل البيت اشتغالا عنه سرقهم.

(٦) الذي يجيء الحمامات ليسرق من يدخلها إذا نزل الحوض.

(٧) الذي يجلس على سطح داره منتظرا ورود القافلة مثلا فإذا وصلته مد يده بعصا إلى المتاع فأخذ منه ما شاء.

(٨) أي الذي يدعي على أحد الوجهاء والعيون مقدارا زهيدا ويكلفه الحضور أمام القاضي ليحلف على البراءة منه فيأنف من ذلك فيعطيه له.

(٩) غالط بالرهن: الرجل يأخذ معه صندوقا صغيرا مغلقا يودعه عند آخر موهما أن به جواهر وأشياء نفيسة ثم يرهنه عنده ويأخذ منه جزءا من المال ثم لا يعود.

(١٠) سفتج بالدين: سفتج عامل بالسفتجة وأصلها يشبه ما يسمى الآن (بوليصة) وكيفية هذا: أن الرجل يأتي رجلا آخر قد عزم على السفر إلى ناحية ما ومعه مال فيقول له: لا تكلف نفسك عناء حمل هذا المال فأنا أريحك منه فأعطنيه وخذ هذه الورقة إلى فلان هناك فبيني وبينه معاملة وإذا وصلته أعطاك ذلك المبلغ. ولا يكون شيء من ذلك حقيقيا.

(١١) خالف بالكيس: الرجل يذهب إلى بعض التجار فيساومه في بضاعة ثم يخرج له كيسا به دنانير ويهم بنقده الثمن فيأبى التاجر لقلته فيأخذ كيسه ويضعه في ثيابه ثم يزيد له في الثمن فإذا رضي أخرج له كيسا آخر يشبه الأول في لونه وحجمه ثم يعد له منه فلوسا والتاجر لا يدري، فإذا تأملها التاجر وأراد إمساكه يكون قد أفلت.

بِتَدْلِيسٍ[١] وَمَنْ أَعْطى الْمَفالِيسَ. وَمَنْ قَصَّ مِنَ الْكُمِّ. وَقالَ: انْظُرُوا حُكْمَ[٢]. وَمَنْ خاطَ عَلى الصَّدْرِ[٣]. وَمَنْ قالَ: أَلَمْ تَدْرِ[٤]؟

وَمَنْ عَضَّ وَمَنْ شَدَّ[٥]. وَمَنْ دَسَّ إِذَا عَدَّ[٦]. وَمَنْ لَجَّ مَعَ الْقَوْمِ. وَقالَ: لَيْسَ ذَا نَوْمٍ[٧]. وَمَنْ غَرَّكَ بِالأَلْفِ[٨]. وَمَنْ زَجَّ إِلى خَلْفٍ[٩].

---

(١) الذي ينتقد دراهم الناس فيخفي بعضها ويضع بدلا منه زيوفا.

(٢) الذي يقطع كمه ثم يتعلق بمن معه مال مدعيا عليه به فإذا رآه أحد شكا إليه قائلا: انظر ماذا فعل بي وأنا أطالبه بحقي.

(٣) خاط على الصدر: الرجل يستصحب إبرة وخيطا فإذا لقي رجلا آخر أمسك بتلابيبه ونصح له أن ينتظر حتى يخيط له ثوبه على صدره فتأخذه الدهشة لغرابة ذلك الفعل وحينذاك يسلبه ما يشاء ثم يفر.

(٤) وقال: ألم تدر؟: الرجل يأتي إلى آخر فيقول له: لقد سمعت عجيبا. ألم يصل إليك أن فلانا جاءه سارق فأمسك به هكذا (ويمسكه) ثم مازال السارق به حتى وصل إلى موضع النقود في ثيابه فاختلسها منه، ولا يفتأ يحدثه حتى يصنع به الذي يخبره بغرابته.

(٥) من عض: الرجل يلقى آخر فيبدؤه بالمنازعة فإذا اشتبك معه لا يزال يعض في موضع النقود ويقرضه بأسنانه حتى يتمكن من اختلاسها، ومن شد: الرجل بربط الثوب ونحوه بما يمسكه في يده فينهض عنه صاحبه وقد انسل عنه وهو غافل.

(٦) من دس إذا عد: الرجل يعد دراهم غيره وفي أثناء ذلك يأخذ جيدها ويضع بدله زيوفا.

(٧) الذي يدخل المسجد مع جماعة فيرى رجلا نائما عند متاعه فيقول أنه ليس نائما فلا تخفوا متاعكم لئلا يراكم، فيغتر النائم، فيتصنع النوم، ويجيء بعضهم إليه فيأخذ متاعه وكأنه يختبره ليعلم أنائم هو أم لا فيشتد النائم في تصنعه، ثم يذهب ذلك السارق جوار الحائط يوهم أنه يخفي شيئا ثم يخرجون جميعا فإذا قام النائم يبحث عما خبأوه وجده حصى ومدرا.

(٨) الرجل يودع أحد التجار كيسا له فيه دراهم وعلى وجهها عند أوله بعض الدنانير، ثم يجيئه طالبا كيسه فيفتحه أمامه ويأخذ الدنانير بمرأى منه يوهم أن كل ما فيه كذلك، ثم يجيئه ثانية فيأخذ منه بضاعة بقيمة عالية دون أن يعطيه شيئًا- والتاجر يظن أن في الكيس سدادا- ثم لا يعود إليه.

(٩) الرجل يتفق مع آخر على أن يذهب أحدهما إلى تاجر يوهمه أنه يشتري منه ويأخذ بعض المتاع يفحصه ثم يجيء الثاني فيطرحه الأول إليه بخفة من غير أن يبصره التاجر ثم يضطرب ويصيح شاتما فيه لاعنًا له موهما أنه اختطفه منه ويكون قد ذهب.

وَمَنْ يَسْرِقُ بِالْقَيْدِ. وَمَنْ يَأْلَمُ لِلْكَيْدِ[١]. وَمَنْ صافَحَ بِالنَّعْلِ[٢]. وَمَنْ خاصَمَ في الْحَقِّ[٣]. وَمَنْ عالَجَ بِالشَّقِّ[٤]. وَمَنْ يَدْخُلُ في السِّرْبِ[٥]. وَمَنْ يَنْتَهِزُ النَّقْبَ[٦]. وَأَصْحابُ الْخَطاطيفِ. عَلى الْحَبْلِ مِنَ اللِّيفِ[٧]. وَانْجَرَّ الْحَديثُ إلى ذِكْرِ مَنْ رَبِحَ عَلَيهِمْ. فَقالَ كَهْلٌ مِنهُمْ: سَأُحَدِّثُكُمْ بِما يُضْحِكُ السّامِعَ. وَيُشْبِعُ الْجائِعَ. (وذكر كَلَامًا غير متناسب مع الآداب نتركه تَعَفُّفًا).

المقامة المغزلية

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ: دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ[٨] وَأنا مُتَّسِعُ الصِّيتِ كَثيرُ

---

(١) الذي يسرق بالقيد ومثله الذي يألم للكيد: هو الذي يجعل في رجليه قيدا ثم يسير به فإذا رأيته شكا إليك أنه كان أسيرا فترق له وتأخذه لتأويه فيختلس منك.

(٢) الذي يجيء رجلا فيضربه بنعله الخلق فإذا خلع الثاني نعله ليضربه به خطفه وفر.

(٣) الذي يلقاك ومعك مال فيعرض عليك سلعة تساوي كثيرا بقليل وليست معه فإذا رضيت قال لك: هل معك الثمن؟ فتقول: نعم، ثم تخرجه له، فإذا أخذه أنكر أنه لك وجاد لك.

(٤) عالج بالشق: الرجل الذي يحتال للسرقة بشق الوعاء كالكيس ونحوه.

(٥) السرب: الحفيرة في الأرض، ويدخل فيه: أي يختفي عن أعين المارة فيه حتى إذا وجد فرصة سانحة لم يأل جهدا في انتهازها.

(٦) ينتهز: أي يعتد غنيمة وربحا، والنقب: ثلم الجدار وشقه، والمعنى أن هذا الرجل يعتقد أن شق الجدار غنيمة يجب أن ينتهزها لأنه يوصله إلى مقصده وهو السرقة.

(٧) الذين يجعلون خطافا في طرف حبل ويرسلونه إلى الدور فأي شيء علق به أخذوه وولوا هاربين.

(٨) تقدم عن البصرة شيء ليس بالقليل ولكنا نذكر هنا طرفا من ميزاتها وخصائصها:

صعد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه منبرها فخطب الناس ثم قال في آخر خطبته: يا أهل البصرة، يا بقايا ثمود، يا جند المرأة، وأتباع البهيمة. دعا فاتبعتم، وعقر فانهزمتم. أما أني أقول لا رغبة فيكم ولا رهبة منكم غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أرض يقال لها البصرة أقوم الأرضين قبلة، قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، =

الذِّكْرِ[١] فَدَخَلَ عَلَيَّ فَتَيانِ، فقالَ أَحَدُهُما: أَيَّدَ اللهُ الشَّيْخَ دَخَلَ هذا الْفَتَى دارَنا فَأَخَذَ فَنَجَ سُنَّارٍ[٢].

بِرَأْسِه دُوارٌ[٣]. بِوَسْطِه زُنَّارٌ[٤]. وَفَلَكٌ دَوَّارٌ. رَخِيمُ الصَّوْتِ إِنْ صَرّ[٥]. سَرِيعُ الْكَرِّ إِنْ فَرّ[٦]. طَوِيلُ الذَّيْلِ إِنْ جَرّ[٧]. نَحِيفُ الْمُنَطَّقِ. ضَعِيفُ الْمُقَرْطَقِ[٨]. في قَدْرِ الْحَرَرِ. مُقِيمٌ بِالحَضَرِ. لا يَخلُو مِنَ السَّفَرِ[٩] إن أُودِعُ شَيْئًا رَدَّ. وإِنْ كُلِّفَ

= ومتصدقها أكثر الناس صدقة، وتاجرها أعظم الناس تجارة، منها إلى قرية يقال لها الأبلة أربع فراسخ يستشهد عند مسجدها سبعون ألفا الشهيد منهم كالشهيد في يوم بدر.

ويقال: أن لأهل البصرة ثلاثة أشياء ليس لأحد من أهل البلدان أن يدعيها عليهم: النخل، والشاء، والحمام. أما النخل فهم أعلم خلق الله به وأحذقهم بإصلاحه وفيها من أصناف النخل ما ليس في بلد من البلدان. وأما الشاء المعبدية فقد تبلغ الشاة منها خمسين دينارا، وهم يحتفظون بها ويبالغون في اقتنائها ككرائم الخيل عند العرب وقد وصل بهم الحد إلى أن يحفظوا أن بدار فلان شاة أمها شاة بني فلان وأبوها تيس بني فلان مقدار حلبها بالغداة والعشي كذا. وأما حمامهم فقد بلغت في الهداية أن جاءت من أقصى بلاد الروم ومن مصر إلى البصرة وينتهي ثمن الطائر منها إلى تسعمائة دينار وتباع بيضتها بعشرين دينارا.

(١) أي أنه دخلها وله شهرة واسعة والناس يتناقلون أخباره ويتحدثون بشأنه وهذا مدعاة إقبالهم عليه وانصرافهم إليه.

(٢) فنج بفاء فنون فجيم حيوان يؤخذ من جلده فراء كأحسن ما يكون وأطلقه هنا وأراد منه جلده، والسنار- بضم أوله وتشديد ثانيه-: السنور، وهو الهر، والمعنى شيء يشبه ذلك والمراد تشبيه المغزل بالهر لأنه يكون حين وجود الخيط عليه شبيها به في الصورة.

(٣) الدوار: الدوران وظاهر ذلك في المغزل لأنه كثير الدوران.

(٤) أصل الزنار: الخيط الذي يضعه القسوس في أوساطهم والمغزل يصنع له دائرة من نفسه في وسطه.

(٥) صر: صوت، وأنك لتسمع للمغزل صوتا إذا دار. (٦) أي إذا تحرك فهو سريع.

(٧) متى أدرت المغزل للغزل طال الخيط حتى يصل المغزل الأرض.

(٨) المنطق: مكان المنطقة، وهي شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها بها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض والأسفل يجر على الأرض ليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان، والمقرطق: مكان القرطقة وهي ثوب ذو طاق واحد.

(٩) أي أنه لا يتسنى العمل به لغير المقيم ومع ذلك فإنه مسافر دائما لطول حركته ودوامها.

سَيْرًا جَدَّ. وَإِنْ أَجَرَّ حَبْلاً مَدَّ. هُناك عَظْمٌ وَخَشَبٌ. وَفيهِ مالٌ وَنَشَبٌ. وَقَبْلٌ وَبَعْدٌ[١].

فَقالَ الْفَتَى: نَعَمْ- أَيَّدَ اللهُ الشَّيْخَ- لأَنَّهُ غَصَبَنْي عَلَى:

مُرَهَّفِ سِنانُهُ مُذَلَّقِ أَسْنانُهُ[٢]
أَوْلادُهُ أَغْوانُهُ تَفْريقُ شَمْلِ شانُهُ[٣]
مُواثِبٌ لِصاحِبِهْ مُعَلَّقٌ بِشارِبِهْ[٤]
مُشْتَبِكُ الأَنْيابِ في الشَّيْبِ وَالشَّبابِ[٥]
حُلْوٌ مَليحُ الشَّكْلِ ضاوٍ زَهيدُ الأَكْلِ[٦]
رامٍ كَثيرُ النَّبْلِ حَوْفَ اللِّحى والسَّبَلِ[٧]

فَقُلْتُ للأَوَّلِ: رُدَّ عَلَيْهِ الْمِشْطَ لِيَرُدَّ عَلَيْكَ الْمِغْزَلَ.

---

(١) المغزل يصنع من الخشب رأسه وعوده أو من العظم كذلك وقد يصنع الرأس من العظم والعود من الخشب، والحبل الخيط الذي يغزل عليه والنشب أصله المال والعطف لتفخيم الشأن، وقبل وبعد: المراد بهما الخير والمنفعة من قولهم ليس له قبل بكذا أي طاقة وليس عنده بعد أي منفعة طائلة.

(٢) مرهف ومذلق معناهما محدد والسنان أصله طرف الرمح واستعير هنا لأسنان المشط.

(٣) أولاده: هم أسنانه لأنها تتفرع عنه وتخرج منه، والشمل المجتمع، والمشط من خصائصه أنه يفرق خصل الشعر المجتمعة.

(٤) أي أنه يقفز على صاحبه فيصل إلى رأسه أو لحيته أو شاربه.

(٥) الأنياب هي الأسنان والشيب بكسر أوله جمع أشيب المعنى أنه يحتاجه كل واحد لا فرق بين الشيوخ والشبان.

(٦) ضاو: أي نحيف هزيل، وزهيد الأكل: قليله والمشط كذلك لأنه ضئيل ولا يعلق به إلا قليل الشعر.

(٧) نبله أسنانه وهو كثيرها والسبل بفتح الباء جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر وتسكين الباء لضرورة موافقة النظم.

المقامة الشيرازية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشام قالَ:

لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْيَمَنِ[١]. وهَمَمْتُ بِالْوَطَنِ[٢]. ضَمَّ إِلَيْنا رَفيقٌ رَحْلَهُ فَتَرافَقْنا ثَلاثَةَ أَيَّام حَتَّى جَذَبَني نَجْدٌ[٣]. وَالْتَقَمَهُ وَهْدٌ[٤]. فَصَعِدْتُ وَصَوَّبَ[٥]. وَشَرَّقْتُ وَغَرَّبَ[٦] وَنِمْتُ عَلَى مُفارَقَتِهِ بَعْدَ أَنْ مَلَكَني الْجَبَلُ وَحَزْنُهُ[٧]. وَأَخَذَهُ الْغَوْرُ وَبَطْنُهُ[٨] فَوَاللهِ لَقَدْ تَرَكَني فِراقُهُ. وَأنا أَشْتاقُهُ[٩]. وَغادَرَني بَعْدَهُ. أُقاسِي بُعْدَهُ[١٠].

وَكُنْتُ فارَقْتُهُ ذَا شَارَةٍ وَجَمالٍ. وَهَيْئَةٍ وَكَمالٍ[١١]. وَضَرَبَ الدَّهْرُ بِنا

---

(١) قفلت: رجعت.

(٢) همت به: عزمت عليه.

(٣) النجد: ما ارتفع من الأرض.

(٤) الوهد: ما تطامن وانخفض من الأرض.

(٥) صعدت: سرت مرتفعًا بما يناسب النجد، وصوب: سار منحدرا أو على اعتدال يتفق مع الوهد.

(٦) سرت جهة الشرق وسار جهة الغرب.

(٧) الحزن: المرتفع الشديد وكأنه كان على قمة الجبل.

(٨) المعنى: أنه أسف كثيرا على مفارقته وتمنى لو تمكن من العودة إليه ولقائه مرة ثانية ولكن ابتعاد كل واحد منهما عن الثاني حال دون هذه الأمنية.

(٩) الشوق، والاشتياق: نزوع النفس إلى الشيء واندفاعها نحوه. يقال: شاقه الشيء- من باب قال- فهو شائق، وذلك مشوق، وشوقه فتشوق: أي هيج شوقه، واشتاقه: أي هاج شوقه إليه والمعنى: أن فراق ذلك الرفيق أثر في نفسي وآلمها واهتاج إليه خواطري.

(١٠) غادرني: تركني، والضمير عائد إلى الرفيق أو إلى الفراق، وبعده بفتح أوله-: ظرف، والبعد- بالضم-: ضد القرب، وقد بعد- بالضم بعدا فهو بعيد أي متباعد، ومقاساة البعد: تحمل مشقاته، ومعاناة ويلاته وآلامه.

(١١) أي أنه غادره جميلا بهي الطلعة وسيم الخلقة تظهر عليه أمارات النعمة ومخايل الرفاهة.

ضُروبَهُ[١] . وَأنا أتَمَثَّلُهُ في كُلِّ وَقْتٍ. وَأتَذَكَّرُهُ في كُلِّ لَمْحَةٍ. وَلا أظُنُّ أنَّ الدَّهْرَ يُسْعِدُني بِهِ وَيُسْعِفُني فيهِ.

حَتَى أتَيْتُ شِيرَازَ[٢] فَبَيْنا أنا يَومًا في حُجْرَتي إذْ دَخَلَ كَهْلٌ قَدْ غَبَّرَ في وَجْهِهِ الْفَقْرُ[٣] . وَانْتَزَفَ ماءَهُ الدَّهْرُ[٤] . وَأمالَ قَنَاتَهُ السَّقَمُ[٥] . وَقَلَّمَ أظْفارَهُ الْعَدَمُ[٦] . بِوَجْهٍ أكْسَفَ مِنْ بالِهِ. وَزِيٍّ أوْحَشَ مِنْ حالِهِ[٧] . وَلِثَةٍ نَشِفَةٍ. وَشَفَةٍ قَشِفَةٍ[٨] . وَرِجْلٍ وَحِلَةٍ. وَيَدٍ مَحلَةٍ[٩] . وَأنْيابٍ قَدْ جَرَعَها الضُّرُّ. وَالْعَيْشُ الْمُرُّ[١٠] .

---

(١) ضرب الدهر بهم ضربانا، ومن ضربانه، كناية عن إيصال صروفه ومحنه إليهم، وتقول: لحا الله زمانا ضرب ضربانه حتى سلط عليه ظربانه.

(٢) شيراز: مدينة فارس العظمى وهي مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاة ولها سعة ورفاهة عيش حتى أنه ليس فيها منزل إلا ولصاحبه بستان فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وكل ما يكون في البساتين وشرب أهلها من عيون تجري في أنهار ينحدر إليها الماء من جبال يتراكم فوقها الثلج. وهي الآن من بلاد إيران وقاعدة ولاية فارس إحدى ولايات تلك المملكة.

(٣) غبر: أثار الغبار، والكهل: الرجل إذا تمشت جذوة الشيب في فحمة شبابه.

(٤) انتزف: أخذه ولم يبق منه شيئا، والمراد بالماء هنا جدة الشباب وميعته.

(٥) أصل القناة الرمح وكني بها عن ظهره، والسقم: المرض وفي الحديث: (خذ من صحتك لسقمك) أي اعمل في زمن قوتك ما يفيدك حال اعتلالك. والمراد هنا أن ظهره قد تقوس واحدودب لما نزل به.

(٦) الأظفار: جمع ظفر وتكون به القوة والشدة والبطش، ومنه أظفار المنية على رأي، وإذا كان الإملاق قد قلمها فقد أذهب بطشه فهو كناية عن ضعفه وهوان حاله بعد ما نزل به.

(٧) يقال: فلان كاسف البال إذا كان سيّيء الحال رديئه قال الشاعر:

إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء

أوحش: ذا وحشة.

(٨) اللثة: اللحمة التي تحيط بالأسنان ونشفها ذهاب ما فيها من الرطوبة والبلالة، والشفة: معروفة، وقشفة: أي قد علاها القشف وهو الخشونة التي تنشأ عن الجوع ونحوه.

(٩) رجل وحلة: أي عليها الوحل وهو الطين، ويد محلة: أصابها المحل وهو الجدب والفقر.

(١٠) أي أن أمره قد تغير إلى بؤس شديد وضنك ملازم.

وَسَلَّمَ فازْ دَرَتْهُ عَيْني لكِنِّي أَجَبْتُهُ. فَقالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنا خَيْرًا ممَّا يُظَنُّ بِنا[١] فَبَسَطْتُ لَهُ أَسِرَّةَ وَجْهِي. وَفَتَقْتُ لهُ سَمْعي[٢] وَقُلْتُ لَهُ: إِيهِ[٣]. فَقالَ: قَدْ أَرْضَعْتُكَ ثَدْيَ حُرْمَةٍ. وَشَارَكْتُكَ عِنَانَ عِصْمَةٍ. وَالْمَعْرِفَةُ عِنْدَ الْكِرامِ حُرْمَةٌ. وَالْمَوَدَّةُ لُحْمَةٌ[٤]. فَقُلْتُ: أَبَلَدِيٌّ أَنْتَ أَمْ عَشيرِيٌّ[٥]؟. فَقالَ: ما يَجْمَعُنا أَلَّا بَلَدُ الْغُرْبَةِ[٦]. وَلا يَنْظِمُنا إلاَّ رَحِمُ الْقُرْبَةِ[٧]. فَقُلْتُ: أَيُّ الطَّرِيقِ شَدَّنا في قَرَنٍ[٨]؟ قالَ: طَرِيقُ الْيَمَنِ.

---

(١) المعنى: أن ظاهر حاله دعاني إلى التقزز منه وإنكاره وأنه استراب ذلك مني واستبشعه فعرض لي لأقدره قدره وأقوم له بما تستوجبه مكانته من التجلة والاحترام.

(٢) بسطت له أسرة وجهي: ضحكت له، ولقيته بالبشر والطلاقة، وفتقت له سمعي: كناية عن الإقبال عليه، والمعنى: أنني حينما سمعت ألفاظه غيرت سبيلي في ملاقاته واستبدلت جفائي ونفرتي وانصرافي عنه، بالملاطفة والدعابة والتوجه إليه.

(٣) أيه: اسم فعل معناه طلب الزيادة من الحديث فإن كان منونا فالزيادة من مطلق حديث وإن كان بلا تنوين فمن كلام معين.

(٤) أي أنه حدثني عن نفسه وعرفني بسابق صلة وبسط لي أمره معي ومودته لي واستنهض في نفسي آثار ذلك وناشدني ألا أنسى قديم معرفته.

(٥) أي هل الجامعة بيني وبينك الاشتراك في البلد أو الاشتراك في العشرة التي هي الصداقة وربما صح في عشيري النسبة إلى العشيرة وهي القبيلة وهو أقرب لمكان الياء وإن كان القياس في النسبة إلى مثل عشيرة وقبيلة وجهينة مما فيه تاء التأنيث وياء قبلها حذف الياء والتاء معًا، لكن أجاز صاحب أدب الكاتب عدم حذف الياء إذا كان الاسم المنسوب إليه غير مشهور، وملخص ما فيه أنك إذا أردت النسب إلى اسم على فعيل أو فعيلة كربيعة وثقيف وحنيفة وعتيك أو على فعيل أو فعيلة كقريش وجهينة وهذيل ومزينة قلت: ربعى وثقفى وحنفى وعتكى وقرشي وجهني وهذلي ومزني، فإن لم يكن الاسم مشهوراً لم تحذف الياء في الأول ولا الثاني، وإنما ذكرت ذلك لأنني لم أر جواز عدم الحذف لغيره.

(٦) المعنى: لست من بلدك ولا من عشيرتك، ولكني رجل اشتركت معك في الاغتراب عن الوطن والنزوح عن مقر الأهل.

(٧) القربة: الاقتراب في المسكن، والمراد به ما يعم طريق السفر.

(٨) القرن ومثله القران: أصله الحبل يربط به البعيران وتقول أعطيته بعيرين في قرن وفي قران معًا مأخوذ من الاقتران وهو الاجتماع ومنه قيل للصاحب قرين.

قالَ عِيسى بنُ هِشام: فَقُلْتُ: أنْتَ أبُو الْفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيُّ؟ فَقالَ: أنا ذَاكَ. فَقُلْتُ: شَدَّ ما هُزِلْتَ بَعْدي! وَحُلْتَ عَنْ عَهْدي[١]! فانْفُضْ إلَيَّ جُمْلَةَ حالِكَ. وَسَبَبَ اخْتِلالِكَ فَقالَ: نَكَحْتُ خَضْراءَ دِمْنَةٍ[٢]. وَشَقِيتُ مِنهَا بابْنَةٍ. فَأنَا مِنهَا في مِحْنَةٍ، قَدْ أكَلَتْ حَرِيبَتي[٣] وَأرَاقَتْ ماءَ شَبِيبَتي. فَقُلْتُ: هَلاَّ سَرَّحْتَ. واسْتَرَحْتَ[٤]. ثم ذكر كلامًا يندى له وجه الأدب فتعففنا عن ذكره والخوض فيه.

المقامة الحلوانية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشام قالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْحَجِّ فَيمَنْ قَفَلَ[٥] وَنَزَلْتُ حُلْوَانَ مَعَ مَنْ نزَلَ[٦]. قُلْتُ لِغُلامِي: أجِدُ شَعْرِي طَوِيلاً وَقِدِ اتَّسَخَ بَدَني قَليلاً[٧]. فاخْتَرْ لَنا

---

(١) أي ما أشد هزالك وضعفك وما أكثر نحافتك وضآلة جسمك فلقد تغيرت عما عرفتك ويقال: حال فلان إذا تغير ومنه قوله وكلام البديع مأخوذ منه:

لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير

(٢) خضراء الدمن مفسرة في الحديث: (إياكم وخضراء الدمن. قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسنة في المنبت السوء).

(٣) حريبة الرجل: ماله الذي يعيش منه.

(٤) سرحت: طلقت هذه المرأة، وفي الكتاب العزيز: (أو تسريح بإحسان).

(٥) قفل: رجع، وتقول: قفل الجند من الغزو إلى أوطانهم قفلا وقفولا وهذا وقت القفل أي العود والرجوع، ورأيت القفل: أي جماعة العائدين كما يقال القعد لجماعة القاعدين، ويقال: أقفلهم الأمير أي رجعهم، والمعنى: حينما رجعت إلى وطني عائدًا من مكة بعد أداء فريضة الحج مع الذين رجعوا.

(٦) حلوان: اسم يقع على قريتين وبلدين إحداهما في أخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد وهي المقصودة هنا.

(٧) يحرم على الإنسان متى نوى الحج وأحرم به أن يحلق شعره أو يقصره حتى يؤدي شعائره فيتحلل ويجوز له ذلك ونحوه، والحكمة في مثل ذلك إظهار تمام الطاعة إلى الله بالخروج عن مظاهر النعمة وعلائم الرفاهية بكل أنواعها والتجرد من أسباب الاغترار والدعة، ومدة الحج طويلة بحيث لا يستطيع المرء أن يتمهل بعدها أو يبطئ في تنظيف نفسه وإزالة ما طال من شعره، وعيسى قد زاد =

حَمَّامًا نَدْخلُهُ. وَحَجَّامًا نَسْتَعْمِلُه[١]. وَلْيَكُنِ الْحَمَّامُ وَاسِعَ الرُّقْعَةِ[٢]. نَظِيفَ الْبُقْعَةِ[٣]. طَيِّبَ الْهَوَاءِ. مُعْتَدِلَ الْماءِ[٤]. وَلْيَكُنِ الْحَجَّامُ خَفِيفَ الْيَدِ حَدِيدَ المُوسَي نَظِيفَ الثِّيابِ قَلِيلَ الْفُضُولِ[٥]. فَخَرَجَ مَلِيًّا. وَعادَ بَطِيًّا[٦]. وَقالَ: قَدِ اخْتَرْتُهُ كما رَسَمْتَ[٧]. فَأَخَذْنا إلى الْحَمامِ السَّمْتَ[٨]. وأَتَيْناهُ فَلَم نَرَ قَوّامَهُ[٩]. لَكِنِّي دَخَلْتُهُ وَدَخَلَ على أَثَرِي رَجُلٌ وَعَمَدَ إلى قِطْعَةِ طِينٍ فَلَطَخ بِها جَبِينِي وَوَضَعَها عَلَى رأْسِي. ثُم خَرَجَ وَدَخَلَ آخَرُ فَجَعَل يَدْلِكُني دَلْكًا يَكُدُّ الْعِظامَ[١٠] وَيَغْمِزُني غَمْزًا يَهُدُّ الأَوْصالَ[١١].

= على مدة الحج بالمدة التي قضاها في طريقه إلى حلوان، فهو لاشك أشد احتياجا وأكثر افتقارا للنظافة.

(١) الحجامة في الأصل: مختصة بامتصاص الدم، والحجام المصاص، والمحجم والمحجمة- بوزان منبر ومكنسة: آلة الحجامة التي يجتمع فيها الدم عند المص والمحجم أيضًا المشرط الذي يتخذه الحجام، والفعل حجم- من بابي ضرب ونصر-: أي صنع ذلك، واحتجم: طلب الحجامة، ولكنها استعملت بعد ذلك فيما هو أعم من هذا، ومن الحلاقة التي هي في الأصل خاصة بقص الشعر، وهذا مراد البديع، ولعل منشأ هذا أن الذي يتولى الأمرين واحد.

(٢) المراد أن يكون كبير المساحة لأن المكان الضيق تتأذى النفس منه.

(٣) البقعة: المكان الذي يستنقع فيه الماء.

(٤) أي: يكون وسطا بين البرودة والسخونة.

(٥) الفضول: في الأصل جمع فضل وهو الزيادة والمراد الكلام الذي يزيد عن قدر الحاجة في التفاهم.

(٦) مليا: أي قدرًا طويلا من الزمن، وقد فسر ذلك بما بعده.

(٧) أي: أنني فعلت الذي أمرتني به وسرت على رغبتك.

(٨) السمت: الجهة، والمعنى أننا سرنا متجهين نحو الحمام لنقضي منه لبانتنا.

(٩) قوامه: القائم عليه الذي يراعي شؤونه والمراد صاحبه.

(١٠) يكد: يتعب، والمعنى أنه كان يبالغ في دلكه غير مراع أنه يتضرر منه ويتأذى به.

(١١) الأوصال: المفاصل، ويهد: يكسر، وتقول منه: هدني هذا الأمر، وهد ركني- إذا بلغ منك وكسرك قال النمر:

على فاجع هد العشيرة فقده به أعلن الناعي الحديث المجمجما =

وَيُصَفِّرُ صَفِيرًا يَرُشُّ الْبَزَاقَ[١]. ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَأْسِي يَغْسِلُهُ. وَإِلَى الْمَاءِ يُرْسِلُهُ[٢].

وَما لَبِثَ أَنْ دَخَلَ الأَوَّلُ فَحَيَّا أَخْدَعَ الثَّاني بِمَضمُومةٍ قَعْقَعَتْ أَنْيابَهُ[٣]. وَقالَ: يَا لُكَعُ مَا لَكَ وَلِهَذَا الرَّأْسِ وَهُوَ لي[٤]. ثمَّ عَطَفَ الثَّاني عَلى الأَوَّلِ بِمَجْمُوعةٍ هَتَكَتْ حِجابَهُ[٥] وَقالَ: بَلْ هذَا الرَّأْسُ حَقِّي وَمِلْكِي وَفي يَدِي[٦].

ثُمَّ تَلاكَما حَتَّى عَيِيَا. وَتَحاكَما لِما بَقِيا[٧]. فأَتيا صَاحِبَ الحَمامِّ. فقالَ الأَوَّلُ: أنا صاحِبُ هذَا الرَّأْسِ. لأني لَطَّخْتُ جَبِينَهُ وَوَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَهُ. وَقالَ الثَّاني:

وتقول أيضًا: هذا رجل هدك من رجل - إذا وصفته بالجلد والشدة - : أي غلبك وقهرك وكسرك، ومثله هذه امرأة هدتك من امرأة، ويقال في هذين: هادك، وهادتك، والأول أكثر.

(١) البصاق والبساق والبزاق - والكل بوزن غراب - : ماء الفم إذا خرج منه.

(٢) أرسل الماء: صبه.

(٣) الأخدع: عرق في العنق، قال الصمة بن عبد الله:

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الإعياء ليتا وأخدعا

والمضمومة: اليد إذا انطبقت أصابعها سميت بذلك لانضمام أجزائها إلى بعض والأنياب جمع ناب وهو معروف وقعقعتها: جعلتها بحيث يسمع لها صوت لتضاربها والمعنى: أنه لم يمض وقت طويل منذ ابتدأ الرجل الثاني بدلكي حتى عاد الأول فوجده قد استأثر بي فضربه بجمع يده ضربة سمع لها اصطكاك في أنيابه.

(٤) المعنى: أي شيء سوغ لك أن تدلك صاحب ذلك الرأس وأنا الذي استحق هذا لأنني أول من لقيه.

(٥) عطف عليه: أي حمل عليه وكر. والمجموعة: مثل المضمومة، وأراد من حجابه قوته لأنها تحجب صاحبها عن انتهاك الناس لحرماته وتعديهم عليه، والمعنى أن هذه الضربة أضعفت قوته وهونت أمره.

(٦) أي: إذا كنت تدعي أن لك وحدك حق التصرف فيه بمجرد ملاقاتك له أولا ولطخك الطين عليه فإن لي حقا هو آكد من حقك وهو أنه تحت حوزتي الآن وفي تصرفي.

(٧) يقال للرجل إذا تعب من شيء وناله الإعياء منه: عي به، والمعنى أنهما تضاربا ضربًا شديدًا حتى أنهك كل واحد منهما الآخر وكاد الموت يدنو منهما ثم تراضيا على أن يرفعا أمرهما لمن يفصل بينهما.

بَلْ أَنَا مالِكُهُ لأني دَلَكْتُ حامِلَه. وَغَمزْتُ مَفاصِلَه. فقالَ الْحَمَّامِيُّ: ائْتُوني بِصَاحِبِ الرَّأْسِ أَسْأَلُهُ. أَلَكَ هذَا الرَّأْسُ أَمْ لَهُ. فأَتَيَاني وَقالاَ: لَنا عَنْدَكَ شَهَادَةٌ فَتَجَشَّمْ[١]. فَقُمْتُ وَأَتَيْتُ. شِئْتُ أَمْ أَبَيْتُ[٢]. فقالَ الْحَمامِيُّ: يَا رَجُلُ لا تَقُلْ غَيْرَ الصِّدْقِ. وَلا تَشْهَدْ بِغيرِ الْحَقِ. وَقُلْ لي هذَا الرَّأْسُ لأيِهِما. فَقُلتُ: يَا عافَاكَ اللهُ[٣] هذَا رأْسِي قَدْ صَحِبَني في الطَّرِيقِ. وَطاف مَعي بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ[٤]. وَما شَكَكْتُ أَنَّهُ لِي. فقالَ لِي: اسْكتْ يا فُضُوليُّ.

ثُمَّ مالَ إلى أَحَدِ الْخَصْمَينِ فقالَ: يا هذَا إلى كَمْ هذِهِ الْمُنَافَسَةُ مَعَ النَّاسِ. بِهذَا الرَّاسِ. تَسَلَّ عَنْ قَلِيلِ خَطَرِهِ. إلى لَعْنَةِ اللهِ وَحَرِّ سَقَرِهِ[٥]. وَهَبْ أَنَّ هذَا الرَّأْسَ لَيْسَ. وَأَنَّا لَمْ نَرَ هذَا التَّيْسَ[٦]. قالَ عِيسى بْنُ هِشام: فَقُمْتُ مِنْ ذلِكَ الْمَكانِ خَجِلًا. وَلَبِسْتُ الثِّيابَ وَجِلًا[٧]. وَانْسَلَلْتُ مِنَ الْحَمَّامِ عَجِلًا. وَسَبَبْتُ الْغُلامَ بِالْعَضِّ وَالْمَصِّ[٨]. وَدَقَقْتُهُ دَقَّ الْجِصِّ[٩] وَقُلْتُ لآخَرَ: اذْهَبْ فأْتِنِي بِحَجَّامٍ يَحُطُّ

---

(١) أي تحمل المشقة التي تلحقك في السير لأداء هذه الشهادة أمام صاحب الحمام.

(٢) أي: أنني سرت إلى الحمامي إن طائعا وإن مكرها.

(٣) عافاك الله: جملة المقصود منها الدعاء له بالعافية والسلامة، وفيها إشارة إلى أن الذي حل به مما يشبه السقم ولا يقل خطبه عن المرض.

(٤) العتيق: أصله القديم، والمراد به الكعبة المكرمة سميت بذلك لقدم عهدها وفي التنزيل: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

(٥) الخطر: الشأن والمنزلة، أو هو الجعل وأصله الذي يجعل للسابق من الخيل في الحلبة، والمعنى: هون على نفسك شأن هذا الرأس ولا تجعل له في قلبك المنزلة التي تحملك على المنافسة واسل ذلك بالذهاب إلى لعنة الله وناره الحامية فهو نهاية في تفظيع حاله.

(٦) خبر ليس محذوف أي ليس موجودا أو تجعل ليس بمعنى العدم والمعنى: أفرض هذا الرأس عدما لا وجود له.

(٧) الوجل: الخوف، ووجل صفة مشبهة منه معناها: خائف، والخجل انكسار في النفس تظهر آثاره بحمرة الوجه ونحوها.

(٨) في الحديث: من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا، أي قولوا له: عض هن أبيك، ومعنى سببته بالعض، قلت له ذلك: والمص أن يقول له: يا ماص هن أمك.

(٩) أي ضربته ضربا أليما.

عَنِّي هذا الثِّقَلَ فَجاءَني برَجُلٍ لَطِيفِ الْبِنْيَةِ[١]. مَلِيحِ الحِلْيَةِ[٢]. في صُورَةِ الدُّمْيَةِ[٣]. فارْتَحْتُ إلَيْهِ. وَدَخَلَ فقالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ ومِنْ أيِّ بَلَدٍ أنْتَ؟ فقُلْتُ: مِنْ قُمَّ[٤]. فقال: حَيَّاكَ اللهُ، مِنْ أرْضِ النِّعْمَةِ والرَّفاهَةِ[٥] وَبَلَدِ السُّنَّةِ والْجَماعَةِ[٦].

ولقَدْ حَضَرْتُ في شَهْرِ رمَضانَ جامِعَها وقَدْ أُشْعِلَتْ فِيهِ الْمَصابِيحُ. وأُقِيمَتِ التَراوِيحُ. فمَا شَعَرْنا إلاَّ بِمدِّ النِّيلِ. وَقَدْ أتَى عَلى تِلْكَ الْقَنادِيلِ[٧]. لكِنْ صَنَعَ اللهُ لي بِخُفٍّ قَدْ كُنْتُ لَبِسْتُهُ رطْبًا فَلَمْ يَحْصُلْ طِرَازُهُ على كُمِه[٨]. وعَادَ الصَّبيُّ إلَى أُمِهِ. بَعْدَ أنْ صلَّيْتُ الْعَتَمةَ وأعْتَدَلَ الظِّلُّ[٩] ولكِنْ كَيفَ كَانَ حَجُّكَ هَلْ قَضَيْتَ مَناسِكَهُ كَما وَجبَ. وصَاحُوا: الْعَجَبَ الْعَجَبَ[١٠] فَنَظَرْتُ إلَى الْمَنارَةِ. ومَا أهْوَنَ الْحَرْبَ عَلى النَّظَّارَةِ[١١]. وَوجَدْتُ الْهَرِيسَةَ على حالِها. وَعَلِمْتُ أنَّ الأَمْرَ بقَضاءٍ مِنَ اللهِ وَقَدَرٍ. وَإلى مَتى هذا الضَّجَرُ. وَالْيَوْمُ وَغَدُ. والسَّبْتُ وَالأَحَدُ. وَلا أُطِيلُ. وَما هذا الْقالُ وَالقِيلُ؟

---

(١) البنية: الجسم. وأصلها هيئة البناء سمى بها الجسم لانضمام بعض أجزائه إلى البعض مثل تضام البناء.

(٢) الحلية: الشكل والصورة وربما أريد منها ما يتجمل به من ثياب ونحوه.

(٣) الدمية: الصورة من عاج أو رخام ونحوهما والجمع دمى كمدية ومدى تشبه بها الغيد الحسان ومنه قوله: أقول دمى وهي الحسان الرعابيب. (٤) بلدة من بلاد إيران.

(٥) الرفاهة والرفاهية بتخفيف يائها والرفهنية كبلهنية رغد العيش ولينه وخصبه وهو رفيه ورافه ورفهان ومترفه مستريح متنعم.

(٦) الجماعة كلمة كثر استعمالها عند علماء الشرع في الفرقة التي تضم السواد الأعظم من المسلمين ويقابلها عندهم المعتزلة والجبرية وغيرهما.

(٧) الكلام هذيان وخرافة وإلا فالنيل بمصر.

(٨) ليس للخف طراز أي علامات ولا كم.

(٩) أين صلاة العتمة أي العشاء من اعتدال الظل وهو يكون نهارا.

(١٠) مناسك الحج ما تكلفنا الشارع بأدائه.

(١١) الجماعة يرقبونها من بعيد.

وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَعْلَم أَنَّ المُبَرِّدَ فِي النَّحْوِ حدِيدُ المُوسَى[١].

---

(١) هذا ضرب من الهذيان أيضا وإن كان يصح أن يقال أن معنى كونه حديد الموسى في النحو أنه سريع المضاء فيه قوي العارضة بين الحجة. . والمبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى نسبة إلى ثمالة بن سلمة بن كعب بن الحرث بن كعب قبيلة من الأزد صاحب كتاب الكامل والمقتضب والتعازي وغيرهما كان شيخ النحو والعربية وإليه انتهت الزعامة فيهما بعد طبقة شيوخه كالجرمى والمازني وكان من أهل البصرة. وتلقى عن أبى عمر الجرمى وأبى عثمان المازني وأبى هاشم السجستاني وغيرهم من أهل العربية. وكان يعول على المازني. ويقال أنه بدأ بقراءته كتاب سيبويه على الجرمى وختمه على المازني، وكان إسماعيل القاضي وهو أقدم مولدا منه يقول: ما رأي محمد بن يزيد مثل نفسه، وأخذ عنه الصولى ونفطويه النحوي وأبو علي الطوماري وجماعة كثيرة، وكان حسن المحاضرة. مليح الأخبار. كثير النوادر، وقال أبو سعيد السيرافي: سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: ما رأيت أحسن جوابا من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم، وسمعته يقول: لقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب، قال السيرافي: وسمعت نفطويه يقول: ما رأيت أحفظ لأخبار بغير أسانيد منه ومن أبى العباس بن الفرات، وقال أبو سعيد: وقد نظر في كتاب سيبويه في عصره جماعة لم يكن لهم كتناهيه مثل أبى زكوان القاسم بن اسمعيل ومثل أبى علي ابن زكوان ومثل أبى يعلى بن أبى ذرعة من أصحاب الحديث ومثل الطبري ومثل أبى عثمان الأشناندانى وأبى بكر محمد بن إسمعيل المعروف بمبرمان وغيرهم، وقال أبو عبد الله المفجع: كان المبرد لعظم حفظه اللغة واتساعه يتهم فتواضعنا على مسألة لا أصل لها نسأله عنها لننظر كيف يجيب! وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقال قوم: من البحر الفلانى وقال آخرون: من البحر الفلانى فقطعناه وتردد على أفواهنا تقطيعه ومنه (ق بعضنا) فقلت له: أيدك الله تعالى، ما القبعض عند العرب؟ فقال: القطن، يصدق ذلك قول الشاعر: **كان سنامها حشى القبعضا**

قال: فقلت لأصحابي: ترون هذا الجواب والشاهد؟ إن كان صحيحا فهو عجب، وإن كان اختلق الجواب في الحال فهو أعجب!! وروي أن أبا العباس ثعلبا تحلف أبا العباس المبرد بكلام قبيح فلغ ذلك المبرد فأنشده:

رب من يعينه حالي وهو لا يجري ببالي
قلبه ملآن مني وفؤادي منه خالي

فلما بلغ ثعلبا ذلك لم يسمع منه بعد ذلك في حقه كلمة قبيحة. وحكى أبو بكر بن السراج عن محمد بن خلف قال: كان بين أبى العباس المبرد وأبى العباس ثعلب من المنافرة ما لا خفاء به ولكن أهل التحصيل يفضلون المبرد على ثعلب وفي ذلك يقول أحمد بن عبد السلام: =

فَلاَ تَشْتَغِلْ بِقَوْلِ الْعَامَةِ. فَلَوْ كَانَتِ الاِسْتِطَاعَةُ قَبْلَ الْفِعْلِ لَكُنْتُ قَدْ حَلَقْتُ

رأيت محمد بن يزيد يسمو إلى الخيرات في جاه وقدر
جليس خلائف وغذى ملك وأعلم من رأيت بكل أمر
وكان الشعر قد أودى فأحيا أبو العباس داثر كل شعر
وقالوا: ثعلب رجل عليم وأين النجم من شمس وبدر؟
وقالوا: ثعلب يفتى ويملى وأين الثعلبان من الهزبر؟

وروى أن بعض أكابر أولاد طاهر سأل أبا العباس ثعلبا أن يكتب له مصحفا على مذهب أهل التحقيق فكتب: (والضحى) بالياء، ومن مذهب الكوفيين أنه إذا كانت كلمة من هذا النحو أولها ضمة أو كثرة كتبت بالياء وإن كانت من ذوات الواو، والبصريون يكتبون جميع ذلك بالألف. فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال: ينبغي أن يكتب: (والضحا) بالألف لأنه من ذوات الواو، فجمع أبو طاهر بينهما، فقال المبرد لثعلب: لم كتبت والضحى بالياء؟ فقال: لضمة أوله. فقال له: ولم إذا ضم أوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء فقال: لأن الضمة تشبه الواو وما أوله واو يكون آخره ياء فتوهموا أن أوله واو، يقال أبو العباس المبرد: أفلا يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة؟ ولبعضهم في مدح المبرد:

وأنت الذي لا يبلغ الوصف مدحه وأن أطنب المداح في كل مطنب
رأيتك والفتح بن خاقان راكبا وأنت عديل الفتح في كل موكب
وكان أمير المؤمنين إذا دنا إليك يطيل الفكر بعد التعجب
وأوتيت علما لا يحيط بكنهه علوم بني الدنيا ولا علم ثعلب
يروح إليك الناس حتى كأنهم ببابك في أعلى مني والمحصب

وقال الزجاج: لما قدم المبرد بغداد جئت لا ناظره- وكنت أقرأ على أبي العباس ثعلب- فعزمت على إعناته، فلما فاتحته ألجمني بالحجة. وطالبني بالعلة، وألزمني إلزامات لم أهتد إليها فتيقنت فضله واسترجحت عقله وأخذت في ملازمته ولبعضهم في مديحه أيضا:

وإذا يقال: من الفتى كل الفتى والشيخ والكهل الكريم العنصر؟
والمستضاء بعلمه وبرأيه وبعقله؟ قلت: ابن عبد الأكبر

قال أبو العباس بن عمارة: صحف محمد بن يزيد المبرد في كتاب الروضة في قوله: حبيب ابن خدرة، فقال: حبيب بن جدرة، وفي ربعي بن حراش فقال: حراس، وصنف كتبا كثيرة ومن أكبرها كتاب المقتضب وهو نفيس ألا أنه قلما يشتغل به أو ينتفع به. قال أبو علي: نظرت في كتاب المقتضب فما انتفعت منه بشيء وإلا بمسألة واحدة وهي وقوع إذا جوابا للشرط في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾.

قال أبو البركات بن الأنباري: وكان السر في عدم الانتفاع به أن أبا العباس لما صنف هذا

رَأْسَكَ[١]. فَهَلْ تَرَى أَنْ نَبْتَدِئَ؟ قالَ عِيسى بْنُ هِشامٍ: فَبقِيتُ مُتَحَيرًا مِنْ بَيانِهِ. في هَذَيانِهِ. وَخَشِيتُ أَنْ يَطُولَ مَجْلِسهُ فقُلْتُ: إلى غَدٍ إنْ شاءَ اللهُ. وَسألْتُ عَنْهُ مَنْ حَضَرَ فقالوا: هذَا رَجُلٌ مِنْ بِلادِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ لَمْ يُوَافِقْهُ هذَا الْمَاءُ. فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السَّوْدَاءُ. وَهُوَ طُولَ النهَّارِ يَهْذِي كَما تَرَى وَوَرَاءَهُ فَضْلٌ كَثِيرٌ. فقُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهِ وَعَزَّ عَلَيَّ جُنُونُهُ. وَأنْشأْتُ أَقُولُ:

أنـا أُعْـطِـي الـلـهَ عَـهْـدًا مُـحـكَـمًـا فـي الـنَّـذْرِ عـقْـدا[٢]
لا حَـلَـقْـتُ الـرَّأْسَ مَـا عِـشْـتُ ولـوْ لاقـيـتُ جَـهْـدا[٣]

الكتاب أخذه عنه ابن الراوندي المشهور بالزندقة وفساد الاعتقاد وأخذه الناس من يد ابن الراوندي وكتبوه منه فكأنه عاد عليه شؤمه فلا يكاد ينتفع منه أحد. وقال أبو بكر بن السراج: كان مولد المبرد ٢١٠ ومات سنة ٢٨٥ ولذلك قال محمد بن العباس: قرأ على ابن المنادى وأنا أسمع مات محمد يزيد المبرد في شوال سنة ٢٨٥ في خلافة المعتضد بالله تعالى. ولثعلب في المبرد حين مات:

ذهب المبرد وانتهت أيامه ولـيـذهـبـن مع المبرد ثعلب
بيت من الآداب أضحى نصفه خربا وباقي النصف منه سيخرب
فتزودوا من ثعلب فبكأس ما شرب المبرد عن قريب يشرب
أوصيكم أن تكتبوا أنفاسه إن كانت الأنفاس مما يكتب

(١) هذه إحدى مسائل علم الكلام وقد تقدم كثير منها في المقامة المارستانية وبيانها أنه قد وقع خلاف بين الأشاعرة وغيرهم في هل الاستطاعة وهي القدرة على الفعل وإحداث المراد- أمر يوجد في المستطيع قبل العمل ومتى اتجهت إرادته إليه وتعلقت به أوجده أو هي أمر لا يوجد في المستطيع إلا مقارنا للفعل وحين تتجه الإرادة لإنجازه يخلقه الله مع الفعل نفسه، والحجام المعتوه يؤيد الرأي الثاني الذي يقول أن الاستطاعة والفعل يخلقان معها ويستدل على ذلك بأنه لو ثبت حقيقة أن الاستطاعة توجد قبله ومتى توجهت الإرادة إليه حصل لكان توجه إرادته إلى حلق رأسه كافيا في حلقها وإيضاح ذلك أنه يلزم عليه أن تكون الاستطاعة مؤثرة بنفسها في الفعل غاية ما هناك أنها لا تؤثر قبل تسلط الإرادة عليه.

(٢) عقدا: أي واجب النفاذ وفي الكتاب العزيز: ﴿أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ أي نويتموه ولم تطلقوه عفوًا.

(٣) الجهد: التعب، والمعنى: أنني عزمت عزيمة أكيدة وانتويت نية لا أخلفها وأقسمت يمينا لا أحنث فيه أني لا أحلق رأسي ولا استدعي حجاما يكون شأنه معي هكذا مهما كلفني عدم =

المقامة النهيدية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قَالَ: مِلْتُ مَعَ نَفرٍ مِنْ أَصْحابي إلى فِناءِ خَيْمَةٍ أَلْتَمِسُ القِرى مِنْ أَهْلِها[١] فَخَرَجَ إِلَيْنا رَجُلٌ حُزُقَّةٌ[٢]. فقَالَ: مَنْ أَنْتمْ؟ فقُلْنا: أَضْيافٌ لَمْ يَذُوقُوا مُنْذُ ثَلاثِ عَدُوفًا[٣]. (قالَ) فَتَنحْنَحَ ثُمَّ قالَ: فَما رَأْيُكُمْ يا فِتْيانُ في نَهِيدَةِ فِرْقٍ كَهامَةِ الأَصْلَعِ في جَفْنَةٍ رَوْحاءَ[٤] مُكَلَّلَةٍ بِعَجْوَةِ خَيْبَرَ مِنْ أَكْتارِ جَبَّارِ رَبُوضٍ[٥]

استدعائه من المشقة وحملني من العناء ومهما لقيت في سبيل إنفاذ هذا العزم من نصب وإجهاد.

(١) الخيمة معروفة وفناؤها المكان المتسع يمتد بجانبها، وألتمس: أطلب والقرى: الضيافة والنفر- بوزان بلح وتمر، ومثله النفير والنفرة كتمرة الجماعة من الناس من ثلاثة إلى عشرة، والمعنى: أنني قصدت خيمة ومعي جماعة من أخلائي أطلب الضيافة من أهلها لي ولهم.

(٢) حزقة بضمتين، أو بفتح فضم، ثم قاف مشددة مفتوحة: الرجل العظيم البطن مع قصر أو هو القصير.

(٣) يقال: ما ذقنا عدوفا ولا عدوفة ولا عدفا ويحرك ولا عدافا كغراب أي ما طعمنا شيئا ومنه قيل دابة بلا عدوف أي علف. والمراد شكاية الحال وإظهار شدة الحاجة إلى الطعام.

(٤) النهيدة: الزبدة، والفرق القطيع من الغنم العظيم ومن البقر أو هو خاص بقطيع الغنم وإضافة النهيدة إليه لأنها منه وهامة الأصلع: رأس الرجل الذي لا شعر له، وجفنة روحاء: متسعة، وأراد من تشبيه الزبدة برأس الأصلع وصفها بالنقاء والضخامة لأن رأس الأصلع نقية من الشعر نظيفة ويغلب على الصلع ضخم الرأس وعظمها والمعنى: ما رأيكم في أن أحضر إليكم زبدة كأنها رأس الأصلع ضخامة ونقاء قد اتخذت من لبن الغنم في قصعة واسعة وكنى بسعة القصعة عن كثرة المقدار الذي سيحضره لهم.

(٥) مُكللة: أي جعل على جوانبها شيء من العجوة هي التمر وخيبر مدينة تقرب من مدينة الرسول ﷺ كانت تسكنها اليهود ثم افتتحها المسلمون وتجلت شجاعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بأجلى معانيها يوم فتحها، والأكتار جمع كتر وأصله السنام المرتفع وأراد منه عذق النخلة تشبيها له بالسنام والجبار النخلة العظيمة والربوض الواسعة الأقطار والمعنى أنني أضع لكم أيضا على جوانب هذه القصعة الممتلئة من الزبدة أجود أنواع التمر وأفضلها لتسيغوا أكلها وتستمرئوا طعمها.

الْواحِدَةُ مِنها تَمْلأُ الْفَمَ[١] مِنْ جَماعَةِ خُمصٍ عُطْشٍ خِمْسٍ يَغِيبُ فيها الضِّرْسُ[٢] كَانَّ نَواها أَلْسُنُ الطَّيْرِ[٣] يَجْحَفُونَ فيها النَّهِيدَةَ[٤] مَعَ أَقْعُبٍ قَدْ احْتُلِبْنَ مِنَ الْجِلادِ الْهَرْمِيَّةِ الرَّبْلِيَّةِ[٥] أَتَشتَهُونَها يا فِتْيانُ؟

فقُلْنا: أي وَاللهِ نَشْتَهِيها[٦] فَقَهقَه الشَّيْخُ وَقالَ: وَعَمُّكُمْ أَيْضًا يَشتَهِيها ثُمَّ قالَ: فَما رَأْيُكُمْ يا فِتْيانُ في دَرْمَكٍ كأَنَّها قِطَعُ السَّبائِكِ[٧] تُجَرْثِمُ على سُفْرَةٍ

(١) المعنى: أن التمرة الواحدة من العجوة التي سأحضرها لكم لسمنها وعظم ضخامتها تملأ الفم وليس الفم مطلقا بل فم جماعة صفتهم كيت وكيت.

(٢) الخمص الجياع وفي الحديث: (تغدو خماصا) والخمصة- بفتح الخاء-: المرة من الجوع. يقال: ليس للبطنة خير من خمصة ومنه قيل للمجاعة: مخمصة. وقد خمصه الجوع- من باب نصر: أصابه وأخلى بطنه والعطش العطاش والخمس تأكيد له وهو من صفات الإبل أن تمنع الورود ثلاثة أيام ثم ترد في الرابع ويغيب فيها الضرس: لسمنها وكونها طرية سائغة.

(٣) السن الطير صغيرة وإذا كانت التمرة كبيرة ونواتها صغيرة كان أكثرها غذاء فالعبارة كناية عن ذلك يقول: ليس عظمها ولا ضخامتها ناجما عن كبر النواة بل أن معظمها وأكبر ما فيها جسم يؤكل.

(٤) يجحفون: يغرقون، والضمير في (فيها) للتمرة. ويقال: أنه ليجحف الزبد بالتمر. وقال جرير:

ودعا الزبير فما تحركت الحبى لو سمتهم جحف الخزير لثاروا

والخزير والخزيرة: لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وقيل: هي حسا من دقيق ودسم، وقيل: إذا كان من دقيق فهي حريرة وإذا كان من نخالة فهي خزيرة والمعنى أنكم تطعمون الزبدة بالتمر وذلك أشهى وأحسن.

(٥) الأقعب جمع قعب وهو وعاء اللبن، والجلاد الإبل الكثيرات الدر والهرمية والربلية نسبتان إلى الهرم والربل بفتحهما، والهرم نبت أو شجر أو هو البقلة الحمقاء وابل هوارم تأكلها فتبيض عثانينها منها، والربل ضرب من الشجر يتفطر في آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر وتربل أكله والمعنى: أنني آتي لكم مع ما أسلفت بأقعب مملوءة من ألبان الإبل التي أكلت الهرم والرمل فغزر لبنها وسمن، والمراد التكنية عن سمن اللبن وغزارته.

(٦) أي أنه بعد أن وصف لنا ذلك الوصف الذي يبعث الشوق ويزيد الرغبة سألنا عما إذا كنا نريد أن نأكل منه فما أجبناه إلا بالذي يدل على الطلب ولكنه ما زاد على أن ضحك وذكر أنه يود أن يطعم معنا.

(٧) الدرمك لباب الدقيق والسبائك: القطع من الفضة ونحوها، جمع سبيكة.

حَرْتَيَّةٍ بِها رِيحُ القَرَظِ[١] فَيَثِبُ إِلَيْها مِنْكُمْ فَتى رَفِيفٌ. لَبِقٌ خَفِيفٌ[٢] فَيَعْجُنُهُ مِنْ غَيْرِ أَن يَرْجُفَهُ أَوْ يَخْشِفَهُ[٣] فَيُزِيلُهُ دُونَ مَلْكٍ ناعِمٍ ثُمَّ يَلُتُّهُ بِالسُّمارِ أَوِ المُذْقِ لَتًّا غَزِيرًا[٤] ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَيْهِ فَيَلْوِيهِ وَيَدَعُهُ في ناحِيَةِ الصَّيْداءِ حَتَّى إِذَا تَخَّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرُزَ عَمَدَ إِلى قَصَدِ الْغَضا[٥] فَأَشْعَلَ فيهِ النَّارَ فَلَمَّا خَبَتْ نارُهُ[٦] مَهَّدَ لِقُرْمُوصِهِ[٧] ثُمَّ عَمَدَ إِلى عَجِينِهِ فَفَرْطَحَهُ بَعْدَ ما أَنْعَمَ تَلْوِيثَهُ ثُمَّ دَحا بِهِ عَلَيْها ثُمَّ خَمَّرَهُ[٨] فَلَمَّا قَفَّ وَقَبَّ أَحالَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّضْفِ ما يَلْتَقي بِهِ

---

(١) تجرثم: تجتمع، والسفرة: الجلدة التي توضع تحت الخوان ليتقي عليها فتات المائدة، وحرتية نسبه إلى الحرت وأصله قطع الشيء مستديرا ودلكه وأراد الذي بولغ في العناية به، والقرظ: ثمر يدبغ به والمعنى أن رائحة الدباغ لا تزال عالقة به كناية عن جدتها.

(٢) يثب: يظفر، والمراد يقوم، رفيف: حسن الخلق، ولبق حاذق، وخفيف: أي سريع الحركة نشيط. والمعنى: ماذا تقولون إذا أحضرت لكم خالص الدقيق ولبابه وجئتكم بسفرة مستديرة لا تزال علائم الجدة بادية عليها ووضعت فوقها ذلك الدقيق فيقوم منكم فتى خفيف اليد سريع الحركة كثير النشاط حاذق جميل ليقوم لكم بعمله.

(٣) يرجفه أي يحركه بعنف وأصله الرجفة وهي الحركة الشديدة ومنه سميت القيامة: راجفة. ويخشفه يسيء صنعه بوضع ماء كثير يجعله قطعا كمخشوف الرأس أي مفضوخها.

(٤) يلته: يخلطه. ولت السويق، ومثله الجدح، : أن يحرك السويق بالماء أو اللبن ونحوهما ويحرك حتى يستوي، وربما حرك بخشبة مجنحة الرأس لها ثلاث شعب وتسمى: المجدح، والسمار اللبن الحليب إذا خلط بالماء والمذق اللبن الحامض إذا صنع به ذلك قال: جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط.

(٥) الصيداء: الأرض الغليظة، أو الحجارة التي تصنع منها القدور والمراد أن يكون على أرض تظهر فيها الحرارة مع جوده الهواء، وتخ: ظهرت فيه الحموضة ويترز: أي ييبس ويشتد وقصد الغضا أغصانه والغضا شجر كثير اللهب شديد النار يضرب به المثل في ذلك.

(٦) خبت النار: سكنت.

(٧) مهد: هيأ، والقرموص بضم أوله ومثله القرمص والقرماص بكسرهما: موضع خبز الملة وهي الرماد الحار والجمر، والمعنى هيأ مكانا ليكون قرموصا يخبز فيه.

(٨) فرطحه: عرضه ليتسع، واللويث: الدقيق يذر على الخوان تحت العجين، ولوث: فعل منه أي وضع اللويث، وأنعم: صيره ناعما، وقال الأستاذ الإمام في بيان ذلك المعنى كلاما لا يفهم ولا يلتقي بالموضوع، ودحا: بسط، والباء في به للتعدية، والضمير في عليها للنار، والمعنى وضعه فيها، وخمره: غطاه.

الأُوَارَانِ[١] حَتَّى إِذَا غَطَّاهُما عَلى المَلَّةِ المُشاكِهَةِ بِطَبَقٍ وَتَفَلَّجَ شِقَاقًا[٢]. وَحكى قِشْرُهَا رِقاقًا. وَاحمِرَارُها احْمِرَارَ بُسْرِ الْحِجازِ الْمَشْهُورِ بِأُمِّ الْجِرْذَانِ أَوْ عِذْقِ بْنِ طابٍ شُنَّ عَلَيْهَا ضَرَبٌ بَيْضاءُ[٣] كالثَّلْجِ إلى أَوَانِ رُسُوخِها في خِلالِ الدِّهانِ وَيَشْرَبُ لُبَّ الدِّرْمَكِ ما عَلَيْهِ مِنَ الضَّرَبِ قَدِّمَتْ إِلَيْكُمْ فَتَلْقَمُونَها لَقْمَ جُوَيْنٍ أَوْ زَنْكَلٍ[٤] أَفَتَشْتَهُونَها يا فِتْيانُ؟ (قالَ) فاشْرَأَبَّ كُلٌّ مِنَّا إلى وَصْفِهِ[٥] وَتَحَلَّبَ رِيقُهُ[٦] وَتَلَمَّظَ[٧] وَتَمَطَّقَ[٨]. قُلْنا: إِي وَاللهِ نَشتَهِيها. قالَ: فَقَهْقَهَ الشَّيْخُ وَقالَ: وَعَمُّكُمْ وَاللّهِ لا يُبْغِضُها ثُمَّ قالَ: ما رَأْيُكُمْ يا فِتْيانُ في عَنَاقٍ نَجْدِيَّةٍ. عُلْوِيَّةٍ بَرِّيَّةٍ[٩]. قَدْ أَكَلَتْ الْبَرَمَ وَالشِّيحَ النَّجْدِيَّ وَالْقَيْصُومَ وَالْهَشِيمَ[١٠]. وَتَبَرَّضَتِ الْحَمِيمَ. وَتَمَلأَتِ مِنَ الْقَصِيصِ[١١] فَوَرى مُخُّها وَزَهِمَتْ كُشْيَتُها[١٢]

---

(١) قف: يبس وجف، وقب: ارتفع، والرضف: الحجارة المحماة والأوار: النار، والتقاء الأوارين: تقابلهما، والمقصود بهما النار الأولى من تحته ونار الرضف من فوقه.

(٢) الملة بالفتح الجمر، والمشاكهة: المشابهة. قال زهير: وشاكهت فيها الظباء، وتفلج: تشقق.

(٣) البسر: التمر قبل أن يصير رطبا، وأم الجرذان: نوع منه مشهور، وعذق بن طاب: نخل بالمدينة ورش عليها: صب، والضرب: العسل.

(٤) جوين بصيغة المصغر وزنكل بوزن جعفر: رجلان شديدا النهم كثيرا الأكل.

(٥) أي مد عنقه متطلعا راجيا تحقيق وصفه.

(٦) أي سال لعابه.

(٧) أي جرى ريقه فأخرج لسانه ليمسح به شفتيه.

(٨) المعنى ضرب لسانه في أعلا فمه وأسفله.

(٩) العناق بفتح أوله: الأنثى من المعز، نجدية: منسوبة إلى نجد وهو قسم من بلاد العرب، وعلوية: المنسوبة إلى العالية وهي أرض بين نجد وتهامة إلى ما وراء مكة، والبرية: المنسوبة إلى البر، والمراد أنها ليست مما يربى في البيوت.

(١٠) البرم بفتحتين: ثمر الأراك أو الغضا. والشيح: شجر معروف والقيصوم: نبات طيب الرائحة، والهشيم: المتكسر من النبات اليابس.

(١١) الحميم: الماء البارد وتبرضته: شربت منه، والقصيص: نبات يكون في أصول الكمأة وتملأت منه: امتلأ جوفها، وشاة مُلِئَ: في بطنها ماء وأغراس كثير فتحسبها حاملا.

(١٢) وري مخها: كثر من قولهم: ورت الإبل إذا سمنت، وزهم بوزن فرح: سمن ودسم، والكشية أصلها شحمة بطن الضب وأراد منها هنا مطلقا ويقال: يدي من الدهن زهمة.

تشْحَطُ مُعْتَبَطةً[١] ثُمَّ تُنْكَسُ في وَطِيسٍ حَتَّى تَنْضَجُ مِنْ غَيْرِ امْتِحاشٍ أَوْ إِنْهَاءٍ[٢] ثُمَّ تُقَدَّمُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ عُطَّ أَهَابُها عَنْ شَحْمَةٍ بَيْضاءَ[٣] عَلَ خُوَانٍ مُنَضَّدٍ بِصَلائِقَ كَأَنَّها الْقُباطِيُّ الْمُنَشَّرُ[٤]. أو الْقُوهِيُّ الْمُمَصَّرُ[٥]. قَدِ احْتَفَتْها نُقْرَاتٌ فيها صِنابٌ وَأَصْباغٌ شَتَّى فَتوضَعُ بَيْنَكُمْ تَهادَرُ عَرَقًا. وَتَسايَلُ مَرَقًا[٦]. أَفَتَشْتَهُونها يا فِتْيانُ؟ قُلْنا: إِي وَاللّهِ نَشْتَهِيها. قالَ: وَعَمُّكُمْ وَاللهِ يَرْقُصُ لَهَا[٧].

---

(١) تشحط: تذبح ومعتبطة: بدون سبب من قولهم فعله اعتباطا أي بلا علة.

(٢) تنكس: توضع منكسة والوطيس: التنور وقولهم: حمى وطيس القتال مأخوذ منه، والامتحاش: الاحتراق، والإنهاء: المبالغة في إنضاجها حتى يصل بها إلى النهاية، والمعنى أنه بعد أن خيب أملنا في المرتين السالفتين رجع إلى وصف أكلة ثالثة فاستفسر منا عما إذا كان يروق لنا أن يجيئنا بماعزة قد سمنت وكثر دسمها وطاب لحمها من طول ما أكلت النبات الذي من شأنه أن يفعل ذلك- واللحم يختلف هزالا وسمنا باختلاف المرعى ولذلك تقول العرب في أمثالها: ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان- ثم نذبحها بدون ما سبب غير تناولكم من لحمها ثم توضع في التنور لتنضج من غير أن تحترق أو تنتهي في النضج وأطيب ما يكون اللحم إذا كان كذلك.

(٣) عط بالبناء للمجهول: شق، والإهاب: الجلد والمعنى أنها قد تكشفت عن دهن كثير.

(٤) الخوان ما يمد عليه الطعام ما لم يكن فإذا وجد فهو المائدة فقط وتقدم مثل هذا والمنضد: المرصع والصلائق الخبز الرقاق ومفرده صليقة، والقباطي نوع من ثياب الكتاب أبيض رقيق والمنشر المنشور أي المبسوط.

(٥) القوهي كذلك نوع من الثياب والممصر المصبوغ بلون بين الحمرة والصفرة.

(٦) النقرات جمع نقرة وأراد منها الإناء والصناب الصباغ من الخردل والزيت ونحوهما مما يتخذ لتقوية الداعية إلى الطعام، وتهادر أصله: تتهادر حذف منه إحدى التاءين ومعناه المقصود هنا التقاطر، لكنا لم نجد في الذي بين أيدينا من أمهات كتب اللغة ما يساعد على إرادة هذا المعنى من هذا اللفظ بل كل ما يمكن أن يقال: إنها من قولهم هدرت جرة النبيذ تهدر إذا غلت وسمع لها صوت وهي حينئذ قريبة من أن يسيل على جوانبها النبيذ. وقال:

وجرة خضرا لها هدير يظل منها الشيخ يستدير

والمعنى أنها تجيئكم سمينة كثيرة الشحم والدهن، واللحم الجيد إذا نضج سال دهنه.

(٧) أي أنه لو أتيح له أن يأكل مثل هذا الذي وصفه لكم لرقص سرورًا وغبطة.

فَوَثَبَ بَعْضُنا إلَيْهِ بِالسَّيْفِ[١] وَقالَ: ما يَكْفي ما بِنا مِنَ الدَّقَعِ حَتَّى تَسْخَرَ بِنا[٢]؟ فَأَتَتْنا ابْنَتُهُ بِطَبَقٍ عَلَيْهِ جِلْفَةٌ. وَحُثالَةٌ وَلَوِيَّةٌ[٣]. وَأَكْرَمَتْ مَثْوانا[٤] فَانْصَرَفْنا لَها حامِدِينَ وَلَهُ ذامِّينَ.

المَقامَةُ الإبْلِيسِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قالَ: أَضْلَلْتُ أَبِلًا لي فَخَرَجْتُ في طَلَبِها[٥] فَحَلَلْتُ بوادٍ خَضِرٍ[٦] فإذا أَنْهارٌ مُصَرَّدَةٌ[٧] وَأَشْجارٌ باسِقَةٌ[٨] وَأَثْمارٌ يانِعَةٌ[٩] وَأَزْهارٌ مُنَوِّرَةٌ[١٠]

---

(١) أي أن بعض الجماعة الذين كانوا يستمعون له أخذته الحدة وهم أن يضربه بالسيف جزاء له على تشويقه لهم دون أن يكون وراءه نفع ظاهر يردون به عادية الجوع وشدته.

(٢) يقال: سخر به، وسخر منه: أي لم يحترمه، ولم يوقره، وأنقص قدره، واستهان به، وحط من شأنه، وفي التنزيل: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾. والمعنى ألم تأخذك بنا الشفقة فتكفينا لأواء الجوع وبأساءه؟ ثم إذا كنت لا تنقذنا من مخالبه أفما تكفينا بسكوتك شر هزئك وسخريتك بنا؟.

(٣) الجلفة: أراد الخبز، والحثالة الرديء من التمر، واللوية ما أخفيته لغيرك من الطعام، والمعنى أنها قدمت لنا ما حرمنا منه أبوها وهيأت لنا ما يسد حاجتنا.

(٤) مثوانا: إقامتنا، وفي التنزيل: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾. والمعنى أنها كانت خيرا من أبيها حيث أحسنت إلينا في حين أنه أساءنا ولذلك غادرناها وألسنتنا رطبة بالثناء عليها وشكران صنيعها.

(٥) يقال: أضل فلان البعير والفرس ونحوهما إذا ذهبا عنه فلم يعرف لهما مكانا ومثله ضلهما، والمعنى أنه تفقد إبله فلم يجدها فذهب يبحث عنها.

(٦) الوادي مفرج بين جبال أو تلال أو آكام وجمعه أودية وأوداء وأوداة وأوداة وأودايا، وخضر أي أخضر وذلك كناية عن كثرة نباته وأعشيشاب أرضه.

(٧) أنهار مطردة: جارية.

(٨) باسقة مرتفعة وفي التنزيل ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾.

(٩) ينع الثمر كمنع وضرب ينعا وينعا (بفتح أوله وضمه) وينوعا بالضم حان قطافه ومثله أينع.

(١٠) أي زاهية.

وَأَنْماطٌ مَبْسُوطَةٌ[١] وَإِذا شَيْخٌ جالِسٌ فَراعَني مِنْهُ ما يَرُوعُ الْوَحِيدَ مِنْ مِثْلِهِ فقالَ[٢]: لا بَأْسَ عَلَيْكَ[٣] فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَمَرَني بِالْجُلُوسِ فامْتَثَلْتُ.

وَسَأَلَني عَنْ حالي فَأَخْبَرْتُ فقالَ لي: أَصَبْتَ دالَّتَكَ[٤]. وَوَجَدْتَ ضالَّتَكَ. فَهَلْ تَرْوي مِنْ أَشْعارِ الْعَرَبِ شَيْئًا؟ قُلتُ: نَعَمْ. فَأَنْشَدْتُ لامْرِئِ القَيْسِ[٥]

(١) الأنماط: جمع نمط وهو البساط ومبسوطة: مفروشة.

(٢) راعه يروعه أفزعه وأخافه، والمعنى أنني خشيت منه وأخذني الرعب.

(٣) البأس: الشدة، ولا بأس عليك: كلمة معناها لا يلحقك مكروه ولا ينزل بك ألم. والمعنى أنه هدأ روعي وسكن جأشي.

(٤) الدال الذي يدلك على ما فقد منك ويهديك إليه والتاء فيه للمبالغة.

(٥) هو أبو الحرث حندج بن حجر الكندي رأس الشعراء في الجاهلية، والمبرز في حلبتهم، وقائدهم إلى التفنن في أبواب الشعر وضروبه، وآباؤه من أشراف كندة وملوكها، وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب التغلبيين، وكانت بنو أسد من المضرية خاضعة لملوك كندة وآخر ملك عليها هو حجر أبو امرئ القيس. . وقد نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد، وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويعاقر الخمر ويغازل الحسان. وزاد على ذلك أنه أنفق وقته في التشبيب بالنساء والخروج في ذلك إلى حد الصراحة في الفحش منصرفا عما يأخذ به أمثاله أنفسهم من الاعتداد للملك وقيادة الشجعان فمقته أبوه لذلك وزجره عن اللهو والتشبيب بالنساء ولما لم ينجع فيه القول طرده عنه وأقصاه فالتف عليه بعض صعاليك العرب وذؤبانهم وشذاذهم ينزلون المياه ويذبحون ويشربون ويطربون وتغنيهم القيان. وأنه لكذلك في إحدى نزلاته بأرض (دمون) يشرب ويلعب النرد مع رفاقه إذ جاءه نبأ ثوران بني أسد على أبيه وقتلهم له لأنه كان يعسف في حكمه لهم ويشتد عليهم في الأتاوة التي يؤدونها إليه فلم ينزعج امرؤ القيس للخبر خشية أن ينغص على رفاقه عيشهم ثم قال: (ضيعني صغيرا، وحملني ثأره كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر، وغدا أمر) ثم أخذ يجمع العدة، ويستنجد القبائل في إدراك ثأره فكان يجيبه بعضها ويعتذر بعضها فنازل بني أسد وقتل منهم كثيرا ولم يشف ذلك من غلته، وكانت في نفس المنذر (أحد ملوك الحيرة) موجدة على آل امرئ القيس لأن الحارث جد امرئ القيس زاحم المناذرة ملوك الحيرة عند كسرى في النيابة عنه على ملك الحيرة، وقت أن شجر الخلاف بين المناذرة وكسرى قباذ (وهو أبو كسرى أنوشروان) فألب المنذر على امرئ القيس العرب، من أياد، وبهراء، وتنوخ، وأمده كسرى أنو شروان بن قباذ بجيش من الأساورة لرضاه عن آل المنذر فلم يكن لامرئ القيس به طاقة وتفرق عنه أصحابه فجعل يستجير بالقبائل واحدة بعد واحدة وتقع من أجله حروب عديدة حتى نزل على السموءل بن عادياء اليهودي فأودعه ابنته ودروعه وسلاحه وطلب =

. . . . . .

إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شمر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر، فلما بلغ قيصر استنصره على أعدائه الذين جعلهم من شيعة المناذرة وأتباعهم المستظلين بحماية الفرس أعداء الروم فأمده قيصر بجيش لم يخرج عن بلاد الروم حتى بدا له فاسترجع الجيش، وقفل امرؤ القيس راجعًا، واشتد به في طريقه علة قروح فمات منها ودفن بأنقرة، وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن.

ويعتبر امرؤ القيس رأس فحول الجاهلية والمقدم في الطبقة الأولى من شعرائهم المعروفة أخبارهم، وهو- وإن كان راوية أبى دؤاد الأيادي، وخاله مهلهلا- لم يسبقه على مبلغ علمنا إلى طرق كثير من أبواب الشعر والإفاضة فيه أحد، فهو أول من أجاد القول في استيقاف الصحب، وبكاء الدار، وتشبيه النساء بالظباء والمها والبيض، وفي وصف الخيل بقيد الأوابد، وترقيق النسيب، وتقريب مآخذ الكلام، وتجويد الاستعارة، وتنويع التشبيه، حتى ليظن أنه المبتكر لذلك، ويغلب على شعره التشبيب والوصف أيام صبوته، وبث الشكوى وتنكر الخلان زمن محنته، وقد يفحش في تشبيبه بالنساء وتحدثه عنهم، ويشم من شعره رائحة النبل، وتلمح فيه شارات السيادة والملك من ذلك قوله:

فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل

وقوله:

وظل طهاة اللحم ما بين منضج ... صفيف شاء أو قدير معجل

وقوله:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة ... كفاني -ولم أطلب- قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وشعره- وأن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة وخشونة الألفاظ وتجهم المعاني- تراه يخطر أحيانا في حلل من حسن الديباجة وبديع المعنى ودقة النسيب ومقاربة الوصف وسهولة المأخذ، مما كان منه لخلفه أجمل مثل حاكوه في ترقيق شعرهم وحسن تأتيهم في تصوير معانيه فمن النوع الأول قوله في وصف محبوبته:

وإذ هي تمشي كمشي النزيـ ... ـف يصرعه بالكثيب البهر
برهرهة رودة رخصة ... كخرعوبة البانه المنفطر

وقوله في معلقته:

وفرع يغشى المتن أسود فاحم ... أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات إلى العلا ... تضل العقاص في مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر ... وساق كأنبوب السقى المذلل

وَعَبيد[١] . . . . . .

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبى أو مساويك أسحل =

ومن النوع الثاني قوله:

كان عيون الوحش- حول خبائنا وأرحلنا- الجزع الذي لم يثقب

وقوله:

كان قلوب الطير رطبا ويابسًا لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقوله:

أغرك مني أن حبك قاتلي وإنك مهما تأمري القلب يفعل

ومن شعره السائر مسيرة الأمثال قوله:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

وقوله:

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف، ولم يغلبك مثل مغلب

وقوله:

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

(١) عبيد: هو عبيد (بفتح العين وكسر الباء الموحدة) بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحرث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن مضر الأسدي الشاعر من فحول شعراء الجاهلية. . عده ابن سلام في الطبقة الرابعة وقرنه بطرفة ابن العبد وعلقمة بن عبدة التميمي وعدي بن زيد العبادي. قال: وعبيد بن الأبرص قديم عظيم الشهرة وشعره مطرب ذاهب لا أعرف منه إلا قوله:

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

قال: ولا أدري ما بعد ذلك. وقال الجاحظ: أن عبيدا وطرفة دون ما يقال عنهما إن كان شعرهما ما في يد الناس فقط، وقد أشار أبو العلاء المعرى إلى اختلال بائية عبيد بقوله:

وقد يخطئ الرأي امرؤ وهو حازم كما اختل في نظم القريض عبيد

ويذكرون أن سبب قوله للشعر أنه كان محتاجا ولم يكن له مال فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له ومعه أخته ماوية ليوردا غنمهما فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهه (أي قابله بما يكره) فانطلق حزينا مهموما للذي صنع به المالكي حتى أتي شجرات فاستظل تحتهن فنام هو وأخته. فيزعمون أن المالكي نظر إليه- وأخته إلى جنبه- فقال:

ذاك عبيد قد أصاب ميا يا ليته القحها صبيا
فحملت فولدت ضاويا

(ضاويا): أي ضعيفا، والعرب تزعم أن زواج القرائب يضف الولد فسمعه عبيد فرفع يديه =

وَلَبِيدٍ[١] . . . . . .

= ثم ابتهل فقال: اللهم إن كان فلان ظلمني فأدلني منه وانصرني عليه ووضع رأسه فنام ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر فأتاه آت في المنام بكبة من شعر حتى ألقاها في فيه ثم قال: قم، فقام وهو يرتجز ويتغني ببني مالك، وكان يقال لهم: بنو الزنية:

أيا بني الزنية ما غركم؟! فلكم الويل بسربال حجر

ثم استمر بعد ذلك في الشعر وكان شاعر بني أسد غير مدافع، وأدرك حجرا أبا امرئ القيس.

(١) لبيد: هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، أحد أشراف الشعراء المجيدين، والقواد الفرسان المعمرين، والأجواد العريقين، والحكماء المحنكين، وهو من بني عامر بن صعصعة أحد بطون هوازن من مضر، وأمه عبسية. نشأ لبيد جوادا، شجاعا، فاتكا. فأما الجود فقد ورثه عن أبيه الملقب: (ربيعة المعترين)، وأما الشجاعة الفتك فهما خصلتا قبيلته إذ كان عمه ملاعب الأسنة أحد فرسان مضر في الجاهلية، وكان بين قبيلته وبين عبس أخواله عداوة شديدة فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر، وعلى العبسيين الربيع بن زياد، وعلى العامريين ملاعب الأسنة، وكان الربيع مقربا عند النعمان يؤاكله وينادمه فأوغر صدره على العامريين وعدد معايبهم ومخازيهم فلما دخل وفدهم على النعمان غض منه وأعرض عنه فشق ذلك عليهم وخرجوا غضابا يتذاكرون في أمرهم مع الملك، ولبيد يومئذ صغير يسرح أبلهم ويرعاها، فسألهم عن خطبهم، فاحتقروه لصغره فألح عليهم وألحف في مسألتهم حتى أشركوه معهم فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غدا عند النعمان أسوأ انتقام: بهجاء لا يجالسه بعده ولا يؤاكله: فكان ذلك، ومقت النعمان الربيع، ولم يقبل له عذرا، ولم يجتمع به بعد، وأكرم العامريين وقضي حوائجهم. فكان هذا أول ما اشتهر به لبيد ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطولات، وشهد له النابغة وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته التي أولها:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

ومن حوادث فتكه: أن الحارث الأعرج الغساني أرسل مائة من الفتيان الفتاك على رأسهم لبيد ليغتالوا المنذر بن ماء السماء فذهبوا إليه وأظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته، فأدناهم إليه، ولما صادفوا منه غرة قتلوه وهربوا، فتبعهم جنود المنذر وقتلوا كثيرا منهم وفر الباقي وفيهم لبيد ولما ظهر الإسلام وأقبلت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم جاء لبيد في وفد بني عامر وأسلم وعاد إلى بلاده وحسن إسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر حتى لم يرو له بعد الإسلام غير بيت واحد قيل هو:

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح =

وقيل: لا. بل هو قوله:

. . . . . .

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا =

وبعد أن فتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها دار إقامة. ومن أحاديث جوده أنه نذر في الجاهلية (ألا تهب الصبا ألا أطعم) وألزم ذلك نفسه في الإسلام، وكانت له جفنتان يغدو بهما ويروح على مسجد قومه بالكوفة، فهبت الصبا والوليد بن عقبة وإلى الكوفة على المنبر، ولبيد يومئذ قليل المال، فحرض في خطبته الناس أن يعينوه على مروءته ففعلوا وبعث إليه هو مائة بكرة فشكرته ابنة لبيد عن أبيها على ذلك بشعر جميل، وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة ٤١هـ وقد قيل أنه عاش ١٣٠ سنة.

وقال لبيد الشعر ونبغ فيه وهو غلام، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان كعنترة وعمرو بن كلثوم فلم يجعله مورد كسب ولذلك ترى في شعره ولا سيما معلقته نبالة الفخر والتحدث بالفتوة والنجدة والكرم وإيواء الجار وعزة القبيل، ويشابه علو همته جزالة لفظه، وفخامة عبارته، ورقة معانيه، وشرف مقاصده، وقلة اللغو في لفظه، وكثرة اشتماله على عقائد الإيمان، والحكمة الصادقة، والموعظة الحسنة. وقد شهد له النبي صلوات الله وسلامه عليه بقوله: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) ومن جيد شعره قوله في معلقته مفتخرا:

أنا إذا التقت المجامع لم يزل منا لزاز عظيمة جشامها
ومقسم يعطي العشيرة حقها ومغذ مر لحقوقها هضامها
فضلا وذو كرم يعين على الندا سمح كسوب رغائب غنامها
من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها
لا يطبعون ولا يبور فعالهم إذ لا تميل مع الهوى أحلامها
فأقنع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها
وإذا الأمانة قسمت في معشر أوفى بأوفر حظنا قسامها

وقال يرثي النعمان:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول انحب فيقضي أم ضلال وباطل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي لب إلى الله واسل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل

وقال يرثي أخاه أربد:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع
وما الناس إلا عاملان: فعامل يتبر ما يبني وآخر رافع
فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة قانع

وَطَرَفَةَ[١] فَلَمْ يَطْرَبْ لِشَيءٍ مِنْ ذلِكَ وَقالَ: أَنْشِدُكَ مِنْ شِعْرِي؟
فقُلتُ لَهُ: إيهِ. فأَنْشَدَ:

---

(١) طرفة: هو عمرو بن العبد البكري أقصر فحول الجاهلية عمرا وأجودهم طويلة، وأوصفهم للناقة، مات أبوه وهو صغير، وولي أمره أعمامه ومال إلى البطالة، واللهو، والأخذ بأسباب الصبوة والفتوة وقول الشعر والوقوع به في أعراض الناس حتى هجا قومه وأهله وحتى هجا عمرو ابن هند ملك العرب على الحيرة، مع أنه كان يتطلب معروفه وجوده، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له، فاضطغنها عليه، وأسرها في نفسه، حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله- وكان قد بلغه عن المتلمس مثل الذي وصل إليه عن طرفة- أظهر لهما البشاشة والوداد ليؤمنهما، وأمر لكل منهما بجائزة وكتب لهما كتابين. وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه، فبيناهما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته فعرج على غلام يقرؤها له، ومضى طرفة فإذا في الصحيفة الأمر بقتله، فألقى الصحيفة وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفرّ إلى ملوك غسان، وذهب طرفة إلى عامل البحرين وقتل هناك وعمره نحو ست وعشرين سنة.

وقال طرفة الشعر وهو صبي فنبغ فيه حتى عد من الفحول ولم ينيف على العشرين، وزاد عليهم بقصيدته الطويلة التي وصف فيها الناقة بخمسة وثلاثين بيتا وصفا لم يسبقه إليه أحد، وتعد معلقته من أجود المعلقات، وأكثرها غريبا، وأغزرها معنى، وروى له غيرها من الشعر ولكنه قليل بالنسبة لشهرته، وربما دل هذا على أن الرواة قد جهلوا أكثره. ويجيد طرفة الوصف في شعره مقتصرا فيه على بيان الحقيقة بعيدا عن اللغو والإغراق وكذلك كان هجاءه على شدة وقعه: ومطلع معلقته:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ومنها:

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هاذاك الطراف الممدد
ألا أيهذا الزاجي أحضر الوغي وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

ومن أبياته السائرة:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيدا غدا، ما أقرب اليوم من غد
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتا، ولم تضرب له وقت موعد

بانَ الْخليطُ وَلَوْ طوَعْت ما بانا وَقَطَّعُوا مِنْ حِبالِ الْوَصْلِ أَقْرانا[1]

حَتَّى أتى عَلى الْقَصِيدَةِ كُلِّها. فَقُلْتُ: يا شَيْخُ هذِهِ الْقَصِيدَةُ لِجَرِيرٍ قَدْ حَفِظْتَها

= وقوله:

كل خليل كنت خاللته لأترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه

وقوله:

وأعلم علما ليس بالظن أنه إذا ذل مولي المرء فهو ذليل
وأن لسان المرء ما لم يكن له حصاة على عوراته لدليل

وقوله:

قد يبعث الأمر الصغير كبيره حتى تظل له الدماء تصبب

ومن كلامه يفتخر:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا نرى الآدب فينا ينتقر
حين قال الناس في مجلسهم أقتار ذاك أم ريح قطر
بجفان تعتري ناديننا من سديف حين هاج الصنبر
كالجوابي لاتني مترعة لقرى الأضياف أو للمحتضر
ثم لا يخزن فينا لحمها إنما يخزن لحم المدخر
نمسك الخيل على مكروهها حين لا يمسكها إلا الصبر

ومن قوله في الناقة:

وإني لأمضى الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
أمون كألواح الأران نصأتها على لاحب كأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تردى كأنها سفنجة تبري لازعر أربد
تباري عتاقا ناجيات وأتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد
تربعت القفين في الشول ترتعى حدائق مولى الأسرة أغيد
تريع إلى صوت المهيب وتتقي بذي خصل روعات أكلف ملبد
كأن جناحي مضرحى تكنفا حفافيه شكا في العسيب بمسرد
فطورا به خلف الزميل وتارة على حشف كالشن ذاو مجدد

(١) بان: افترق وبعد، والخليط: الجماعة الذين تجمعهم المصالح فتخلط بينهم، وطوعت: أطعت ووافقت، والأقران جمع قرن: وهو الحبل يشد به البعيران، والمعنى: أن القوم الذين كانت معهم خلطتك قد فارقوك ولو أنك وافقتهم وسرت معهم لم يكن بينكم افتراق أبد الدهر.

الصِّبْيانُ. وَعَرَفَها النِّسْوانُ. وَوَلَجَتِ الأَخْبِيَةَ[١]. ووَرَدَتِ الأَنْدِيَةَ.

---

(١) الأخبية: جمع خباء وهو الخيمة، والأندية: جمع ناد وهو مجلس القوم ومحل سمرهم وكل هذه كنايات عن شهرتها وذيوع انتسابها لجرير، وجرير هو أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي اليربوعي أحد فحول الشعراء الإسلاميين، وبلغاء المداحين الهجائين، وأنسب الثلاثة المفلقين، وهو من بني يربوع أحد أحياء تميم، ولد باليمامة سنة ٤٢هـ من بيت اشتهر بالشعر ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه وكان يختلف إلى البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء، وينزل على من يسكن البصرة من قومه، فرأى الفرزدق وما كسبه الشعر من المنزلة عند الأمراء والولاة وهو تميمي مثله وود لو يسبقه إلى ما ناله، وأغراه قومه للتنويه بشأنهم وتفخيم أمرهم، إذ كان الشعر في ذلك العصر هو وسيلة الإعلان عن الشرف وكريم الخصال، فوقعت بينهما المهاجاة والملاحاة عشر سنين، وكان أكثر إقامة جرير أثناءها بالبادية، وكان الفرزدق مقيما بالبصرة مصر العرب يملأ عليه الدنيا هجاء وسبا فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة فكان يقيم بها كثيرا، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده فعظم أمره وشرق شعره وغرب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه فلما دخل عليه الوفد استأذنه في إنشاده فأبى، وقال له إنما أنت للحجاج، فما برح يتوسل إليه حتى قبل مدحه وأجازه عليه جائزة سنية، ومن ذلك الحين عد من مداح خلفاء بني أمية ودخل في غمار المتزاحمين على أبوابهم والمتنافسين في نيل جوائزهم، وجره ذلك إلى معاداة منافسيه ومهاجاتهم، وحرش الفرزدق بينه وبينهم وأغراهم بالمال ونصب له منهم ثمانين شاعرا ولكن جريرا غلبهم كلهم وأخرسهم، وثبت له من دونهم الفرزدق والأخطل فبقيت حرب المهاجاة بينهم سجالا حتى مات الأخطل، وغبر الفرزدق وجرير يتسابان مدة حياتهما إلا مدة قليلة تنسك فيها الفرزدق وتاب ثم مات ولم يطل عمر جرير بعده إلا نحو ستة أشهر ومات باليمامة سنة ١١٠هـ وكان في جرير- على هجائه للناس وخوضه في أعراضهم- عفة، ودين، وحسن خلق، ورقة طبع، ظهر أثرها في شعره.

وقد اتفق علماء الأدب وأئمة نقد الشعر على أنه لم يوجد في الشعراء الذين نشأوا في الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل وإنما اختلفوا في السابق منهم والمبرز في حلبتهم ومال إلى كل واحد منهم جماعة انتصروا له وفضلوه على أخويه ولكل هوى وميل في تقديم صاحبه: فمن كان هواه في النسيب، وجودة الغزل والتشبيب، وجمال اللفظ ولين الأسلوب، والتصرف في أغراض شتى فضل جريرا وحكم بسبقه، ومن مال إلى جودة الفخر، وفخامة اللفظ، ودقة المسلك، وصلابة الشعر، وقوة أسره، فضل الفرزدق ورآه خيرا من كليهما: ومن نظر بعد بلاغة اللفظ، وحسن الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان في الهجاء، واستهواه وصف الخمر، واجتماع الندمان عليها حكم للأخطل. . =

فَقالَ: دَعْني مِنْ هذا وَإنْ كُنْتَ تَرْوِي لأَبي نُوَاسٍ شِعْرًا فأَنْشِدْنِيهِ، فأَنْشَدْتُهُ:

= وهناك فريق يدخل في الموازنة بينهم ما ليس من موضوع الأدب: فأهل الحسب والنسب يقدمون الفرزدق، وأهل الدين والعفة يقدمون جريرا، وأدباء المسيحيين يقدمون الأخطل ولا عبرة في ذلك في باب صناعة الشعر. على أن طائفة من أهل النقد المعتد بهم يرون جريرا أشعر الثلاثة لأنه طرق جميع أبواب الشعر ولم يقصر في باب، وأن الفرزدق امتاز بالفخر، وأن الأخطل تفرد بالمدح والهجاء ووصف الخمر، ويحتجون بأنه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تندبها النوادب إلا بشعر جرير في رثاء امرأته وأن الفرزدق كان يحسده على رقة شعره ويقول: (ما أحوج جريرا مع عفافه إلى صلابة شعري! وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره)، وأن له في كل باب من الشعر أبياتا سائرة هي الغاية التي يضرب بها المثل، فيقال: أن أغزل شعر قالته العرب هو قوله من القصيدة التي ذكر البديع مطلعها بالمقامة:

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله أنسانا

وأن أمدح بيت قوله:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح؟

وأن أفخر بيت قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... رأيت الناس كلهم غضابا

وأن أهجى بيت- مع التصون عن الفحش- قوله:

فغض الطرف أنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأن أصدق بيت قوله:

أني لأرجو منك خيرا عاجلا ... والنفس مولعة بحب العاجل

وأن أشد بيت تهكما قوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ... أبشر بطول سلامة يا مربع

ونحو ذلك كثير في شعره. . قيل وقد لعب جرير وجدّ في قصيدة يهجو بها الأخطل التغلبي بما لو أراده غيره لامتنع عليه ففي لعبه يقول:

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي: ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا؟

وفي جده يقول:

أن الذي حرم المكارم تغلبا ... جعل الخلافة والنبوة فينا
مضر أبى، وأبو الملوك، فهل لكم ... يا خزر تغلب من أب كأبينا؟
هذا ابن عمي في دمشق خليفة ... لو شئت ساقكم إلى قطينا =

لا أَنْدُبُ الدَّهْرَ رَبْعًا غَيْرَ مَأْنُوسِ ... ولَسْتُ أَصْبُوا إلى الْحادِينَ بالْعِيسِ (١)
أَحَقُّ مَنْزِلَةٍ بِالْهَجْرِ مَنْزِلَةٌ ... وَصْلُ الْحَبِيبِ عَلَيها غَيْرُ مَلْبُوسِ (٢)
يا لَيْلَةً غَبَرَتْ ما كانَ أَطْيَبَها ... وَالْكُوسُ تَعْمَلُ في إِخْوَانِنا الشُّوسِ (٣)
وَشَادِنٍ نَطَقَتْ بِالسِّحْرِ مُقْلَتُهُ ... مُزَنَّرٍ حِلْفَ تَسْبِيحٍ وَتَقْدِيسِ (٤)
نازَعْتُهُ الرِّيقَ والصَّهْباءَ صافِيَةً ... في زِيِّ قاضٍ وَنُسْكِ الشَّيْخِ إِبْلِيسِ (٥)

= قيل: فلما بلغ عبد الملك هذا الشعر قال: ما زاد ابن المراغة أن جعلني شرطيا! أما أنه لو قال: لو شاء ساقكم إلى قطينا، لسقتكم إليه كما قال.

ومن بديع شعره القصيدة المذكور مطلعها بالمقامة ومنها:

لا بارك الله في الدنيا إذا انقطعت ... أسباب دنياك من أسباب دنيانا
ما أحدث الدهر مما تعلمين لكم ... للحبل صرما، ولا للعهد نسيانا
أبدل الليل لا تسري كواكبه ... أم طال حتى حسبت النجم حيرانا؟

(١) ندب الميت: بكي عليه وعدد محاسنه، والربع: الدار، أو المحلة والجمع ربوع وأرباع وأربع، وغير مأنوس: ليس مسكونا، فارقه أهله، وصبا يصبو: مال، والعيس: الإبل، وأبو نواس قد يكون أول من استنكر على الشعراء وقوفهم على الأطلال وبكاءهم على الدمن واستنطاقهم النؤى والأحجار وذكرهم مغاني الأحباب وتعفى الرياح لها فهو يقول في هذا البيت أنه لا يبكي على ربع لا يحله أجد، ولا تميل نفسه إلى ذكر الإبل وحداتها.

(٢) هذا البيت يشبه أن يكون استدلالا على مذهبه وهو لعمرى دليل ناهض فهو يقول: إن أحق مكان بأن يهجره الإنسان وينفر منه ذلك المكان الذي أصبح وصال الحبيب فيه أمرا غير ممكن.

(٣) غبرت: مضت، والكوس: جمع كاس وأصله كؤوس فخففت، والشوس: جمع أشوس وهو الذي ينظر إليك بمؤخر عينه كبرا، وإذا كانت الخمر قد أمالت هؤلاء فكيف بغيرهم؟

(٤) الشادن: الغزال إذا قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه، والمراد صبى مثله على التشبيه وقد شدن- من باب دخل- : إذا صار كذلك قال: يا ما أميلح غزلانا شدن لنا،
والشدنيات من النوق منسوبة إلى موضع باليمن، ومزنر: يلبس الزنار وهو ما يكون على وسط النصارى والمجوس ومثله الزنارة والزنير، وحلف تسبيح وتقديس: أي طائع عابد لا يفتر عن تسبيح الله وتقديسه.

(٥) نازعه نزاعا ومنازعة: جاذبه، والصهباء: من أسماء الخمر، وصافية واقع موقع الحال من الصهباء، والمعنى: أنني جاذبته الكأس وأنا ألبس لبوس المتعبدين وأتزيّى بزي النساك.

لَمَّا ثَمِلْنَا وكُلُّ النَّاسِ قَدْ ثَمِلوا ... وَخِفْتُ صَرْعَتَهُ إيَّايَ بِالْكُوسِ [١]
غَطَطْتُ مُسْتَنْعِسًا نَوْمًا لأَنْعِسَهُ ... فَاسْتَشْعَرَتْ مُقْلَتاهُ النَّوْمَ مِنْ كَيِسِي [٢]
وَامْتَدَّ فَوْقَ سَرِيرٍ كَانَ أَرْفَقَ بِي ... عَلَى تَشَعُّثِهِ مِنْ عَرْشِ بَلْقِيسِ
وَزُرْتُ مَضْجَعَهُ قَبْلَ الصَّبَاحِ وَقَدْ ... دَلَّتْ عَلَى الصُّبْحِ أَصْوَاتُ النَّوَاقِيسِ [٣]
فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ: الْقُسُّ زَارَ ولا ... بُدَّ لِدَيْرِكَ مِنْ تَشْمِيسِ قِسِّيسِ

فَقَالَ: بِئْسَ لَعَمْرِي أَنْتَ مِنْ رَجُلٍ! فَقُلْتُ: كَلاَّ فَإِنِي لَسْتُ بِالْبِيسِ [٤] (قَالَ) فَطَرِبَ الشَّيْخُ وَشَهَقَ وَزَعَقَ [٥].

فَقُلْتُ: قَبَّحَكَ اللهُ مِنْ شَيْخٍ لا أَدْرِي أَبا نُتِحالِكَ [٦] شِعْرَ جَرِيرٍ أَنْتَ أَسْخَفُ أَمْ بِطَرَبِكَ مِنْ شِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ وَهُوَ فُوَيْسِقٌ عَيَّارٌ [٧]؟؟. فقالَ: دَعْنِي مِنْ هذَا وَامْضِ عَلَى وَجْهِكَ فَإِذَا لَقِيتَ فِي طَرِيقِكَ رَجُلاً مَعَهُ نَحْيٌ صَغِيرٌ يَدُورُ فِي الدُّورِ حَوْلَ

---

(١) يقال للشارب الذي يتمايل من الشرب ثمل والمعنى: أنه لما أخذت الخمر بعقولنا وظهر فعلها فينا وخشيت أن يلقيني صريعا من كثرة ما يقدم لي منها.

(٢) غط النائم يغط غطيطا: تردد نفسه حتى صار له صوت، والكيس خلاف الحمق وأصله بفتح أوله فكسره ضرورة وفسره الإمام بوعاء الدراهم وتمحل له وتبعه على ذلك بعض النقلة الذين لا يميزون بين غث المعاني وسمينها والمعنى على ما ذكرنا أنه تناوم لينام ذلك الشادن مخافة أن يطول عليه مجلس الشراب فنجعت حيلته وذلك من آثار كياسته.

(٣) المضجع: مكان الرقاد، ومن عادات النصارى أن يدقوا النواقيس قبيل الشمس ينادون بها عابديهم ليقيموا التقاليد الدينية، وأبو نواس يقول أنه زار مضجع ذلك الشادن في هذا الوقت.

(٤) بالبيس: أي الرجل الذي يقال في حقه بئس.

(٥) الطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور، وشهق- بالفتح يشهق- بالفتح والكسر- شهيقا- فيهما- ارتفع صوته، والشهقة: كالصيحة وزعق- من باب قطع-: صاح، والمعنى: أن الطرب أخذ بلب هذا الشيخ ومال بعقله فصار يصيح ويزعق. وإنما يكون هذا ممن ذهل واستحوز السرور على فؤاده فهو لا يعي.

(٦) انتحل فلان شعر غيره أو قول غيره: إذا ادعاه لنفسه، ومثله تنحل.

(٧) الفويسق: تصغير فاسق، والعيار: الذي يلقى لنفسه حبلها على غاربها لا يهديها إلى فضيلة ولا يزجرها عن ارتكاب مذمة.

الْقُدُورِ. يُزْهَى بِحلْيَتِهِ. وَيُباهي بِلِحْيَتِهِ[١]. فقُلْ لهُ: دُلَّني عَلى حُوتٍ مَصْرُورٍ. في بَعْضِ الْبُحُورِ. مُخطفِ الْخصُورِ. يَلدَغُ كالزُّنْبُورِ وَيَعْتمُّ بِالنُّورِ. أَبُوهُ حَجَرٌ. وَأُمُّهُ ذَكَرٌ. وَرَأْسُهُ ذَهَبٌ. وَاسْمُهُ لَهَبٌ. وَباقِيهُ ذَنَبٌ. له في المَلْبُوسِ. عَمَلُ السُّوسِ. وَهُوَ فِي الْبَيْتِ آفَةُ الزَّيْتِ. شِرِّيبٌ لا يَنقَعُ. أَكُولٌ لا يَشْبَعُ. بَذُولٌ لا يمْنَعُ. ينْمى إلى الصُّعُودِ. وَلا يَنقُصُ مالهُ مِنْ جُودٍ. يَسُوءُكَ ما يَسُرُّهُ. وَيَنْفَعُكَ مَا يَضُرُّهُ[٢]. وَكُنْتُ أَكْتُمُكَ حَدِيثِي. وأعِيشُ مَعَك في رْخاءٍ لكِنَّكَ أبيْتَ فَخُذِ الآنَ فَمَا أَحَدٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ إلاَّ وَمَعَهُ مُعِينٌ مِنَّا وَأَنَا أَمْلَيْتُ على جَرِيرٍ هذِهِ الْقَصِيدَةَ وَأنا الشَّيْخُ أَبُو مُرَّةَ[٣].

---

(١) يريد أن يلغز في المذبة وسيأتي في كلامه بيان ذلك وهي خشبة تغشى بالجلد في أطرافها خوص، والنحى: أصله الزق يوضع فيه نحو السمن والعسل ولما كان يخفى ما بداخله وجلد المذبة يخفيها شبهها به من هذه الجهة والمذبة من خصائصها أنها تستعمل في طرد الذباب وشبهه عن القدور والطعام فهي تدور في الدور حول القدور، ويزهى: يعجب- بالبناء للمجهول فيهما- لأنهما لم يستعملا على صيغة المبني للفاعل وأراد من اللحية الخوص.

(٢) هذا لغز آخر في السراج وقد شبهه بالحوت في أن كلا منها لا يعيش إلا في السائل: الحوت في البحر، وهذا في المسرجة، ومخطف الخصور: نحيلها، واعتم لبس العمامة وعمامة السراج هي النور كما ذكر، وأبوه حجر أي الذي أخرج مادته وهي الزيت حجر المعصرة، وأمه ذكر أي أنه يتربى بين أحضان ذكر وهو القنديل لأن يعبر عنه بضمير المذكر وله في الملبوس الحريق وهو أشد مما يعمل السوس، ينمى إلى الصعود: أي أنه دائم الارتفاع لا ينخفض فكأنه منسوب إليه.

(٣) أبو مرة: كنية إبليس، والهاجس: أصله الخاطر الذي يخطر في القلب وأريد به في مثل هذه العبارات ما يلقيه على لسان الشاعر رقية من الجن، وقد تقدم الإلماع إلى هاجس بعض الشعراء في المقامة الأسودية وأن العرب كانت تعتقد أن لكل واحد منهم رئيا من الجن يملي عليه قصائده قالوا: وهاجس امرئ القيس لافظ بن لاحظ. وحدث رجل من أهل الشام أنه خرج في طلب لقاح له على فحل كأنه فدن يسبق الريح حتى رفعه إلى خيمة في فنائها شيخ كبير. قال: فسلمت فلم يرد على. فقال: من أين وإلى أين؟. قال: فاستحمقته إذ بخل برد السلام وأسرع إلى السؤال فقلت: من ههنا (وأشرت إلى خلفي) وإلى ههنا (وأشرت إلى أمامي). فقال: أما من ههنا فنعم وأما إلى ههنا فو الله ما أراك تبهج بذلك إلا أن يسهل عليك مداراة من ترد عليه!! قلت: وكيف ذلك أيها الشيخ؟ قال: لأن الشكل غير شكلك، والزي غير زيك. فضرب قلبي أنه من الجن وقلت: أترون من أشعار العرب شيئا؟ قال: نعم وأقول. قلت فأنشدني- كالمستهزئ به- فأنشدني قول أمرئ القيس:

قَالَ عِيسى بْنُ هِشَامٍ: ثُمَّ غابَ وَلَمْ أرَهُ. وَمَضَيْتُ لَوجهِي فَلقِيتُ رَجُلاً في يَدِهِ

قفانبك من ذكري حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فلما فرغ قلت لو أن امرأ القيس ينشر لردعك عن هذا الكلام. فقال: ماذا تقول؟ قلت: هذا لامرئ القيس. قال: لست أول من كفر نعمة أسداها. قلت: ألا تستحي أيها الشيخ. ألمثل امرئ القيس يقال هذا؟ قال: أنا- والله- منحته ما أعجبك منه! قلت: فما اسمك؟ قال: لافظ بن لاحظ. فقلت: اسمان منكران. قال: أجل. فاستحمقت نفسي له بعد ما استحمقته لها وقد عرفت أنه من الجن، وذكروا أن هاجس الأعشى اسمه مسحل بن أثاثة ويروون عن الأعشى أنه قال: خرجت أريد قيس بن معد يكرب بحضرموت فضللت في أوائل أرض اليمن لأنى لم أكن سلكت ذلك من قبل فأصابني مطر فرميت ببصري أطلب مكانا ألجأ إليه فوقعت عيني على خباء من شعر فقصدت نحوه وإذا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه فرد على السلام وأدخل ناقتي خباء آخر كان بجانب البيت فحططت رحلي وجلست فقال: من أنت، وأين تقصد؟ قلت: أنا الأعشي أقصد قيس بن معديكرب. فقال: حياك الله أظنك امتدحته بشعر. قلت: نعم. قال: فأنشدنيه. فابتدأت مطلع القصيدة:

رحلت سمية غدوة أجمالها غضبا عليك فما تقول بدالها؟

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال: حسبك، أهذه القصيدة لك؟ قلت: نعم، قال: من سمية التي نسبت بها؟ قلت: لا أعرفها وإنما هو اسم ألقي في روعي. فنادى: يا سمية أخرجي وإذا جارية خماسية قد خرجت فوقفت وقالت: ما تريد يا أبت؟ قال: انشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معديكرب ونسبت بك في أولها فاندفعت تنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفا فلما أتمتها قال: انصرفي ثم قال: هل قلت شيئا غير ذلك؟ قلت: نعم، كان بيني وبين ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر يكنى أبا ثابت ما يكون بين بني العم فهجاني وهجوته فأفحمته. قال: ماذا قلت فيه؟ قلت: (ودع هريرة أن الركب مرتحل) فلما أنشدته البيت الأول قال: حسبك، من هريرة هذه التي نسبت فيها؟ قلت: لا أعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها فنادى: يا هريرة. فإذا جارية قريبة السن من الأولى خرجت فقال: انشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخرم منها حرفا فسقطت في يدي وتحيرت وتغشتني رعدة فلما رأى ما نزل بي قال: ليفرخ روعك أبا بصير أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذي ألقى على لسانك الشعر فسكنت نفسي ورجعت إلى وسكن المطر فدلني على الطريق وأراني سمت مقصدي وقال: لا تعج يمينا ولا شمالا حتى تقع ببلاد قيس.

وروي عن جرير بن عبد الله البجلي الصحابي رضي الله عنه أنه قال: سافرت في الجاهلية فأقبلت ليلة على بعير أريد أن أسقيه فلما قربته من الماء تأخر فعقلته ودنوت من الماء فإذا قوم مشوهون عند الماء فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشد تشويها منهم فقالوا: هذا شاعر،

مِذَبَّةٌ. فقُلتُ: هذَا وَاللهِ صَاحِبي. وَقلتُ لهُ مَا سَمِعتُ مِنْهُ فَناوَلَني مِسْرَجةً وَأوْماً إلِي غَارٍ في الْجَبَل مُظْلم فقالَ: دُونَكَ الْغارَ[١] وَمَعكَ النَّار.

(قالَ) فَدَخَلْتُهُ فإِذَا أنا بِإِبلي قَدْ أخَذَتْ سَمْتها. فَلَويْتُ وَجُوهَها وَرَدَدْتُها. وَبيْنا أنا في تِلْكَ الْحَالةِ في الْغِياض أدُبُّ الْخمرَ[٢]. إذْ بأَبِي الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ تَلقَّاني

ثم قالوا: يا أبا فلان أنشد هذا فإنه ضيف فأنشد:

ودع هريرة أن الركب مرتحل

فوالله ما خرم منها بيتا حتى أتى على آخرها فقلت: من يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا أقولها. قلت: لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى قيس بن ثعلبة أنشدنيها عام أول بنجران. قال: إنك صادق، أنا الذي ألقيتها على لسانه وأنا مسحل بن أثاثة، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون ابن قيس. . قالوا: واسم هاجس النابغة هاذر وفي حديث الرجل الشامي المتقدم في قصة امرئ القيس أنه سأل لافظا من أشعر العرب؟ فأنشأ يقول:

ذهب ابن حجر بالقريض وقوله ... ولقد أجاد فما يعاب زياد
لله هاذر إذ يجود بقوله ... إن ابن ماهر بعدها لجواد

فسأله الشامي: من هاذر؟ قال: صاحب زياد الذبياني وهو أشعر الجن وأضنهم بشعره فالعجب له كيف سلسل لأخي ذبيان، ولقد علم بنية لي قصيدة له من فيه إلى أذنها ثم صرخ بها: أخرجي فدي لك من ولدت حواء فقلت له: ما أنصفت أيها الشيخ فقال: ما قلت بأسا. ثم رجعت إلى نفسي فعرفت ما أراد فسكت ثم أنشدتني الجارية:

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فبانت والفؤاد بها حزين

حتى أتت على قوله منها:

فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

فقال: لو كان رأي قوم نوح فيه كرأي هاذر ما أصابهم الغرق، وما نظن ذلك إلا حديث خرافة وإلا فكيف كان زهير بن أبى سلمى المزني وهو واحد الشعراء ديباجة وحسن وضع وحكمة يظل في تنقيح قصيدته عاما وعلماء الأدب مجمعون على تسمية أربع منها حوليات. أنا نعجب لذلك ونستبعده ولا يسعنا إلا أن نقول ليست هذه أولى خرافات العرب في جاهليتهم والعجيب الأغرب من هذا أن يتناقل كبار الأدباء ذلك الكلام من غير تعليق عليه ولا إشارة إلى أبطاله.

(١) أصل دونك اسم فعل بمعنى خذ ولعله أراد خذ في السير إلى طريقه.

(٢) الغياض: جمع غيضة وهي مجتمع الأشجار، وأدب الخمر: أي أمشى مشية المحاذر الذي يخدع الناظرين إليه فهو يخشى أن يشعر به أحد.

بِالسَّلامَ. فَقلتُ: ما حَدَاكَ وَيْحكَ إلى هذَا المَقامِ[١]؟

قالَ: جَوْرُ الأَيَّامِ. في الأَحْكامِ. وَعَدَمُ الْكِرَامِ. مِنَ الأَنامِ[٢].

قلتُ: فاحْكُمْ حُكْمكَ يا أبا الْفَتْحِ. فقالَ: احْملْني على قعُودٍ[٣]. وَأَرِقْ لي مَاءٍ في عُودٍ[٤] فقلتُ: لَكَ ذَلِكَ. فأَنْشأَ يَقُولُ:

نَفْسي فِداءُ مُحَكِّمٍ كَلَّفْتُهُ شَطَطًا فَاسْجَحْ[٥]

ما حكَّ لُحيَتَهُ ولا مَسَحَ المَخاطَ ولا تَنَخْنَخْ[٦]

ثمَّ أَخْبَرْتُهُ بِخَبرِ الشَّيْخِ. فأَوْمأَ إلى عِمامَتِهِ وَقالَ: هذِهِ ثَمَرةُ بِرِّهِ. فَقلتُ: يا أَبَا الفَتْحِ شَحَذْتَ عَلَى إبلِيس إنَّكَ لَشَحّاذٌ!!

---

(١) أي ما الذي ساقك إلى ذلك المكان.

(٢) جور الأيام ظلمها وعدم إعطائها كل ذي حق حقه فهي تشبه القاضي إذا مال ولم ينصف، وزادني قلقا واضطرابا أنني لم أجد بين الناس كريما أدفع به المسغبة.

(٣) أي أعطني جملا أركبه.

(٤) أراد امنحني ناقة احتلبها وأشرب لبنها.

(٥) الشطط. مجاوزة الحد، واسجح: معناه أنصف وسمح وأحسن، ومنه قول عائشة لعلي رضي الله عنهما. ملكت فأسجح أي قدرت فسهل وأحسن العفو وهو مثل سائر، والمعنى أنه يفديه بنفسه لأنه بذل له ما يجاوز الحد وما يمنعه منه كثير.

(٦) أي لم يتلكأ بل أجابني من فوره، وأصل هذا ما ذكره أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في وصف الخطباء باللكنة، والعي، والحصر، واحتباس القول، والتمتمة، وهم يستترون بالنحنحة ونحوها إخفاء لعوارهم وسترا لعيوبهم وقال بشر بن معمر في نحو ذلك:

ومن الكبائر مقول متتعتع جم التنحنح متعب ميهور

وذلك أنه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان يخطب. وقال الأشل الأزرقي من بعض أخوال عمران بن حطان الصفر القعدي- في زيد بن جندب الأيادي خطيب الأزارقة واجتمعا في بعض المحافل فقال بعد ذلك الأشل:

نحنح زيد وسعل لما رأى وقع الأسل

ويل أمه إذا ارتجل ثم أطال واحتفل

المقامة الأرمنية

حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ:

لمَّا قَفَلْنا مِنْ تِجارَةِ إرْمِينِيَةَ أهْدَتْنا الْفَلاةُ إلى أطْفالِها[١]. وَعثَرْنا بِهِم في أذْيالِها. وَأنا خُونا بِأَرْضِ نَعامَةٍ[٢]. حَتَّى اسْتَنْظَفُوا حقائِبَنا. وَأزاحُوا رَكائِبَنا[٣]. وَبَقِينا بَياضَ الْيَوْمِ. في أيْدِي الْقَوْمِ. قَدْ نَظَمَنا الْقِدُّ أحْزابًا. وَرُبِطَتْ خُيُولُنا اغْتِصابًا[٤]. حَتَّى أرْدَفَ اللَّيْلُ أذْنابَهُ. وَمَدَّ النَّجْمُ أطْنابَهُ. ثُمَّ انْتَحَوا عَجُزَ الْفَلاةِ وَأخَذْنا صَدْرَهَا. وَهَلَّم جَرًّا[٥]. حَتَّى طَلَعَ حُسْنُ الْفَجْرِ مِنْ نِقابِ الْحِشْمَةِ. وَانْتُضِيَ سَيْفُ

---

(١) الفلاة: الصحراء والأرض الواسعة التي لا شجر بها ولا نبات، وأطفالها اللصوص وقطاع الطريق سموا بذلك لطول إقامتهم بها وعدم مبارحتهم إياها كما سمى المحاويج والفقراء بني غبراء في نحو قول طرفة:

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد

وإرمينية (بكسر أوله وتخفيف الياء الثانية أو تشديدها): كورة بالروم أو أربعة أقاليم أو أربع كور متصل بعضها ببعض يقال لكل كورة منها أرمينية والنسبة إليها أرمنى بالفتح.

(٢) عثر: كبا وكأنه جعلهم حجرا يعثرون بسببه لشدة ما نالهم منهم قال الأستاذ الإمام ومعنى أرض نعامة. مفازة ونقول: أنه لا يبعد أن يكون قد أراد بإضافة الأرض إلى النعامة جعلها سببا في جبنهم لشدة عدوهم وقلة غنائهم وضعفهم في قتالهم من قولهم أجبن من نعامة ومثل قول الشاعر: أسد على وفي الحروب نعامة

(٣) الحقائب جمع حقيبة وهي وعاء الثياب واستنظفوها أخذوا كل ما فيها والركائب المطايا وأراحوها أخذوا ما عليها.

(٤) أي أننا مازلنا عامة النهار تحت إمرتهم خاضعين لأحكامهم لأنهم أوثقونا بالقد وهو سير من جلد تشد به الأساري وربطوا خيولنا قهرا.

(٥) أردف الليل إعجازه استتبعها وجعل بعضها يتلو بعضا وهو كناية عن اشتداد الظلمة واحتباك الغسق قال امرؤ القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازًا وناء بكلكل

والأطناب: جمع طنب وأصله الحبل الذي تشد به الخيمة وأراد منه هنا خيوط النور المنبعثة من النجوم وأشعتها، وانتحوا: قصدوا ويمموا والمراد أنهم ساروا إلى جهة غير الجهة التي سلكها =

الصُّبْح مِنْ قِرَابِ الظُّلْمَةِ[١]. فَمَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ إلاَّ عَلى الأَشْعارِ وَالأَبْشارِ[٢]. وَما زِلْنا بالأَهْوَالِ نَدْرَأُ حُجُبَهَا. وَبِالْفلوَاتِ نَقْطَعُ نَجَبَهَا. حَتَّى حَلَلنا الْمَرَاغَةَ[٣] وَكُلٌّ مِنَّا انْتَظَمَ إلى رَفِيقٍ. وَأَخَذَ فِي طَرِيقٍ[٤]. وَانْضَمَّ إلَىَّ شَابٌّ يَعْلوهُ

= هؤلاء، وهلم جرا: كلمة اختلف في عربيتها وتفسيرها. قال في القاموس: هلم بمعنى تعال وهو مركب من ها التنبيه ومن: (لم) أي ضم نفسك إلينا ثم استعمل استعمال البسيط يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين، وسبقه إلى ذكره صاحب الصحاح وتبعه الصنعاني فقالا: لا تقول كان ذلك عام كذا وهلم جرا إلى اليوم: ولا يخفي عدم جريان ما قاله في القاموس في مثل هذا. وتوقف الجمال ابن هشام في كون هذا التركيب عربيا محضا وساق وجوه توقفه في رسالة له وأجاب عن ذكره في الصحاح ونحوه وذكر ما للعلماء في إعرابه وبيان معناه ثم قال: فلنذكر ما ظهر لنا في توجيه هذا المقال بتقدير كونه عربيا فنقول: هلم هذه هي القاصرة التي بمعنى ائت وتعال ألا أن فيها تجوزين أحدهما أنه ليس المراد بالأتيان هنا المجئ الحسي بل الاستمرار على شيء، والمداومة عليه كما تقول: امش على هذا الأمر، وسر على هذا المنوال ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ المراد بالانطلاق ليس الذهاب الحسي بل انطلاق الألسنة بالكلام ولهذا أعربوا أن تفسيرية وهي إنما تأتي بعد جملة فيها معنى القول كقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ والمراد بالمشي ليس المشي على الأقدام بل الاستمرار والدوام أي دوموا على عبادة أصنامكم واحبسوا أنفسكم على ذلك، والثاني أنه ليس المراد الطلب حقيقة وإنما المراد الخبر وعبر عنه بصيغة الطلب كما في قوله تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾. وجرا: مصدر جره يجره إذا سحبه ولكن ليس المراد الجر الحسي بل المراد التعميم كما استعمل السحب بهذا المعنى ألا ترى أنه يقال: هذا الحكم منسحب على كذا أي شامل له فإذا قيل. كان ذلك عام كذا وهلم جرا فكأنه قيل. واستمر ذلك في بقية الأعوام استمرارا وذلك جار في جميع الصور وهذا هو الذي يفهمه الناس من هذا الكلام: وبهذا التأويل ارتفع إشكال العطف فإن هلم حينئذ خبر وإشكال التزام أفراد الضمير إذ فاعل هلم هذه مفرد أبدا كما تقول واستمر ذلك أو استمر الذي ذكرته.

(١) شبه بزوغ النور وانحسار الظلمة عنه بالجمال الرائع الذي يطلع من تحت النقاب أو بالسيف الذي يستل من غمده.

(٢) أي لم يكن عليهم ما يسترون به غير أشعارهم وبشرتهم وهي جلدة الجسم.

(٣) ندرأ: ندفع ونمنع، والنجب في الأصل لحاء الشجر وقشره، والمعنى أنهم استمروا في مدافعة الأهوال والارتطام بعباب المخاوف يقطعون الصحراء دائبين حتى وصلوا المراغة وهي بلد بأذربيجان شرقي بحيرة أرمنية.

(٤) أي أنهم تقسموا في سيرهم فمضى كل اثنين معا وأخذا طريقا غير طريق الباقين.

صَغارٌ. وَتَعْلوهُ أَطْمارٌ[١]. يُكَنيّ أبا الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ وَسِرْنَا في طَلَبِ أبى جَابِرٍ[٢] فَوَجَدْناهُ يَطْلُعُ مِنْ ذَاتِ لَظًى تُسْجَرُ بِالْغَضا[٣]. فَعَمَدَ الإِسْكَنْدَرِيُّ إلى رَجُلٍ فَاسْتماحَهُ كَفَّ مِلْحٍ وَقالَ لِلْخَبَّازِ: أعِرْني رَأْسَ التَّنُّورِ. فإني مَقْرُورٌ[٤]. وَلمَّا فَرَعَ سَنامَهُ جَعَلَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ بحالِهِ. وَيُخْبِرُهم باخْتِلالَهِ[٥]. وَيَنشُرُ الْمِلْحَ في التَّنُّورِ مِنْ تَحْتَ أذْيالِهِ يُوهِمُهُمْ أنَّ أذَى بِثِيابِهِ. فَقالَ الْخَبَّازُ: مالَكَ لا أبا لَكَ؟! إجْمَعْ أذْيالَكَ فقَدْ أفْسَدْتَ الْخُبزَ عَلَيْنا. وَقامَ إلى الرُّغْفانِ فَرَماهَا وَجَعَلَ الإِسْكِنْدَرِيُّ يَلقُطُها. وَيَتَأَبَّطُها[٦].

فأَعْجَبَتْني حِيلَتُهُ فِيما فَعَلَ. وَقالَ: اصْبرْ عَليَّ حَتَّى أحْتالَ على الأُدْمِ[٧]. فَلاَ

---

(١) صغار بالغين المعجمة كما في النسخة الأمامية وهو الهوان والذل ويروي صفار بضم أوله وبالفاء وهو الجوع والصفرة الجوعة ويقال للجائع مصفور ومصفر بوزن معظم وهذه الرواية أحسن والأطمار الثياب البالية.

(٢) كنية الخبز.

(٣) ذات لظا: هي النار، وتسجر توقد والغضا شجر إذا احترق دامت ناره طويلا واشتدت.

(٤) استماحه: طلب منه. والتنور الكانون يخبز فيه ورأسه فتحة في أعلاه والمقرور الذي أصابه القر وهو البرد.

(٥) فرع سنامه: صعد فجلس قريبا من رأسه والمعنى: أنهم بعد أن وصلوا المراغة وساروا مثنى وكان من حظ عيسى أن رافقه أبو الفتح كان أول همهم البحث في طلب ما يسدان به جوعهما ويدفعان آلامه ويردان شدته ففكر أبو الفتح في حيلة يصل بها إلى مطلبهما بدون كبير عناء ومن غير أن يتجشما لذلك ما لا فنظر غير بعيد إلى تنور قد أوقد ورغفان الخبز تخرج منه فعمد إلى رجل طلب منه قبضة من الملح وذهب إلى الخباز فرجاه أن يسمح له بالدفء فوق التنور شاكيًا له ما لقيه من البرد فأذنه وحين جلس على رأس التنور جعل يحدث الناس بما لقيه من أذى الدهر ومحنته.

(٦) المعنى أنه حينما جلس رفع ثوبه ليدفئ جسده ثم كان يخلس الخباز ويقذف في التنور قبضة من الملح فتسمع لها فرقعة فتوهم التنار أن بجسمه قملا فهو يتساقط إلى التنور وهذه أصوات احتراقه وخشي أن يكون قد علق بالخبز شيء منه فرمى به وانتهزها أبو الفتح فرصة يرد بها كيد الجوع فكان يأخذه ويضعه تحت إبطه.

(٧) مأخوذ من قول لبيد بن ربيعة:

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه إن استه من برص ملمعه =

حِيلَةَ مَعَ الْعُدْمِ[١]. وَصارَ إلى رَجُلٍ قَدْ صَفَّفَ أوَاني نَظِيفَةً فِيها أَلْوَانُ الأَلْبانِ. فَسأَلَهُ عنِ الأَثْمانِ. وَاسْتأْذَنَ في الذَّوْقِ. فقالَ: افْعَلْ. فأَدَارَ في الآنِيَةِ إِصْبَعَهُ. كأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيَّعَهُ[٢].

ثُمَّ قالَ: لَيْسَ مَعِي ثَمَنُهُ. وَهَلْ لَكَ رَغْبَةٌ في الْحِجامَةِ؟ فَقالَ: قَبَّحَكَ اللهُ! أَنْتَ حَجامٌ؟ قالَ: نَعَمْ. فَعَمَدَ لأَعْرَاضِهِ يَسُبُّها[٣]. وَإلى الآنِيَةِ يَصُبُّها. فقالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: آثِرني على الشَّيْطانِ[٤]. فقالَ: خُذْها لا بُورِكَ لَكَ فِيها. فأَخَذَها وَأَوَيْنا إلى خَلْوَةٍ[٥]. وأكلْناها بِدُفْعَةٍ[٦]. وَسِرْنا حَتَّى أَتَيْنا قَرْيَةً اسْتَطْعَمْنا أَهْلَها[٧]. فَبادَرَ مِنْ بَيْنِ الْجَماعَةِ فَتًى إلى مَنزِلِهِ فَجاءَنا بِصَحْفَةٍ قَدْ سَدَّ اللَّبَنُ أَنْفَسَها. حَتَّى بَلَغَ رَأْسَها[٨]. فَجَعَلْنا نَتَحَسَّاها[٩]. حَتَّى اسْتَوْفَيْناها. وَسأَلْناهمْ الْخُبزَ إلاَّ بِالثَمنِ[١٠]؟

وأنه يدخل فيها أصبعه ... يدخله حتى يواري أشجعه
كأنما يطلب شيئًا ضيعه

(١) الأدم- بوزن قفل- ومثله الأدم- بكسر أوله-: ما يؤكل مع الخبز أي شيء كان، وآدمته- بالمد، وبالقصر، وبالتشديد-: جعلت فيه أداما.

(٢) الحيلة: الاحتيال، ولا نرى المعنى يصلح على هذا إذ كيف يقول إنهما سيحتالان في طلب الأدم ثم يقول إن المعدم لا احتيال له. لكن يمكن أن يراد من الحيلة الحول وهو: الحركة، والقوة، والدفع، والمنع والعدم: الفقر، والإملاق، والمعنى: تعال بنا نطلب الأدم بالاحتيال فإنه لا قوة لامرئ تربت يده واقفر جرابه ونضب معينه وإنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أو يمنع دونها.

(٣) أعراض: جمع عرض بكسر أوله والمعنى أنه بعد أن عرف أنه حلاق وقد أدار في الآنية أصابعه تقذر وعافت نفسه ما فيها فأوسعه سبا وقصد أن يريق اللبن.

(٤) أي بدلاً من أن تريقها فتذهب هباء ولا ينتفع بها أحد أعطنيها.

(٥) أوينا إلى خلوة: ملنا إليها. (٦) بدفعة أي بتدافع وشدة.

(٧) أي طلبنا منهم أن يطعمونا.

(٨) الصحفة وعاء يوضع فيه اللبن وهو معروف بهذا الاسم عند المصريين ومعنى كون اللبن قد سد أنفاسها أنها ممتلئة.

(٩) حسا يحسو وتحسى أيضا: شرب جرعة بعد جرعة.

(١٠) المعنى: أن الخبز أقل قيمة من اللبن وأزهد ثمنا فما الذي حداكم لأن تجودوا بالشيء الرفيع =

فقَالَ الْغُلامُ: كانَ هذَا اللَّبنُ في غَضارَةٍ. قَدْ وَقَعَتْ فِيهِ فَارَةٌ. فَنَحْنُ نَتَصَدَّقُ بِهِ عَلى السَّيَّارَةِ[١]. فقالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: إِنَّا للّهِ. وَأَخَذَ الْصَّحْفَةَ فَكَسَرَها. فَصاحَ الْغُلامُ: وَاحَرَبَاهُ[٢]، وَامَحْرُوباهُ. فاقْشَعَرَّتْ مِنَّا الْجِلدَةُ. وانْقَلَبَتْ عَلَيْنا المَعِدَةُ[٣]. وَنَفَضْنا ما كُنا أكلْناهُ[٤]. وَقُلْتُ: هذَا جَزَاءُ ما بِالأَمْسِ فَعلْناهُ.

وَأَنْشأَ أَبُو الْفَتْحِ الإِسكَنْدَرِي يَقُولُ:

يَا نَفْسُ لاَ تَتَغَثَّى
فَالشَّهْمُ لاَ يَتَغَثَّا
مَنْ يَصْحَبِ الدَّهْرَ يأْكُلْ
فِيهِ سَمِينًا وَغَثَّا
فَالْبَسْ لِدَهْرٍ جَدِيدًا
وَالْبَسْ لآخَرَ رَثَّا[٥]

= القدر السنى القيمة في حين أنكم تمنعوننا المرتخص الذي لا قدر له ولا يساوم فيه بجانب ما تمنحون؟

(١) الغضارة: القصعة العظيمة، والسيارة: الجماعة السائرون.

(٢) واحرباه: كلمة تألم مأخوذة من الحرب بالتحريك وهو استلاب المال.

(٣) الجلدة: بشرة الجسم الظاهر والمراد قشعريرة البدن. والقشعريرة: انتفاض الجسم وإنما تكون إذا أصاب الإنسان خوف أو وجل والجملة كناية عن ذلك لأنهم خافوا عاقبة أكلهم وظنوا أن الأمر سيشتد بهم ويهلك أبدانهم، وانقلاب المعدة: كناية عن المرض وظهور أعراض التأذي عليهم، والمعنى أنهما أحسا بطروء المرض عليهما ونزوله بساحتهما.

(٤) نفضنا: طرحنا، ورمينا، والمراد الكناية عن أنهما استقاءا ما تناولاه من الأكل فرارا من نزول المرض بهما.

(٥) التغثى: اندفاع النفس إلى القيء، والمعنى: أيتها النفس اسكني واستقري في مكانك ولا يذرعك القيء فهذه عادة الدهر يتقلب دائما ولابد لمن صحبه أن يجد في تصاريفه عجبا وخليق بمن يسايره أن يكون مثله فيرتدي رداء التقلب أيضا.

المقامة الناجمية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: بِتُّ ذاتَ لَيلَةٍ في كَتِيبَةٍ[١] فَضْلٍ مِنْ رُفَقائي فَتَذاكَرْنا الْفَصاحَةَ. وَما وَدَعْنا الْحَدِيثَ حَتَّى قُرِعَ عَلَيْنا الْبابُ[٢]. فَقُلْتُ: مَنِ الْمُنْتابُ[٣]؟ فقالَ: وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ. وَفَلُّ الجُوعِ وطَرِيدُهُ[٤]. وَغَرِيبٌ نِضْوُهُ طَلِيحٌ. وَعَيْشُهُ تَبرِيحٌ. وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهامِهُ فِيحٌ[٥]. وَضَيْفٌ ظِلُّهُ خَفِيفٌ. وَضالَّتُهُ رَغِيف. فَهَلْ مِنْكُمْ مُضِيفٌ[٦]؟ فَتَبادَرْنا إلى فَتْحِ الْبابِ وَأَنَخْنا رَاحِلَتَهُ. وَجَمَعْنا رُحْلَتَهُ[٧]. وَقُلْنا: دارَكَ أَتَيْتَ. وَأَهْلَكَ وَافَيْتَ. وَهَلُمَّ الْبَيْتَ. وَضَحِكْنا إلَيْهِ. وَرَحَّبْنا بِهِ. وَأَرَيْناهُ ضالَّتَهُ[٨].

---

(١) الكتيبة في الأصل: الجيش أو الجماعة المغيرة من الخيل إذا بلغت مائة حتى تكون ألفا، والمراد هنا منها مطلق الجماعة.

(٢) ودع بوزن وضع وبالتضعيف بمعنى: ترك، وقرع الباب: طرق، والمعنى: أننا جلسنا نتسامر والحديث ذو شجون فتحدثنا عن الفصاحة وقال كل منا ما حضره ونفض جملة الذي عنده ثم انتقلنا إلى حديث آخر ولكنا لم نكد نبدأه ونترك موضوعنا الأول حتى طرق علينا الباب.

(٣) يقال: انتاب فلان فلانا إذا أتاه المرة بعد الأخرى ولم يزل يعاوده وكأنهم سموه بذلك لأنه طرقهم بعد أن طرق كثيرا من المنازل فاعتبروا متابعته طرق الأبواب تتابعا عليهم ولا يبعد أن يكون قد أراد منه مطلق الطارق.

(٤) الوفد: الجماعة الواردون للانتجاع ونحوه وكأنه جعل الليل لصعوبة الكد فيه حاملا له على الوفادة، وبريده: رسوله ويقال منه: أبرد له إذا أرسل إليه، والفل: المنهزم ويقال: سيف مفلول إذا كان به كلال.

(٥) النضو: البعير المهزول، والطليح الذي زاد به التعب، والتبريح: الشدة والجهد، والمهامه: الصحاري، وفيح: أي واسعة.

(٦) ظله خفيف: أي لا يكلفكم مشقة، والضالة أصله المفقود الذي يطلبه صاحبه وأراد أن أمنيته سد جوعه.

(٧) الرحلة بضم أوله: الوجوه التي تقصدها بارتحالك ومعنى جمعها تهيئتها في أمر واحد.

(٨) أي طمأناه بإظهار مرغوبه.

وَسَاعَدْناهُ حَتَّى شَبِعَ. وَحادثْناهُ حَتَّى أنِسَ[١]. وقُلْنا: مَنِ الطَّالعُ بمَشْرِقِهِ، الْفاتِنُ بمَنْطِقِهِ[٢]؟؟ فقالَ: لا يَعْرِفُ الْعُودَ كالْعَاجِم. وَأنا المعْرُوفُ بِالْنَّاجِم[٣] عَاشَرْتُ الدَّهْرَ لأخْبُرَهُ. فَعَصَرْتُ أعْصُرهُ. وَحَلبْتُ أشْطُرَهُ[٤]. وَجَرَّبْتُ النَّاسَ لأعْرِفَهُمْ. فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ غَثَّهُمْ وَسَمِينَهُمْ[٥]. وَالْغُرْبَةَ لأذُوقَهَا. فما لَمحَتْني أرْضٌ إلاَّ فَقأْتُ عَينها وَلا انْتَظَمَتْ رُفْقَةٌ إلا وَلَجْتُ بَيْنَهَا[٦]. فأنا في الشَّرْقِ أُذْكَرُ. وَفي الْغَرْبِ لا أُنْكَرُ. فَما مَلِكٌ إلاَّ وَطِئْتُ بِساطَهُ. وَلا خَطْبٌ إلاَّ خَرَقْتُ سِماطَهُ[٧]. وَمَا سَكَنَتْ حَرْبٌ إلا وَكُنْتُ فِيها سَفِيرًا. قَدْ جَرَّبَني الدَّهْرُ في زَمَنيْ رَخائِهِ وَبُؤْسِهِ. وَلَقِيَني بِوَجهَيْ بِشْرِهِ وَعُبُوسِهِ[٨].

---

(١) ساعدناه: أي أعددنا له ما أراد حتى امتلأ جوفه، وإذا كان للقادم دهشة فهو في حاجة للتحادث وجلب الأنس إليه بابتدائه بالكلام ولذلك فهم ما زالوا به يخاطبونه حتى خلع عذار الوحشة واطمأنت نفسه إليهم.

(٢) أي من ذلك الذي ظهر لنا كما يظهر الكوكب فاسترق ألبابنا بعذب حديثه واستولى على أفئدتنا بحسن بيانه.

(٣) عجم الود: عضه ليعرف أصلب هو أو لا وفي خطبة الحجاج حين قدم العراق (وأن أمير المؤمنين جمع كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أصلبها مكسرا فرماكم بي)، الناجم: الظاهر يريد أنه لا يخفى على أحد.

(٤) لأخبره: أي لأختبره وأعرفه، والأعصر: جمع عصر وهو الزمن أيا كان مقداره، والأشطر: أخلاف الناقة وقد جرى في كلامهم (حلبت الدهر أشطره) مجرى المثل يريدون عرفت حلوه ومره، غثه وسمينه خيره وشره، سعادته وشقاءه.

(٥) يريد أنه امتحن الناس بمصادقتهم وابتلاهم بالعشرة معهم ليتبين حالهم فأدركه وظهرت له حقائقهم.

(٦) أي أنه أراد أن يختبر الاغتراب والأسفار كما اختبر الناس فقطع الحزون والسهول وطوى البحار ولم تبق أرض إلا عرفها ولا جماعة من الخلان إلا دخل بينها وسار معها.

(٧) الخطب: الأمر الجسيم والكربة العظيمة، والسماط: جماعة الجيوش تتقدم الملك، والمعنى: أن له في كل نازلة يدا.

(٨) السفير: الرجل الذي يدخل بين المتنازعين ليصلح ذات بينهما ويجمع كلمتهما وكنى بذلك عن حذقه ولباقته إذ لا يقوي على السفارة غير الفطن اللبيب، والبشر: طلاقة المحيا والعبوس: انقباضه، =

فَما بُحْتُ لِبُوسِهِ. إلاَّ بَلَبُوسِهِ[١] :

وَإنْ كانَ صَرْفُ الدَّهرِ قِدْمَا أضرَّ بي ... وَحَمَّلَني مِنْ رَيْبِهِ ما يَحَمَّلُ

فقدْ جاء بالإحْسانِ حَيْثُ أحلَّني ... محلَّة صِدْقٍ لَيسَ عَنْها مُحَوَّلُ[٢]

قُلْنا: لا فُضَّ فُوكَ. وَللهِ أنْتَ وَأبُوكَ[٣]. مَا يَحْرُمُ السُّكُوتُ إلاَّ عَلَيْكَ، وَلا يَحِلُّ النُّطْقُ إلاَّ لَكَ. فَمنْ أيْنَ طَلَعْتَ وَأيْنَ تَغْرُبُ[٤]؟ وَما الَّذِي يَخدُو أمَلَكَ أمامَكَ. وَيَسُوقُ غَرَضَكَ قُدَّامَكَ؟؟[٥]. قالَ: أمَّا الْوَطَنَ فَاليَمنُ وَأمَّا الْوَطَرُ فالمَطَرُ، وَأمَّا السَّائِقُ فالضُّرُّ. وَالْعَيْشُ الْمُرُّ[٦]. قُلْنا: فَلوْ أقَمْتَ بِهذَا الْمَكانِ لَقاسَمْناكَ الْعُمْرَ فَما دُونَهُ وَلَصادَفْتَ مِنَ الأَمْطارِ ما يُزْرَعُ. وَمِنَ الأنْواءِ ما يُكْرَعُ قالَ: ما أخْتَارُ عَلَيْكُمْ صَحْبًا. وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِناءَكُمْ رَحْبًا. وَلكِنْ أمْطارُكُمْ ماءٌ وَالْماءُ لا يُرْوِي الْعِطاشَ[٧].

= والمعنى: أنه عاشر الدهر في كلا الحالين من الفرج والضيق وصاحبه في طريقيه عسره وميسرته.

(١) اللبوس: اللباس، والمعنى: أنه لبس لكل حالة لباسها وتقدم لكل عصر بما يليق به وأخذ أهبته في كل آونة بما يناسبها.

(٢) صرف الدهر، خطوبه ونوازله، وريبه كذلك ومعنى البيتين أني أغتفر للدهر ذنوبه الماضية وأنسى قديم إساءته بما أولانيه من نعمة حاضرة وسعادة شاملة.

(٣) لا فض فوك أي لا أخلى الله فمك من حليته وهي الأسنان ولما كان يتوقف على الأسنان حفظ الحروف وكان الثرم مضيعة لكثير من الكلمات جعلوا هذه الكلمة دعاء لمن يستجيدون نطقه ويستملحون لفظه.

(٤) أي من أين أقبلت وإلى أين أنت ذاهب.

(٥) المعنى أي مقصود لك في سيرك وأي علة تحثك على إدمان السفر ومتابعة الجولان.

(٦) الوطر القصد، والمطر المراد منه العطاء وقد أجاب على أسئلتهم كلها على الترتيب، والمعنى أن محل إقامتي الذي أقبلت منه هو اليمن والمقصد الذي من أجله أجوب الطرقات هو طلب المال والسبب الذي يدفعني إلى ذلك هو الفقر والحياة الكريهة.

(٧) الأنواء: الأمطار الغزيرة ويكرع يشرب من مكانه بدون كوب، والفناء: الساحة أمام البيوت، والرحب المتسع، والمعنى أنهم ذكروا له استعدادهم لاستقباله ورضاهم عن إقامته بينهم متمدحين حالهم ليرغب فيها فأجاب بأنه رضيهم إخوانا واعتقد إنهم سيكونون عند شروطهم = وأقرهم على ما نعتوا به أنفسهم ولكنه لا يستطيع الإقامة بينهم ولا يجسر على التخلف عن السير

قُلْنا: فأَيُّ الأَمْطارِ يُرْوِيكَ؟ قالَ: مَطَرٌ خَلِفِيٌّ[١] وَأَنْشأَ يَقُولُ:

سِجِسْتانَ أَيَّتُها الرَّاحِلَهْ وَبَحْرًا يؤُمُّ الْمُنَى سَاحِلَهْ[٢]
سَتَقْصِدُ أَرْجانَ إِنْ زُرْتَها بِوَاحِدَةٍ مِائَةٍ كَامِلَهْ[٣]
وَفَضْلُ الأَمِيرِ عَلَى ابْنِ الْعَمِيدِ كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى بَاهِلَهْ[٤]

لأنهم إن أعطوه فإنما يعطونه طعاما وشرابا وهما لا يسدان حاجته ولا يقومان برغبته.

(١) أي إذا كان المرء لا يرويك وقد أخبرتنا أنك تقصد المطر فأي مطر تعني؟ فقال: المطر الخلفي أي المنسوب إلى خلف بن أحمد، وذلك مثل قول الشاعر (أو قريب منه):

ما نوال السحاب وقت غمام كنوال الأمير وقت عطاء
فنوال الأمير بدرة مال ونوال السحاب قطرة ماء

(٢) يؤم: يقصد. والمعنى سيري أيتها الراحلة نحو سجستان واجعليها جهتك واقصدي ذلك الأمير الذي تتوجه الرغبات إليه ويسعى نحوه ذوو الحاجات.

(٣) أرجان: بلدة من بلاد فارس بفتح الألف والراء مشددة وقد خففت لضرورة الشعر. ومعنى البيت أنك إذا وردت حضرة الأمير بأرجان فستنال أمانيك مضاعفة.

(٤) ابن العميد: هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسن العميد كاتب المشرق وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وهو فارسي الأصل من مدينة قم وكان أبوه كاتبا مترسلا بليغا من كبار كتاب الدولة السامانية وهي إحدى الدول التي استقلت استقلالا داخليا في أواسط الدولة العباسية. نشأ شغوفا بالعلوم العقلية واللسانية فبرع في الحكمة والنجوم ونبغ في الأدب والكتابة وقد قيل (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه وتقلد شريف الأعمال في دولتهم إلى أن تولى وزارة ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه والد عضد الدولة المشهور سنة ٣٢٨ فساس دولته ووطد أركانها وتشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء وكان يشاركهم في كل ما يعلمون إلا الفقه. وما زال في وزارته محط الرحال، وكعبة الآمال حتى توفى سنة ٣٦٠هـ. وكان ابن العميد أول من فتح باب الولوع بالرسائل البديعية متوخيا فيها السجع القصير الفقرات مقتبسا من القرآن بعض الآيات ومن السنة بعض الأحاديث المأثورة مشيرًا إلى الحوادث المشهورة ناثرا فيها الأبيات الحكمية موثرا بعض الحلية اللفظية كالجناس والمطابقة مضمنا الأمثال السائرة وحاكاه في طريقته هذه فحول معاصريه فأصبح عميد رفقتهم وضليع حلبتهم وكلهم كارع من حياضه قاطف من رياضه إن لم يكن بالاقتباس منه فبالمشاكهة له وإن كان هو أقلهم التزاما للمسجوع وأقربهم إلى المطبوع. . وورد عليه أبو الطيب المتنبي عند

قالَ عِيسَى بْنُ هِشامٍ:

= صدوره من حضرة كافور الأخشيدي فمدحه بتلك القصائد المشهورة السائرة التي منها:

من مبلغ الأعراب أني بعدهم ... شاهدت رسطاليس والأسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه ... متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما ... رد الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما ... وأتى فذلك إذا أتيت مؤخرا
بأبي وأمي ناطق في لفظه ... ثمن تباع به القلوب وتشتري
قطف الرجال القول وقت نباته ... وقطفت أنت القول لما نورا

ومن بديع رسائله ما كتب به إلى ابن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة وهي رسالة طريفة شيقة كما أنها غرة كلامه وواسطة عقده وهي مطولة جدًّا نذكر منها لمعًا. قال في أولها:

كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك، ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنك تدل بسابق حرمة، وتمت بسابق خدمة، أيسرهما يوجب رعاية، ويقتضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة، وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يحبط أعمالك، ويمحق كل ما يرعى لك، لا جرم إني وقفت بين ميل إليك، وميل عليك: أقدم رجلا لصدمك، وأؤخر أخرى عن قصدك، وأبسط يدا لاصطلامك، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ضنا بالنعمة عندك، ومنافسة في الصنيعة لديك وتأميلا لفيئتك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك، فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، وبضاع الرأي ثم يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو، وكل ضيقة إلى رخاء، وكل غمرة فإلى انجلاء، وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك، فلا بدع أن تأتي من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت، واخترت ما اخترت فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما وصفت، وسوء ما آثرت، وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح، وعلى الاستبقاء والمطاولة ما أمكن، طمعا في إنابتك، وتحكيما لحسن الظن بك، فلست أعدم فيما أظاهره من أعذار، وأرادفه من إنذار، احتجاجا عليك، واستدراجا لك.

ومنها:

وزعمت أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها، وحلبت شطريها، فنشدتك الله إلا صدقت عما سألتك: كيف وجدت ما زلت عنه؟ وكيف تجد ما صرت إليه؟ ألم تكن من الأول في ظل ظليل، ونسيم عليل، وريح بليل، وهواء عدي، وماء روي ومهاد وطى، وكن كنين، ومكان مكين، وحصن حصين، يقيك المتالف، ويؤمنك المخاوف، ويكنفك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدثان: عززت به بعد الذلة، وكثرت بعد القلة، وارتفعت بعد الضعة، وأيسرت بعد =

فَخَرَجَ وَوَدَّعْناهُ. وَأَقَمْنا بَعْدَهُ بُرْهَةً نَشْتَاقُهُ. وَيُؤْلِمنَا فِرَاقُهُ:

العسرة، وأثريت بعد المتربة، واتسعت بعد الضيقة، وظفرت بالولايات، وخفقت فوقك الرايات، ووطئ عقبك الرجال، وتعلقت بك الآمال، وصرت تكاثر ويكاثر بك، وتشير ويشار إليك، ويذكر على المنابر اسمك، وفي المحاضر ذكرك؟ ففيم الآن أنت من الأمر؟ وما العوض عما عددت والخلف مما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك، ونفضت منها كفك، وغمست في خلافها يدك؟ وما الذي أظلك بعد انحسار ظلها عنك؟ أظل ذو ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب؟! قل: نعم كذلك، فهو والله أكثف ظلالك في العاجلة، وأروحها في الآجلة: أن أقمت على المحايدة والعقود، ووقفت عن المشاقة والجحود.

ومنها:

تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستنكرها، والمس جسدك، وانظر هل يحس، واجسس عرقك هل ينبض، وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك، وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح، أو موت مريح، ثم قس غائب أمرك بشاهده، وآخر شأنك بأوله.

ومما سار من كلامه مسير الأمثال قوله:

متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى، وصفافيه شرب من اعتراض قذى خير القول ما أغناك جده، وألهاك هزله. الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرب، ولا تدرك إلا بتجشم كلفة وتصعب. المرء أشبه شيء بزمانه، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه. قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه؟ هل السيد إلا من تهابه إذا حضر، وتغتابه إذا أدبر؟

وله شعر رائع، يأخذ بالألباب ويأتسر النهي ومنه قوله:

قد ذبت غير حشاشة وذماء ... ما بين حر هوى وحر هواء
لا استفيق من الغرام ولا أرى ... خلوا من الأشجان والبرحاء
وصروف أيام أقمن قيامتي ... بنوى الخليط وفرقة القرناء
وجفاء خل كنت أحسب أنه ... عوني على السراء والضراء
ثبت العزيمة في العقوق ووده ... متنقل كتنقل الأفياء
ذي ملة يأتيك، اثبت عهده ... كالخط برقم في بسيط الماء
أبكى ويضحكه الفراق ولن ترى ... عجبا كحاضر ضحكه وبكائي

وقوله:

يا من تخلى وولى ... وصد عني ومللا
وأوسع العهد نكثا ... واتبع العقد حلا

فَبَيْنا نَحْنُ بِيَوْمٍ غَيْم في سِمْطِ الثُّرَيَّا جُلُوسٌ إِذِ المَرَاكِبُ تُساقُ وَالْجَنائِب تُقادُ[١] وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنا[٢].

فَقُلْنا: مَنِ الهَاجِمُ؟ فإِذَا شَيْخُنا النَّاجِمُ. يَرْفُلُ في نَيْلِ الْمُنَى. وَذَيْلِ الْغِنَى. فَقُمْنا إِلَيْهِ مُعانِقِينَ وَقُلْنا: ما وَرَاءَكَ يا عِصَامُ[٣].

فقالَ: جِمالٌ مُوقَرَةٌ[٤] وَبِغالٌ مُثْقَلَةٌ[٥]. وَحقائِبُ مقْفَلَةٌ[٦]. وَأَنْشأَ يَقُولُ:

ما كان عهدك إلا عهد الشبيبة ولى
أو طائفا من خيال ألم ثم تولى
أو عارضا لاح حتى إذا دنا فتدلى
الوت به نسمات من الصبا فتجلى
أهلا بما ترتضيه في كل حال وسهلا
ليجزينك ودي بمثل فعلك فعلا
إن شئت هجراً فهجرا أو شئت وصلا فوصلا
صبرت عني فانظر ظفرت بالصبر أم لا
أني إذا الخل ولى وليته ما تولى

وعنه أخذ الصاحب ابن عباد وتولى له كتابة خاصته. وتوفى سنة ٣٦٠هـ.

(١) الجنائب: جمع جنيبة، وهي الدابة التي يأخذها المسافر معه ليستريح إليها إذا تعبت راحلته.

(٢) أي طلع علينا بغتة.

(٣) ما وراءك يا عصام: مثل يضرب عند الاستفسار عن أمر مرغوب في معرفته، جهله السائل، وعرفه المخاطب، وعصام هو حاجب النعمان بن المنذر منع النابغة الذبياني من الدخول عليه وهو مريض فقال له النابغة:

ألم أقسم عليك لتخبرني أمحمول على النعش الهمام؟
فإني لا ألام على دخول ولكن ما وراءك يا عصام؟
فإن تهلك- أبا قابوس- يهلك ربيع الناس والبلد الحرام

(٤) الوقر: الحمل وأوقره: حمله والموقرة: المحملة.

(٥) مثقلة: أي جعل عليها متاع كثير.

(٦) الحقائب: جمع حقيبة، وهي الوعاء الذي يجعل فيه المسافر ثيابه وأمتعته، والمراد هنا مجرد الوعاء.

مَـوْلاي أيُّ رَذيـلـةٍ لـمْ يَـأْبَـهـا خَـلَـفٌ وَأيُّ فَـضِـيـلَـةٍ لَـمْ يَـأْتِـهـا[1]

(١) خلف بن أحمد: أحد الأمراء الذين انتجعهم البديع ومدحهم، وله فيه قصائد شيقة منها التي مطلعها:

لك الخير من طيف على النأي طارق ثوى ريثما ولي ولا لمع بارق
ألم بنا والليل في درع ثاكل لواحدها والنجم في لون عاشق
فثرنا إلى الأكوار والعيس نوم تؤم بنا أقصى بلاد المشارق
نهاجر دار العامرية والحمى إلى أرض غزلان الظبا والمناطق
خليلي واها لليالي وصرفها لقد ثقفت إلا كعوب خلائقي
ألم ترني بعد النهي وبلوغها رجعت لأوطار الشباب الفرانق
إذا سجع القمري راسلت لحنه بإيقاع دمع للغناء موافق

يقول فيها:

لعمري لئن من الوزير فإنما يمن على عبد بنعماه ناطق
إذا اقتنصت منه خراسان لفظة أماطت نساء العرب در المخانق
يلح على شوس القوافي وصيدها فيلسبها ماء المعاني الدقائق
أبعد وزير المشرقين أردها على ملك؟ ردت أذن في حمالقي

ومن قصائده فيه قوله:

سماء الدجى ما هذه الحدق النجل؟ أصدر الدجى حال، وجيد الضحى عطل؟
لك الله من عزم أجوب جيوبه كأني في أجفان عين الردى كحل
كأن الدجى نقع وفي الجو حومة كواكبها جند طوائرها رسل
كأن الربى سكري، ولا سكر بالقرى كان الربى ثكلى، وما بالربا ثكل
كأن السرى ساق كأن الكرى طلا كأنا لها شرب كأن المنى نقل
كأن بصدر العيس حقدا على الثرى فمن يدها خبط ومن رجلها نكل
كأن أبانا أودع الملك الذي قصدناه كنزا لم يسع رده مطل

يقول فيها:

يقولون: وافى حضرة الملك الذي له الكنف المأمول والنائل الجزل
فقيد له طرف، وحلت له حبي وخير له قصر، ودر له نزل
وفاضت عليه مطرة خلفية بها للغوادي عن ولايتها عزل =

ما يسمعُ العافينَ إلاّ هاكها لفظًا ولَيسَ يُجابُ إلاّ هاتِها[١]
إنَّ المكارمَ أسفرتْ عنْ أوْجُهٍ بيضٍ وكانَ الخالُ في وجناتها[٢]
بأبى شمائلهُ الّتي تجلو العُلا ويدًا ترى البركاتِ في حركاتها
منْ عدَّها حسناتِ دهرٍ إنّني ممَّنْ يعُدُّ الدَّهرَ منْ حسناتها[٣]

قالَ عِيسى بْنُ هِشام: فسألْنا اللهَ بَقاءَهُ. وَأنْ يَرْزُقَنا لِقاءَهُ. وَأقامَ النَّاجِمُ أيّامًا مُقْتصِرًا مِنْ لِسانِهِ. عَلَيَّ شُكْرِ إحْسانِهِ. وَلا يَتَصَرَّفُ مِنْ كَلامِه. إلا فِي مَدْحِ أيّامِهِ. وَالتَّحَدُّثِ بإنْعامِهِ.

المَقامَةُ الخَلَفِيَّة

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ:

لَمَّا وُلِّيتُ أحْكامَ الْبَصْرَةِ. وَانْحَدَرْتُ إلَيها عِنِ الْحَضرةِ[٤]. صَحِبَني في

يذكرهم بالله إلا صدقتم لدى، أجدٌّ ما تقولون أم هزل؟
طوينا للقياك الملوك وإنما بمثلك عن أمثالهم مثلنا يسلو

(١) العافين: جمع عاف وهو طالب الفضل وتكسيره عفاة، وهاك: اسم فعل معناه خذ، والمعنى أن طلاب فضله والواردين على حضرته لا يسمعون منه إلا كلمة خذ الدالة على كرم زائد وسماحة لا تتناهى وهم لا يجيبونه بغير هات تلك الكلمة التي تنبئ عن احتياجهم إليه.

(٢) الخال: نقطة سوداء تكون في الصدغ الأبيض وهي مما تتمدح بها الغوانى وتكسبهن جمالا وبهجة. ومعنى البيت أن الأمير زينة المكرمات وحلية الفضائل، وإنما الرجال بصالح الأعمال، فإذا افتخر الناس بالمكارم فإنها لتفتخر به.

(٣) المعنى: إنه إذا كان لإنسان أن يعتبر فضائل هذا الأمير حسنة من حسنات الدهر فإنني أقول أن الدهر نفسه (وهو الذي يجود بالحسنات) حسنة من حسنات الأمير وذلك نهاية المبالغة في الإطراء.

(٤) تقدم عن البصرة كلام واف، وانحدرت: سرت، والحضرة: أراد بها ذات الخليفة الذي ولاه شؤون البصرة، أو مكان إقامته وهو بغداد.

الْمَرْكَبِ شابٌّ كَأَنَّهُ الْعافِيَةُ في الْبَدَنِ [١]. فَقالَ: إنِّي في أعْطافِ الأرْضِ وأطْرافِها ضائِعٌ [٢] لكِنِّي أعَدُّ مُعَدَّ أَلْفٍ [٣]. وَأقُومُ مَقامَ صَفٍّ. وَهَلْ لَكَ أنْ تَتَّخِذَني صَنِيعَةً [٤]. وَلا تَطْلُبَ مِنِّي ذَرِيعَةً [٥].

فَقُلْتُ: وَأيُّ ذَرِيعَةٍ آكَدُ مِنْ فَضْلِكَ. وَأيُّ وَسِيلَةٍ أعْظَمُ مِنْ عَقْلِكَ [٦]؟! لا بَلْ أخْدِمكَ خِدْمَةَ الرَّفِيقُ [٧]. وَأُشارِكُكَ في السَّعَةِ وَالضِّيقِ [٨]. وَسِرْنا فَلَمَّا وصَلْنا الْبَصْرَةَ غابَ عَنِّي أيَّامًا فَضِقْتُ لِغَيْبَتِهِ ذَرْعًا [٩] وَلَمْ أمْلِكْ صَبْرًا فَأَخَذْتُ أُفَتِّشُ

---

(١) يريد أن هذا الشاب طيب العشرة، وسيم الخلق، غزير الأدب كامل المروءة، بحيث يتمناه الإنسان مثلما يتمنى الصحة، ويأسف لفراقه كما يأسف إذا فارقته العافية.

(٢) أعطاف: جمع عطف- بكسر أوله- وهو الجانب، والمعنى: أنه مهضوم الحق، مهيض الجناح، لا يعترف الناس له بفضله، ولا يذعنون لكياسته ونبله.

(٣) المعنى: أن الحق أنني لست في المكانة التي أنزلنيها الناس، وإنما أنا من الشجاعة والإقدام، وكمال الرجولية، بحيث أسد مسد الألف فأنا من الذين عناهم ابن دريد بقوله:

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عني

(٤) الصنيع والصنيعة: الطعام والإحسان. والجمع: صنائع، وتقول: هو صنيعي وصنيعتي إذا أحسنت إليه وربيته وخرجته ويقال أيضًا: صنعت الجارية- بالبناء المجهول- إذا أحسن إليها حتى سمنت. وقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ أي أحسنت إليك لتقوم برسالتي.

(٥) تقول: فلان ذريعتي إلى فلان أي وسيلتي، وقد تذرعت به إليه: توسلت. ويقال أيضًا: أنا ذريع لفلان عند فلان أي وسيلة وشفيع. والمعنى: أفما ترى أن تحسن إلى وتتعهدني ثم لا تطلب مني وسيلة غير الحفاوة بي والقيام بشؤوني. هذا هو المعنى المتبادر ولا أدري كيف يتفق مع الذي نعت به نفسه قبل ذلك؟ ولو حملت الذريعة على الوثيقة ونحوها لنتج من ذلك معنى صحيح يناسب ما قبله وما بعده ولكنا لم نجد في معاجم اللغة التي بأيدينا للذريعة معنى يساعد على ذلك.

(٦) المعنى أنني لا أكلفك شيئا، ولا أطلب منك- كما رأيت- وسيلة فإن فضلك وعقلك كافيان.

(٧) يروي الرقيق بقافين وهذه الرواية واضحة المعنى ويروي الرفيق بالفاء الموحدة، ومن معانيه: العبد، وحينئذ فالمعنى جلي.

(٨) المعنى: لا أبخل عليك بما بيدي إذا أثريت وأواسيك بطيب عشرتي أن أمحلت.

(٩) ضاق بالأمر ذرعا وذراعا: أي لم يطقه، ولم يقدر عليه.

جُيُوبَ الْبَلَدِ حَتى وَجَدْتُهُ[١]. فَقُلْتُ: ما الَّذِي أَنْكَرْتُ؟ وَلِمَ هَجَرْتَ[٢]؟

فَقالَ: إِنَّ الْوَحْشَةَ تَقْدَحُ في الصَّدْرِ اقْتِداحَ النَّارِ في الزَّنْدِ[٣] فإِنْ أُطْفِئَتْ نارَتْ وَتَلاشَتْ. وَإِنْ عاشَتْ. طارَتْ وَطاشَتْ[٤]. وَالْقَطْرُ إِذَا تَتابَعَ على الإِناءِ امْتَلأَ وَفاضَ[٥]. وَالْعَتَبَ إِذَا تُرِكَ فَرَّخَ وَباضَ[٦]. وَالْحُرُّ لا يَعْلَقُهُ شَرَكٌ كَالْعَطاءِ. وَلا يَطْرُدُهُ سَوْطٌ كَالْجَفاءِ[٧].

---

(١) جيب الأرض: مدخلها، وجمعه جيوب، والمعنى أنه حينما فارقني داخلتني الوحشة، وزاد بي الغم، فعيل صبري، ولم أستطع نسيانه ولا السلو عنه، فخرجت في طلبه أبحث عنه ولم أترك مدخلا للبلد ولا منعطفا إلا ولجته، إلى أن هدتني الألطاف إليه.

(٢) المعنى: أي شيء حملك على هجراني وتركي، وما الذي رأيت مني فلم يعجبك، ولم يرق في نظرك.

(٣) الوحشة: الخلوة، والغم، والخوف، وانقباض النفس عند استذكارها أمرا تكرهه، وتقدح: تشتعل، أو تظهر، والزند: العود الذي يقدح به النار، وجمعه زناد وأزند وازناد. والمعنى: أن الألم ليتوقد في الصدر كما تتوقد النار إذا احتك الزناد.

(٤) بادت: هلكت، ويروي نارت: ومعناه انهزمت على تشبيه الوحشة أو النار بالرجل المنهزم أمام عدوه، وتلاشت: تضاءلت، وانمحت آثارها، وطارت: ارتفعت، وطاشت: حمقت، والمعنى: أن النار إذا بودرت قبل أن تلتهب، وعوجلت من قبل أن يندلع لسانها ويرتفع شواظها فلا بد أن تنكسر حدتها وتضمحل قواها فتعفو آثارها، فأما إذا تركت وشأنها ولم تتخذ الحيطة لها فإنها لا تترك سبدا ولا لبدا ولا تبقي ولا تذر، وكذلك نار الأحقاد والآلام.

(٥) القطر: المطر، تتابع: توالي، وفاض: زاد حاجته، والمعنى: أن توالي المطر وهو نعمة يعقب ضررا إذا زاد عن الكفاية فكيف بك إذا توالت البأساء والضراء، وإذا كان الإناء يرمي الزائد عن سعته فلابد أن يفجر الوحشان (المغتم) وشديد الضغط يعقبه انفجار دائما.

(٦) أفرخت البيضة وفرخت: انشقت عن الفرخ، والطائرة إذا صار لها فرخ، والعتب والعتبة- بالتحريك: الأمر الكريه من الشدة والبلاء يقال حمل فلان فلانا على عتبة أي على شدة وكريهة. وفي حديث عائشة (إن عتبات الموت تأخذها) أي كروبه وشدائده والمعنى: أن الكربات والشدائد إذا لم يعمل المرء على إزالتها تولدت عنها شرور ومساو وأصبح كبحها بعد ذلك عسيرًا.

(٧) لا يملك الحر ويستهويه أكثر من الإحسان ولا يسيئه وينفره سوى الإساءة، وأحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم.

وَعَلى كُلِّ حالٍ. نَنْظُرُ مِنْ عالٍ. عَلى الْكَريمِ نَظَرَ إِدْلالٍ. وَعَلى اللَّئِيمِ نَظَرَ إِذْلالٍ[١]. فَمَنْ لَقِيَنَا بِأَنْفٍ طَويلٍ. لَقِيناهُ بِخُرْطُومِ فِيلٍ[٢]. وَمَنْ لَحظَنا بِنَظَرِ شَزْرٍ. بِعْناهُ بِثَمَنِ نَزْرٍ[٣]. وَأَنْتَ لَمْ تَغْرِسْني لِيَقْلَعَني غُلامُكَ[٤]. وَلا اشْتَرَيْتَني لِتَبِيعَني خدَّامُكَ[٥]. وَالمَرْءُ مِنْ غِلْمانِهِ. كالْكِتابِ مِنْ عُنْوَانِهِ[٦] فإِنْ كانَ جَفَاؤُهُمْ شَيْئًا

---

(١) الإدلال- بالدال المهملة- ومثله الدلال: التعزز على من لك عنده منزلة، وفي الحديث: يمشي على الصراط مدلا (أي منبسطًا لا خوف عليه)، ولعله مأخوذ من الدل وهو والهدي والسمت عبارة عن الحالة التي يكون عليها المرء من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة والإذلال- بالذال المعجمة- الاحتقار، والإهانة، والازدراء، وتهوين الشأن، والمعنى: أنه يجعل الناس في المعاملة على قسمين فيعامل كل صنف بما يليق له ويلائمه فيتعزز على الكريم ويدل عليه وينأى عن اللئيم ويحتقره وهو بهذا يشير إليه بأنه من الكرام الذين تجب الدالة عليهم، وينبغي في حقهم التيه.

(٢) يقال: شمخ الرجل بأنفه إذا كان متكبرا صلفا، والشموخ الارتفاع وأصله من قولهم: جبل شامخ أي مرتفع عال ولبعضهم:

ترى شمخ الأطواد من شمخ خندف ذراهن في ضحضاح بحرك تغرق

فهم يكنون بشموخ الأنف عن الارتفاع والتكبر، وخرطوم الفيل: أنفه مع شفته العليا وهما بالغان الغاية في الطول، والمعنى: أن الذي يتكبر علينا ويزور بجانبه عنا نعامله من جنس هذه المعاملة ونكيل له بكيله بل نفوقه صلفا وإباء وكبراً، والكبر على أهل الكبر صدقة.

(٣) اللحظ: النظر بشق العين مما يلي الصدغ ويسمى اللحاظ فأما الذي يلي الأنف فالموق والماق، وأراد منه هنا مجرد النظر، والنظر الشزر. أكثر ما يكون في حال الغضب وإلى الأعداء والنزر، القليل والبخس، والمعنى: أن حقا علينا أن من تأفف منا أو سئمنا فعاف عشرتنا نهجره غير آسفين ولا متألمين له.

(٤) شبه نفسه بالشجرة التي يغرسها الإنسان وكأنه أراد من ذلك أن من زرع لا يزال يتعهد زرعه بالسقى إلى أن ينمو ويشتد ويحافظ عليه ويمنع عنه الأيدي، والمعنى: أنك لم تكلف نفسك عناء معاشرتي، والقيام على، وتأدية شؤوني لتتركني إلى خدمك فيسيئوا إلى أو تجعل رعايتي إليهم فيهملوا أمري.

(٥) هذه الفقرة كالتي قبلها، وشبه نفسه هنا بالشيء الذي يشتريه ويدفع المرء فيه ماله وذلك يكون مدعاة إلى الاحتفاظ به والخوف عليه.

(٦) المعنى: أن خدم الإنسان ينبئون عن أخلاقه ويدلون على خفيه كالكتاب إذا خفي دل عليه عنوانه، وهذا ضد الذي يقوله بعض الناس إذا حسنت أخلاق السيد ساءت أخلاق المسود.

أَمَرْتَ بِهِ فَما الَّذي أَوْجَبَ؟ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلِمْتَ بِهِ كانَ أَعْجَبَ[١]!! ثُمَّ قالَ:

ظَفِرتْ يَدَا خَلَف بْنِ أَحْمَد إِنَّهُ سَهْلُ الْفِنَاءِ مُؤَدِبُ الْخُدَّامِ[٢]

أَو ما رأَيْتَ الْجُودَ يَجْتَازُ الْورى وَيَحِلُّ مِنْ يَدِهِ بِدَارِ مُقَامِ[٣]

قالَ عِيسى بْنُ هِشامٍ: ثُمَّ أَعْرَضَ وَتَبِعْتُهُ أَسْتَعْطِفُهُ[٤] وَمَا زِلْتُ أُلاطِفُهُ[٥] حَتَّى

= وللعباس بن الأحنف في التشبيه بالكتاب ودلالة العنوان عليه:

لا جزى الله دمع عيني خيرا وجزى الله كل خير لساني

كنت مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان

(١) أي أن أمرك دائر بين أن تكون أوعزت إلى خدمك بالإساءة إلي ومعاملتي بالشر وهذا عجيب جدا لأنه لا سبب يدعو إلى مثل هذه المعاملة وبين أن يكونوا قد صنعوا ذلك من عند أنفسهم وبغير علمك وهذا أكثر عجبا وأشد غرابة إذ كيف يتصرف الخادم تصرفا لم يأمره به سيده، أو يعمل عملا لا رغبة لمولاه فيه.

(٢) اليد آلة القوة وواسطة البطش ولذلك يعبرون بها عن ذلك ويكنون عن القوة والمنعة ووفر النعمة ورخاء العيش بمثل: اشتد ساعده، وقويت يده وظفرت يده، وما أشبه ذلك وفي ضد ذلك تربت يده، وأمحلت، وضعفت، ويقولون: فلان رحب الفناء أو سهل الفناء يريدون أنه كريم الوفادة، كثير الضيفان، وأصل الفناء- بكسر أوله-: المتسع أمام الدار ويجمع على أفنية بوزن كساء وأكسية، والمعنى: أنه يدعو لخلف بالخصب والنماء والقوة لأنه كريم حسن الوفادة كثير الزوار ومع هذا فإن خدمه مؤدبون لا يسيئون إلى أحد ولا يمل منهم طارق، وفيه تعريض بعيسى.

(٣) جاز المكان يجوزه: تعداه إلى غيره واجتازه كذلك، والمقام والإقامة: المكث والبقاء، والمعنى: أن الكرم وطيب الأخلاق وشريف الخلال تمر بالناس جميعا لاتعرج عليهم ولا تقع بساحتهم فإذا بلغت الأمير ألقت عصاها عنده وبقيت لديه لا تحول ولا تتحول وفي البيت كناية عن نسبة صفة الكرم إليه كقولهم: المجد بين برديه، والكرم حشو ثوبيه، والسؤدد طوع يديه، وكقول الشاعر:

أن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

(٤) أعرض: المراد منه سار معرضا، وأستعطفه: أطلب منه العطف وهو الميل والشفقة، والمعنى: أنه تركني ومضى متألما مما حدث له مظهرا الإعراض عني فلم استطع أن أتركه بل سرت إليه وما زلت به أطلب منه ألا يحمل في نفسه شيئا وألا يكون خطأ الخادم معه مدعاة إلى التقاطع والنفور.

(٥) ألاطفه: استعمل في استعطافه اللطف وهو الرفق، واللين والهدوء.

انْصَرَفَ. بَعْدَ أنْ حَلَفَ. أنْ لا أوْرَدْتُ مَنْ أساءَ عِشْرَتَهُ(١). فَوَهَبْتُ لَهُ حُرْمَتَهُ(٢).

المَقَامَةُ النَّيْسَابُورِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قَالَ:

كُنْتُ بِنَيْسابُورَ(٣) يَوْمَ جُمُعَةٍ فَحَضَرْتُ الْمَفْرُوضَةَ(٤) وَلَمَّا قَضَيْتُها اجْتازَ بِي رَجُلٌ قَدْ لَبِسَ دَنِّيَّةً(٥) وَتحَنَّكَ سُنِّيَّةً(٦). فَقُلْتُ لِمُصَلٍّ بِجَنْبِي: مَنْ هذا؟

---

(١) انصرف: ذهب إلى قصده، وحلف- بالتخفيف-: أقسم وأوردت: أحضرت، والمعنى أنه تركني سائرا في طريقه بعد أن أقسم على ألا يبقى عندي ولا ينتظر بحضرتي ذلك الخادم الذي أهانه وأساء معاملته وكأنه أقسم عليه لثقته بكرم أخلاقه وشرف طباعه ومن كانت تلك سجاياه فإنه يبر الناس في قسمهم ويجيبهم إلى طلبتهم.

(٢) حرمة الرجل: كرامته وكأن أصله حرمة الرجل لحرمه وأهله لأنهم موضع إهانته وكرامته. ومعنى وهبته حرمته: أعطيته كرامته ومنحتها له وكأنما كان مفقودها بسبب سوء المعاملة فأرجعها إليه بما صنع من طرد الخادم.

(٣) نيسابور: إحدى مدن مملكة إيران.

(٤) المفروضة: الصلاة وأراد بها صلاة الجمعة.

(٥) اجتاز: مر، والدنية- بتشديد النون والياء جميعا-: قلنسوة طويلة يلبسها القضاة وكأنها منسوبة إلى الدن، وليست هذه اللفظة من كلام العرب وإنما هي من الألفاظ المستعملة في العراق- حينذاك- وقد استعملها شعراؤهم كثيرا. قال ابن لنكك:

نفسي تقيك أبا الهندام يا أملي ... إني بكل الذي ترضاه لي راضي
ما كان ... فقيها إذ ظفرت به ... فكيف ألبسته دنية القاضي

وقال الصابي:

وفوقه دنية ... تذهب طورا وتجي

(٦) تحنك: جعل عمامته تدور من تحت حنكه، والسنية المنسوبة إلى أهل السنة.

قالَ: هذا سُوسٌ لا يَقَعُ إلاَّ في صُوفِ الأَيْتامِ(١). وَجَرادٌ لا يَسْقُط إلاَّ عَلى الزَّرْعِ الْحَرامِ(٢). وَلِصٌّ لا يَنْقُبُ إلاَّ خِزانَةَ الأَوْقافِ(٣). وَكُرْدِيٌّ لا يُغِيرُ إلاَّ عَلى الضِّعافِ(٤). وَذِئْبٌ لا يَفْتَرِسُ عِبادَ اللهِ إلاَّ بَيْنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ(٥). وَمُحارِبٌ لا

---

(١) السوس: نوع من الدود، ونقول المشهور أن الذي يأكل الصوف ونحوه من الثياب دويبة تسمى: (الأرضة) وأن السوس يأكل الطعام ونحوه قال الشاعر:

قد أطعمتني دقلا حوليا مسوسا مدودا حجريا

وحجريا: منسوبا إلى حجر قصبة اليمامة. وقال آخر:

آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس

غير أن القاموس فسره بأنه دود يقع في الصوف. وقال: وأرض الخشب-: كعنى- أكلته الأرضة لدويبة معروفة وهذا يدل على أنه يجوز أن يقال: سوس وأرض لكل شيء. والمعنى: أن هذا القاضي خبيث لئيم دنئ يقع في الصوف- وأراد به الأموال- فيأكله ويفسده ولكنه لا يختار إلا صوف الأيتام وأموالهم لأنه لا يوجد لليتيم من يدافع عنه ويحاسب له.

(٢) الجراد: معروف ويقال للذكر والأنثى وهو ينزل بالزرع فيهلكه ومنه قيل: سرحة لم تجرد أي لم تصبها آفة تأكل ثمرتها ولا ورقها، وقيل: جردت الأرض فهي مجرودة أي أصابها الجراد وأهلكها، والمراد تشبيه ذلك القاضي به في أكله الأموال وإهلاكها فهو يقول إنه كالجراد الذي ينزل بالزرع فلا يترك فيه ثمرة نافعة ثم إنه لا ينزل بالزرع المباح بل يختص الحرام منه زيادة في تشنيع حاله.

(٣) اللص: السارق، والمعنى أن هذا الرجل يشبه اللص في أخذه أموال الناس واختلاسها ولكنه لا يسطو إلا على ما اشتد الحظر عليه وزادت حرمة انتهابه كأموال الأوقاف المرصودة لمنافع الناس العامة.

(٤) الأكراد: جيل من الناس في طبعهم النذالة، ودناءة النفس فهم أشد الناس ميلا إلى النهب وسلب الأموال. وهذا القاضي يشبههم في ذلك غير أنه لا يسطو على جميع الناس بل يختص بنهبه الضعاف والعجزة الذين لا يقدرون على مغالبته ولا يجسرون على مجالدته. فأما الأقوياء والذين لهم شوكة فهو يمنحهم فوق حقوقهم ليتستروا عليه، ويعاونوه على ظلمه.

(٥) ذئب: المراد به إنسان يشبه الذئب في الخبث، والذئب أخبث الحيوانات وأردأها ومن ثم سمي صعاليك العرب وشطارهم بالذؤبان، والمعنى: أنه يتظاهر بالصلاح والتقوى والخشية من الله والخوف من عذابه ولكنه يعمل عمل الذين ليس في قلوبهم شيء من الشفقة ولا تداخلهم الرحمة بعباده فهو يسطو على الناس وهو راكع وساجد.

يَنْهَبُ مالَ اللهِ إلاَّ بَيْنَ الْعُهُودِ وَالشُّهُودِ(١). وَقدْ لَبِسَ دَنِّيَّتَهُ. وَخَلَعَ دِينِيَّتَهُ(٢). وَسَوَّى طَيْلَسانَهُ. وَحَرَّفَ يَدَهُ وَلِسانَهُ(٣). وَقَصَّرَ سِبالَهُ. وَأطالَ حِبالَهُ(٤). وَأبْدى شَقاشِقَهُ. وَغَطَّى مَخارِقَهُ(٥). وَبَيَّضَ لِحْيَتَهُ. وَسَوَّدَ صَحِيفَتَهُ(٦). وَأظْهَرَ وَرَعَهُ. وَسَتَرَ طَمَعَهُ(٧).

---

(١) العهود: العقود والمواثيق، والمعنى أنه يحتال على الناس بصور خداعة يوهمهم أنها شرعية ليقتنص أموالهم ويستفيدها لنفسه، والحقيقة أن هذه الأشياء متصنعة صورية لا تتفق مع الشرع في شيء.

(٢) دينيته: صفته الدينية، والمعنى: أنه قد ارتدى رداء القضاة ورجال الدين ولبس لبوسهم وتزيي بزيهم ولكنه قد ترك حقيقة صفاتهم ونبذ صالح أعمالهم التي لا يلائمها ما يفعله من ابتزاز الأموال ونهبها.

(٣) الطيلسان: لباس أخضر يلبسه الخواص من النساك، وتطلس: لبسه، وسواه: وضعه كما ينبغي أن يوضع، وحرف يده ولسانه: أي حددهما كناية عن تهيئته واستعداده للاختلاس وإيقاع الناس في شباكه.

(٤) السبال- بوزن صحاب- جمع السبلة بالتحريك وهي الشارب، وتقصيره من سيما الصالحين وعلامات الوراع والأتقياء، وقال الهروي: هي الشعرات التي تحت اللحي من الأسفل، والسبلة عند العرب مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر، وليس ذلك مرادًا هنا لأن تقصير هذا ليس من شارات الزهاد، وأطال حباله: أي شباكه التي يصيد بها الناس.

(٥) الشقاشق: جمع شقشقة بكسر الشينين وأصلها النفاحة التي يخرجها فحل الإبل من حلقه عند هياجه ورغائه يرجع فيها هديره ثم قيل للخطيب الذي في لسانه ذرابة أنه لذو شقشقه تشبيها بالفحل الكثير الهدير وقال الأخطل:

إذا هدرت شقاشقه ونشبت له الأظفار ترك له الهدار

(أراد نشبت وترك فخفف بإسكان الشين والراء)، ويقال: مخرق الرجل: أي أوهم أنه على حق وصواب وهو على خلافهما، والمخرقة منه وجمعها مخارق قيل: وهي كلمة مولدة. والمعنى: أن هذا القاضي أظهر ذرابة لسانه، وفصاحة منطقه وقوة بيانه لاستجلاب الناس والتفافهم حوله وأخفى كذبه وباطله في نفسه.

(٦) بيض لحيته: أي أنه عاش طويلا حتى ابيضت ولكنه لم يعمل عملا صالحا في حياته كلها بل كل أعماله شريرة فاسدة فهو قد لوث صحيفة ذكراه وتسويدها كناية عن ذلك.

(٧) المعنى: أنه أظهر للناس تعففه عن الدنيا وميله إلى ثواب الآخرة وأخفى عنهم أغراضه ونياته الخبيثة.

قُلْتُ: لَعَنَ اللهُ هذا فَمنْ أَنْتَ؟. قالَ: أنا رَجُلٌ أُعْرَفُ بِالإِسْكَنْدَرِيِّ. فَقُلْتُ: سَقى اللهُ أَرْضًا أَنْبَتَتْ هذا الْفَضْلَ. وَأَبًا خَلَّفَ هذا النَّسْلَ. فأَيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: الْكَعْبَةَ. فَقُلْتُ: بَخٍّ بَخٍّ بِأَكْلِها وَلَما تُطْبَخْ[١]. وَنَحْنُ إِذًا رِفاقٌ[٢]. فَقالَ: كَيْفَ ذلِكَ وَأنا مُصَعِّدٌ وَأَنْتَ مُصَوِّبٌ[٣]؟! قُلْتُ: فَكَيْفَ تُصَعِّدُ إلى الكَعْبَةِ[٤]؟ قالَ: أما أَنِّي أُرِيدُ كَعْبَةَ الْمُحْتاجِ. لا كَعْبَةَ الْحَجَّاجِ[٥] وَمَشْعَرَ الْكَرَمِ. لا مَشْعَرَ الْحَرَمِ[٦].

---

(١) بخ كقد أي عظم الأمر وفخم تقال وحدها وتكرر بخ بخ الأول منون والثاني مسكن وقل في الأفراد بخ ساكنة وبخ مسكورة وبخ منونة وبخ منونة مضمومة ويقال بخ بخ مسكنين وبخ بخ منونين وبخ بخ مشددين: وهي كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو الفخر والمدح، وقوله: بأكلها ولم تطبخ معناه أن ثوابها وعظيم أجرها (والضمير للفعلة الصالحة المفهومة من الكلام) يحصل لك قبل الفعل فكيف بك بعده.

(٢) رفاق: جمع رفيق بوزن كريم وكرام، والرفيق: الصاحب، والصديق، والذي يعاونك في عملك مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب، ولطافة الفعل، ويقع الرفيق على الواحد والجمع تقول: هو رفيقي، وهم رفيقي كما تقول: هم رفقائي ورفاقي، وفي التنزيل: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾. والمعنى: أنك تقصد الكعبة وأنا أقصدها وقد شممت منك ريح النبل وكرم الخلق فهلا كنت رفيقي في ذلك السفر.

(٣) مصعد: أي ذاهب نحو الشمال من الصعود وهو الارتفاع، ومصوب: سائر نحو الجنوب من قولهم صوب إذا تسفل، وقال أبو النجم: تصوب الحسن عليها وارتقى، والمعنى: أنه لا سبيل إلى مرافقتك، والسير معك لأن طريقنا غير واحدة.

(٤) المعنى: أنه عجيب جدا أن تقول إنك مصعد في حين أنك ذكرت لي أنك إنما تقصد الكعبة والسائر إليها يكون مصوبا لا مصعدا.

(٥) كعبة المحتاج: أي مقصد العفاة والعائذين، وطلاب المكارم، ورائدي الجود، والمعنى: أنني لم أقصد بالكعبة ذلك المعنى الذي يتبادر إلى ذهنك وهي التي يؤمها الحجاج لقضاء النسك ولكني قصدت معنى آخر وهو المكان الذي يلجأ إليه ذوو الحاجة والمعوزون.

(٦) شعائر الحج: علاماته وآثاره ومعالمه التي ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها ومن الأخير سمى المشعر الحرام لأنه معلم للعبادة وموضع تؤدي فيه وفي التنزيل: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه المقيدة (مكان النار التي يشعلونها للاستضاءة) والمعنى: أنني قصدت موضع الكرم والبذل والسخاء وإسداء المعروف وحسن العطاء ولم أقصد المعنى الذي يتبادر إلى ذاكرك وهو موضع أداء بعض شعائر الحج.

وَبَيْتَ السَّبْيِ لا بيْتَ الْهَدْى[١]. وقِبْلَةَ الصِّلاَتِ. لا قِبْلَةَ الصَّلاَةِ[٢]. وَمِنَي الضَّيْفِ. لا مِنَي الْخَيْفِ[٣].

قُلْتُ: وَأيْنَ هذِهِ الْمَكارِمُ؟ فَأنْشأَ يَقُولُ:

بحْيثُ الدّيْنُ وَالْملكُ الْمُؤَيَّدْ وخدَّ الْمَكْرُمات بِهِ مُوَرَّدْ[٤]

بِأرْضٍ تنْبُتُ الآمالُ فيها لأنَّ سحابها خلفُ بْنُ أحْمدْ[٥]

---

(١) السبى: السبايا التي يغنمها الجيش بانتصاره على عدوه، والهدي: ما يساق إلى مكة من النعم لتنحر وواحده: هدية، وجمعه: أهداء والمعنى: أنني أقصد بمسيري بيتا تساق السبايا إليه لا بيتا تنحر البدن عنده.

(٢) الصلاة- بكسر أوله-: جمع صلة وهي المنحة، والهبة، والعطية، والصلاة- بفتح الأول-: المفروضة التي هي إحدى فرائض الدين، والقبلة: التي يتوجه إليها، والمعنى: لا تظن أنني متوجه إلى ذلك المكان الذي يتوجه نحوه المصلي حين صلاته ولكنما أنا سائر إلى المكان الذي تكون فيه الهبات والعطايا.

(٣) مني- كالى وتصرف-: قرية بمكة سميت بذلك لما يمنى بها من الدماء والخيف ناحية منها وهو غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبى قبيس، وأصله ما ارتفع عن مجرى السيل عن غلظ الجبل وجمعه خيوف، وهناك مسجد سمي بمسجد الخيف لوقوعه في سفح الجبل عند ذلك المكان، وأضاف مني إلى الضيف إشارة إلى كثرة عدد الواردين على حضرته، والمعنى: أنني لا أقصد بما ذكرت لك أني آخذ في طريقي إلى منى التي يسير إليها من يقضي فريضة الحج ولكني أردت منى التي يذهب إليها الضيفان ويسيرون نحوها.

(٤) يروي والملك المؤيد- بالياء المثناة- أي المنصور ويروى الملك المؤبد- بالباء الموحدة- أي الدولة الباقية، وقد شبه المكرمات بإنسان يترقرق في وجهه ماء الشباب وتجري فيه الصحة والعافية، ويتقلب في أعطاف النعمة والرفاهية وكنى بتورد خده عن ذلك كله، جعل سبب التورد في خد المكرمات ممدوحه المقصود بالتوجه إليه فكأنه يقول: إنه حلية المكارم، وزينتها، وأن بقاءها ودوامها بوجوده وبقائه.

(٥) السحاب: المطر، والمعنى: أن هذه الأرض التي أيممها منبت الآمال، ومغرس الأماني لأن الذي يجودها ويتعهدها هو خلف بن أحمد الذي لا يخيب عنده قاصد، ولا يضل بساحته سالك، ولا يضيع لديه رجاء.

المقامة العلمية

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ:

كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطارِحِ الْغُرْبَةِ مُجْتازًا فإِذَا أنا بِرَجُلٍ يَقُولُ لآخَرَ: بِمَ أَدْرَكْتَ الْعِلمَ؟ وَهُوَ يُجِيبُهُ[١] قالَ: طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ[٢]. لا يُصْطادُ بِالسِّهَامِ[٣]. وَلا يُقْسَمُ بِالأَزْلامِ[٤]. وَلا يُرَى في الْمَنامِ[٥]. وَلا يُضْبَطُ بِاللِّجَامِ. وَلا يُورَثُ عَنِ

---

(١) مطارح: مواضع، الغربة: البعد عن الأهل، والنأي عن الوطن، مجتازا مارا وسائرا، والمعنى: أنني كنت أسير يوما في بعض الأماكن التي رماني بها الانتزاح عن ديار الأهل والأحباب، وأدتني إليها مفارقة الوطن فلقيت رجلين وقف أحدهما يسأل صاحبه وأخذ الثاني يجيبه.

(٢) المرام: المطلب، وقد رام الشيء- من باب قال-: طلبه ورغب فيه، والمعنى أن مطلبه عسير، والرغبة فيه شاقة فكيف بنواله والحصول عليه.

(٣) المعنى: أن القوة، وسلامة الأعضاء، والقدرة على الرماية وغيرها أشياء لا تكفي ولا تنفع في تحصيل العلم والوقوف على أسراره لأنه ليس كالطائر الذي يقع بمجرد تسديد السهم إليه وأصابته به.

(٤) الأزلام: قداح الميسر، أو القدح التي كان العرب يستقسمون بها أصنامهم، وكان الرجل منهم يضعها في وعاء له (وهي مكتوب عليها الأمر والنهي: افعل، ولا تفعل) فإذا أراد سفرا أو زواجا أو أمرا مهما أدخل يده فأخرج منها زلما فإن خرج الأمر مضى لشأنه وإن خرج النهي كف عنه ولم يفعله، وقداح الميسر عشرة سبعة منها رابحة وأكثرها نصيبا المعلي ولذلك يقولون: أحرز فلان القدح المعلي إذا نال حظا وافرا، وثلاثة لاحظ لها قال بعضهم يصف سوء حظه ونكد طالعه:

لي سهام ليس فيهن ربيح هن وغد وسفيح ومنيح

وكانوا ينحرون جزورا ويقسمونه أقساما يجعلون لكل قدح من الرابحة قسما يختلف باختلافها ثم يجلسون للشراب ويجيلون القداح فأيهم خرج له واحد منها أخذ نصيبه، والمعنى أن العلم ليس شيئا ينال بالمقامرة والحظ وسعادة الجد ولكنه يتوصل إليه بالدأب والجد في العمل والسعي إليه.

(٥) أي أنه ليس خيالات أو رؤى وأطيافا تمر بك في نومك وأنت مستريح هادئ بل لا بد له من متابعة السهر وإدمان المطالعة وكثرة البحث.

الأعمام[١]. وَلا يُسْتَعارُ مِنَ الْكِرَامِ. فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِافْتِرَاشِ الْمَدَرِ[٢]. وَاسْتِنادِ الْحَجَرِ. وَرَدِّ الضَّجَرِ. وَرُكُوبِ الْخَطَرِ. وَإِدْمانِ السَّهَرِ. وَاصطِحَابِ السَّفَرِ. وَكَثْرَةِ النَّظَرِ. وَإِعْمالِ الْفِكَرِ. فَوَجَدْتُهُ شَيْئًا لا يَصْلُحُ إلا لِلْغَرْسِ. وَلا يُغْرَسُ إلاَّ في النَّفْسِ[٣]. وَصَيْدًا لا يَقَعُ إلاَّ فِي النَّدْرِ. ولاَ يَنْشَبُ إلاَّ فِي الصَّدْرِ[٤]. وَطائِرًا لا يَخْدَعُهُ إلاَّ قَنصُ اللَّفْظِ. وَلا يَعْلَقُهُ إلاَّ شَرَكُ الْحِفْظِ[٥]. فَحَمَلْتُهُ عَلَى الرُّوحِ وَحَبَسْتُهُ عَلى الْعَينِ[٦].

---

(١) التركات تصل إلى الوارثين من غير نصب ولا إجهاد، وكذلك العارية لا يتحمل المستعير في الحصول عليها شيئا من المشقة، وقد كنى بالجملتين عن عدم التمكن من العلم مع الراحة ونفي السعي والاجتهاد.

(٢) المدر: قطع الطين اليابس، وبه سمي ذلك الرجل اللئيم البخيل وهو أحد بني هلال بن مالك ابن صعصعة (مادرا) لأنه سقي إبله فبقي في الحوض قليل من الماء فسلح فيه وجعل يرمي فيه المدر وبه يضرب المثل في البخل، والمعنى: أنه لم يجد وسيلة أنجع للحصول على العلم من المشقة والجهد الطويل، وعدم الدعة والكسل وقد كنى عن ذلك بما ذكره من اصطحاب السفر وكثرة النظر وغيرهما.

(٣) المعنى: أنه بعد أن عرف العلم وتذوقه أدرك أن الحصول عليه جملة واحدة أمر غير ممكن ولا يستطاع السبيل إليه وإنما الذي يتأتى هو أن يغرس ثماره ثم لا يزال بتعهدها بالسقي والنماء حتى تينع وتورق ثم تتهدل أغصانها وتثمر الثمر الطيب والجنى النافع المفيد وعلم فيما علمه أن مغرس هذه الثمار ومنبتها لا يكون إلا النفس.

(٤) الندر، والنادر: القليل، والمعنى أنه وجد أيضا أن مسائل العلم ومشكلاته وعويصه لا يتسنى الحصول عليها في كل حين ولا تقع للباحث دائما، وينشب: يعلق، والمعنى: أنه لا يصيد العلم ويضبطه غير الصدور.

(٥) القنص في الأصل: الطائر والمراد به هنا: الفخ والشرك، وقد قنصه- من باب ضرب- واقتنصه، وتقنصه: صاده، والقانص والقنيص والقناص: الصياد، والمعنى: أن العلم كالطائر لكن لا سبيل لتصيده إلا إشراك الألفاظ ولا طريق للتحفظ عليه وضبطه من الضياع غير الحفظ.

(٦) المعنى: أنني جعلت له مكانا لا زوال له ولا فناء ولا يصيبه ملل ولا إعياء وهو الروح وذلك أن أعضاء الجسم تتألم من الحمل ويثقل كاهلها طويل مدته فربما طرحت به وتركته ولكن الروح لا يعتريها مثل هذا وربما صح أن المعنى أنه لم يقتصر على العلوم العقلية واللسانية بل إنه ضرب بسهم في العلوم التي تتغذى بها الروح وتتكمل كفلسفة الأخلاق مثلا.

وَأَنْفَقْتُ مِن الْعَيْشِ وَخَزَنْتُ في الْقَلْبِ [١]. وَحَرَّرْتُ بِالدَّرْسِ [٢] وَاسْترحْتُ مِنَ النَّظَرِ إلى التَّحْقِيقِ. ومَنِ التَّحْقِيقِ إلَى التَّعْلِيقِ [٣] وَاسْتَعَنْتُ في ذلِكَ بِالتَّوْفِيقِ. فَسَمِعْتُ مِنَ الْكَلامَ مَا فَتَقَ السَّمْعَ وَوَصَلَ إلى الْقَلْبِ وَتَغَلْغَل فِي الصَّدْرِ. فَقُلْتُ: يَا فَتَى وَمِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هذِهِ الشَّمْسِ؟ فَجَعَلَ يَقُولُ:

إسْكَنْدَرِيَّةُ دَاري لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لَكِنَّ بِالشَّامِ لَيْلِي وبِالْعِرَاقِ نَهَارِي [٤]

المقامة الوصية

حدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشَام قالَ: لَمَّا جَهَّزَ أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ وَلَدَهُ لِلتِّجَارَةِ أَقْعَدَهُ يُوَصيِّهِ فقالَ بَعْدَ مَا حَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ وَصلَّى عَلَى رَسُولِهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بُنَيَّ إِنِي وَإِنْ وَثِقْتُ بِمتانَةِ عَقْلِكَ وَطَهَارَةِ أَصْلِكَ. فَإِنِي شَفِيقٌ والشَّفِيقُ سَيِّيءُ الظَّنِّ [٥]

---

(١) المعنى: أنني أنفقت مالي وصرفت الذي أدخره لقوتي ومعيشتي في سبيل الحصول على غذاء العقل وقوام القلب وهو العلم فإن كنت قد أصبحت خالي اليد صفر الإناء من متاع الدنيا فقد امتلأ عقلي علوما ومعارف.

(٢) أي أنني حررت المسائل ووقفت على دقائقها وتبينت أسرارها وعرفت خباياها بالمدارسة والمذاكرة وكثرة المعاودة.

(٣) المعنى أنني كنت أنتقل من النظر في المسألة وبحثها إلى اكتشاف حقيقتها واتضاح كنهها على ما هي عليه ثم أتجاوز ذلك إلى تسطير رأيي فيها وتدوين عقيدتي والتعليق عليها بما رأيت.

(٤) المعنى: أن مطلعي ومكاني الذي منه نشأت وفيه درجت هو الإسكندرية ولكني لا أطيل البقاء بها فأنا متنقل دائما فساعة تراني بالعراق وأخرى تجدني بالشام، والمراد مطلق التنقل إلى مطلق الجهات.

(٥) متانة العقل: حصافته، وسداده، ورجاحته. وأصله من متن الشيء- من باب ظرف- فهو متين: أي صلب، واشتد، وقوي، والشفيق: رقيق القلب، والكثير العطف، والمعنى: أنني متأكد من كمال عقلك، ودقة نظرك، عالم بأنك لا تفرط ولا تضيع، آمن عليك من الذي يخشاه الآباء على أبنائهم ولكني مع ذلك شديد الحنان عليك والرأفة بك، وسوء الظن من شدة الحب، فلابد لي أن أنصحك وأوجه إليك بعض الحكم لتسترشد بها إذا أعوزتك الحيلة وعدمت الوسيلة.

وَلَسْتُ آمَنُ عَلَيْكَ النَّفْسَ وسُلْطانَها. وَالشَّهْوَةَ وَشَيْطانَها[١]. فاسْتَعِنْ عَلَيْهِمَا نَهارَكَ بِالصَّوْمِ وَلَيْلَكَ بِالنَّوْمِ. إنَّهُ لَبُوسٌ ظِهارَتُهُ الْجُوعُ. وَبِطانَتُهُ الْهُجُوعُ[٢]. ومَا لَبِسَهُما أَسَدٌ إلاَّ لانَتْ سَوْرَتُهُ[٣]. أفَهِمْتَهُما يا ابْنَ الْخَبِيثَةِ؟

وَكَما أَخْشَى عَلَيْكَ ذَاكَ فَلاَ آمَنُ عَلَيْكَ لِصَّيْنِ:

أَحَدُهُما الْكَرَمُ. وَاسْمُ الآخَرِ الْقَرَمُ[٤]. فإيَّاكَ وَإيَّاهُما.

إنَّ الْكَرَمَ أَسْرَعُ في المَالِ مِنَ السُّوسِ[٥].

---

(١) أي أن النفس أمارة بالسوء جلابة للمحن والبلايا وأن لها على الإنسان لسلطانا نافذا وأمرا مطاعا ودعاء مستجابا، وأن الطبيعة الإنسانية داعية إلى الشر سالكة بصاحبها طريق التهلكة وأن غوايتها أمر لا يستطاع له رد ولا يملك معه حزم فإذا توفرت فيك الدواعي إلى المفاسد والآثام فأقمع ذلك بالصوم عامة نهارك والنوم ليلك فإن الصوم وكاء المعصية والنوم حاجز من التمادي في الضلالة والسير مع الشيطان.

(٢) أنه- أي الحال الذي ينبغي أن يكون عليه الشباب والطريق الذي لا محيص لهم من سلوكه- يشبه اللباس في عمومه وشموله فيجب أن تتخذ ظهارته- أي وجهه الذي ينظره الناس ويبصرونه- من الجوع لأنه يكسر القوة ويقلل من الدعاية إلى الشهوات ويضعف البنية ويهد العزيمة وبطانته- أي وجهه المختفي الذي لا يطلع عليه الناس- من الهجوع وهو النوم لأنه مدعاة الانصراف عن أماكن اللهو ومجامع الفسق ومواضع الفجور.

(٣) الأسد: من السداد وهو التوفيق للصواب والقصد من القول والعمل، والسورة: الشدة. والسطوة. والاعتداء، والمعنى: أنه ما ارتدى أحد من القاصدين في أعمالهم برداء الجوع والنوم إلا وجد مغبتهما حميدة وعقباهما نافعة مفيدة.

(٤) القرم: بفتحتين- شدة الشهوة إلى اللحم، وفعله قرم من باب طرب، والمراد به الرفه والدعة والتواني عن العمل والكسل من باب التكنية لأن أرباب اليسار والنعمة يكون الشأن فيهم ذلك، والمعنى: أنني كما أخشى عليك عادية النفس وسطوة سلطانها وأخاف أن يضلك الشيطان فتتبع الشهوات وتميل إلى المخازي فإني لأشد خوفا عليك من أن تبذل مالك للناس وتعطيهم، أو أن تستهويك نفسك إلى طبيعة المترفين وذوي النعمة والجاه فتكثر من الأكل وتدع عملك وتترك شؤونك، ومثل هذا في التنفير من البذل والعطاء قول أبي الطيب المتنبي: الجود يفقر والإقدام قتال.

(٥) المعنى: أن السخاء والبذل يصيران بك إلى الإملاق والعدم لأنهما يتمشيان في المال كتمشي السوس في الطعام واللباس أو كتمشي النار في الحطب.

وَإِنَّ الْقَرَمَ أَشْأَمُ مِنَ الْبَسُوسِ[١] .

(١) البسوس- ويقال لها البسوسة أيضًا- امرأة كانت سببًا في شبوب نار الحرب بين بكر وتغلب واندلاع لهيبها وتطاير شررها مدة لم يعهد لها نظير في تاريخ حروب العرب، وقد اصطلى الفريقان لظاها وتحمل كل منهما من أعبائها وأحمالها ما ضاق بها ذرعا، وسبب ذلك: أن كليبًا كان قد عز وساد في ربيعة فبغي بغيًا شديدًا، وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره فبلغ من عزه وبغيه أنه اتخذ جرو كلب فكان إذا نزل منزلا به كلأ قذف ذلك الجرو فيعوى فلا يرعى أحد ذلك الكلأ إلا بإذنه أو من أذن بحرب فضرب به المثل في العزة فقيل: أعز من كليب وائل. وكان يحمي الصيد ويقول: صيد ناحية كذا وكذا في جواري. فلا يصيد أحد منه شيئًا، وكان لا يمر بين يديه أحد إذا جلس. ولا يحتبي أحد في مجلسه غيره وكان لمرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم وكانت أختهم امرأة كليب (واسمها جليلة). وخالة جساس هي البسوس المذكورة فجاءت فنزلت على ابن أختها جساس فكانت جارة لبني مرة ومعها ابن لها ومعها ناقة خوارة اسمها سراب (وبها كتلك يضرب المثل في الشؤم فيقال أشأم من سراب) من نعم بني سعد ومعها فصيل. فبينا أخت جساس تغسل رأس كليب زوجها ذات يوم إذ قال: من أعز وائل؟ فصمتت. فأعاد عليها. فلما أكثر عليها قالت: أخواي جساس وهمام. فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس (خالة جساس وجارة بني مرة) فقتله، فأغمضوا على ما فيه، وسكتوا على ذلك. ثم لقي كليب ابن البسوس فقال: ما فعل فصيل ناقتكم؟ قال: قتلته وأخليت لنا لبن أمه، فأغمضوا على هذه أيضًا. ثم أن كليبًا أعاد على امرأته فقال: من أعز وائل؟ فقالت: أخواي، فأضمرها، وأسرها في نفسه، وسكت حتى مرت به إبل جساس فرأى الناقة فأنكرها فقال: ما هذه الناقة؟ قالوا: لخالة جساس فقال: أو قد بلغ أمر ابن السعدية أن يجير علي بغير إذني؟ أرم ضرعها يا غلام، فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها، وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالأمر فقال: احلبوا لها مكيالي لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئًا، ثم أغمضوا عليها أيضًا، حتى أصابتهم سماء فغدا في غبها يتمطر وركب جساس ابن مرة وابن عمه عمرو بن الحرث بن ذهل فمرت بكر بن وائل على نهي يقال له شبيث فنفاهم كليب عنه وقال: لا يذوقون منه قطرة، ثم مروا على نهي آخر يقال له الأحص فنفاهم عنه، ثم مروا على بطن الجريب فمنعهم إياه، فمضوا حتى نزلوا الذنائب وأتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه ثم مر عليه جساس وهو واقف على غدير الذنائب فقال: طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشًا. فقال كليب: ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون. فمضى جساس، وقيل: بل ناداه فقال: هذا كفعلك بناقة خالتي، فقال له: أو قد ذكرتها؟ أما أني لو وجدتها في غير إبل مرة لأستحللت تلك الإبل!! فعطف عليه جساس فرسه فطعنه برمح فأنفذ حضينه، فلما تداعمه الموت قال: يا جساس اسقني من الماء قال: تجاوزت شبيثًا والأحص. وتقول أخته حين رأته لأبيها: أن هذا =

وَدَعْني مِنْ قَوْلِهِم:

لجساس أتى خارجا ركبتاه! فقال: والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمر عظيم، فلما جاء قال: ما وراءك يا بني؟ قال: ورائي أن طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زمنا. قال: أقتلت كليبًا؟ قال: نعم. قال: وددت أنك وأخواتك كنتم متم قبل هذا، ما بي إلا أن تتشاءم بي أبناء وائل. وزعموا أن جساسًا قال لأخيه نضرة بن مرة وكان يقال له عضد الحمار:

وإني قد جنيت عليك حربا ... تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يصح عنها ... فتى نشبت بآخر غير صاح
تنكل عن ذئاب الغي قوما ... وتدعو آخرين إلى الصلاح

فأجابه نضلة:

فإن تك قد جنيت حربا ... فلا وان ولا رث السلاح

فلما بلغ الخبر مهلهلا أخا كليب غدا بالخيل وتحمل معه القوم. وقال المفضل: لما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض: لا تعجلوا على أخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا له: اختر منا خصالا إما أن تدفع إلينا جساسا ونقتله بصاحبنا فلم نظلم من قتل قاتله وإما أن تدفع إلينا هماما وإما أن تقيدنا من نفسك. فسكت وقد حضرته وجوه بني بكر ابن وائل فقالوا: تكلم غير مخذول، فقال: إما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف فلا علم لي به. وأما همام فأبو عشرة وأخو عشرة ولو دفعته إليكم لصيح بنوه في وجهي وقالوا: دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره. وأما أنا فلا أتعجل الموت، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم في غير ذلك؟! هؤلاء بني فدونكم أحدهم فاقتلوه به، وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل، فغضبوا وقالوا: إنا لم نأتك لتؤدي لنا بنيك ولا لتسومنا اللبن!! وتفرقوا، ووقعت الحرب، وتكلم في ذلك عند الحرث بن عباد فقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وهو أول من قالها وأرسلها مثلا. ودامت حربهم أربعين سنة فيهن خمس وقعات مزاحفات، وكانت تكون بينهم مغاورات، وكان الرجل يلقي الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا، وكان أول تلك الأيام عنيزة- وهي عند فلجة- فتكافأوا: لا لبكر ولا لتغلب، وفيه يقول مهلهل:

كأنا غدوة وبني أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير
ولولا الريح اسمع من بحجر ... صليل البيض نقرع بالذكور

فتفرقوا، ثم غبروا زمانا، ثم التقوا يوم واردات، وكان لتغلب على بكر، وقتلوا بكرا أشد القتل، وقتلوا بجيرا، وفي ذلك يقول مهلهل:

إنَّ اللهَ كَرِيمٌ.

فأني قد تركت بواردات بجيرا في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد وبعض الغشم أشفى للصدور

ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بني ثعلبة بن عكابة ورأسوا على أنفسهم الحرث بن عباد فأتبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة حتى التقوا بالحنو فظهرت بنو ثعلبة على تغلب، ثم التقوا يوم القصيبات لبني تغلب على بكر حتى ظنت بكر أن سيقتلوا معا، وقتلوا يومئذ همام بن مرة، ثم التقوا يوم قضة- وهو يوم التحالق-، ويوم الثنية، ويوم قضة، ويوم الفصيل، كلها لبكر على تغلب.

وحدث أبو عبيدة أن آخر من قتل في حرب بكر وتغلب هو جساس بن مرة ابن ذهل بن شيبان وهو قاتل كليب بن ربيعة وكانت أخته امرأة كليب وكان قد قتله جساس وهي حامل فرجعت إلى أهلها ووقعت الحرب وكان من الفريقين ما كان ثم صاروا إلى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت أخت جساس غلاما سمته الهجرس رباه خاله فكان لا يعرف أبا غيره. ثم زوجه ابنته ووقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام فقال له البكري: ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك، فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر، فلما أوى إلى فراشه ونام تنفس تنفسة أحست منها امرأته لهيب نار فقامت فزعة قد أقلقتها رعدة حتى دخلت على أبيها فقصت عليه قصة الهجرس، فقال جساس: ثائر ورب الكعبة.

وبات جساس على مثل الرضف حتى أصبح فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له: إنما أنت ولدي، ومني بالمكان الذي قد علمت، وقد زوجتك ابنتي، وأنت معي، وقد كانت الحرب في أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وأن تنطلق معي حتى نأخذ عليك مثل الذي أخذ علينا وعلى قومنا، فقال الهجرس: أنا فاعل، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا بلأمته وفرسه، فحمله جساس على فرس وأعطاه لأمة ودرعا، وخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ثم قال: وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد فيما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال: وفرسي وأذنيه، ورمحي ونصليه، وسيفي وغراريه، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه.

ثم طعن جساسا فقتله، ثم لحق بقومه، فكان آخر قتيل في بكر بن وائل.

إنَّها خُدْعَةُ الصَّبِّي عَنِ اللَّبنِ[١] . بَلَي إنَّ اللهَ لَكَرِيمٌ وَلكِنْ كَرَمُ اللهِ يَزِيدُنا وَلا يَنقُصُهُ وَيَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّهُ[٢] وَمَنْ كانَتْ هذِهِ حالُهُ . فَلْتَكْرُمْ خِصالُهُ .

فأَمَّا كَرَمٌ لا يَزِيدُكَ حَتَّى يَنقُصَني وَلا يَرِيشُكَ حَتَّى يَبْرِيني[٣] . فَخِذْلانٌ لا أَقُولُ عَبْقَرِيٌّ . وَلكِنْ بُقَرِيٌّ[٤] أَفَهِمْتُهما يا ابْنَ الْمَشْؤُمَةِ؟ إنَّمَا التِّجارَةُ تُنْبِطُ الْمَاءَ مِنَ الحِجارَةِ[٥] . وَبينَ الأَكَلَةِ وَالأَكَلَةِ رِيحُ الْبَحْرِ . بَيْدَ أَنْ لا خَطَرَ . وَالصِّينُ غَيرَ أَنْ لا سَفَرَ[٦] . أَفَتترُكُهُ وَهْوَ مُعْرِضٌ ثُمَّ تَطْلُبُهُ وَهْوَ مُعْوِزٌ[٧]؟

---

(١) المعنى : لا تغتر بما يقوله بعض الناس ، من أن الله كريم يحب من عباده الكرماء ، وأنه سبحانه يخلف على عباده ، ويضاعف لهم الذي يبذلونه ، فإن هذا الكلام لا يقبله غير العقول الصغيرة التي تشبه عقول الصبيان ، وأن الذي يقول مثل ذلك لا يقصد إلا خداعك وخداع أمثالك من الناس ، كما تقصد الأمهات بمداعبة الأطفال ونحوها خداعهم عن طلب اللبن.

(٢) نعم إن الله سبحانه كريم كما يقولون ، ولكن لا يصح أن نتشبه به ونكون مثله إذ أن كرمه لا ينقص شيئا من ملكه ولا يضره ثم أنه يزيد أموالنا وينميها ، ويعود علينا بالثراء والمنفعة ، فأما نحن فلا نعطي شيئا حتي يكون قدره نقصا من أموالنا فإذا اندفعنا فى هذا السبيل فالويل لنا من الفقر وضياع المال.

(٣) راش السهم يريشه وريشه - بالتضعيف - فهو مريش ومريش : لزق له الريش ، وبراه يبريه بريا ، وابتراه : نحته والمعنى : أن العطاء الذى ينقص من واحد ليزيد لآخر ويضعف رجلا ليقوى بضعفه ثانيا خيبة وفقدان.

(٤) العبقرى : الذى بلغت حاله غاية الجودة والحذق ونحوهما ، والبقرى - بضم الباء الموحدة - : الكذب والداهية ومثله البقارى بالضم وبتشديد القاف وفتح الراء ، ويبقر كدحرج - : هلك وفسد وأعيا ومات وكأن أصل اشتقاقه من ذلك ، والمعنى : ليست الخيبة في الإنفاق بممدوحة ولا مشكورة ، ولكنها منتهى الشر وغاية الفساد فحذار حذار منها.

(٥) تنبط : تخرج ، والعبارة مثل في مجئ الخير والإتيان به من حيث لا ينتظر ولا يرجي ، والمعنى أن التجارة تأتيك بالربح الوفير والمال الكثير من حيث لا تتوهم.

(٦) ريح البحر : الشدة ، والخطر ، والصعوبة والمشقة. والصين : كناية عن البعد الطويل ، والمعنى : تصور شدة ما تلقاه فى تحصيل قوتك وصعوبته فاجتهد ولا تكسل ، وهب دائما أن البحر قد هاج عليك فأنت مشغول بطلب النجاة عن الطعام والشراب.

(٧) معرض : باد ، ظاهر ، معوز : مفقود ، والمعنى : أنه من سوء الرأى أن تنفق مالك في الكرم وهو بين يديك ولا تبقي منه شيئا ، ثم إذا ما ضاع منك وأصبح مفقودا تسعي في تحصيله وتجد في =

أفَهِمْتُهما لا أُمَّ لَكَ؟

= البحث عنه، ولأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كتاب ممتع ذكر فيه أعاجيب البخلاء واستدلالهم ولماذا سموا البخل صلاحا، والشح اقتصادا، ولم حاموا علي المنع، ونسبوه إلى الحزم، ولم نصبو للمواسلة، وقرنوها بالتضييع، ولم جعلوا الجود سرفا، والأثرة جهلا، ولم زهدوا في الحمد، وقل احتفالهم بالذم، ولم استضعفوا من هش للذكر، وارتاح للبذل، ولم احتجوا بظلف العيش علي لينه، وبحلوه علي مره.

وذكر فيه رسائل لهؤلاء تسيل رقة وانسجاما، وتكاد من ماء الملاحة تقطر نأتيك منها برسالة سهل بن هرون أبى محمد بن راهيون التى أرسلها إلى بني عمه من آل راهيون حين ذموا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه فى الكتب، وإنما آثرناها على غيرها لمحبة كثير من الأدباء لها لعلو عبارتها، ولأن الذى ذكره البديع من الأدلة قد تكلم عنه سهل. قال: بسم الله الرحمن الرحيم، أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله، قال الأحنف بن قيس: يا معشر بني تميم لا تسرعوا إلي الفتنة فإن أسرع الناس إلي القتال أقلهم حياء من الفرار، وقد كانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيابا فإنه إنما يعيب بفضل ما فيه من العيب، وأول العيب أن تعيب ما ليس بعيب، وقبيح أن تنهي عن مرشد، أو تغري بمشفق، وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم، وإلا إصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشهرنا به فى الآفاق دونكم، فما كان أحقكم في تقديم حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم، وتنبيهنا علي ما أغفلنا من واجب حقكم، فلا العذر المبسوط بلغتم، ولا بواجب الحرمة قمتم، ولو كان ذكر العيوب برا وفضلا لرأينا أن في أنفسنا عن ذلك شغلا، وأن من أعظم الشقوة، وأبعد من السعادة ألا يزال يتذكر زلل المعلمين، ويتناسي سوء استماع المتعلمين، ويستعظم غلط العاذلين، ولا يحفل بتعمد المعذولين...

عبتموني بقولي لخادمي: أجيدي عجنه خميرا، كما أجدته فطيرا، ليكون أطيب لطعمه، وأزيد في ريعه، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورحمه لأهله: أملكوا العجين فإنه أريع الطحنتين.

وعبتم علي قولي: من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي، فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة يدل حجمها علي مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية فلما صرت إلي تفريق أجزائه على الأعضاء، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء، وجدت في الأعضاء فضلا علي الماء، فلمت نفسي إن لو كنت مكنت =

إنَّهُ الْمَالُ- عافَاكَ اللهُ-

الاقتصاد في أوائله، ورغبت عن التهاون به في ابتدائه لخرج آخره علي كفاية أوله، ولكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر! فعبتموني بذلك وشنعتموه بجهدكم، وقبحتوه، وقد قال الحسن عند ذكر السرف : أنه ليكون في الماعونين : الماء، والكلأ، فلم يرض بذكر الماء حتي أردفه بالكلأ.

وعبتموني حين ختمت علي سد عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة، ومن رطبة غريبة، علي عبد نهم، وصبي جشع، وأمة لكعاء، وزوجة خرقاء، وليس من أصل الأدب، ولا في ترتيب الحكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن يستوي في نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب، والناعم من كل فن، واللباب من كل شكل - التابع والمتبوع، والسيد والمسود، كما لا تستوي مواضعهم في المجلس، ومواقع أسمائهم، في العنوانات، وما يستقبلون به من التحيات، وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر، ولا يكترثون له اكتراث العارف؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمن، وأعلف حماره السمسم المقشر، فعبتموني بالختم وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق، وختم علي كيس فارغ، وقال : طينه خير من طية. فأمسكتم عمن ختم علي لا شيء وعبتم من ختم علي شيء.

وعبتموني حين قلت للغلام : إذا زدت في المرق فزد في الانضجاج، لتجمع بين التأدم باللحم والمرق، ولتجمع مع الارتفاق بالمرق الطيب، وقد قال النبي ﷺ : إذا طبختم لحما فزيدوا في الماء فإن لم يصب أحدكم لحما أصاب مرقا.

وعبتموني بخصف النعال، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة أبقى، وأوطأ، وأوقى، وأنفى للكبر، وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، وأن الاجتماع مع الحفظ، وأن التفرق مع التضييع، وقد كان النبي ﷺ يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويلطع أصبعه، ويقول : لو أتيت بذراع لأكلت، ولو دعيت إلي كراع لأجبت.

ولقد لفقت سعدي بنت عوف أزار طلحة - وهو جواد قريش وهو طلحة الفياض - وكان في ثوب عمر رقاع أدم وقال : من لم يستحي من الخلال خفت مؤنته وقل كبره، وقالوا : لا جديد لمن لا يلبس الخلق.

وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط علي الرائد أن يكون عاقلا مسددا فأتاه به موافقًا. فقال : أكنت ذا معرفة به؟ قال : لا، ولا رأيته قبل ساعته. قال : أفناقلته الكلام، وفاتحته الأمور قبل أن توصله إلي؟ قال : لا. قال : فلم اخترته على جميع من رأيته؟ قال : يومنا يوم قائظ، ولم أزل أتعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم في مثل هذا اليوم

فَلاَ تُنْفِقَنَّ إلاَّ مِنَ الرِّبْحِ.

= ورأيت ثياب الناس جددا وثيابه لبسا[١] فظننت به الحزم، وقد علمنا أن الجدد في موضعه دون الخلق، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، وبوأ له موضعا، كما جعل لكل دهر رجالا، ولكل مقام مقالا، وقد أحيا بالسم، وأمات بالغذاء، وأغص بالماء، وقتل بالدواء، فترقيع الثوب يجمع مع الإصلاح التواضع، وخلاف ذلك يجمع مع الإسراف التكبر، وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكسبين كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين، وقد جبر الأحنف يد عنز وأمر النعمان بذلك، وقال عمر: من أكل بيضة فقد أكل دجاجة، وقال رجل لبعض السادة: أهدى إليك دجاجة؟ فقال: إن كان لابد فاجعلها بياضة.

وعبتموني حين قلت: لا يغترن أحد بطول عمره، وتقوس ظهره، ورقة عظمه، ووهن قوته أن يرى أكرومته، ولا يحوجه ذلك إلى إخراج ماله من يديه، وتحويله إلى ملك غيره، وإلى تحكيم السرف فيه، وتسليط الشهوات عليه، فلعله أن يكون معمرًا وهو لا يدرى وممدودًا له في السن وهو لا يشعر، ولعله أن يرزق الولد علي اليأس، أو يحدث عليه بعض مخبآت الدهور، مما لا يخطر علي البال، ولا تدركه العقول، فيسترده ممن لا يرده، ويظهر الشكوي إلي من لا يرحمه، فعبتموني بذلك. وقد قال عمرو بن العاص: اعمل لدنياك عمل من يعيش أبدًا، واعمل لآخرتك عمل من يموت غدًا.

وعبتموني حين زعمت أن التبذير إلي مال القمار، ومال الميراث، وإلي مال الالتقاط، وحباء الملوك - أسرع، وأن الحفظ إلي المال المكتسب والغني المجتلب، وإلي ما يعرض فيه لذهاب الدين، واهتضام العرض، ونصب البدن، واهتمام القلب، - أسرع، وأن من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل، وأن من لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر، وطاب نفسًا بالذل، وزعمت أن كسب الحلال مضمن بالإنفاق في الحلال، وأن الخبيث ينزع إلي الخبيث، وأن الطيب يدعو إلي الطيب، وأن الإنفاق في الهوي حجاب دون الحقوق، وأن الإنفاق في الحقوق حجاب دون الهوى، فعبتم علي هذا القول. وقد قال معاوية: لم أر تبذيرا قط إلا وإلى جانبه حق مضيع، وقد قال الحسن: إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله، فانظروا فى أى شيء ينفقه فإن الخبيث ينفق في السرف.

وقلت لكم بالشفقة منى عليكم، وبحسن النظر لكم، وبحفظكم لآبائكم، ولما يجب فى جواركم، وفي ممالحتكم وملابستكم، وأنتم في دار الآفات والحوائج غير مأمونات، =

(١) اللبس - بفتح أوله - نوع من الثياب والذي يظهر لنا أنه أراد به القديم الخلق.

وَعَلَيكَ بِالْخُبزِ وَالْمِلْحِ.

فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلى بقية فأحرزوا النعمة باختلاف الأمكنة، فإن البنية لا تجري فى الجميع إلا مع موت الجميع، وقد قال عمر رضى الله عنه في العبد والأمة، وفي ملك الشاة والبعير، وفي الشيء الحقير اليسير : فرقوا بين المنايا، وقال ابن سيرين لبعض البحريين : كيف تصنعون بأموالكم؟ قال : نفرقها في السفن فمن عطب بعض سلم بعض، ولولا أن السلامة أكثر لما حملنا خزائننا في البحر، قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهي صناع.

وقلت لكم - عند إشفاقي عليكم - أن للغني سكرًا، وأن للمال لنزوة، فمن لم يحفظ للغني من سكر الغني فقد أضاعه، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر، فقد أهمله، فعبتموني بذلك، وقال زيد بن جبلة : ليس أحد أفقر من غنى أمن الفقر، وسكر الغنى أشد من سكر الخمر، وقلتم : قد لزم الحث على الحقوق، والتزهيد فى الفضول، حتى صار يستعمل ذلك فى أشعاره بعد رسائله، وفى خطبه بعد سائر كلامه، فمن ذلك قوله فى يحيى بن خالد :

عدو تلاد المال فيما ينوبه منوع إذا ما منعه كان أحزما

ومن ذلك قوله فى محمد بن زيد :

وخليقتان : تقى وفضل تحرم وإهانة فى حقه للمال

وعبتموني حين زعمت أن المال مقدم علي العلم؛ لأن المال به يغاث العالم، وبه تقوم النفوس قبل أن تعرف فضيلة العلم، وأن الأصل أحق بالتفضيل من الفرع، وأني قلت وإن كنا نستبين الأمور بالنفوس فأنا بالكفاية نستبين وبالخلة نعمى، وقلتم : وكيف تقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء، ومقدم الأدباء : العلماء أفضل أم الأغنياء؟ قال : بل العلماء، قيل : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء؟ قال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى، ولجهل الأغنياء بفضل العلم. فقلت : حالهما هى القاضية بينهما، وكيف يستوى شيء ترى حاجة الجميع إليه وشيء يغنى بعضهم فيه عن بعض.

وعبتموني حين قلت : أن فضل الغني علي الفوت إنما هو كفضل الآلة تكون في الدار إن احتيج إليها استعملت، وأن استغنى عنها كانت عدة. وقد قال الحضين بن المنذر: وددت لو أن لي مثل أُحد ذهبًا لا أنتفع منه بشيء قيل : فما ينفعك من ذلك، قال : لكثرة من يخدمني عليه، وقال أيضًا : عليك بطلب الغنى فلو لم يكن لك فيه إلا أنه عز في قلبك. وشبهة في قلب غيرك لكان الحظ فيه جسيما. والنفع فيه عظيما. ولسنا ندع سيرة الأنبياء. وتعليم الخلفاء. وتأديب الحكماء، لأصحاب الأهواء. كان رسول الله ﷺ يأمر

وَلَكَ فِي الْخَلِّ وَالْبَصَلِ رُخْصَةٌ مَا لَمْ تُذِمَّهُما[١] . وَلَمْ تَجْمَعْ بَيْنَهُمَا[٢] .
وَاللَّحْمُ لَحْمُكَ وَما أَرَاكَ تَأْكُلُهُ[٣] وَالْحُلوُ طَعَامُ مَنْ لا يُبَالِي عَلَى أَيِّ جَنْبَيْهِ يَقَعُ[٤] . وَالْوَجَبَاتُ عَيْشُ الصَّالِحِينَ[٥] . وَالأَكْلُ عَلَيَ الْجُوعِ وَاقِيَةُ الْفَوْتِ[٦] .

= الأغنياء باتخاذ الغنم. والفقراء باتخاذ الدجاج. وقال: درهمك لمعاشك. ودينك لمعادك. فقسم الأمور كلها علي الدين والدنيا. ثم جعل أحد قسمي الجميع الدرهم. وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: أني لأبغض أهل البيت ينفقون رزق الأيام في اليوم، وكان هشام يقول: ضع الدرهم يكون مالا. ونهي أبو الأسود الدؤلي - وكان حكيما أديبًا. وداهيًا أريبًا - عن جودكم هذا المولد. وعن كرمكم هذا المستحدث. فقال لابنه: إذا بسط الله لك في الرزق فابسط. وإذا قبض فاقبض. ولا تجاود الله فإن الله أجود منك. وقال: درهم من حل يخرج في حق خير من عشرة آلاف قبضًا. وتلقط عرندًا من بريم فقال: تضيعون مثل هذا وهو قوت امرئ مسلم يوما إلي الليل؟! وتلقط أبو الدرداء حبات حنطة فنهاه بعض المسرفين فقال: إن مرفقة المرء رفقه في معيشته.

فلستم عليّ تردون، ولا برأيي تقتدون. فقدموا النظر قبل العزم، وتذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا مالكم، والسلام.

هذه رسالة سهل. وهي آية في البلاغة. وقوة الاسترسال في المخاصمة لولا أنها تمتدح خصلة أجمع الناس علي مذمتها. واتفقوا علي نكرانها.

(١) يروي تذمهما - بالذال المعجمة - والمعني: أن لك أن تأتدم بالخل والبصل ما رضيت بهما نفسك، ولم تنزع عنهما، والفعل أذمه إذمامًا أى وجده مذمومًا، ويروى: تدمنهما - بالدال المهملة وبعد الميم نون - أى ما لم تواظب عليهما وتكثر من تناولهما.

(٢) أى أنهما مرخصان لك ولكن كل واحد منهما بانفراده فلا تحدث نفسك بتناولهما معًا.

(٣) يريد أن ينهاه عن أكل اللحم فهو يقول له: أن كلمة اللحم لا معنى لها غير لحمك أنت وليس له وجود في العالم إلا ذلك ولا أتوهم أن نفسك تقبل أن تأكله فهو نهاية في التقزيز والتنفير.

(٤) المعنى أنه لا يأكل الحلو إلا رجل قد وطن نفسه على الهلاك وأحب الموت فهو لا يبالى على أى جانب من جانبيه يخر علي الأرض، والفقرة مأخوذة من قول الشاعر:

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

(٥) الوجبات: جمع وجبة وهى الأكلة الواحدة فى اليوم والليلة، والمعنى أن الإقلال من الأكل وتبعيد المسافة بين كل أكلتين من شأن الصالحين وعادات الكملة من الرجال فقلدهم وتشبه بهم.

(٦) الفوت: المراد به هنا الإعدام، والفقر، والمعنى: أنك إذا لم تأكل إلا جائعًا فقد أمنت على =

وَعَلَيَ الشِّبَعِ دَاعِيَةُ الْمَوْتِ. ثُمَّ كُنْ مَعَ النَّاسِ كَلاَعِبِ الشِّطْرَنْجِ: خُذْ كلَّ مَا مَعَهُمْ وَاحْفَظْ كلَّ ما مَعكَ[١]. يَا بُنَيَّ قَدْ أَسْمَعْتُ وَأَبْلَغْتُ. فإِنْ قَبِلْتَ فاللهُ حَسْبُكَ. وَإِنْ أَبَيْتَ فاللهُ حَسِيبُكَ[٢]. وَصلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجْمَعينَ.

المَقَامَةُ الصَّيمَرِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: قالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحقَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِى الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيُّ: إِنَّ مِمَّا نزَلَ بِي مِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهمْ وَانْتَخَبْتُهمْ وادَّخَرْتُهمْ لِلشَّدَائِدِ ما فِيهِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَأَدَبٌ لِمنْ اعتَبَرَ وَاتَّعَظَ وَتَأَدَّبَ[٣]. وَذلِكَ أَنِّي قَدِمْتُ

= نفسك عادية السرف وسلطان الإعواز فأما إذا أكلت ممتلئا فإنك تعرض نفسك للموت والهلاك ويقرب ذلك من الحديث: (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع).

(١) الشطرنج: لعبة معروفة، ومن عادة اللاعبين أن يهتم كل واحد منهما بغلبة الآخر والفوز عليه وأخذ قطعة دون أن يهمل في التحفظ بكل ما معه فهو يقول له: لتكن حالتك في الانفاق مع الناس كحال اللاعب: خذ منهم ولا تعطيهم.

(٢) حسبك: كافيك، وحسيبك: محاسبك، والمعنى: أننى نصحتك علما منى بحال الحياة وشؤونها وأبلغتك ما وصل علمى من تجاربها فإذا أنت عملت بما أعلمتك فإن الله يكفيك فى مهماتك وإن لم تفعل فما وعيت لأبيك وحسابك على الله.

(٣) المعنى: أن حدثا أليما نزل بى كان سببه الائتلام بجماعة أسفرت الألفة عن عدم غنائهم وقلة جدواهم وأن فى هذا الحادث لعظات بالغات، وعبرة زاجرة، وأدبا جما، وقديما كان الإخوان غصة وألما. وفيهم يقول الشاعر:

وإخوان تخذتهم دروعا ... فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات ... فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا: قد صفت منا قلوب ... لقد صدقوا ولكن عن ودادى

وقال:

تخذتكم درعا حصينًا لتدفعوا ... نبال العدا عنى فكنتم نصالها

وقال عبد الله بن معاوية: =

مِنَ الصَّيْمَرَةِ إلى مَدِينَةِ السَّلامِ[١] . وَمَعِي جِرَابُ دَنانِيرَ وَمِنَ الْخُرثِي وَالآلَةِ وَغَيْرِ ذلِكَ مَا لا أحْتاجُ مَعَهُ إلَى أحَدٍ[٢] . فَصَحِبْتُ مِنْ أهْلِ الْبُيُوتاتِ وَالْكُتَّابِ وَالتُّجارِ . وَوُجُوهِ الثَّنَاءِ مِنْ أهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْيَسارِ[٣] . وَالْجِدَةِ وَالْعَقارِ[٤] . جَماعَةً اخْتَرْتُهُمْ لِلصُّحْبَةِ . وَادَّخَرْتُهُمْ لِلنَّكْبَةِ[٥] .

العهد عهدان : عهد امرئ يأنف أن يغدر أو ينقضا
وعهد ذى لونين ملالة يوشك إن ودك أن يبغضا
ان لم تزره قال : قد ملنى وبالحرى إن زرت أن يعرضا
شيمته مثل الخضاب الذى بينا تراه قانيا إذ نضا

ولآخر :

إذا افتقرت نأى واستد جانبه وإن رآك غنيًا لان واقتربا
وإن أتاك لمال أو لتنصره أثنى عليك الذى يهوى وإن كذبا
مد لى القرابة عند النيل يطلبه وهو البعيد إذا نال الذى طلبا
حلو اللسان بعيد القلب مشتمل على العداوة لابن العم ما اصطحبا

وقال سفيان بن عيينة : صحبت الناس خمسين سنة ما ستر لي أحد عورة، ولا رد عني عيبة، ولا عفا لي عن مظلمة، ولا قطعته فوصلني، وأخص إخواني لو خالفته في رمانة فقلت هي حامضة وقال هي حلوة لسعي بي حتي يشيط دمي.

(١) قال في المشترك : الصيمرة - بالصاد المهملة مفتوحة، وياء ساكنة، وميم مفتوحة، وراء مهملة، وتاء مربوطة - اسم يقع علي موضعين : أحدهما ناحية بالبصرة علي فم نهر معقل، فيها عدة قري يشملها هذا الاسم وهم جهال يعبدون رجلا يقال له عاصم بن شباش وولده من بعده، وإليها ينسب أبو العنبس محمد بن اسحق بن ابراهيم الصيمري صاحب الكتب في الهزل مات سنة ٢٧٥، والثاني بلدة من نواحي خوزستان وهي المسماة بمهرجان قذق، وإليها ينسب أبو تمام إبراهيم بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني الصيمري من أهل بروجرد وأصله من الصيمرة، ومدينة السلام : هي بغداد.

(٢) الخرثي : الأثاث، والآلة : كل ما يحتاج إلي الارتفاق به في الأعمال المنزلية.

(٣) وجوه الثناء : أي الجماعة الذين لهم وجاهة ذكر، ونباهة صيت، وارتفاع شهرة.

(٤) الجدة : الغني، وبسطة المال، وسعة الرزق، ورفاهة العيش.

(٥) ادخرته : خزنته لأنتفع به وقت الشدة مغالاة به، والمعني : أنني اخترت هذه الجماعة من بين المياسير والوجوه وجعلتهم عدة للنوائب. وترسا أتقي به الخطوب، ودرعا يقيني من العاديات والشدائد.

فَلَمْ نَزَلْ في صَبُوح وَغَبُوقٍ[١] نَتَغَذَّى بِالْجَدَايا الرُّضَّعِ وَالطَّباهِجاتِ الْفَارِسِيَّةِ وَالْمُدَقَّقَاتِ الإِبرَاهِيمِيَّةِ[٢] وَالْقَلَايَا الْمُحرِقَةِ وَالْكَبابِ الرَّشِيدِيِّ وَالْحُملانِ[٣] وَشَرَابُنَا نَبِيذُ الْعَسَلِ وَسَمَاعُنا مِنَ الْمُحسِناتِ الْحُذَّاقِ. الْمَوْصُوفاتِ في الآفاقِ[٤]. وَنَقْلُنا اللَّوْزُ الْمُقَشَّرُ وَالسُّكَّرُ وَالطَّبْرزَدُ[٥]. وَرَيْحانُنا الوَرْدُ. وَبَخُورُنا النَّدُّ[٦]. وَكُنْتُ عِنْدَهُمْ أَعْقَلَ مِنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ[٧]. وَأَظْرَفَ مِنْ أبي نُوَاسٍ.

---

(١) الصبوح : ما حلب من اللبن صباحا أو ما أصبح عندك من الشراب. والغبوق : ما كان كذلك في المساء، ويستعملون هذين اللفظين في معني الشرب صباحا ومساء.

(٢) الجدايا : جمع جدي - وهو جمع غير معروف، والمذكور له من الجموع جداء وأجد وجديان - وهو الذكر من أولاد المعز في سنته الأولي والرضع : كناية عن طراءة اللحم، الطباهجات جمع طباهجة : وهي ضرب من اللحم المشرح يصنع مع البيض والبصل، والمدققات : اللحم يقطع قطعا صغارا ثم يستوي بعد تكتيله كتلا، وهي أشبه بما يسمونه اليوم بمصر (كفته) والإبراهيمية : المنسوبة لإبراهيم بن المهدي لأنه كان يتأنق فيها.

(٣) القلايا : ما يقلي من اللحم وغيره ويضاف إليه ما يطيبه، والمحرقة التي تزيد في العطش حرافتها، والكباب : اللحم المشوي، والرشيدي : المنسوب إلي هرون الرشيد الخليفة العباسي لأنه كان يستجيده، والحملان : جمع حمل وهو الخروف.

(٤) المحسنات الحذاق : المغنيات اللاتي أجدن الصناعة وبرعن فيها، والموصوفات في الآفاق : اللائى طار ذكرهن وارتفع صيتهن.

(٥) النقل - بفتح أوله في الصحيح وضمه في المشهور - : كل ما ينتقل من الخمر إليه ومنه إليها ويسمي الآن : مزة. والطبرزد نوع من السكر صلب أبيض ويعرف اليوم باسم السكر النبات.

(٦) الورد : معروف، والند : عود يتبخر به، وقيل هو العنبر، والمعني المقصود بكل ما ذكر أنهم كانوا علي حالة من اليسرة ونعومة العيش وطيب الحياة وأنهم قد جمعوا فيها كل أنواع المسرة وكل مجلب للأنس وطمأنينة الخاطر.

(٧) ابن العباس : هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحرث الهلالية، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس والأول أثبت، وهو حَبْر العرب وأوفاهم عقلا وحشما وعلما وجمالا وكمالا، وترجمان القرآن ولسانه، وكان أبيض طويلا مشربا صفرة، جسيما، وسيما، صبيح الوجه، له وفرة، يخضب بالحناء، إذا قعد أخذ مقعد رجلين، متفقها في الدين، عالما بالتأويل، حكيما، وكان لا يسأل عن شيء إلا وجد له عنده جوابا لسعة حفظه ورجاحة عقله =

وَأَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ [١] .

وكمال استعداده : فإن كان في القرآن أخبر به ، فإن لم يكن وكان في السنة أخبر به ، فإن لم يكن وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به ، فإن لم يجده في شيء منها قال برأيه ، ويروي عن عبد الله بن بريدة قال : شتم رجل ابن عباس فقال : إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال : أني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ولعلي لا أقاضي إليه أبدًا ، وأني لأسمع بالغيث يصيب بلاد المسلمين فأفرح به ومالي بها سائمة ولا راعية ، وأني لآتي على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم . وقد ولاه علي كرم الله وجهه البصرة ، وكان قائد الميسرة يوم صفين ولم يزل والي البصرة حتى قتل علي ، ويروى أنه كان يفسر الناس في رمضان وهو أمير البصرة فما ينقضي الشهر حتي يفقههم ، وسعى إليه ساع برجل فقال : إن شئت نظرنا فإن كنت كاذبا عاقبناك ، وإن كنت صادقا نفيناك ، وإن شئت أقلتك . قال : هذه . ونظر الحطيئة إليه في مجلس عمر - وقد قرع بكلامه - فقال : من هذا الذي نزل علي القوم بسنه ، وعلاهم في قوله قالوا : هذا ابن عباس فأنشأ يقول :

إني وجدت بيان المرء نافلة ... يهدي له ووجدت العي كالصمم
المرء يبلى ويبقي الكلم سائرة ... وقد يلام الفتى يوما ولم يلم

ويروي عن النعمان حسان بن ثابت قال : كانت لنا عند عثمان أو غيره من الأمراء حاجة فطلبناها إليه لجماعة من الصحابة منهم ابن عباس وكان حاجة صعبة شديدة فاعتل علينا فراجعوه إلي أن عذروه وقاموا إلا ابن عباس فلم يزل يراجعه بكلام جامع حتي سد عليه كل حجة فلم ير بدًا من أن يقضي حاجتنا فخرجنا من عنده وأنا آخذ بيد ابن عباس فمررنا علي أولئك الذين كانوا عذروا وضعفوا فقلت : كان عبد الله أولاكم بهم . قال : أجل . فقلت أمدحه :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل ... بملتقطات لا تري بينها فصلا
كفي وشفي ما في النفوس ولم يدع ... لذي أربة في القول جدًا ولا هزلا
سموت إلي العليا بغير مشقة ... فنلت ذراها لا دنيئا ولا وغلا

واتفقوا علي أنه ﷺ مات بالطائف سنة ٦٨ هـ واختلفوا في سنه فقيل ابن إحدى وسبعين وقيل ابن اثنتين وقيل ابن أربع والأول هو الأقوي .

[١] حاتم : هو أبو سفانة وأبو عدي مجد العرب ، وفخارهم ، وحديث سؤددهم ، وعنوان مروءتهم ، وثالث الثلاثة الذين سارت الركبان بأخبار كرمهم ، وملأ الخافقين ذكر جودهم (هو ، وكعب بن مامة ، وهرم بن سنان) وهو أعلاهم كعبا ، وأنبههم ذكرًا ، وأكثرهم أخبارًا حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ، أدرك مولد النبي ﷺ ومات قبل مبعثه ، وروى عن علي بن أبي طالب رضي

. . . . . .

الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال يوما : سبحان الله! ما أزهد كثيرًا من الناس في الخير! عجبًا لرجل يأتيه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا! فلو أنه كان لا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا - لكان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنها تدل علي سبيل النجاح، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي ﷺ؟ قال : نعم، لما أتي بسباياطي وقفت جارية لعساء عيطاء، فلما رأيتها أعجبت بها، وقلت : لأطلبنها من النبي ﷺ، فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت : يا محمد، إن رأيت أن تخلى عنى، ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائى. فقال النبي ﷺ يا جارية هذه صفة المؤمن، ولو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق. وقال عدي بن حاتم : قلت للنبي ﷺ: إن أبي كان يطعم المساكين، ويعتق الرقاب، ويصل الرحم، فهل له في ذلك أجر ؟ قال : إن أباك رام أمراً فأدركه (يريد ارتفاع الذكر). وأول ما ظهر من أمر حاتم أن أباه خلفه في إبله - وهو غلام - فمر به جماعة من الشعراء - فيهم عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي حازم، والنابغة الذبياني - يريدون النعمان فقالوا لحاتم : هل من قري ؟ فقال - ولم يعرفهم - : تسألونني القري وقد رأيتم الإبل والغنم؟ أنزلوا، فنزلوا، فنحر لكل واحد منهم، وسألهم عن أسمائهم فأخبروه ففرق فيهم الإبل والغنم، وجاء أبوه فقال : ما فعلت؟ قال : طوفتك مجد الدهر تطويق الحمامة، وأخبره فقال أبوه : إذن لا أبالي. وحدثت زوجه النوار قالت : أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض، وضنت المراضع علي أولادها، فوالله إني لفي ليلة بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاغي : أولادنا : عبد الله، وعدي، وسفانة، فقام إلي الصبيين وقمت إلي الصبية فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل، ثم ناموا، ونمت أنا وإياه، فأقبل علي يعللني بالحديث، فعرفت ما يريد، فتناومت وما يأتيني نوم، فقال : ما لها؟ أنامت؟ فسكت، ثم تهورت النجوم وإذا شيء قد رفع كسر البيت فقال : ما هذا؟ قالت : جارتك فلانة، قال : مالك؟ قالت : الشر، أتيتك من عند صبية يتعاوون عوي الذئاب من الجوع، قال : أعجليهم، فهببت إليه فقلت : ماذا صنعت؟ فوالله لقد تضاغي صبيتك من الجوع فما أصبت ما يعللهم؟ فقال : اسكتي، وأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبيها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام إلي فرسه جلاب، فنحره وكشط عن جلده ودفع الدية إلي المرأة ثم قال لي : آبعثي صبيانك فبعثتهم فاجتمعنا فقال : تأكلون دون أهل الصوم؟ ثم جعل يأتي بيتا بيتا ويقول : دونكم النار، فاجتمعوا فالتفع بثوبه ناحية ينظر إلينا، فوالله ماذاق منها مزعة وأنه لأحوجهم، وأصبحنا وما علي الأرض إلا عظم أو حافر. وحكى ابن الأعرابي قال : أسر حاتم في عنزة فقالت له امرأة يوما : قم فافصد لنا هذه الناقة - وكان الفصد عندهم أن يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوي ويؤكل - =

. . . . . .

فقام حاتم إلي الناقة فعقرها، فلطمته المرأة، فقال : لو ذات سوار لطمتني؟ فذهبت مثلا . ثم قال له النسوة : إنما قلنا افصدها، قال : هذا فزدي، يعني أنه فصدي وهي لغة طيئ، وقال ابن الاعرابي وابن السكيت وجماعة من الرواة : خرج الحكم بن أبى العاصي ومعه عطر يريد الحيرة - وكان بالحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنة، وكان النعمان قد جعل لبني لام بن عمرو ريع الطريق طعمة لهم - فمر الحكم بحاتم فسأله الجوار في أرض طيئ حتي يصير إلي الحيرة فأجاره، ثم أمر حاتم بجزور فنحرت وأكلوا منها ومع حاتم - غير الحكم - ابن عمه ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم من طيبه ذلك، فمر حاتم بسعد بن حارثة بن لأم وليس مع حاتم من بني عمه غير ملحان، وحاتم علي راحلته، وفرسه تقاد، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال : أطعموا حياكم الله، فقالوا : من هؤلاء معك يا حاتم؟ قال : هؤلاء جيراني، قال له سعد : فأنت تجير علينا في بلادنا؟ قال له : أنا ابن عمكم وأحق من لم تخفروا ذمته، فقالوا : لست هذاك، وأرادوا أن يفضحوه فوثبوا إليه فتناول سعد (وقيل كندي، وربما كان أصح لما ستقرأه في شعر حاتم آخر القصة) ابن حارثة بن لام حاتما، فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفه ووقع الشر حتي تحاجزوا فقال حاتم :

وددت - وبيت الله - لو أن أنفه هواء فما مت المخاط عن العظم
ولكنما لاقاه سيف ابن عمه فآبي ومر السيف منه علي الخطم

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فنما جدك، ونضع الرهن، ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس ووضع حاتم فرسه، ثم خرجوا حتي انتهوا إلي الحيرة، وسمع ذلك أياس بن قبيصة الطائى فخاف أن يعين النعمان بني لأم للصهر الذي بينهم وبينه، ويقويهم بماله وسلطانه فجمع أياس رهطه من بني حية وقال : يا بني حية إن هؤلاء القوم أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مجاده، فقال رجل من بني حية : عندي مائة ناقة سوداء، ومائة حمراء أدماء، وقام آخر فقال : عندي عشرة حصن علي كل حصان منها فارس مدجج لا يري منه إلا عيناه، وقال حسان بن جبلة الخير : قد علمتم أن أبي قد مات وترك كلأ كثيرًا فعليَّ كل خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة، ثم قام أياس فقال : عليَّ مثل جميع ما أعطيتم كلكم - وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا - وذهب حاتم إلي ابن عمه مالك ابن جبار وكان كثير المال فقال : يابن عم أعني علي مخايلتي ثم أنشد :

يامال إحدي خطوب الدهر قد طرقت يا مال ما أنتم عنها بزحزاح
يا مال جاءت حياض الموت واردة من بين غمر فخضناء وضحضاح

فقال له مالك : ما كنت لأحرب نفسي ولا عيالي وأعطيك مالي، فانصرف عنه وقال مالك في ذلك :

. . . . . .

أنا بني عمكم ما إن بنا علكم ولا نجاوركم إلا علي ناح
وقد بلوتك إذ نلت الثراء فلم ألفك بالمال إلا غير مرتاح

ثم أتي حاتم ابن عمه وهم ابن عمرو - وكان يومئذ مصارما له لا يكلمه - فقالت له امرأته : أي وهم، هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع، فقال : ما لنا ولحاتم، أثبتي النظر، فقالت : ها هو، فقال ويحك، هو لا يكلمني فما جاء به إليّ؟ فنزل حتي سلم عليه، فرد سلامه وحياه ثم قال له : ما جاء بك يا حاتم؟ قال : خاطرت علي حسبك وحسبي، قال : في الرحب والسعة، هذا مالي - وعدته يومئذ تسعمائة بعير - فخذها مائة مائة حتي تذهب الإبل أو تصيب ما تريد، فقالت امرأته : ياحاتم أنت تخرجنا عن مالنا وتفضح صاحبنا (تعني زوجها) فقال : اذهبي عني فوالله ما كان الذي غمك ليردني عما قبلي، وقال حاتم :

الا أبلغا وهم بن عمر رسالة فإنك أنت المرء بالخير أجدر
رأيتك أدني الناس منا قرابة وغيرك منهم كنت أحبو وأنصر
إذا ما أتي يوم يفرق بيننا بموت فكن يا وهم ذو يتأخر

ثم قال أياس بن قبيصة : احملوني إلي الملك - وكان به النقرس - فحمل حتي أدخل عليه فقال : أنعم صباحا أبيت اللعن، فقال النعمان : وحياك ألهك، فقال أياس : أتمد أختانك بالمال والخيل، وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة؟ أظن أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا أن بني حية بالبلد؟ فإن شئت والله ناجزناك حتي يسفح الوادي دما، فليحضروا مجادهم غدا بمجمع العرب، فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه فقال له : يا أحلمنا لا تغضب فإني سأكفيك، وأرسل إلي سعد بن حارثة وإلى أصحابه :

انظروا ابن عمكم حاتما فأرضوه فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه وما أطيق بني حية، فخرج بنو لأم إلي حاتم فقالوا : أعرض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمنا، قال : لا والله حتي تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم، فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا : قبحها الله وأبعدها فإنما هي مقارف، فعمد إليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم الخمر وقال حاتم في ذلك :

أبلغ بني لام بأن خيولهم عقرت وأن مجادهم لم يمجد
ها انما مطرت سماؤكم دما ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد
ليكون جيراني كأني بينكم نحلا لكندب وسبي مزند
وابن النجود إذا غدا متلاطما وابن العذور ذي العجان الأزبد

وَأَشْجَعَ مِنْ عَمْرٍو[١] .

أبلغ بني ثعل بأبي لم أكن أبدًا لأفعلها طول المسند
لاجئتهم فلا وأترك صحبتي نهبًا ولم تقدر بقائمة يدي

وحاتم شاعر فحل ولكن شهرته بالجود والكرم غطت علي شعره فأصبح لا يعد في الشعراء إلا عند قصد الإطالة والاستقصاء، ولقد فضلته ماوية بنت عفزر - وكانت ملكة - علي النابغة وحكمت له حين أنشدها :

أماوي قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني من طلابكم العذر

في قصة طويلة

ومن شعره الرائع قوله :

وعادلة هبت بليل تلومني وقد غاب عيون الثريا فعردا
تلوم علي أعطائي المال ضلة إذا ضن بالمال البخيل وصردا
تقول : إلا أمسك عليك فإنني أري المال عند الممسكين معبدا
ذريني وحالي أن مالك وافر وجل امرئ جار علي ما تعودا
أريني جوادًا مات هزلا لعلني أري ما ترين أو بخيلا مخلدا
وإلا فكفي بعض لومك واجعلي إلي رأي من تلحين رأيك مسندا
ألم تعلمي أني إذا الضيف نابني وعزل القري أقري السديف المسر هدا
أسود سادات العشيرة عارفا ومن دون قومي في الشدائد مذودا
وألفي لأعراض العشيرة حافظا - وحقهم - حتي أكون المسودا

وقوله :

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم
لقد كنت أطوي البطن والزاد يشتهي مخافة يوما أن يقال لئيم
وما كان بي ما كان والليل ملبس رواق له فوق الأكام بهيم
ألف بحلسي الزاد من دون صحبتي وقد آب نجم واستقل نجوم

(١) عمرو : هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب بن عبد الله الزبيدي، أحد فرسان العرب وأبطالهم وصاحب الغارات والوقائع في الجاهلية والإسلام ورد علي رسول اللهﷺ في السنة العاشرة من الهجرة وأسلم وأبلى في وقائع الإسلام بلاء حسنا، وله في معركة القادسية موقف مشهود كان سبب الفتح كما كان في وقعة اليرموك وغيرها مغوارا فارسا شجاعا هماما . حدث عن نفسه قال : قدمت المدينة فرأيت رسول اللهﷺ قافلا من تبوك فأردت أن أدنو إليه فمنعني من حوله فقال : دعوه، فدنوت منه فقلت : أنعم صباحا أبيت اللعن، فقال : يا عمرو أسلم تسلم، ويؤمنك الله

. . . . . .

من الفزع الأكبر. فأسلمت، ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأله يوما: ما تقول في الحرب؟ قال: مرة المذاق، إذا كشفت عن ساق، فمن صبر عرف، ومن ضعف تلف، قال: فما تقول في الرمح؟ قال: خليلك: وربما خانك، قال: فالنبل؟ قال: منايا تخطي وتصيب، قال: فالترس؟ قال: عليه تدور الدوائر، قال: فالسيف؟ قال: عبدك ثكلتك أمك، قال عمر: بل أمك، فقال: الحمي أصرعتني، فأغلظ له عمر في الكلام فقال:

أتوعدني كأنك ذو رعين ... بأنقم عيشة أو ذو نواس؟
فلا تفخر بملكك، كل ملك ... يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر: صدقت فاقتص مني، قال: بل أعفو يا أمير المؤمنين، لولا آية سمعتها منك لجللتك بالسيف أخذ منك أم ترك! قال: وما هي؟ قال: سمعتك تقرأ: (أنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) والله لو علمت أنني إذا دخلتها مت لفعلت.

وهو شاعر مطبوع، ومن جيد شعره

ولما رأيت الخيل زورا كأنها ... جداول ماء ارسلت فاسبطرت
وجاشت إلي النفس أول فكرة ... فزدت علي مكروهها فاسبطرت
ظللت كأني للرماح رديئة ... أقاتل عن أحساب قوم وفرت
ولو أن قومي أنطقتني رماحهم ... نطقت ولكن للرماح أجرت

وقوله:

وقد عجبت أمامة أن رأتني ... تفرع لمني شيب فظيع
أشاب الرأس أيام طوال ... وهم ما تبلغه الضلوع
وزحف كتيبة للقاء أخرى ... كأن زهاءها رأس صليع
وأسناد الأسنة نحو نحري ... وهز المشرفية والوقوع

وقوله:

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع
وصله بالنزوع، فكل شيء ... سمالك، أو سموت له نزوع

وقوله:

ليس الجمال بمئزر ... فاعلم وإن رديت بردا
إن الجمال معادن ... ومناقب أورثن مجدا
أعددت للحدثان سا ... بغة وعداء علندي

وَأَبْلَغَ مِنْ سَحْبانِ وَائِلٍ[١] .

وحسام ذا شطب يقد البيض والأبدان قدا
كل امرئ يجرى إلى يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت محاسنها التي تخفي وعادا الأمر جدا
وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدي
نازلت كبشهم ولم أرمن نزال الكبش بدا
كم ينذرون دمي وأنـ ذر إن لقيت بأن أشدا
كم من أخ لي صالح بوأته بيدي لحدا
ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا

ووفد علي كسري مع النعمان بن المنذر ليدافع عن العرب ويبطل ما كان كسري قد نسبه إليهم فقال : إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب، وملاك النجدة الارتياد، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة، فاجتبذ طاعتنا بلفظك، واكتظم بادرتنا بحلمك، وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا، فإنَّا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضما، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضما.

(١) سحبان وائل : هو سحبان بن زفر بن أباد الوائلي (نسبة لوائل باهلة) الخطيب المصقع، المضروب به المثل في البلاغة والبيان، وفيه قال الأصمعي كان إذا خطب يتصبب عرقا، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف ولا يقعد حتي يفرغ، ونشأ في الجاهلية بين قبيلة وائل (إحدي قبائل ربيعة) ولما ظهر الإسلام أسلم، وتقلبت به الأحوال حتي التحق بمعاوية رضى الله عنه فكان يعده للملمات، ويتوكأ عليه عند المفاخرة : لقوة عارضته، وسرعة خاطره، وقدم علي معاوية وفد من خراسان وفيهم سعيد بن عثمان بن عفان فطلب سحبان فلم يجده في منزله، فاقتضب من ناحية اقتضابا وأدخل عليه فقال له معاوية : تكلم، فقال : أحضروا لي عصا، قالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه، فضحك معاوية وأمر له بإحضارها فلما وصلت إليه ركلها (خبرها) فلم ترق في نظره فطلب عصاه فأخذها ثم خطب من صلاة الظهر إلي أن حانت صلاة العصر، ما تنحنح، ولا سعل، ولا توقف، ولا تلكأ، ولا ابتدأ في معني وخرج منه وقد بقي منه شيء. فمازالت تلك حاله حتي دهش منه الحاضرون فأشار إليه معاوية بيده، فأشار إليه سحبان لا تقطع علىَّ كلامي، فقال معاوية الصلاة، قال هي أمامك، نحن في صلاة وتحميد، ووعد ووعيد فقال معاوية : أنت أخطب العرب، قال سحبان : والعجم، والجن، والإنس وينسب إليه.

وَأدْهَى مِنْ قَصِيرٍ [١]. وَأشْعَرَ مِنْ جَرِيرٍ. وَأعْذَبَ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ وَأطْيَبَ مِنَ الْعافِيَةِ. لِبَذْلي وَمُرُوءَتي [٢]. وَإتْلافِ ذَخِيرَتي.

لقد علم اخي اليمانون أنني إذا قلت أما بعد أني خطيبها =

ومن خطبة له في الوعظ

أما بعد فإن الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر، فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم، عند من لا تخفي عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم، قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها حييتم، ولغيرها خلقتم، اليوم عمل بلا حساب، وغدا حساب بلا عمل، إن الرجل إذا هلك، قال الناس ما ترك، وقالت الملائكة ما قدم، فقدموا بعضا، ليكون لكم قرضا، ولا تتركوا كلا، يكون عليكم كلا.

ومن جيد شعره في مدح طلحة الطلحات الخزاعي

يا طلح أكرم من مشى حسبا وأعطاهم لتالد
منك العطاء فأعطني وعليّ مدحك في المشاهد

والمروي له كلام يسير جدا، بل والذي روي علي ندرته قد نسبه إلي غيره بعض الرواة الموثوق بهم، ومن هذا القطعة التي ذكرناها فقد نسبها أبو علي القالي في أماليه إلي بعض الأعراب في صدر العصر العباسي، ولعل السر في عدم تدوين خطبه أنه كان يميل إلي الإطالة التي يعجز الرواة معها عن الحفظ علي أنها لم تكن من السياسة في شيء والقوم إذ ذلك لا يشغلهم غيرها.

(١) قصير: هو أحد أرباب الحجا والرأى من ثقاة جذيمة الأبرش الذين جمعهم جذيمة حين استدعته الزباء إليها وعرضت عليه ملكها وزواجها فاستخفه ما دعته إليه، ورغب فيما أطمعته فيه فعرض علي خاصته الأمر فاجتمع رأيهم علي أن يسير إليها فيستولي علي ملكها ما عدا قصيرا - وكان أديبا حازما أثيرا عند جذيمة - فخالفهم فيما أشاروا به وقال: رأي فاتر، وغدر حاضر فذهب كلمته مثلا ثم قال: الرأي أن تكتب إليها فإن كانت صادقة في قولها فلتقبل إليك وإلا لم تمكنها من نفسك ولم تقع في حبالتها وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير فقال قصير:

اني امرؤ لا يميل العجز ترويتي إذا أتت دون شأني مرة الرزم

فقال جذيمة: لا، ولكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح فذهبت كلمته مثلا. ثم سار إليها فقتل، والحادث مشهور عرفه الصبيان فلا حاجة بنا إلي ذكره.

(٢) المعني أنني كنت في نظرهم جامعا لفضائل الصفات، وكريم الخصال، وشريف =

فَلَمَّا خَفَّ الْمتاعُ. وَانْحَطَّ الشِّراعُ(١). وَفَرَغَ الْجِرَابُ(٢). تَبادَرَ الْقَوْمُ البَابَ(٣). لِما أَحَسُّوا بِالْقِصَّةِ.

وَصارَتْ في قُلُوبِهِمْ غُصَّةٌ(٤). وَدَعَوْني بَرْصَةً(٥). وَانْبَعثُوا لِلفِرَارِ. كَرَمْيَةِ

= السجايا لما كان يعود عليهم من النفع وما كنت امنحهم من المعروف، وكذلك الموسر موقر في نظر الناس مغبوط منهم فلا يحاسب علي هفواته، ولا تعد له زلاته، ولا تساء معاملته، فإذا أملق رجع كل شيء إلي ضده وانقلب الحال، وتغيرت الشؤون. وجرير، وأبو نواس: تقدمت ترجمتهما.

(١) الشراع: كل شيء ارتفع وتصوب، ومعنى انحطاطه تهاويه إلى أسفل وذلك كناية عن تغيير حاله وانقلاب دهره أو هو شراع السفينة ومعني انحطاطه حينئذ ركود الريح وتعطل السفينة عن السير وفيه من الكناية نفس الذي في المعني الأول.

(٢) الجراب، - بكسر أوله ولا يفتح أو الفتح فيه لغة ضعيفة -: المزود والوعاء، والجمع جرب بضمتين أو جرب بضم فسكون وأجربة، ومعنى فراغه خلوه من المتاع، وهذا كناية عن إملاقه وبؤسه وخلو ذات يده.

(٣) تبادر القوم الباب: أسرعوا في الهرب وتوجه كل واحد منهم معرضا عني موليا بوجهه نحو الباب فرارا مني، والمعني: أنهم مازالوا يفدون عليَّ، ويتقربون إليّ. ويحاولون بكل ما فيهم من جهد أن يتصلوا بي إلي أن نضب معين ثروتي، وغاض ماء المال عندي وظهرت المتربة، وبدالهم سوء حالي. فلما عرفوا عني ذلك، وشعروا بأنه لم يعد لهم لدي رفد نفروا، مني وفروا، واستثقلوا ظلي.

(٤) الغصة - بضم أوله - الشجا وما اعترض في الحلق فأشرق وجمعه غصص، تقول منه غصصت بالطعام بالكسر أغص غصصا (بوزان طرب) فأنا غاص به وغصان، وقال الشاعر:

ألي الماء يسعي من يغص بريقه فقل أين يسعي من يغص بماء

وقال آخر:

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصار

والمراد هنا لازمه وهو الضيق، والحزن، وانقباض النفس، وذلك لما فاتهم من مجامع الأنس، ومحافل السرور، ومجالس البهجة والطرب.

(٥) البرصة - بفتح أوله -: دويبة صغيرة معروفة، ودعوني: لقبوني وأطلقوا علي هذه الكلمة تحقيرا لشأني، واستهانة بي، وتقليلا لفائدتي وغنائي وقد يكون بالضم وهو جمع مفرده البراص - بوزن سحاب - وهو البقعة التي لا تنبت أو منازل الجن، ويكون المعني إذ ذاك أنهم سموه بذلك =

الشِّرَارِ(١). وَأَخَذَتْهُمُ الضُّجْرَةُ(٢) فانْسَلُّوا قَطْرَةً قَطْرَةً(٣). وَتَفَرَّقُوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً(٤). وَبَقِيتُ عَلَى الآجُرَّةِ(٥). قَدْ أَوْرَثُونِي الْحَسْرَةَ. وَاشْتَمَلَتْ مِنهُمْ عَلَيَّ الْعَبرَةُ. لا أُسَاوِي بَعْرَةً(٦). وَحِيدًا فَرِيدًا كالْبُومِ. الْمَوْسُومِ بِالشُّومِ(٧). أَقَعُ وَأَقُومُ كَانَّ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ لَمْ يَكُنْ. وَنَدِمْتُ حِينَ لَمْ تَنْفَعْنِي النَّدَامَةُ(٨) فَبُدِّلْتُ بِالجَمالِ وَحْشَةً. وَصَارَتْ بي طُرْشَةٌ(٩). أَقْبَحُ مِنْ رَهْطَةِ الْمُنادِي.

= لفقره، وانتزاف ماله، وذهاب ثروته، وضياع ما كان حوله من الفائدة والمنفعة.

(١) الشرار: ما انفصل وتطاير من النار، ومن طبيعة الشرار أن ينطلق في الهواء بسرعة زائدة.

(٢) الضجرة - بضم أوله -: الضجر، وهو ضيق النفس والقلق والغم والتململ.

(٣) إذا بلغ الماء درجة مخصوصة كان لابد له من مزايلة مكانه فيتساقط ويتقاطر فإذا حصل ذلك لم يكن أسرع منه فهو يكني بانسلالهم قطرة قطرة عن تسارعهم إلي الهرب منه، واشتدادهم في الفرار من وجهه.

(٤) يمنة ويسرة - بفتح أولهما -: أي يمينا وشمالا، والمراد أنهم فارقوه كل واحد منهم إلي جهة إذ لم يكن لهم ما يجمعهم سوي مجلسه.

(٥) المراد بقيت علي الأرض منفردا، والآجرة في الأصل واحد الآجر وهو الطوب المحروق الذي يتخذ في البناء.

(٦) أورثوني حسرة: مثله قول أبي ذؤيب.

أودي بني وأعقبوني حسرة فتخرموا ولكل جنب مصرع

والعبرة - بفتح أوله -: الدمعة، والبكاء. وبعرة الجمل ونحوه معروفة والمعني: ابتعدوا عني: وتركهم لي فريدا لا أنيس لي قد أعقبني الندم والتحسر علي سابق أمري معهم وجعلني أقضي جميع أوقاتي في البكاء والنحيب وتركوني بائسا مسكينا لا قيمة لي ولا عضد.

(٧) البوم والبومة: طائر يقال للذكر والأنثي بوم وبومة، والموسوم: المعروف واصل الوسم والسمة - كالوعد والعدة -: العلامة. والبوم مما يتشاءم به ويتطير من صوته.

(٨) المعني أنني أسفت وزاد بي الغم ولكن بعد فوات الوقت ولم يعد الندم ينفعني ولا الأسف يفيدني.

(٩) المراد من الوحشة قبح الهيئة وتغييرها لأن ذلك هو الذي يقابل الجمال، والطرشة في الأصل: الخفيف من الصمم، وأراد منه هنا ما اشتد منه وزاد بدليل تعقيبه بقوله: أقبح من رهطة وهو رجل عرف عنه الصمم الشديد.

كأنِّي رَاهِبٌ عُبَّادِيٌّ[١]. وَقَدْ ذَهَبَ الْمَالُ وَبَقِي الطَّنزُ[٢]. وَحَصَلَ بِيَدِي ذَنَبُ الْعَنْزِ[٣]. وَحَصَلْتُ في بَيْتِي وَحْدِي مُتَفَتِّتَةً كَبِدِي. لِتَعْسِ جَدِّي. قَدْ قَرَّحَتْ دُمُوعِي خَدِّي[٤]. أَعْمُرُ مَنزِلاً دَرَسَتْ طُلُولُهُ[٥]. وَعَفَتْ مَعَالِمهُ سُيُولُهُ[٦]. فأَضْحَى وَأَمْسَى بِرَبْعِهِ الْوُحُوش. تَجُولُ وَتَنُوشُ[٧]. وَقَدْ ذَهَبَ جَاهِي وَنَفِدَتْ

---

(١) العباد : جمع عابد والنسبة هنا غير قياسية إذ الأصل أن ينسب إلي المفرد. اللهم إلا إذا كان بتأويل التسمية بلفظ الجمع وإطلاقه علي هذه الجماعة كعلم لهم. ومن صفات الراهب العزلة والابتعاد عن الناس وأراد من تشبيه نفسه به ذلك.

(٢) طنز يطنز طنزا : سخر وتهزأ واستهان، والمعني : أنه قد ذهب عني جمال الغني، وأبهة اليسار وحالفتني سخرية الفقر واستهانته.

(٣) ذنب العنز كناية عن عدم وجود شيء عنده لأن ذنب العنز قصير جاف لا نفع فيه ولا فائدة به فوجوده والعدم سواء.

(٤) المعني : أنني بقيت في داري وحيدا حزينا آسفًا باكيًا متوجعاً لما نالني متألما مما نزل بي، وتعجبني أبيات قلتها في مثل هذا الحال وهي :

بلوت الناس في عسر ويسر ... وفي الحالين من فرج وضيق
ولما لم أجد من يصطفيني ... لغير المال والحسب العريق
نفضت يدي وما علقت بشيء ... سوي الآلام والحزن العميق
إذا لم تلق في القرناء خيرا ... فأولي أن تعيش بلا رفيق

(٥) الطلل : ما بقي من آثار الديار أو الشخوص من كل شيء، وجمعه طلول وأطلال، ودرست : انمحت، والمراد خلوها من القطين والسكان، والمعني أنني صرت وحدي أعمر هذه الأماكن التي خلت بذهابهم.

(٦) عفت : درست يقال : عفا المنزل، وعفته الريح، يتعدي ويلزم - وبابهما عدا - وعفته الريح بالتضعيف - أيضا، وشدد للمبالغة، والسيول : جمع سيل وهو ما انحدر من المطر وفي هذا المعني يقول الشعر :

دمن عفت ومحا معالمها ... هطل أجش وبارح ترب

والمعني : أن السيل بطول مروره بهذه الديار قد محا معالمها وعفا آثارها.

(٧) تجول وتنوش معناهما واحد، والمراد أنه أصبح مسكنا للوحوش تذهب فيه طورا وتجيء وتروح وتغدو.

صِحاحِي[١]. وَقَلَّ مُراحِي. وَسَلَحْتُ في رَاحِي[٢]. وَرَفَضَنِي النُّدَمَاءُ والإِخْوَانُ الْقُدَماءُ لا يُرْفَعُ لِي رَأْسٌ. وَلا أُعَدُّ مِنَ النَّاسِ. أَوْتَحُ مِنْ بَزِيع الْهَرَّاسِ. ورَزِين الْمَرَّاسِ[٣]. أَتَرَدَّدُ عَلَيَ الشَّطِّ. كأَنِّي رَاعِي الْبَطِّ[٤]. أَمْشِي وَأَنَا خافي. وَأَتْبَعُ الْفَيَافِي[٥]. عَيْنِي سَخِينَةٌ. وَنَفْسِي رَهِينَةٌ[٦]. كأَنِّي مَجْنُونٌ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ دَيْرٍ. أَوْ عَيْرٌ يَدُورُ في الْحَيْرِ[٧]. أَشَدُّ حُزْنًا مِنَ الْخَنْسَاءِ عَلَيَ صَخْرٍ[٨].

---

(١) نفدت : فنيت وفي التنزيل (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)، والصحاح : جمع صحيح وهو كل ما يعتمد عليه والمراد ما كان بيده من المال.

(٢) مراحي : خفتي لإسداء المعروف، وهو من قولهم راح للمعروف يراح راحة إذا أخذته له خفة وأريحية ومنه الحديث (ومن راح في الساعة الثانية إلخ) لم يرد رواح النهار بل المراد خف إليها وسلحت في راحي : الراح : الراحة والارتياح، وسلح فيها أفسدها على نفسه والمعني : أن قلة المال وخلو اليد جعلاني لا أبادر للبذل ولا أخف إلي الإعطاء كما كنت أولا وأن الإملاق تركني فاقد الراحة مسلوب الطمأنينة.

(٣) أوتح : أخس وأضعف شأنا وأحط قيمة وأنزل قدرا، والهراس : صانع الهريسة والمراس : صانع الأمراس وهي الحبال، وبزيع ورزين اسما رجلين، وقد ضربهما مثلا في خسة القدر وضعف الجاه لأن صناعتهما في زمانه كانت أحط الصناعات وأقلها قدرا.

(٤) الشط. هو شاطئ النهر، والبط : من نوع الإوز وهما يألفان الماء وإذاكان لهما راع فهو دائما ملازم لشاطئ الماء.

(٥) الفيافي. الأراضي التي لا ماء بها ولا نبات، وأراد من ذلك الكناية عن الأماكن التي لا يوجد بها من الناس أحد لأنه كان يخجل أن يروه وهو علي هذه الحال السيئة.

(٦) يقال في الدعاء علي الرجل بالحزن : أسخن الله عينه، وسخنت عينه كما يقال في الدعاء له بالمسرة : أقر الله عينه وفي التنزيل (قرة عين لي ولك) ونفسي رهينة : محبوسة : والمعني : ضيقة متألمة.

(٧) العير - بفتح أوله - الحمار، قال الشاعر :

ولا يقيم علي ضعف يراد به ألا الأذلان عير الحي والوتد

والحيرة : الحظيرة التي تعمل للماشية وقاية لها من الحر والبرد.

(٨) الخنساء هي : السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية، أرقي شواعر العرب، وأحزن من بكي وندب.

كان أبوها عمرو وأخواها صخر ومعاوية سادات بني سليم من مضر، وكانت هي من أجمل نساء عصرها، فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم، فرغبت عنه وآثرت التزوج في =

. . . . . .

= قومها فتزوجت منهم.

وكانت تقول المقطعات من الشعر فلما قتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر جزعت عليهما جزعًا شديدًا وبكتهما بكاء مرا، وكان أشد وجدها علي صخر لأنه كان شاطرها هي وزوجها أمواله مرارا، فهاج حزنها الشعر في نفسها فقالت المراثي المطولات وفاقت النساء والرجال فيها، وأطالت عليهما البكاء والعويل حتي تقرحت مآقيها وحتي ضرب بها المثل في الحزن والبكاء وكثرة الرثاء، وجاء الإسلام فوفدت مع قومها علي النبي صلي الله عليه وسلم وأسلمت، وكان يعجبه شعرها ويستنشدها، ويقول : هيه يا خناس، ويومئ بيده.

وما فتئت تبكي صخرا قبل الإسلام وبعده حتي عميت، وبقيت إلي أن شهدت وقعة القادسية في السنة الخامسة عشرة من الهجرة مع أولادها الأربعة فأوصتهم وحضتهم علي الصبر عند الزحف فقتلوا جميعًا، فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم! ولم تحزن عليهم حزنها علي أخويها، وتوفيت بالبادية في خلافة معاوية.

فأما شعرها فقد أجمع أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها، ومن فضل ليلي الأخيلية لم ينكر أنها أرثي النساء، وكان بشار بن برد يقول : لم تقل امرأة الشعر ألا ظهر الضعف فيه، فقيل له : وكذلك الخنساء؟ فقال : تلك غلبت الفحول !

ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام فذلك النابغة الذبياني يقول لها - وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها:

قذي بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار؟؟

لولا أن أبا بصير (يريد الأعشي) أنشدني قبلك لقلت أنك أشعر من بالسوق

ولشعر الخنساء رنين في السمع، وهزة في القلب : ووقع في النفس، لأنه صادر عن فؤاد محزون، وما خرج من القلب حل في القلب، وكان فوق ذلك لين اللفظ، سهل الأسلوب، حسن الديباجة.

وسئل جرير : من أشعر الناس؟ قال : أنا لولا الخنساء، قيل : فبم فضلتك؟ قال : بقولها :

إن الزمان - وما يفني له عجب أبقي لنا ذنبا واستؤصل الراس
أن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس =

وَمِنْ هِنْدٍ عَلَيَّ عَمْرٍو [١] . وَقَدْ تَاهَ عَقْلِي وَتَلاَشَتْ صِحَّتِي . وَفَرَغَتْ صُرَّتِي [٢] .

ومن جيد شعرها قولها ترثي أخاها صخرا :

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندي
ألا تبكيان الجريء الجميل ... ألا تبكيان الفتي السيدا
رفيع العماد، طويل النجا ... د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهم ... إلي المجد مد إليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم ... من المجد ثم انتمي مصعدا
يحمله القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا
وإن ذكر المجد ألفيته ... تأزر بالمجد ثم ارتدي

ومن قصيدتها التي تقدم مطلعها :

وأن صخرا لمولانا وسيدنا ... وأن صخرا إذا نشتو لنحار
وأن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار
حمال ألوية، هباط أودية ... شهاد أندية، للجيش جرار

ومن قولها ترثيه :

ألايا صخر إن أبكيت عيني ... فقد أضحكتني زمنا طويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حي ... فمن ذا يدفع الخطب الجليلا؟
إذا قبح البكاء علي قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

(١) عمرو : هو ابن المنذر بن ماء السماء، وهند أمه، وكان قد قتله عمرو بن كلثوم في قصة ذكرناها عند ترجمته في المقامة العراقية وفي مقتله يقول : أفنون بن صريم التغلبي مفتخراً بفعل عمرو بن كلثوم من قصيدة له :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا ... لتخدم أمي أمه بموفق
فقام ابن كلثوم إلي السيف مصلتا ... فأمسك من ندمائه بالمخنق
وجلله عمرو على الرأس ضربة ... بذى شطب صافى الحديدة رونق

وكان لعمرو أخ يقال له مرة بن كلثوم فقتل المنذر بن النعمان وأخاه، وإياه عنى الأخطل بقوله :

ابنى كليب أن عمى اللذا ... قتلا الملوك وفككا الأغلالا

(٢) الصرة : وعاء الدراهم الذي توضع فيه .

وَفَرَّ غُلامِي. وَكَثُرَتْ أحلامِي. وَجُزتُ في الْوَسْوَاسِ المِقْدَارَ. وَصِرْتُ بِمَنزِلةِ الْعُمَّارِ. وَشَيْطانِ الدَّارِ. أظْهَرُ بِاللَّيْلِ وَأخْفَى بِالنَّهَارِ. أشأَمُ مِنْ حَفَّارٍ. وَأثْقَلُ مِنْ كِرَاءِ الدَّارِ. وَأرْعَنُ مِنْ طِيطِيءِ الْقَصَّارِ[١]. وَأحْمَقُ مِنْ دَاوُدَ الْعَصَّارِ. قَدْ حالَفَتْنِي الْقِلَّةِ. وَشَمَلَتْنِي الذِّلَّةُ. وَخَرَجْتُ مِنَ المِلَّةِ. وَأُبْغِضْتُ في اللهِ[٢]. وَكُنْتُ أبا الْعَنْبَسِ. فَصِرْتُ أبا عَمَلَّسٍ[٣]. قَدْ ضَلِلْتُ الْمَحَجَّةَ. وَصَارَتْ عَلَيَّ الْحُجَّةُ[٤]. لا أجِدُ لي نَاصِرًا. وَالإفْلاسُ عِنْدِي أرَاهُ حَاضِرًا[٥]. فَلَمَّا رَأيْتُ الأمْرَ قَدْ صَعُبَ. وَالزَّمانَ قَدْ كَلِبَ[٦]. الْتَمسْتُ الدِّرْهَمَ فإذَا هُوَ مَعَ النَّسْرَيْنِ[٧]. وَعِنْدَ مُنْقَطَعِ

---

(١) العمار : الجن الذى يسكنون البيوت، وشيطان الدار بيان له والحفار : الذى ينبش القبور، وكراء الدار ثقيل جدًا علي من يسكنها بحيث لا يطيقه إلا متضررًا متأففا فلعمرك أن من كان أثقل منه لا طاقة لمخلوق على احتماله، وأرعن : صيغة، تدل على زيادة الرعونة وهى الحمق، والقصار الذى صناعته تقصير الثياب، وطيطىء اسم رجل.

(٢) أبغضت فى الله : أى كرهنى الناس وأبغضونى لأجل الله وابتغاء مرضاته وذلك لأنه خرج عن الملة.

(٣) العنبس فى الأصل : الأسد، والعملس : الذئب قال الشنفرى :

ولى دونكم أهلون سيد عملس وأرقط ذهلول وعرفاء جيأل

فهو يشير إلى المعنى الأصلى للفظين ويروى بدل عملس (عفلس، وأبافقعس) وليست بشيء، والمعنى أننى كنت عظيمًا مهابًا منظورًا إلى نظرة الاحترام فأصبحت محتقرًا مرذولًا ينظرنى الناس بعين المقت والازدراء.

(٤) المحجة : نهج الطريق، والسبيل الواضح البين، والحجة : البرهان، والدليل، والمعنى أننى لم أتدبر الأمر ولم أنهج أعدل السبل وأقومها وأكثرها هداية وأبينها فقام الدليل بما وصلت حالى إليه على أننى أستحق ذلك ولم أجد إلا جزاء ما صنعت يدى.

(٥) المعنى : أنه لم ينصرنى على بلواء الزمان وكيده أحد بل خذلنى الناس جميعًا، وكنت أجدنى دائمًا مفلسًا معدمًا.

(٦) كلب : يصح أن يكون من قولهم : كلب - كفرح - : إذا عضه الكلب المصاب بداء الكلب وهو إذا عض إنسانًا لم يبرأ منه إلا مع الجهد والمشقة ويصح أن يكون من الكلبة بضم أوله وهى الشدة والضيق والقحط ويصح أن يكون من قولهم : كلب الشجر إذا لم يجد ريه فخشن ورقه وعلق به ثوب من يمر به.

(٧) النسران : هما الكوكبان اللذان يسمى أحدهما النسر الطائر والآخر النسر الواقع، ومن ذا الذى يمكنه الوصول إليهما ليستخلص الدينار أو الدرهم ؟!

الْبَحْرَيْنِ[١]. وَأَبْعَدُ مِنَ الْفَرْقَدَيْنِ[٢]. فَخَرَجْتُ أَسِيحُ. كَأَنِّي الْمَسِيحُ[٣]. فَجُلْتُ خُرَاسَانَ. الْخَرَابَ مِنْهَا وَالْعُمْرَانَ. إِلَى كَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ وَجِيلاَنَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ وَإِلَى عُمَانَ إِلَي السِّنْدِ وَالهِنْدِ وَالنُّوبَةِ وَالْقُبْطِ وَاليَمنِ وَالحِجازِ وَمَكَّةَ وَالْطَّائِفِ أَجُولُ الْبَرَارِيَّ وَالْقِفارِ. وَأَصْطَلِي بِالنَّارِ. وآوِي مَعَ الحِمارِ[٤]. حَتَّى اسْوَدَّتْ وَجْنَتايَ. وَتَقَلَّصَتْ خُصْيتايَ. فَجَمَعْتُ مِنَ النَّوَادِرِ وَالأَخْبَارِ والأَسْمَارِ[٥]. وَالْفَوَائِدِ والآثارِ. وَأَشْعَارِ الْمُتَطَرِّفِينَ وَسُخْفِ الْمُلْهِينَ. وَأَسْمارِ الْمُتَيَّمِينَ[٦]. وَأَحْكامِ الْمُتَفَلْسِفِين. وَحِيَلِ الْمُشَعْوِذِينَ. وَنَوَامِيسِ الْمُتَمَخْرِقِينَ[٧]. وَنَوادِرِ الْمُنادِمِينَ. وَرَزْقِ الْمُنَجِّمِينَ[٨]. وَلُطْفِ الْمُتَطَبِّبِينَ. وَكِيادِ الْمُخَنَّثِينَ[٩].

---

(١) البحرين : المراد بهما المحيط الغربى والمحيط الشرقى ولم يتيسر الوصول إليهما حينذاك .

(٢) الفرقدان : هما نجمان يقعان بالقرب من القطب الشمالى ويهتدى بهما وأحدهما أكثر وضوحًا من الثانى .

(٣) المسيح : هو عيسى ابن مريم رسول الله عليه السلام .

(٤) أوى المنزل وأوى إليه أويا - بضم فكسر فياء مشدودة - وربما كسر أوله أيضًا : سكنه ونزل فيه : والمراد أنه بلغ من الإعواز مبلغًا لم يكن يجد لنفسه مأوى ينزل ولا مبيتًا يستريح إليه غير مكان الحمار .

(٥) الأسمار : أحاديث الليل التى يجتمع عليها الناس ويروونها .

(٦) المتيمون : هم العشاق ، وأرباب الغرام ، وأهل الهوى .

(٧) مخرق - بوزن دحرج - : كذب ، وموه ، وقال الباطل ، وافترى ، وأراد بنواميسهم طرقهم التى يتخذونها لخداع الناس وغرورهم ، وحيلهم التى يستعملونها لإدخال الغفلة على المنصتين إليهم ، وأساليبهم فى تخدير الأفكار وتسميم العقول .

(٨) المنجمون : هم الجماعة التى تدعى معرفة أحكام النجوم وتأثيرها فى عالم العناصر ، ورزقهم : التكهين والإخبار بالغيب وذكر المجهولات وغيرها من الوسائل التى يحتالون بها على الناس لاستدرار الأكف واستنباط الأموال وابتزازها .

(٩) المخنثون : جماعة من الرجال يتشبهون بالنساء ، ومن حوادثهم ما ذكره صاحب الأغانى قال : خرج يحيى بن الحكم - وهو أمير على المدينة - فبصر بشخص بالسبخة مما يلى مسجد الأحزاب فلما نظر إلى يحيى بن الحكم جلس ، فاستراب به ، فوجه أعوانه فى طلبه ، فأتوا به كأنه امرأة فى ثياب مصبغة مصقولة وهو ممتشط مختضب ، فقال له أعوانه : هذا ابن نغاش المخنث فقال

. . . . . .

= له : ما أحسبك تقرأ من كتاب الله عز وجل شيئًا! أتقرأ أم القرآن ؟ فقال : يا أبانا، لو عرفت أمهن عرفت البنات، فقال له : أتهزأ بالقرآن لا أم لك ؟ وأمر به فضربت عنقه، وصاح فى المخنثين من جاء بواحد منهم فله ثلثمائة درهم. قال زرجون المخنث : فخرجت بعد ذلك أريد العالية فإذا بصوت دف أعجبنى فدنوت من الباب حتى فهمت نغمات قوم آنس بهم (؟!) ففتحته ودخلت فإذا بطويس (أحد مخنثى المدينة) نائم فى يده الدف يتغنى فلما رآنى قال لى : ايه يا زوجون، قتل يحيى بن الحكم بن نغاش ؟ قلت: نعم. قال : وجعل فى المخنثين ثلثمائة درهم ؟ قلت : نعم، فاندفع يغنى :

ما بال أهلك يا ربا خزرا كأنهم غضاب
أن زرت أهلك أوعدوا وتهر دونهم الكلاب

ثم قال لى : ويحك أفما جعل فى زيادة ولا فضلنى عليهم فى الجعل بفضلى؟!

ومن أشهر المخنثين أبو عبد النعيم عيسى بن عبد الله مولى بنى مخزوم الشهير بطويس وكان مخنثًا ماجنًا ظريفًا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية وله أخبار تدل على مكره وفطنته. قيل : كان عبد الله بن جعفر ومعه أخدان له فى عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جودى أسال كل شيء، فقال عبد الله : هو لكم في العقيق ؟ - وهو متنزه أهل المدينة فى الربيع والمطر - فركبوا، ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمى بالزبد فإنهم لينظرون إذ جادت السماء فقال عبد الله لأصحابه : ليس معنا جنة نستجن بها، وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم فى منزل طويس فإنه قريب منا فلنسكن فيه ويحدثنا ويضحكنا - وطويس فى النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر مع أصحابه، ولم يروه - فقال عبد الرحمن بن حسان ؛ جعلت فداك، وما تريد من منزل طويس عليه غضب الله هو مخنث شائن لمن عرفه، فقال عبد الله : لا تقل ذلك فإنه خفيف لنا فيه أنس، فلما استوفى طويس الكلام تعجل إلى منزله فقال لامرأته : ويحك، قد جاءك سيد الناس عبد الله بن جعفر فما عندك ؟ قالت : تذبح هذه العناق وكانت قد ربتها للبن، وأختبز رقاقًا، فبادر بذبحها، وعجنت هى - وخرج وتلقاه مقبلاً إليه، فقال له طويس : بأبى أنت وأمى، هذا المطر هل لك فى المنزل فتسكن به إلي أن تكف السماء ؟ قال : أياك أريد، قال : فامض يا سيدى على بركة الله، وجاء يمشى بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا إلى أن أدرك الطعام فاستأذن عليه وأتى بعناق سمينة ورقاق فأكل وأكل معه القوم وأعجبه طعامه ثم قال طويس : يا بأبى أنت وأمى أما أغنيك ؟ قال : بلى، فأخذ الدف وانطلق يغنى : =

وَدَخْمَسَةِ الْجَرابِزَةِ[١] وَشَيْطَنَةِ الأَبالِسَةِ ما قَصَّرَ عَنْهُ فُتْيا الشَّعْبيِّ. وَحِفْظُ الضَّبِّيِ[٢]

يا خليلي يا بني سيدى لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلحوني على رجل أنس، تلتذه كبدي

فطرب القوم، وقالوا: والله أحسنت، فقال: يا سيدى. أتدرى لمن هذا الشعر؟ قال: لا، قال: هذه الفارعة بنت حسان وهى تعشق عبد الرحمن بن الحرث المخزومى وتقول فيه، فسكت القوم، وضرب عبد الرحمن برأسه فلو ثقبت له الأرض لذهب فيها، وعلم عبد الله أنه اقتص من عبد الرحمن.

(١) الدخمسة مأخوذة من قولهم: دخمسه إذا خدعه، والجرابزة: جمع جربز وهو الخبيث المختل الخداع.

(٢) الضبى: هو أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبى الثقة: أحد أكابر الكوفيين، وعنه أخذ أبو زيد الأنصارى لثقته وحفظه وروايته، وللمهدى جمع الأشعار المختارة المسماة (بالمفضليات) وهى تزيد وتنقص بحسب الرواة الذين نقلوا عنه وأصح رواياتها: رواية أبى عبد الله بن الأعرابى عنه، وله من الكتب سواها كتاب الأمثال وكتاب معانى الشعر وكتاب العروض، قال خلف الأحمر: أخذت على المفضل المضبى وقد أنشد لامرىء القيس:

نمس بأطراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مهضب

فقلت: إنما هو نمش لأن المش مسح اليد بالشيء الخشن ومنه سمى منديل الغمر مشوشًا، ويروى أن سليمان بن على الهاشمى بالبصرة جمع بين المفضل الضبى والأصمعى فأنشد المفضل قول أوس بن حجر:

وذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جذعا

وروى جذعًا بفتح الذال فنظر الأصمعى إليه - وكان أحدث سنا منه - فقال: إنما هو تولبا جذعًا، وأراد تقريره على الخطأ فلم ينظر المفضل إليه فقال: كذلك أنشدته، فقال الأصمعى: أخطأت إنما هو تولبا جذعًا (بكسر الذال) فقال المفضل: جذعًا، جذعًا، ورفع صوته، فقال سليمان بن على: من تحبان أن يحكم بينكما؟ فاتفقا على غلام من بنى أسد حافظ للشعر، فأحضر، فعرضا عليه ما اختلفا فيه، فقال بقول الأصمعى وصوب رأيه، فقال المفضل: وما الجذع، قال: السَّيئ الغذاء، وهكذا هو فى كلامهم، ومنه قولهم: أجذعته أمه إذا أساءت غذاءه.

وقد أخذ كتابه المفضليات عن ألسنة النقلة والرواة، فأما أبو تمام فقد أخذ حماسته عن كتب مدونة.

وَعِلْمُ الْكَلْبِيِّ [١]. فاسْتَرْفَدْتُ وَاجْتَدَيْتُ. وَتَوَسَّلْتُ وَتَكَدَّيْتُ [٢]. وَمَدَحْتُ وَهَاجَيْتُ. حَتَّى كَسَبْتُ ثَرْوَةً مِنَ الْمَالِ وَاتَّخَذْتُ مِنَ الصَّفائِحِ الْهِنْدِيَّةِ [٣]. وَالْقُضُبِ الْيَمَانِيَّةِ [٤].

= وتوفى المفضل سنة ١٦٨ هـ.

(١) الكلبيّ : هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى، نشأ بالكوفة وكان نسابة عالماً بأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها، أخذ عن أبيه محمد بن السائب وكان محمد هذا من علماء الكوفة بالتفسير والأخبار وأيام الناس معدودًا بين المفسرين والنسابين توفى بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف إلا كتابًا فى تفسير القرآن، أما هشام ابنه فخلف نحو مائة كتاب بعضها فى الأحلاف والبعض الآخر فى المآثر والبيوتات، والمنافرات، والموءودات، وبعضها فى أخبار الأوائل، وبعضها فى ما قارب الإسلام من أمر الجاهلية، وغيرها فى أخبار الإسلام، وأخبار البلدان وأخبار الشعر وأيام العرب والأسمار والأنساب، وأهم ما كتبه فى الأنساب كتاب النسب الكبير ويحتوى على أنساب أهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلاً عن الأنساب المفردة لأشهر القبائل على حدة، وله كتاب فى نسب فحول الخيل فى الجاهلية والإسلام، وكتاب تنكيس الأصنام.

وروى عن هشام ابنه العباس وغيره، وكان من أحفظ الناس، قال محمد ابن السرى : قال لى هشام الكلبى : حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، كان لى عم يعاقبنى على حفظ القرآن فدخلت بيتًا وحلفت لا أخرج حتى أحفظ القرآن فحفظته فى ثلاثة أيام.

وتوفى هشام سنة ٢٠٤ فى خلافة المأمون العباسى وقيل سنة ٢٠٦ فى خلافته أيضًا.

(٢) استرفد : طلب الرفد، وهو العطاء، وأجدى الناس ومثله جداهم : طلب جدواهم، وهى العطاء أيضًا، وتكدى قريب من ذلك، ويروى بدل تكديت تحريت ومعناه طلبت ما هو بى أحرى وأولى.

(٣) الصفائح : جمع صفيحة وهى السيف، والهندية : المنسوبة إلى الهند، وكانت قديمًا مشهورة بصنع السيف قال عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(٤) القضب : جمع قضيب وهو السيف القاطع، واليمانية : المنسوبة إلى اليمن وقال عنترة أيضًا :

وما لبيته إلا وسيفى ورمحى في الوغى فرسًا رهان =

وَالدُّرُوعِ السَّابِرِيَّةِ[١] . وَالدرَقِ التَّبَّتِيَّةِ[٢] . وَالرِّمَاحِ الْخَطِّيَّةِ[٣] . وَالْحِرَابِ الْبَرْبَرِيَّةِ . وَالْخَيلِ الْعِتاقِ الْجُرْدِيَّةِ[٤] . وَالْبِغالِ الأَرْمَنِيَّةِ[٥] . وَالْحُمرِ المِرِيسِيَّةِ[٦] . وَالدَّيابِيجِ الرُّومِيَّةِ[٧] . والْخُزُوزِ السُّوسِيَّةِ[٨] .

= وكان إجابتي إياه أني عطفت عليه موار العنان
بأسمر من رماح الخط لدن وأبيض صارم ذكر يمان

(١) السابرية : درع دقيق النسج فى إحكام ولعل أصل نسبتها إلى سابور أحد مدائن الفرس أو ملك من ملوكها وإليها تنسب الثياب السابرية وهى ثياب بيض رقاق قال عنترة .

وبطن كطى السابرية لين أقب نظيف ضامر الكشح أنعج

(٢) الدرق : جمع درقة وهى ترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب ، والتبتية : نسبة إلى بلاد تبت (بوزن سكر) قال فى القاموس : هى بلاد بالمشرق وهى البلاد التى فى شرقى كشمير وشمال الهند ونيبال وجنوب تركستان وأهلها مجيدون لصناعة الدرق .

(٣) الرماح ، ومثله الأرماح : جمع رمح والخطية المنسوبة إلى الخط وهو مرفأ سفن بالبحرين لأنها تباع فيه أو تصنع ، وقد ذكرنا فى شعر عنترة السابق شاهدًا لذلك وقال أيضًا :

وأنى أعشق السمر العوالى وغيرى يعشق البيض الرقاقا
وكاسات الأسنة لى شراب ألذ به اصطباحًا واغتباقا
وأطراف القنا الخطى نقلي وريحانى إذا المضمار ضاقا

(٤) العتاق : جمع عتيق وهو النجيب من الخيل ، قال الشاعر :

جزى الله الجواد اليوم عني بما يجزى به الخيل العتاقا

والجردية : نسبة إلى الأرض الجردة المستوية المنجردة وخيلها أصلب الخيول وأجودها .

(٥) الأرمينية : نسبة إلى أرمينية وهى - بهمزة مكسورة فراء ساكنة وفى الآخر ياء مفتوحة أو مشدودة - كورة بالروم أو أربعة أقاليم أو أربعة كور متصل بعضها ببعض يقال لكل كورة منها أرمينية والنسبة إليها أرمنى بالفتح .

(٦) المريسية : نسبة إلى مريسة وهى - بوزن سكينة - بلدة منها بشر بن غياث المريسى أحد رؤساء المعتزلة وله فى دعوى خلق القرآن مناظرات طويلة حضرها المأمون الخليفة العباسى وكان على رأيه .

(٧) الديابيج : جمع ديباجة وهو ثوب سداه ولحمته من حرير .

(٨) الخزوز : جمع خز وهو الثوب المنسوج من صوف وحرير والسوسية : نسبة إلى سوس وهى كورة من كور الأهواز .

وَأَنْوَاعِ الطُّرَفِ وَاللُّطَفِ [١]. وَالهَدَايا وَالتُّحَفِ. مَعْ حُسْنِ الْحَالِ. وَكَثْرَةِ الْمَالِ. فَلَمَّا قَدِمْتُ بَغْدَادَ وَوجَدَ الْقَوْمُ خَبَرِي. وَمَا رُزِقْتُهُ في سَفَرِي. سُرُّوا بمَقْدَمِي. وَصَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيَّ [٢] يَشْكُونَ ما عِنْدَهُم مِنَ الْوَحْشَةِ لِفَقْدِي. وَما نالهُمْ لِبُعْدِي. وَشَكَوْا شِدَّةَ الشَّوْقِ. وَرُزْءَ التَّوْقِ [٣]. وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمْ يعْتَذِرُ مِمَا فَعَلَ وَيُظْهِرُ النَّدَمَ على ما صَنَعَ. فأَوْهمْتهُمْ أَنِّي قَدْ صَفَحْتُ عَنهُمْ وَلَمْ أُظهِرْ لَهُمْ أَثَرَ الْمَوْجِدَةِ عَلَيْهِمْ [٤] بِمَا تَقَدَّمَ فَطابَتْ نُفُوسُهُمْ. وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ وانْصَرَفُوا على ذلِكَ وَعادُوا إِلَيَّ في الْيَوْمِ الثَّانِي فَحَبَسْتهُمْ عِنْدَي [٥] وَوجَّهْتُ وكِيلي إلى السُّوقِ فَلَم يَدَعْ شَيْئًا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بِشِرَائِهِ إلاَّ أتى بِهِ وكانَتْ لَنا طَبَّاخَةٌ حَاذِقَةٌ فاتَّخَذْتُ عِشْرِينَ لَوْنًا مِنْ قَلايَا مُحْرِقاتٍ. وَأَلْوَانًا مِنْ طَباهِجاتٍ. وَنَوَادِرَ مُعَدَّاتٍ [٦]. وَأَكَلْنا

---

(١) الطرف : جمع طرفة - بوزن غرفة وغرف - وهى البديع المستملح والغريب المستحسن، ومثلها اللطف.

(٢) المعنى : أننى عدت بغداد وقد عادت إلى الثروة، وصحبتنى الميسرة فجمعت أنواع الأموال وضروبها وحصلت على صنوف الأحاديث وأفانينها من كل ما يزيد الرغبة فى ويحبب لهم القرب منى فلما علموا بذلك نهضوا إلى باشين مسرورين وجاءونى فرحين مستبشرين.

(٣) التوق : شدة الحب مع شدة الشوق، ورزؤه : الألم الذى يجده المحب عند فراق حبيبه، وربما كان الشوق هو الجود بالنفس ورزؤه شدته وبليته وكأنهم ماتوا ثم بعثوا بمقدمه ونشروا بعودته لأنه كان حياتهم، أو هو خروج الدموع من الشجون ومعناه : أنهم جاؤوه يشكون له صعوبة الفراق وآلامه، ويبثونه شدة الوجد إليه، وما ذرفوه من الدموع بعده.

(٤) الموجدة : الحقد، والضغينة، وألم النفس، والمعنى : أننى أظهرت لهم ارتياحى لملاقاتهم وبششت فى وجوههم وأبديت الأنس بهم، وأبنت لهم أننى لا أحمل فى نفسى ألمًا، ولا أجد فى صدرى حرجًا مما فعلوا معى قديمًا.

(٥) حبستهم : منعتهم من الانطلاق إلى منازلهم وطلبت منهم البقاء لدى لينالوا من الطعام والشراب وأنواع الملذات ما يليق بقديم ألفتهم وسابق ودادهم.

(٦) الطباهجات جمع طباهجة وهى نوع من اللحم يقلى وقد تقدم فى أول المقامة ذلك وقد قال الشاعر :

فنضحى سكارى والمدام مصفف يدار علينا والطعام المطبهج

ونوادر : أصناف نادرة أى قليلة الوجود ومعدات - بزنة اسم المفعول - : مهيئات، ويروى مستبعدات ومعناه عزيزة الوجود فيكون كالتأكيد لقوله نوادر.

وَانْتَقَلْنا إلى مَجْلِسِ الشَّرَابِ فأُحْضِرَتْ لَهُمْ زَهْرَاءُ خَنْدَرِيسِيَّةٌ(١) وَمُغَنِّيَاتٌ حِسَانٌ مُحْسِناتٌ. فأَخَذُوا في شأْنِهِمْ وَشَرِبْنَا. فَمَضَى لَنا أَحْسَنُ يَوْمٍ يَكُونُ وَقَدْ كُنْتُ اسْتَعْدَدْتُ لَهُمْ بِعَدَدِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ صِنًّا مِنْ صِنانِ الْبَاذِنْجانِ. كُلُّ صِنٍّ بِأَرْبَعَةِ آذَانٍ(٢). وَاسْتَأْجَرَ غُلامِي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمْ حَمَّالًا كلُّ حَمَّالٍ بِدِرْهَمينِ وَعَرَّفَ الْحَمالينَ مَنازِلَ الْقَوْمِ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالْمُوافاةِ بِعِشاءِ الآخِرَةِ. وَتَقَدَّمْتُ إلى غلامِي وَكانَ داهِيَةً أَنْ يَدْفَعَ إِلى الْقَوْمِ بِالْمنِّ وَالرَّطْلِ(٣) وَيَصْرِفَ لَهُمْ وَأن أُبَخِّرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ النَّدَّ وَالْعُودَ وَالْعَنْبَرَ. فَما مَضَتْ ساعَةٌ إلاَّ وَهُمْ مِنَ السُّكْرِ أَمْوَاتٌ لا يَعْقِلُونَ(٤).

ووَافانَا غِلْمانُهُمْ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ كلُّ وَاحِدٍ مِنهُمْ بِدابَّةٍ أَوْ حِمارٍ أَوْ بَغْلَةٍ. فَعَرَّفْتُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدِي اللَّيْلَةَ باتُونَ فانْصَرَفُوا وَوَجَّهْتُ إلى بِلالِ الْمُزَيِّنِ فأَحْضَرْتُهُ

---

(١) زهراء : مشرقة متلالئة، والخندريس - من أسماء الخمر - القديمة قال :

تطوف عليهم خندريس مدامة ترى حببًا من فوقها حين تمزج

وإنما أتى بها على صيغة النسبة لأن الشيء إذ نسب لنفسه كان أبلغ فى الدلالة عن معناه وأوضح فى إفادة الشهرة.

(٢) الصن - بالكسر - : شبه السلة المطبقة يجعل فيها الخبز ونحوه. وخصه بأن يكون من أصنان الباذنجان لكبره ولذلك تراه قال بأربعة آذان، والآذان ما يحمل منه تشبه العرى فى أطرافه.

والمعنى أننى حين وردوا علىَّ أكرمت مثواهم وطمأنت خاطرهم فأحضرت لهم أطايب المأكول ولذيذ المشرب، وأردت أن أنتقم منهم وأثأر لنفسى فكلفت خادمى بشراء خمسة عشر صنًّا واستئجار الحمالين وتعريفهم منازل القوم كما سيذكره من بعد.

(٣) الداهية : الأريب الفطن والمجرب الخبير، والرطل معروف، والمن مكيال يسع قريبًا من رطلين، أو هو ميزان وقال الشاعر :

* عصا فى رأسها منوا حديد *

والمراد حينئذ مقداره كيلًا، وجمعه أمنان.

(٤) الند : نوع من أنواع الطيب، والتبخير به : إذاعة رائحته، أو هو العنبر وعطفه عليه لتفخيم الأمر وتعظيمه، والعنبر : معروفان والمعنى : أننى أمرت الخادم أن يسقيهم الخمر بمقدار كبير حتى تعمل فى رؤوسهم عملًا عظيمًا فلا يستطيعون أن يعرفوا ما نصنع بهم بعد ولا يمكنهم أن يدفعوا عن أنفسهم.

وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ طعامًا فأَكَلَ وَسَقَيْتُهُ مِنَ الشَّرَابِ الْقُطْرُبُّلِيّ[١] فِشَرِبَ حَتَّى ثَمِلَ[٢]. وَجَعَلْتُ في فِيهِ دِينَارَيْنِ أَحْمَرَينِ[٣] وَقُلْتُ: شأْنَكَ وَالْقَوْمَ. فَحَلَقَ في ساعَةٍ وَاحِدَةٍ خَمْسَ عَشْرَةَ لْحِيَةً فَصارَ الْقَوْمُ جُرْدًا مُرْدًا كأَهْلِ الْجَنَّةِ. وَجَعَلْتُ لْحِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمْ مَصْرُرَةً في ثَوْبِهِ وَمَعَها رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا: «مَنْ أَضْمَر بِصَدِيقِهِ الْغَدْرَ وتَرْكَ الْوَفاءِ كَانَ هذَا مُكَافَأَتَهُ وَالْجَزاءَ». وَجَعَلْتُهَا في جَيْبِهِ وشَدَدْناهُمْ. في الصِّنَانِ وَوافى الْحمالُونَ عِشاءَ الآخِرَةِ. فَحَمَلوهُمْ بِكَرَّةٍ خَاسِرَةٍ[٤]. فَحَصَلوا في مَنَازِلِهِمْ[٥]. فَلما أَصْبَحُوا رأَوْا في نُفُوسِهِم هَمًّا عَظِيمًا. لا يَخْرُجُ مِنهُمْ تاجِرٌ إلى دُكانِهِ وَلا كاتِبٌ إلى دِيوانِهِ. وَلا يَظْهَرُ لإِخْوانِهِ[٦]. فَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يأْتي خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ خَوَلِهِمْ[٧]. مِنْ نِساءٍ وَغِلمانٍ وَرِجَالٍ يَشْتِمُونَنِي وَيُزَنُّونَنِي. وَيَسْتَحْكِمُونَ اللهَ عَلَيَّ[٨] وَأَنا ساكِتٌ لا أَرُدُّ عَلَيهِمْ جَوَابًا وَلا أَعْبَأُ بِمَقالِهِمْ. وَشَاعَ الْخَبَرُ بِمدِينَةِ السَّلامِ بِفِعْلي مَعَهُمْ وَلَمْ يَزَلِ الأَمْرُ يَزْدَادُ حَتَّى بلَغَ الْوَزِيرَ الْقَاسِمَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ[٩].

---

(١) القطربلى : نسبة إلى قطربل وهى قرية بالعراق شهيرة بصناعة الخمر وإجادتها قال :

قطربل مربعى ولى بقرى الـ ـكرخ مصيف وأمى العنب

(٢) ثمل : سكر، وترنح، وتمايل.

(٣) جعلت فى فيه : أعطيته ليسكت على ما يرى ويستر ما ينظر ويفعل ما آمره دون امتناع كرشوة مثلاً.

(٤) الكرة : الرجعة، والعودة، والأوبة، والخاسرة التى شملت الخزى والعار واصطحبت بالفضيحة والخجل، وفى التنزيل (تلك إذن كرة خاسرة).

(٥) حصلوا : صاروا، ووجدوا.

(٦) رأوا همًّا عظيمًا : أى اشتملت نفوسهم على الهم وعمها الألم لما وجدوه من سوء حالهم وتغيير هندامهم فقبعوا فى بيوتهم، ولزموا منازلهم، ولم يجسروا على مزاولة عملهم لئلا يكونوا عرضة لسخرية الناس واستهزائهم.

(٧) خولهم : عبيدهم وحاشيتهم.

(٨) يطلبون من الله حكمه وتنفيذ عقوبته فىَّ.

(٩) قال الأستاذ الإمام : القاسم بن عبيد الله هو والد أبى جعفر محمد بن القاسم الذى استوزره الخليفة العباسى القاهر بعد عزل أبى على بن مقلة واستوزر أبوه عبيد الله للخليفة المعتضد كما اسْتُوْزِرَ هو له أيضًا سنة ٢٧٨ هـ ولعله كان استوزر للموفق قبل هذا التاريخ حتى يمكن لأبى =

وذَلِكَ أَنَّهُ طلَبَ كاتِبًا لهُ فافْتَقَدَهُ[١] . فَقِيلَ : إِنَّهُ في مَنزِلِهِ لا يَقْدِرُ على الْخُرُوجِ . قالَ : وَلِمَ؟ . قِيلَ : مِنْ أَجْلِ ما صَنَعَ أَبُو الْعَنْبَسِ لأَنَّهُ كانَ امْتُحِنَ بِعِشْرَتِهِ وَمُنَادَمَتِهِ .

= العنبس أن يحكى عنه فى وزارته قبل موته فقد مات أبو العنبس سنة ٢٧٥ هـ ثم قال : ويمكن أن يكون المصنف وهم فى رواية القصة عن أبى العنبس ونقول لهم يستوزر القاسم للموفق وإنما استوزر للمعتضد والمكتفى واستوزر أبوه عبد الله للمعتضد واستوزر جده سليمان بن وهب للمهتدى، والقاسم أبناه : الحسين بن القاسم وأبو جعفر محمد بن القاسم، واستوزر الحسين بن القاسم للمقتدر ولذلك كان يقال للحسين هو أعرف الناس بالوزارة لتوارثه لها عن آبائه وفى الحسين يقول الشاعر :

يـــا وزيـــر بـــن وزيـــر بـــن وزيـــر بـــن وزيـــر
نـــســـقـــا كـــالـــدر إذ نـــظـــم فـــى عـــقـــد الـــنـــحـــور

وكان القاسم بن عبيد الله من دهاة العالم ومن أفاضل الوزراء، وكان شهمًا، فاضلًا، لبيبًا، محصلًا، كريمًا، مهيبًا، جبارًا، وكان يطعن فى دينه، وهو الذى قتل ابن الرومى بالسم (كما أسلفنا فى ترجمته بالمقامة العراقية) وكان ابن الرومى منقطعًا إليهم يمدحهم، وكانوا يقصرون فى حقه فى بعض الأحايين فهجاهم - وكان هجَّاء لم يسلم من لسانه أحد- وفى بنى وهب يقول ابن المعتز :

لآل سليمان بن وهب صنائع لدى ومعروف إلى تقدما
هم ذللوا إلى الدهر بعد شماسه وهم غسلوا من ثوب والدى الدما

وفى هجائهم يقول بعض الشعراء :

إذا رأيت بنى وهب بمنزلة لم تدر أيهم الأنثى من الذكر
قميص أنثاهم ينقد من قبل وقمص ذكرانهم ينقد من دبر

ولما مات المعتضد كان المكتفى بالرقة فقام القاسم بأخذ البيعة للمكتفى القيام المرضى وجهد فى ذلك، ووجه إليه بالبردة والقضيب فجاء المكتفى إلى بغداد وأقره على الوزارة، ولقبه ألقابًا عدة، وفى أيام المكتفى جل أمر القاسم، وارتفع ذكره، وعظم شأنه، ونبه أمره، وعلا جده، فلما أدركته الوفاة أشار إلى المكتفى بالعباس بن الحسن فاستوزره. وقال الصولى : من أغرب ما شاهدت من تقلب الدنيا وتصاريف الأمور أننى رأيت العباس بن الحسن فى أول الأربعاء - قبل أن يموت الوزير القاسم بن عبيد الله - حضر إلى داره وقبل يد والده ثم فى آخر اليوم نفسه مات القاسم وخلع المكتفى على العباس بن الحسن واستوزره فجاء ولد الوزير القاسم بن عبيد الله فقبل يده.

(١) افتقده : لم يجده.

فَضَحِكَ حَتَّى كَادَ يَبُولُ في سَرَاوِيلِهِ أَوْ بَالَ. وَاللهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ قالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ وَما أَخْطأَ فِيما فَعَلَ. ذَرُوهُ فإِنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِهِمْ. ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيَّ خِلْعَةً سَنِيَّةً[١]. وَقادَ فَرَسا بِمَرْكَبٍ وَحَمَلَ إِلَيَّ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لاسْتِحْسَانِهِ فِعْلِي. وَمَكَثْتُ في مَنْزِلِي شَهْرَيْنِ أُنْفِقُ وَآكُلُ وَأَشْرَبُ. ثمَّ ظَهَرْتُ بَعْدَ الاسْتِتارِ فَصَالَحني بَعْضُهُمْ لِعِلْمِهِ بِما صَنَعَ الْوَزِيرُ. وَحَلَفَ بَعْضُهُمْ بِالطَّلاَقِ الثَّلاَثِ وَبِعِتْقِ غِلْمَانِهِ وَجَوَارِيهِ أَنَّهُ لا يُكَلِمُني مِنْ رَأْسِهِ أَبَدًا[٢]. فَلاَ وَاللهِ الْعَظِيمِ شأْنُهُ. الْعَلِيِّ بُرْهَانُهُ. ما اكْتَرَثْتُ بِذلِكَ وَلا بالَيْتُ وَلاحُكَّ أَصْلُ أُذُني. وَلا أُوجِعَ بَطْني. وَلا ضَرَّني بَلْ سَرَّني. وَإِنَّمَا كانَتْ حاجَةٌ في نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاها[٣]. وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هذَا وَنَبَّهْتُ عَلَيْهِ لِيُؤْخَذَ الْحَذَرُ مِنْ أَبْناءِ الزَّمَنِ وَيُتْرَكَ الثِّقَةُ بِالإِخْوَانِ الأَنْذَالِ السَّفَلِ، وَبِفُلاَنِ الْوَرَّاقِ النَّمَّامِ الزَّرَّافِ الَّذِي يُنْكِرُ حَقَّ الأُدَباءِ وَيَسْتَخِفُّ بِهِمْ. وَيَسْتَعِيرُ كُتُبَهُمْ لا يَرُدُّها عَلَيْهِمْ. وَاللهُ الْمُسْتَعانُ. وَعَلَيْهِ التُّكْلاَنُ،

---

(١) خلعة سنية: رفيعة القدر غالية القيمة، والمعنى: أنه حينما علم بما فعلت معهم وأخبروه بما حملنى عليه عذرنى وزاد على ذلك أنه خلع علىَّ وكافأنى.

(٢) لا يكلمنى من رأسه: لا يوجه الخطاب إلىَّ بنفسه طول الأبد.

(٣) المعنى: أننى لم أتأثر ولم تبد علىَّ علائم التألم ولا عرضت لى خيالات الحزن على ما فقدت من عشرتهم، وعدمت من إلافهم ومودتهم، بل كان بعكس ذلك فقد سرنى انقطاع صلتهم، وجذلت بانتهاء صحبتهم، وكذلك صحبة أمثال هؤلاء سريعة الانقطاع وشيكة الضياع ثم لا جبر لها ولا إصلاح كالزجاجة كسرها قريب وتلفها سريع فأما جبرها فبعيد وأما إصلاحها فقريب من المستحيل.

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاج كسرها لا يجبر

المقامة الدينارية

حَدَّثَنا عيسى بْنُ هشام قَالَ:

اتَّفَقَ لي نَذْرٌ نَذَرْتُهُ في دِينَارٍ أَتَصَدَّقُ بِهِ على اشْحَذِ رَجُلٍ بِبَغْدَادَ. وَسأَلْتُ عَنْهُ فَدُلِلْتُ على أبي الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ. فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ. لأَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَيْهِ. فَوَجَدْتُهُ في رُفْقَةٍ. قَدِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ في حَلقَةٍ. فقُلْتُ:

يا بَنِي سَاسانِ أَيُكُمْ أَعْرَفُ بِسِلْعَتِهِ[١]. وَأَشْحَذُ في صَنْعَتِهِ. فأُعْطِيَهُ هذَا الدِّينارَ؟ فقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: أنا[٢]. قالَ آخَرُ مِنَ الجَماعَةِ: لا بَلْ أنا.

---

(١) بنو ساسان: الشحاذون، وأهل الاستجداء والمسألة، ويزعمون أن ساسان كان رجلاً فقيرًا حاذقًا في الاستعطاء قال الفنجديهى: ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم وواضع طرائقهم ومعلمهم، وقال أبو الفتح إسماعيل بن الفضل بن الأخشيد السراج المكدى فى كتابه: حدثنا أبو بكر البطايرنى المكدى حدثنا محمد بن على بن أحمد الفقيه المكدى حدثنا مليك بن صالح المكدى قال سمعت طرارة المكدى قال قال ساسان: ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ قلت: بلى، قال: هى الكدية أ هـ فأنت تراهم يؤيدون مزاعمهم بروايات وأسانيد حتى ليخيل إليك صدق ما ذهبوا إليه وزعموه، ولكن الذى يتراءى لنا هو أن هذا اللقب أعطى للمكدين والشحاذين بعد سقوط دولة الساسانية بالفرس على أيدى المسلمين وتمزيقهم وتشتيت شملهم هزءًا بهم وسخرية عليهم لأن المغلوب محتقر مهان ذليل فى نظر الغالب دائمًا، وقال بعض الرواة ما نصه: ومن بقايا آل ساسان من الفرس نشأت هذه الطائفة الخسيسة أهل الكدية فكانوا يطوفون على البلدان، ويقولون نحن من بنى ساسان فينتسبون إلى ملوكهم ثم يتذللون فى السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم وانقلاب حال المملكة إلى السؤال فيقع الإشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتى شعر الناس بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس إذا رأوا سائلاً متمسكنًا قالوا: ساسانى.. والسلعة: ما يتجر به من المتاع وليس للشحاذ متاع يتجر فيه ويستفيد من ربحه اللهم إلا تزوير الكلام وتزييف الألفاظ الخلابة فى استدرار الأكف واسترحام القلوب ونحو هذا وتلك هى سلعتهم التى يسألهم عن أعرفهم فيها وأطولهم باعًا.

(٢) المعنى: أنهما اختلفا فى الأعرف منهما وادعى كل واحد أنه أقدر من صاحبه وأفضل فى هذه الصناعة.

ثُمَّ تَناقَشْنا وَتهارَشا[١] حَتَّى قُلْتُ: لِيَشْتمْ كُلٌّ مِنْكُما صاحِبَهُ. فَمنْ غلَبَ سَلَبَ. وَمَنْ عَزَّ. بزَّ[٢].

فقالَ الإِسْكَنْدَريُّ:

يا بَرْدَ الْعَجُوزِ[٣]. يا كُرْبَةَ تَمُّوزَ[٤]. يا وَسَخَ الْكُوزِ[٥]. يا دِرْهمًا لا يَجُوزُ[٦]. يا حَدِيثَ الْمُغَنينَ[٧]. يا سَنَةَ الْبُوسِ. يا كَوْكَبَ النُّحُوسِ[٨]. يا وَطأَ الْكابُوس[٩].

---

(١) تناقشا وتهارشا: تخاصما وتواثبا، وقام كل واحد منهما يبطل دعوى الثانى ويعزره عليها ويثبت أحقيته عنه.

(٢) غلب: ظهر على صاحبه وقهره وأبطل دعواه، وسلب: أخذ الدينار دون أن يكون لصاحبه فيه حظ.

(٣) برد العجوز: أيام سبعة فى آخر الشتاء أربعة من آخر شهر شباط الرومى وثلاثة من أول آذار وهى تسمى هكذا مرتبة: (صن - بوزن حمل، وصنبر - بوزن جردحل - ووبر - بوزن تمر.. والآمر، والمؤتمر والمعلم، ومطفىء الجمر، أو مكفىء الظعن) وهذه أشد الأيام بردًا لأنها تجيء حين يكون الناس على استعداد لملاقاة هواء الربيع الجميل، ويقول الحطيئة - قبحه الله - يهجو أمه:

لحاك الله ثم لحاك حقا ولقاك العقوق من البنينا
أغربالا إذا استودعت سرًا وكانونا لدى المتحدثينا

(٤) الكربة الشدة والضيق، وتموز: أحد الشهور الرومية يجيء حين يشتد القيظ ويتعرض الناس فيه للهلاك.

(٥) وسخ الكوز: صدأه أو ما يبقى فيه من قذر الماء ووساخته وذلك مما تتقزز منه النفس وتشمئز.

(٦) لا يجوز: أى لا يتعامل الناس به لرداءته وغشه فإذا دفعه مالكه ثمنًا لشيء رده البائع عليه فينعكس أمله ويخيب رجاؤه ويجد ما لم يكن ينتظره من الخسارة.

(٧) حديث المغنين: كلامهم أثناء الغناء ومن عادة الذى يسمعهم أن يود ألا ينقطع غناؤهم وأن يتسمروا فيه فهو يجد من حديثهم ضيقًا فى نفسه وألمًا ويحس بانقباض صدره لسكوتهم.

(٨) البوس: البؤس، والشدة، والجدب، والقحط، والغلاء، والناس يلقون فى الأيام المجدبة شرًا مستطيرًا وألما عظيمًا، وكوكب النحوس: النجم الذى يظهر فتظهر معه علائم النحس وسوء الطالع مثل زحل فى الكواكب.

(٩) الكابوس: الذى يقع على الإنسان حال نومه بالليل فلا يطيق معه حركة ولا يستطيع أن يجد لنفسه خلاصًا.

يا تُخْمَةَ الرُّؤُسِ[١] . يا أُمَّ حُبَين[٢] . يا رَمَدَ الْعَينِ[٣] . يا غَدَاةَ الْبَينِ[٤] . يا فِرَاقَ المُحِبينَ[٥] . يا سَاعَةَ الحَين[٦] . يا مَقْتَلَ الْحُسَينِ[٧] .

---

(١) إذا أكل الإنسان طعامًا فاسدًا أو كثيرًا أو على طعام تعبت معدته ووجد آثار ذلك فى رأسه فيحس بدوار وتعب شديدين ، وهذا هو المراد بتخمة الرءوس .

(٢) أم حُبَينَ : هى دويبة أكبر من الوزغة ، وقيل : هى دويبة قلساء تشبه سام أبرص وتسمى شحمة الأرض أو شحمة الرمل وهى على كل حال كريهة المنظر بشعة .

(٣) رمد العين : قذاها الذى يسيل منه دمعها .

(٤) غداة البين الساعة التى يبتعد المحب فيها عن حبيبه ويغادره وهى أشأم الساعات وأقساها وأصعبها قال امرؤ القيس :

كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وفى ذمها يقول النابغة :

نصب الغداف بأن رحلتنا غدًا وبذاك تنعاب الغداف الأسود

لا مرحبًا بغد ولا أهلًا به إن كان تفريق الأحبة فى غد

وقال صاعد :

قلت له والرقيب يعجله مستعجلًا للفراق : أين أنا ؟

فمد كفًا إلى ترائبه وقال : سر آمنا فأنت هنا

ولبعضهم :

لا كان يوم الفراق يوماً لم يبق للمقلتين نوما

شتت منى ومنك شملا فسر قومًا وساء قوما

يا قوم من ولى بفقد خل يسومنى فى العذاب سوما

ما لا منى الناس فيه إلا بكيت كيما أزاد لوما

(٥) فراق المحبين : منآهم وتباعد ما بينهم ، وفيما ذكرناه فى غداة البين ما يكفى من الإفاضة فى هذا .

(٦) الحين - بفتح أوله - : الهلاك والموت وساعته من أشد الساعات ألما لأهل الميت وللميت نفسه بخروج روحه .

(٧) الحسين : هو سيدنا أبو محمد الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وقتل بكربلاء فى معركة سالت فيها دماء أهل بيت النبوة ظلما وعدوانا وبغيا فكان ذلك اليوم من أشأم الأيام التى لقيه الإسلام فى نضارة شبابه وريعان عمره وميعة حياته .

يا ثِقَلَ الدَّيْنِ(١) . يا سِمَةَ الشَّينِ(٢) . يا بَرِيدَ الشُّومِ(٣) . يا طَرِيدَ اللُّومِ(٤) . يا ثَرِيدَ الثُّومِ(٥) . يا بادِيَةَ الزَّقُّومِ(٦) . يا مَنْعَ الماعُونِ(٧) . يا سَنَةَ الطَّاعُونِ(٨) . يا بَغْيَ الْعَبِيدِ(٩) . يا آيَةَ الْوَعِيدِ(١٠) . يا كَلامَ الْمُعِيدِ(١١) . يا أَقْبَحَ مِنْ حَتَّى . في مَوَاضِعَ

---

(١) الدين هم بالليل ومذلة بالنهار ووطأته أشد على النفس من وطأة الحمى والمرض الناجس وثقله مما لا قبل لإنسان ذى مروءة وعقل على احتماله .

(٢) السمة : العلامة ، والشين : العيب ، وما يستحى المرء من الانتساب إليه ، ولو كان لإنسان علامة كلما نظرها أحد عرف أنه متصف بالمعايب والمقابح لكان خليقا بأن يذوب خجلا ويموت حياء كلما توجه نحوه نظر إنسان ما .

(٣) البريد : الرسول ، والشوم : الشؤم والنحس ، والمعنى أنه إذا كان قد تهيأ لامرئ أن يحل به نحس أو ينزل عليه بلاء لكان المخاطب رسول النحس ونذير البلاء الذى يخبره بوقوعه ويحدثه بنزوله عليه .

(٤) طريد اللؤم : المطرود من مجامع الناس ومحافلهم للؤمه ودناءته .

(٥) ثريد الثوم : أشد ما يكون رائحة كريهة .

(٦) البادية : الصحراء ، أو هى خلاف الحاضرة ، والزقوم : شجر مركريه يخرج بأراضى تهامة ، والمعنى أن المخاطب لما فيه من دناءة النفس ولؤم الخصال ومعيب السجايا كأنه بادية كل ما فيها من شجر ذلك النوع الكريه المقوت .

(٧) الماعون : كل ما يستعار من قدر وفأس وقدوم ومكنسة ونحوها من منافع البيت ، وقيل هو الزكاة ، وفى التنزيل من صفات الذين يكذبون بيوم الدين : (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) .

(٨) الطاعون : داء يستأصل شأفة البلد التى يحلها ويقفر الأرض من سكانها فهو مشؤوم بغيض إلى الناس .

(٩) يقول حاتم الطائى وقد لطمته جارية : (لو ذات سوار لطمتنى) أى لو أن التى بغت على حرة لما تألمت نفسى ، والعبد إذا ملك أمرًا فبغى على الناس كان أشد على نفوسهم من وقع الصواعق وهطال النبال .

(١٠) الوعيد : الوعد بالشر والعقوبة والتنكيل وسماع ما يدل عليه مما يؤلم نفس السامع ويحزنها .

(١١) المعيد : الذى يقول لك الحادثة أو الخبر مرة بعد الأخرى وكلامه على نفسك من أسمج الأحاديث وأقبحها ، اللهم إلا أن يكون المتكلم حبيبًا إليك فقد حسن فى عينك كلامه كالتى يقول فيها :

شتَّى[١]. يا دُودَةَ الْكَنِيفِ. يا فَرْوَةً في الْمَصِيفِ[٢]. يا تَنَحْنُحَ الْمُضِيفِ إِذَا كُسِرَ الرَّغِيفُ. يا جُشاءَ المَخْمُورِ[٣]. يَا نَكْهَةَ الصُّقُورِ[٤]. يَا وَتِدَ الدُّورِ[٥]. يا خُذْرُوفَةَ القُدُورِ. يا أَرْبُعَاءَ لا تَدُورُ[٦]. يا طَمَعَ الْمَقْمُورِ[٧]. يا ضَجَرَ اللِّسَانِ[٨]. يا بَوْلَ

من الخفرات البيض ود جليسها إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها =

(١) قال الفراء أحد أساطين النحاة : أموت وفى نفسى شيء من حتى أ هـ وحتى هى حرف الجر وفيه مسائل من عويص النحو ومشكلاته .

(٢) المصيف : هو الصيف نفسه أو المكان الذى تقضى فيه مدة الصيف ، وأنت إنما تطلب إذا ذاك هواء لطيفًا ونسيمًا بليلاً وريحًا هادئًا فما أسمج الفروة وألعنها حينئذ .

(٣) الجشاء - بوزن غراب - ومثله الجشأة - بوزن همزة - وجشأة كعمدة - الاسم من تجشأت المعدة تجشؤا وتجشئة إذا تنفست ، والمخمور شارب الخمر المكثر منها المفرط فى تعاطيها ، وجشاؤه خبيث منتن كريه .

(٤) النكهة : رائحة الفم ، وقد نكه له وعليه - بوزنى ضرب ومنع - إذا تنفس علي أنفه أو أخرج نفسه إلى أنف آخر ، والصقور : جمع صقر وهو ما يصطاد من البزاة والشواهين : ولأنها لا تأكل إلا اللحم ولا يكون غالبًا إلا منتنا - فهى أنتن الحيوانات نكهة وأخبثها ريحًا .

(٥) الوتد : ما يدق فى الحائط أو الأرض من الخشب ، ويضرب به المثل فى تحمل الضيم ، والرضا بالأذى ، والإقامة على الذل ، قال الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحى والوتد

(٦) الأربعاء : اليوم المعروف ، وباؤه مثلثة ، ومعنى عدم دورانها أنها الأربعاء التى فى آخر كل شهر إذ هى لا تعود ، وربما كان المراد آخر شهر صفر فقط إذ هى مشهورة عند العامة بنحس طالعها وشؤمه فلا ينجح فيها عمل البتة ، ولا يفلح فيها تدبير ، ومعنى عدم دورانها حينذاك أنها لا تحول عما عهد فيها ولا تتغير عما عرفه الناس عنها .

(٧) المقمور : الذى تسلطت عليه الغلبة فى القمار ، وطمعه شائن قبيح مرذول لأنه لا يستند إلى علة معقولة ولأنه لا يزال يهوى به إلى الإفلاس والعدم حتى يفقد آخر قرش معه .

(٨) ضجر اللسان : تعبه وعيه وانحباسه ، وهو إذا بلغ هذه الحالة لم يأمن صاحبه العثرة والزلل ، فإذا عثر أورده موادر التهلكة ، وأرداه ، وهوى به إلي الهوان والحطة قال :

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل =

الْخِصْيَانِ[١] . يا مُؤَاكَلَةَ الْعُمْيانِ[٢] . يا شَفاعَةَ الْعُرْيانِ[٣] .

---

(١) الخصيان : المجبوبى الخصيتين، وبول أمثال هؤلاء ينتشر فيلوث البدن جدًّا وهو مع هذا سريع متواصل لا يقدرون على حبسه ولا يستطيعون الإبقاء عليه حتى يستعدوا لإزالته .

(٢) العميان حين أكلهم لا يبالون أى موضع نزلت يدهم عليه ولا يتحرجون من كثرة ما يعلو أيديهم من الطعام ولهم فى تناوله شراهة ولا يخلو من يجلس معهم من تقزز النفس واشمئزازها ونفرتها ويروى (يادفع العيان) والعيان - بكسر أوله - المشاهدة وهى مما لا يعتور الشك فيها أحد فإنكارها من أشنع المنكرات وأفظعها .

(٣) المراد بالعريان الذى لا يجد ما يستتر به من الفقر والعوز وسوء الحال ومثل هذا لا يعرض نفسه للشفاعة وإذا تعرض كان ثقيلاً مستقبحًا ثم لا يقبل أحد شفاعته ولا يعتمدها، ومما نذكره بمناسبة شفاعة العريان ما حدثوا عن الفرزدق أن النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعى خطبها رجل من قريش بعد مقتل أبيها فبعثت إلى الفرزدق تقول : أنت ابن عمى، وأولى الناس بى (تريد أن يقبل خطبتها) فأجابها : أن بالشام من هو أقرب إليك منى، ولا آمن أن يقدم منهم قادم فينكر ذلك، فإن كان ما تقولينه حقًّا فاشهدى على نفسك أنك جعلت أمرك إلَّى، ففعلت، فخرج بالشهود من عندهم إلى مجمع كبار قومها فقال : أن نوار بنت أعين قد جعلت أمرها إلَّى وإنى أشهدكم أنى قد تزوجتها على مهر مائة ناقة حمراء الوبر، سوداء الحدق، فأشمأزت من ذلك، واستعرت عليه غيظًا فخرجت إلى ابن الزبير (والحجاز والعراق يومئذ بيده) وسار الفرزدق خلفها فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير ونزلت النوار على خولة بنت منظور بن زيان بن سيار الفزارى أم حمزة وامرأة عبد الله، فقال الفرزدق فى حمزة :

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتي ... أن المنوه باسمه الموثوق
بأبى عمارة خير من وطيء الحصا ... ذخرت له فى الصالحين عروق
بين الحوارى الأغر وهاشم ... ثم الخليفة بعد والصديق

فوعده الشفاعة إلى أبيه ثم أعلم أمه خولة بذلك وكلفها بأن تعطف نوارًا على الفرزدق ففعلت ورققت قلبها عليه ثم شفعت به عند بعلها عبد الله بن الزبير فنجحت شفاعتها فأمره عبد الله بأخذ النوار وألا يقربها حتى يصير إلى البصرة فيصححا أمره عند عامله عليها فخرج الفرزدق بنوار إلى البصرة، وفى ذلك يقول :

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم ... وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا ... مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وليس معنى البيت مما نحن فيه ولا يتفق مع ما فى المقامة فى شيء.

يا سَبْتَ الْصِّبْيانِ[١] . يا كِتَابَ التَّعازِي[٢] . يا قَرَارَةَ الْمَخازِي[٣] . يا بُخْلَ الأَهْوَازِي[٤] . يا فُضُولَ الرَّازِيّ[٥] . وَاللهِ لَوْ وَضَعْتَ إِحْدَى رِجْلَيْكَ على أَرْوَنْدَ[٦] . والأُخْرَى على دُنْباوَنْدَ[٧] . وَأَخَذْتَ بِيَدِكَ قَوْسَ قُزَح[٨] . وَنَدَفْتَ الْغَيْمَ

---

(١) يوم السبت يأتى دائمًا بعد يوم عطلة وهو يوم الجمعة ولذلك يستثقله الصبيان لأنهم يذهبون فيه إلى دور التعليم .

(٢) ما أشنع ذلك الكتاب الذى يجيئك ؛ حاملاً خبر فقد عزيز لديك ، وما أثقل ظله ، وما أكثر ما يجلبه عليك من ألم النفس والحزن العميق وربما كان المراد بكتاب التعزية الكتاب الذى تسطره لأحد ألافك تسلية لخاطره من غير أن يكون لك شعور بالحزن والألم وكم تجد فى هذا من ثقل الوطأة وعسر التأدية وصعوبة التكلف وشدة العناء .

(٣) القرارة : القاع المستدير الذى يجتمع فيه المطر والسيل ونحوهما ، والمخازى جمع واحده مخزاة وهى الأمر الذى إذا فعلته جلب عليك الخزى والعار والهوان من النقائص العملية والنفسية ، والمعنى : أن المخاطب قد اجتمعت النقائص فيه ، وألقت المعايب عصاها لديه ، وأرست الشرور سفينها عنده فهو حافل بكل ما يشين جامع لكل مقت ودناءة .

(٤) الأهوازى : نسبة إلى الأهواز ، وقد تقدم أنها بلاد واقعة بين البصرة وفارس وهى تسع كور لكل كورة منها اسم والأهواز يجمعهن ، ولأهلها شهرة بالبخل الشديد والإمساك القبيح .

(٥) الرازى : المنسوب إلى الرى - وهى إحدى مدن الديلم ، والفضول : المراد به الزيادة من الكلام الذى لا خير فيه ولأهل الرى شهرة بالثرثرة ، وكثرة القول بلا جدوى .

(٦) أروند : جبل نزه أخضر ناضر مطل على همذان ومعدود من محاسنها ولشعرائها ولع بذكره والإشارة به ومنهم ذلك الذى يقول :

ألا ليت شعرى هل ترى العين مرة ... ذرى قلتى أروند من همزان
بلاد بها نيطت على تمائمي ... وأرضعت من عقانها بلبان

(٧) دنبا وند : جبل شهير بناحية الرى قال عنه القزوينى : يناطح النجوم ارتفاعًا ، ويحكيها امتناعًا ، لا يعلوه الغيم فى ارتفاعه ، ولا الطير فى تحليقه ، وكان فيه بركان يقذف النار ، ومنابع كثيرة للمياه الكبريتية .

(٨) قوس قزح : هو ذو الألوان الذى يظهر فى السحاب ، وفى وصفه يقول بعض الملوك :

وساق صبيح للصبوح دعوته ... فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا ... على الجود كنا والحواشى على الأرض
يطرزها فوق السحاب بأصفر ... على أحمر فى أخضر تحت مبيض

في جِبَابِ الْمَلائِكَةِ[١] . ما كُنْتَ إلاَّ حَلاَّجًا[٢] . وَقالَ الآخَرُ: يا قَرَّادَ الْقُرُودِ[٣] . يا لَبُودَ الْيَهُودِ[٤] . يا نَكْهَةَ الأُسُودِ[٥] . يا عَدَمًا فِي وُجُودٍ. يا كَلْبًا في الْهِرَاشِ[٦] . يا قِرْدًا فِي الْفِرَاشِ[٧] . يا قَرْعِيَّةً بمَاشٍ[٨] . يا أَقَلَّ مِنْ لاشٍ[٩] . يا دُخَانَ النِّفْطِ[١٠] .

= كأذيال خود أقبلت فى غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض

قيل : وهو من التشبيهات الملوكية التى لا يكاد يحضر مثلها للسوقة .

(١) ندف القطن يندفه - من باب ضرب - : ضربه بالمندف (والمندفة كذلك) أى خشبته التى يطرق بها الوتر ليرق القطن وهو مندوق ونديف ، وفى جباب الملائكة : يعنى جعلت فراشتك التى تضع عليها القطن أو تلتقيه بها جباب الملائكة (جمع جبة وهى معروفة) .

(٢) المعنى : أنك مهما بلغت فى التعاظم والدعاوى ، ومهما فعلت فى سبيل ذلك ، ومهما بذلت من قوة ، واستنفدت من عظمة وكبرياء ، حتى لو جعلت إحدى رجليك على دنباوند وجعلت الثانية على أروند مع ما بينهما من بعد المسافة وطويل الشقة ولو خرقت لك العادات وجاز من أجلك ما لم يكن يجوز فأمكنك أن تتخذ السحاب نديفًا وأن تلتقيه بجباب الملائكة - لو حصل لك كل هذا وتمكنت من جميعه لما دعاك الناس الإحلاجا ولما جهلوا أمرك ولا خفيت عليهم حقيقتك ، ولا كنت إلا ذاك ، ولا سترت أباك .

(٣) القرود ، ومثلها القردة - بفتح القاف وكسر الراء أو العكس - وأقراد وقرد : جمع قرد وهو حيوان معروف ، والقراد : سائسه ، وهى صناعة من أحط الصناعات وأرذلها ، وحرفة دنيئة خسيسة .

(٤) اللبود - بفتح أوله - ومثله القراد - بوزن غراب - : دويبة تنشأ من الوساخة تشبه القمل ومنه قيل بعير قرد - بوزن كتف - إذا كان فيه ذلك ولليهود شهرة بالوساخة والنتن ومنها يتولد القراد .

(٥) مضى أن النكهة : ريح الفم ، ولكون الأسود لا تتغذى بغير اللحوم تجدها أردأ الحيوانات نكهة .

(٦) الهراش : تحرش الكلاب بعضها ببعض ، ومواثبتها .

(٧) إذا حل قرد بالفراش لم يسكن من الحركة ولم يترك الفساد والتمزيق لكل ما يقع إليه وفى ذلك من إقلاق الراحة وضياع السكينة ما فيه .

(٨) القرعية : طعام يتخذ من القرع ، والماش : حب أشبه بحب الباقلاء ومذاقه قريب من العدس وإذا طبخ هذا بذاك فما أكرهه .

(٩) لاش : أى لا شيء ، وإذا كان أقل من لا شيء فماذا يكون ؟!!

(١٠) النفط - بالكسر ، وربما فتح - : دهن معدنى على نوعين منه أبيض ومنه أسود وهو خبيث الرائحة كريه الدخان مضر مؤذ .

يا صُنَانَ الإِبْطِ [١] . يا زَوَالَ الْمُلكِ [٢] . يا هِلاَلَ الْهُلكِ [٣] . يا أَخْبَثَ مِمَّنْ باءَ بِذُلِّ الطَّلاَقِ . وَمَنْعِ الصَّدَاقِ [٤] يا وَحْلَ الطَّرِيقِ [٥] . يا مَاءً على الرِّيقِ [٦] . يا مُحَرِّكَ الْعَظْمِ [٧] . يا مُعَجِّلَ الْهَضِمِ [٨] . يا قَلَحَ الأَسْنَانِ [٩] . يا وَسَخَ الآذَانِ [١٠] . يا أَجَرَّ مِنْ قَلْسِ [١١] . يا أَقَلَّ مِنْ

---

(١) صنان الإبط - بالضم - ومثله الصنة - بكسر أوله : - ذفرة ورائحة عرقه ، وهو رديء خبيث الرائحة .

(٢) لا أصعب على النفس ، ولا أفتك بها من ضياع الملك وفقدان العزة وذهاب العظمة ، وأنها لتجد فى ذلك ضيقًا وألمًا فهو يرمى مخاطبه بأنه أمر على النفس من زوال الملك ، وأشأم من فوات الجبروت والمجد .

(٣) الهلك - بوزن قفل - : الهلاك ، والموت ، والحين ، والمعنى : أن مطلعه مشئوم نحس كمطلع الموت .

(٤) باء فلان بكذا : حق عليه واستوجبه والطلاق : انقضاء ما بين الرجل والمرأة من اتصال الحبل وتماسك عرى الوفاق وإنما يكون ذلك لعدم رضائه من معاشرتها وغضبه عليها وفى ذلك من سوء سمعتها وتحقيرها ما فيه فالطلاق على ذلك ذل وإهانة وإنها لتنقلب إلى أهلها خجلة محزونة لا سيما إذا كان الزوج قد حرمها ما تأجل فى ذمته من صداقها .

(٥) كم فى أوحال الطريق من أذى المارة وتعطيل شأنهم .

(٦) يقول علماء الطب الحديث : أن الماء وخاصة البارد على الريق نافع مفيد مجدد للنشاط فلعل الطب القديم كان على غير هذا ، أو لعل المعنى أنه يشبه الماء فى هذه الحال لأنه لا يشربه كذلك إلا من لا يجد طعامًا يبدأ به غالبًا .

(٧) إذا اشتد بالمرء عرض الحمى اقشعر بدنه واضطربت أعضاؤه فلعله أراد من محرك العظم صلابة الحمى وشدتها .

(٨) معجل الهضم : المسهل . والإنسان يناله من تعاطى المسهلات استرخاء فى أعصابه ، وفتور فى قواه ، وتخاذل فى همته .

(٩) قلح الأسنان : وسخها ، ودرنها ، وما يعلوها من صفرة أو اخضرار وذلك من سوء الطعام أو سوء الهضم .

(١٠) وسخ الآذان ربما أدى إلى إضعاف السمع .

(١١) القلس - بفتح أوله - حبل يتخذ من ليف أو نحوه لتربط به السفن أو تجر منه فهو دائمًا على الأرض لكثرة ما يجذب به ، والمعنى : أنه بلغ من الحطة والهوان درجة فوق درجة الحبل الذى لا يزال مطروحًا ولا يفتأ مستعملاً للجذب منه .

فَلْس[١] . يا أَفْضَحَ مِنْ عَبْرَةٍ[٢] . يا أَبْغَى مِنْ إِبْرَةٍ[٣] . يا مَهَبَّ الْخُفِّ[٤] . يا مَدْرَجَةَ الأَكُفِّ[٥] . يا كَلِمَةَ لَيْتَ[٦] يا وَكْفَ الْبَيْتِ[٧] . يا كَيْتَ وَكَيْتَ . وَاللهِ لَوْ وَضَعْتَ اسْتَكَ على النَّجُومِ . وَدَلَّيْتَ رِجْلَكَ في التُّخُومِ[٨] . وَاتَّخَذْتَ الشِّعْرَى خُفًّا . وَالثُّرَيَّا رَفًّا[٩] . وَجَعَلْتَ السماءَ مِنْوَالاً[١٠] . وَحِكْتَ الْهَوَاءَ سِرْبالا[١١] . فَسَدَّيْتَهُ بِالنَّسْرِ الطَّائِرِ[١٢] .

---

(١) الفلس : معروف، والمعنى : أن قيمته وضيعة جدًّا .

(٢) العبرة - بفتح أوله - دمعة العين ولا يزال المحب مستورًا خافى الأمر حتى يبكى فإذا فعل افتضح أمره، وظهر للناس سره .

لا جزى الله دمع عينى خيرًا وجزى الله كل خير لساني
كنت مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان

(٣) الإبرة تتخذ للوخز فمن كان يخز الناس مثلها فهو ظالم باغ عات .

(٤) يقال فلان فى مهب الريح أى فى الناحية التى تجيء الريح منها فمعنى أنه فى مهب الخف أن الخف لطول ملازمة قفاه للصفع والأذى إذا طلب لا يوجد إلا عنده، ويقال أيضًا : هب فلان من نومه إذا انبعث نشطًا والمعنى حينئذ أن قفاه هو المكان الذى يهب له الخف وينشط إليه لطول ما تردد عليه وعرفه، ويقال : هبت الريح إذا انطلقت، والمعنى عليه أن ريحه تشبه ريح الخف نتنًا وكراهة .

(٥) يقال : درج الصبى إذا ابتدأ يمشى، والمدرجة مكان الدروج، ومعنى كونه مدرجة الأكف : أنه مكان سيرها، كناية عن إهانته وتحقيره لكثرة ترداد الناس على ضربه .

(٦) ليت حرف وضع للتمنى وهو طلب المستحيل أو ما فيه عسر وهى - الكلمة لو - لا تقال إلا عند الحسرة على فائت، قال :

ألام على لو ولو كنت عالما بأذناب لو لم تفتنى أوائله

وقال : أن ليتا وأن لوا عناء .

(٧) وكف البيت : تقاطر الماء من سقوفه عند المطر، ولعمرك أى أذى يلحق الإنسان حينئذ .

(٨) التخوم ومثله التخم بضمتين - : جمع تخم - بوزن فلس - وهو كل قرية أو أرض .

(٩) الشعرى كوكب، والثريا : مجموعة كواكب متضامة، والرف : الثوب .

(١٠) المنوال : آلة النسيج والحياكة .

(١١) السربال : الثوب .

(١٢) سدى الثوب - بضم أوله - : ما امتد من خيوطه، وسداه بالتضعيف : اتخذ سداه .

وأَلْحَمْتَهُ بِالْفَلَكِ الدَّائِرِ[١]. ما كُنْتَ إلاَّ حائِكًا. قالَ عِيسى بْنُ هِشام: فَوَاللهِ ما عَلِمْتُ أيُّ الرَّجُلين أُؤْثِرُ؟! وَما مِنْهُما إلاَّ بَدِيع الْكَلامِ. عَجِيبُ الْمَقام. أَلَدُّ الْخِصامِ. فَتَرَكْتُهما. وَالدِّينارُ مُشاعٌ بَيْنَهُمَا. وَانْصَرَفْتُ وَما أَدْرِي ما صَنَعَ الدَّهْرُ بِهِمَا[٢].

المَقَامَةُ الشِّعْرِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشام قالَ: كُنتُ بِبِلادِ الشَّامِ وَانْضَمَّ إلى رِفْقَةٌ. فاجْتَمَعْنا ذَاتَ يَوْم في حَلَقَةٍ. فَجَعَلْنا نَتَذاكَرُ الشِّعْرَ فَنُورِدُ أَبْياتَ مَعانِيه. وَنَتَحاجى بِمَعامِيهِ[٣]. وَقَدْ وَقَفَ عَلَيْنا فَتًى يَسْمَعُ وكأَنَّهُ يَفْهَمُ. وَيَسْكُتُ وَكأَنَّهُ يَنْدَمُ. فَقُلْتُ: يا فَتَى قَدْ آذَانا وُقُوفُكَ فإمَّا أنْ تَقْعُدَ. وَإمَّا أنْ تَبْعُدَ، فَقالَ: لا يُمْكِنُنِي الْقُعُودُ. وَلكِن أَذْهَبُ فأَعُودُ. فالْزَمُوا مَكانَكُمْ هذا. قُلْنا: نَفْعَلُ وَكَرامَةً. ثُمَّ غابَ بِشَخْصِهِ وَما لَبِثَ أنْ عادَ لِوَقْتِهِ وَقالَ: أَيْنَ أَنْتُم مِنْ تِلْكَ الأَبْياتِ وَما فَعَلْتُمْ بِالْمُعَمَّياتِ. سَلَوني عَنْهَا فَما سَأَلْناهُ عَنْ بَيتٍ إلاَّ أَجابَ. وَلا عَنْ مَعْنىً إلاَّ أَصاب. وَلما نَفَضْنا الْكنائِنَ[٤]. وَأَفْنَيْنا الْخَزائِنَ. عَطفَ عَلَيْنا سائِلًا. وَكَرَّ مُباحِثًا فقالَ: عَرِّفُوني أيُّ بَيتٍ شَطْرُهُ يَرْفَعُ وَشَطْرُهُ يَدْفَعُ[٥]. وأيُّ بَيتٍ كُلُّهُ يَصْفَعُ. وأيُّ بَيتٍ نِصْفُهُ يَغْضَبُ. وَنِصْفُهُ

---

(١) لحمة الثوب - بالضم وبالفتح - : ما كان من خيوطه عرضًا.

(٢) المعنى : أننى لم أستطع التفضيل بينهما فتركت لهما الدينار ولم أدر ما كان منهما بعد.

(٣) نتذاكر يروى : نتذكر، ونتحاجى يمتحن كل من حجا صاحبه أى عقله بعرض بيت من أبيات الشعر عليه مما قد خفى معناه على من لا روية له فى رويته ولا نفوذ لقريحته فى فهم دقائقه فإذا أصاب المعنى المراد دل على أنه من فرسانه والمجلين فى ميدانه.

(٤) الكنائن : جمع كنانة وهى وعاء السهام، ونفضوها : أفرغوها يمثل بذلك نفاد ما عندهم من الأحاجى والمعميات وانتهاؤهم فى المذاكرة إلى حد أن لم يبق عندهم شيء يتذاكرونه، ومثل ذلك قوله : أفنينا الخزائن.

(٥) هذه الأوصاف التى يذكرها للأبيات ويحاجى بها إنما هى اعتبارات يصورها الذهن من جوامع البيت والألفاظ التى يؤلف منها والمعانى التى يشير إليها وترد إلى المخيلة عند سماعه وذلك يختلف =

يَلْعَبُ؟ وَأيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ أجْرَبُ؟ وأيُّ بَيْتٍ عَرُوضُهُ يُحَارِبُ. وَضَرْبُهُ يُقَارِبُ؟ وَأيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ عَقَارِبُ؟ وأيُّ بَيْتٍ سَمُجَ وَضْعُهُ. وَحَسُنَ قَطْعُهُ؟ وأيُّ بَيْتٍ لاَ يَرْقَأُ دَمْعُهُ؟

= باختلاف أهل الذوق فى القريض ويمكن لقاريء ديوان واحد من شعر أى شاعر أن يجد جميع ما جاء به ولهذا لا نصرف الوقت فى الإتيان بجميع ما عمى به ولكنا نذكر لك طرفًا تقيس عليه أمثاله كما جاء المصنف بمثل ذلك مثلاً البيت الذى نصفه يرفع ونصفه يدفع بصيغة الفاعل فى الفعلين يدفع ويرفع كقول بعضهم :

ولله عندى جانب لا أضيعه ولللهو عندى والخلاعة جانب

فالنصف الأول يرفع صاحبه إلى منزلة الكرامة التى يختص بها أهل التقوى والنصف الثانى يدفع صاحبه عن تلك المقامات الرفيعة ويحرمه الرقى إليها، والبيت الذى نصفه يغضب ونصفه يلعب كقول طرفة المتقدم :

كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بأيدي لاعبينا

والبيت الذى أوله يهب وآخره ينهب كقول بعضهم :

قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا

فإن الشطر الأول قرى وإحسان والشطر الثانى ردى وطحن أجساد تنهب منها الأرواح وتسلب معها الأموال. والبيت الذى لا يمكن نقضه كقوله :

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتًا دعائمه أعز وأطول

والبيت الذى إذا أفلتناه أضللناه كقوله :

ألا إننى بال على جمل بال يقود بنا بال ويتبعنا بال

والبيت الذى قام ثم سقط ونام كقوله :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

والبيت الذى إذا حرك غصنه ذهب حسنه كقوله :

لك قد لولا جوارح عينيـ ـك لغنت عليه ورق الحمام

فلو حركت القد لطارت الجوارح بمعناها المشهور وهى جوارح الطير.

والجوارح فى البيت عيناه فإذا طارت عينه ذهب حسنه البتة. والبيت الذى أوله يطلب وآخره يهرب كقوله :

يجهل كجهل السيف والسيف منتضى

وحلم كحلم السيف والسيف مغمد

=

وَأيُّ بَيْتٍ يَأْبَقُ كُلُّهُ؟ إلاَّ رِجْلُهُ؟ وَأيُّ بَيْتٍ لاَ يُعْرَفُ أهْلُهُ؟ وَأيُّ بَيْتٍ هُوَ أطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ؟ كَأنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِهِ؟ وَأيُّ بَيْت لاَ يُمْكِنُ نَقْضُهُ؟ وَلاَ تُحْتَفَرُ أرْضُهُ؟ وَأيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ كَامِلٌ؟ وَنِصْفُهُ سَرَابِلُ؟ وأيُّ بَيْتٍ لاَ تُحْصَى عِدَّتُهُ؟ وَأيُّ بَيْتٍ يُرِيكَ مَا يُسَرُّ بِهِ؟ وأيُّ بَيْتٍ لاَ يَسَعُهُ الْعَالَمُ؟ وَأيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ يَضْحَكُ وَنِصْفُهُ يَأْلَمُ؟ وأيُّ بَيْتٍ إنْ حُرِّكَ غُصْنُهُ. ذَهَبَ حُسْنُهُ؟ وَأيُّ بَيْتٍ إنْ جَمَعْنَاهُ. ذَهَبَ مَعْنَاهُ؟ وَأيُّ بَيْتٍ إنْ أفْلَتْنَاهُ؟ أضَلَلْنَاهُ؟ وَأيُّ بَيْتٍ شَهْدُهُ سَمٌّ؟ وأيُّ بَيْتٍ مَدْحُهُ ذَمٌّ؟ وَأيُّ بَيتٍ لَفْظُهُ حُلْوٌ وَتَحْتَهُ غَمٌّ؟ وَأيُّ بَيتٍ حَلُّهُ عَقْدٌ. وَكُلُّهُ نَقْدٌ؟ وَأيُّ بَيتٍ نِصْفُهُ مَدٌّ. وَنِصْفُهُ رَدٌّ؟ وَأيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ رَفْعٌ. وَرَفْعُهُ صَفْعٌ؟ وأيُّ بَيتٍ طَرْدُهُ مَدْحٌ؟ وَعَكْسُهُ قَدْحٌ؟ وَأيُّ بَيتٍ هُوَ فِي طَوْفِ صلاَةُ الْخَوْفِ؟ وأيُّ بَيتٍ يَأْكُلُهُ الشَّاءُ. مَتَى شَاءَ؟ وَأيُّ بَيْتٍ إذَا أصَابَ الرَّاسَ. هَشَمَ الأضْرَاسَ؟ وَأيُّ بَيتٍ طَالَ. حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أرْطَالٍ؟ وَأيُّ بَيتٍ قَامَ. ثُمَّ سَقَطَ وَنَامَ؟ وأيُّ بَيتٍ أرَادَ أنْ يَنْقُصَ فَزَادَ؟ وَأيُّ بَيتٍ كَادَ يَذْهَبُ فَعَادَ؟ وَأيُّ بَيتٍ حَرَبُ الْعِرَاقِ؟ وَأيُّ بيتٍ فَتَحَ الْبَصْرَةَ؟ وأيُّ بَيتٍ ذَابَ. تَحتَ الْعَذابِ؟ وَأيُّ بَيتٍ شابَ. قَبْلَ الشَّبابِ؟ وَأيُّ بَيتٍ عَادَ. قَبْلَ الْمِيعَادِ؟ وأيُّ بَيتٍ حَلَّ. ثُمَّ اضْمَحَلّ؟ وَأيُّ بَيتٍ أُمِرَّ. ثُمَّ اسْتَمَرَّ؟ وَأيُّ بَيت أُصْلِحَ. حَتَّى صَلَحَ؟ وأيُّ بَيتٍ أسْبَقُ مِنْ سَهْمٍ

= والبيت الذى كاد يذهب فعاد كقوله :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

والبيت الذى مدحه ذم كقوله :

فإن قومى وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر فى شيء وإن هانا

والبيت الذى ضاق ووسع الآفاق كقوله :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

والبيت الذى أصلح حتى صلح كقوله :

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعى ويوم المهرجان

فإنه أصلح وحول عن مطلعه الشؤم إلى قوله : غرة الداعى ويوم المهرجان لا تقل بشرى ولكن بشريان وعلى هذا النمط يمكنك أن تحقق جميع الاعتبارات بذوقك. ولكن من هذه الاعتبارات ما لا يعد من الأبيات فلا حاجة بنا إلى الإطالة والله أعلم .

الطِّرِمَّاحِ؟ وَأَيُّ بَيتٍ خَرَجَ مِنْ عَيْنِهِمْ؟ وَأَيُّ بَيتٍ ضاقَ. وَوَسِعَ الآفاقَ؟ وَأَيُّ بَيتٍ رَجَعَ. فَهَاجَ الْوَجَعَ؟ وَأي بَيتٍ نِصْفُهُ ذَهَبٌ. وَباقِيهِ ذَنَبٌ. وَأَيُّ بَيتٍ بَعْضُهُ ظَلامٌ. وَبَعْضُهُ مُدَامٌ؟ وأيُّ بَيتٍ جُعِلَ فَاعِلُهُ مَفْعُولًا. وَعَاقِلُهُ مَعْقُولًا؟ وَأَيُّ بَيتٍ كُلُّهُ حُرْمَةٌ؟ وَأَيُّ بَيْتَينِ هُما كَقِطارِ الإِبِلِ؟ وَأَيُّ بَيْتٍ يَنْزِلُ مِنْ عَالٍ؟ وَأَيُّ بَيتٍ طِيَرَتُهُ فِي الْفَالِ؟ وَأَيُّ بَيتٍ آخِرُهُ يَهْرُبُ. وَأَوَّلُهُ يَطْلُبُ؟ وَأَيُّ بَيتٍ أَوَّلُهُ يَهَبُ. وَآخِرُهُ يَنْهَبُ؟

قالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَسَمِعْنَا شَيْئًا لَمْ نَكُنْ سَمِعْنَاهُ. وَسَأَلْناهُ التَّفْسِيرَ فَمُنِعْناهُ. وَحَسِبْنَاهَا أَلْفاظًا قَدْ جَوَّدَ نَحْتَها. وَلا مَعاني تَحْتها فقالَ: اخْتارُوا مِنْ هذِهِ المَسائِلِ خَمْسًا لأُفَسِّرَها وَاجْتَهِدُوا في الْبَاقِي أَيَّامًا فَلَعَلَّ إِناءَكُمْ يَرْشَحُ. وَلَعَلَّ خَاطِرَكُمْ يَسْمَحُ. ثُمَّ إِنْ عَجَزْتُمْ فَاسْتأْنِفُوا التَّلاقِيَ. لأُفَسِّرَ الْباقِي.

وَكانَ مِمَّا اخْتَرْنا البَيتُ الَّذِي سَمُجَ وَضْعُهُ وَحَسُنَ قَطْعُهُ. فَسَأَلْناهُ عَنْهُ فَقالَ: هُوَ قَوْلُ أَبِي نُوَاس:

فَبِتْنا يَرَانا اللهُ شَرَّ عِصابَةٍ تُجَرِّرُ أَذْيالَ الْفُسُوقِ وَلا فَخْرُ

قُلْنا: فالْبَيْتُ الَّذِي حَلُّهُ عَقْدٌ. وَكُلُّهُ نَقْدٌ[1]. فقالَ: قَوْلُ الأَعْشَى:

دَرَاهِمُنا كُلُّها جَيِّدٌ فَلا تَخْبِسَنَّا بِتَنْقادِها

وَحَلُّهُ أَنْ يُقالَ: دَرَاهِمُنا جَيِّدٌ كُلُّها. وَلا يَخْرُجُ بِهذَا الْحَلِّ عَنْ وَزْنِهِ قُلْنا: فالْبَيْتُ الَّذِي نِصْفُهُ مَدٌّ. وَنِصْفُهُ رَدٌّ. قالَ: قَوْلُ الْبَكْرِيّ:

أَتاكَ دِينارُ صِدْقٍ يَنْقُصُ سِتِّينَ فَلْسًا[2]
مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ إِلَّا أَضْلَا وَفَرْعًا وَنَفْسًا

قُلْنا: فالْبَيْتُ الَّذِي يأْكُلُهُ الشَّاءُ. مَتَى شَاءَ. قالَ: بَيْتُ القائِل:

---

(١) كله نقد يريد كله دراهم وما يتعلق بنقدها، والنقد: الذهب والفضة المسكوكات سميا به لما يغلب فيهما من نقد الجيد من الرديء.

(٢) فإنه لما قال «دينار صدق» حصل فى الذهن جميع ما احتوى عليه من الفلوس وامتد إلى نهايتها وهى ستون، فلما قال» إلا ستون فلسًا» رد الذى مده أولاً، وفى قوله «من أكرم الناس» مد فضله حتى تجاوز فى الكرم ما وراء كل كرم ولما نفى الكرم من أصله وفرعه ونفسه استرد جميع أفراد النوع حتى لم يبق له شيئًا من الكرم.

فما لِلنَّوى جُدَّ النَّوى قُطِعَ النَّوى
رَأيتُ النَّوى قَطَّاعَةً لِلْقَرائِنِ[١]

قُلْنا: فالْبيتُ الَّذِي طالَ. حَتَّى بلَغَ سِتَّةَ أرْطالٍ. قالَ: بَيتُ ابْنِ الرُّومِيّ[٢]:

إذَا مَنَّ لَمْ يَمْنُنْ بِمَنٍ يَمُنُّهُ وَقالَ لِنَفْسِي أيُّها النَّفْسُ أمْهِلي

قالَ عِيسى بنُ هِشَامٍ: فَعَلِمْنا أنَّ المَسائِلَ. لَيْستْ عَوَاطِلَ وَاجْتَهَدْنا. فَبعضَها وَجَدْنا. وَبَعْضَها اسْتَفَدْنا. فَقلتُ عَلى أثَرِهِ وَهُوَ عَادٍ:

تَفاوَتَ النَّاسُ فَضْلاً وَأشْبَهَ الْبَعْضُ بَعْضا
لَوْلاهُ كُنْتُ كَرَضْوي طُولاً وَعُمقًا وَعَرضا[٣]

المَقامَةُ المُلوكِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: كُنْتُ في مُنْصَرَفي مِنَ الْيَمنِ. وَتَوَجُّهِي إلى نَحْوِ الوَطَنِ. أسْرِي ذَاتَ لَيْلَةٍ لا سَانِحَ بِهَا إلاَّ الضَّبُعُ[٤] وَلا بارِحَ إلاَّ السَّبُعُ. فَلَمَّا

---

(١) النوى: البعد. ينكر الشاعر الحاح البعد عليه بمفارقة أحبته فيقول. ما للنوى وأى غرض لها فى ملازمتى، ثم يدعو عليها فيقول: جذ النوى أى قطع ومحق، وقوله «قطاعة للقرائن» إما أن يريد من القرائن الأرواح وقطاعتها المهلكة لها، وإما أن يريد منها الصلاة بين الأحبة التى لا تفرق بينهم بالميل والوداد، وهذا البيت بما فيه من تكرار ذكر النوى أحضر فى المخيلة نوى التمر والبلح وهو مما تأكله الشاء.

(٢) تقدم هذا البيت فى المقامة العراقية فليرجع هناك.

(٣) لولا هذا الفتى وما أظهره من البراعة وسعة الاطلاع وحسن الانتقاد لكان عيسى بن هشام يعد نفسه فى العظم المعنوى كجبل رضوى فى عظمه الحسى وهو جبل فى بلاد العرب مشهور يتمثل به فى أشعارهم، قال المعرى ويثقل رضوى دون ما أنا حامل

(٤) السوانح من الطير والظباء وغيرها التى تجيء من مياسرك فتوليك ميامنها وأهل نجد يتشاءمون بها، والبوارح التى تجيء من ميامنك فتوليك مياسرك وأهل نجد يتيمنون بها، وأهل الحجاز يتشاءمون بالسوانح وهى عندهم فى صفة البوارح عند أهل نجد.

انْتُضِي نَصْلُ الصَّباحِ[١]. وَبَرَزَ جَبِينُ الْمِصْباحِ[٢]. عَنَّ لي في الْبَراحِ[٣]. رَاكِبٌ شَاكِي السِّلاحِ[٤]. فَأَخَذَني مِنْهُ ما يأْخُذُ الأَعْزَلَ. مِنْ مِثْلِهِ إذا أَقْبَلَ[٥]. لكِنّي تَجَلَّدْتُ[٦] فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ: أَرْضَكَ لا أُمَّ لَكَ[٧]. فَدُوني شَرْطُ الْحِدادِ[٨]. وَخَرْط الْقَتادِ[٩]. وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ[١٠]. وَأنا سِلْمٌ إنْ كُنْتَ[١١]. فَمَنْ أَنْتَ. فقَالَ: سِلمًا أَصَبْتَ. وَرَفِيقًا كَما أَحْبَبْتَ[١٢]. فَقُلتُ: خَيْرًا أَجَبتَ. وَسِرْنا فَلَمَّا تَخَالَيْنا[١٣].

= قال أبو ذؤيب:

وجرت بها طير السنيح فإن يكن هواك الذى تهوى يصبك اجتنابها.

وقال النابغة الذبيانى:

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود

والمعنى أنه كان يسير وحيدًا لا رفيق له غير الوحوش من السباع والضباع.

(١) شبه الصباح بسيف استل من غمده وهو الليل.

(٢) المصباح: الشمس، وجبينها: حاجبها الأعلى.

(٣) عَنَّ: ظهر، والبراح: الواسع من الأرض.

(٤) شاكى السلاح: تامُّ السلاح كامل الاستعداد.

(٥) الأعزل: الذى لا سلاح له هو يرتجف ويأخذه الرعب إذا لقى من شكا سلاحه وحدده.

(٦) تجلدت: تصبرت وقويت نفس وشددت عزيمتى.

(٧) أرضك لا أم لك: أى قف مكانك ثكلت أمك.

(٨) شرط الحداد: جراح السيوف وأعمالها.

(٩) القتاد شجر له شوك كأصلب ما يكون وقطعه من أشد ما يؤلم الإنسان ويتعبه، والمعنى: أن السبيل إلى لا يتأتى لك ولا تستطيع الوصول إليه لأنه محفوف بالمخاطر محاط بالأهوال والشدائد.

(١٠) الحمية: الأنفة والعزة، والأزدية: المنسوبة إلى الأزد قبائل من العرب مشهورة، والمعنى أن من أسباب عدم وصولك إلى أنفة عرفها الناس أجمعون عن الأزد الذين انتسب إليهم.

(١١) سلم: أى مسالم لك لا أعتدى عليك، والمعنى أنك إن نهجت معى طريق الموادعة فسأكون مثلك لا أنتهك حرمتك.

(١٢) المعنى: أننى عند ظنك وستحمدنى وتجدنى رفيقك ومؤنسك.

(١٣) تخالينا: خلا كل منا بأخيه وانفرد به.

وَحينَ تَجالَيْنا[١]. أجْلتِ الْقِصَّةُ عَنْ أبى الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ[٢]. وَسألَني عَنْ أكْرَمِ مَنْ لَقِيتُهُ مِنَ الْمُلُوكِ فَذَكَرْتُ مُلوكَ الشَّامِ. وَمَنْ بِها مِنَ الْكِرَامِ. وَمُلُوكَ الْعِرَاقِ وَمَنْ بِها مِنَ الأَشْرَافِ. وَأُمَرَاءِ الأَطْرَافِ. وَسُقْتُ الذِّكْرَ. إلى مُلوكِ مِصْرَ. فَرَوَيتُ ما رَأيْتُ وَحَدَّثْتُهُ بِعَوَارِفِ مُلوكِ اليَمنِ[٣]. وَلَطائِفِ مُلُوكِ الطَّائِفِ. وَخَتَمْتُ مَدْحَ الجُملَةِ. بِذِكْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ. فأَنْشأَ يَقُولُ[٤]:

يَا سارِيًا بِنُجُومِ اللَّيْلِ يَمْدَحُها
وَلَوْ رَأى الشَّمْسَ لَمْ يَعْرِفْ لَها خَطَرَا[٥]
وَواصِفًا لِلسَّواقِي هَبْكَ لَمْ تَزُرِ الْـ
ـبَحْرَ المُحِيطَ أَلَمْ تَعْرِفْ لَهُ خَبَرَا[٦]
مَنْ أبْصَرَ الدُّرَّ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ حَجَرًا
وَمَنْ رَأى خَلَفًا لَمْ يَذْكُرِ الْبَشَرَا[٧]

---

(١) تجالينا : أى كشف كل واحد سره وأفشى أمره وعرف الثانى بنفسه .

(٢) أجلت : أى انكشفت ووضحت، والمعنى أننى وجدت ذلك الفارس أبا الفتح الإسكندرى .

(٣) العوارف : جمع عارفة وهى الإحسان والمروءة والمعروف والنجدة والشهامة .

(٤) سيف الدولة على بن حمدان : تقدمت ترجمته .

(٥) السارى : الذاهب فى الأرض ليلاً، والخطر : القيمة والقدر، والمعنى : أن من مشى فى الأرض يتمدح بضوء النجوم ولألائها لو بزغ له قرن الشمس وأبصر شعاعها ونظر إلى ضوئها لصغرت النجوم فى عينه ولم تعد لها قيمة فى نظره .

وأيـن الـثـريـا وأيـن الـثـري وأيـن مـعـاويـةمـن عـلـي

(٦) السواقى : جمع ساقية وهى الصغيرة من القنوات وهى فوق الجدول ودون النهر، والمعنى : أيهذا الذى انطلق لسانك فى مديح السواقى ووصفها افرض أنك لم تسعد برؤية البحر المحيط فهل خفى عليك حتى ذكره فاشتغلت بالسواقى ونعتها .

(٧) خلف : هو خلف بن أحمد أحد الأمراء الذين مدحهم البديع وجرت عليه منحهم وعطاياهم وقد أسلفنا لك شيئًا من كلامه فيه، والمعنى : أن الذى يسعفه الدهر برؤيا ذلك الممدوح ينسى الأنام جميعهم بفضل الذى يجده فيه فلم يعد للناس أدنى قيمة عنده ومثل ذلك مثل الذى يجد حبة من اللؤلؤ فإنه يغنى بالنظر إليها عن جميع الأحجار .

زُرْهُ تَـزُرْ مَـلِـكًـا يُـعْـطِـي بِـأَرْبَـعَـةٍ
لَـم يَـحْـوِهـا أَحَـدٌ وَانْـظُـرْ إِلَـيْـهِ تَـرَى[١]
أَيَّـامَـهُ غُـرَرًا وَوَجْـهَـهُ قَـمَـرًا
وَعَـزْمَـهُ قَـدَرًا وَسَـيْـبَـهُ مَـطَـرًا[٢]
مَـا زِلْـتُ أَمْـدَحُ أَقْـوَامًـا أَظُـنُّـهُـمُ
صَـفْـوَ الـزَّمَـانِ فَـكَـانُـوا عِـنْـدَهُ كَـدَرًا[٣]

(قَالَ عيسى بْنُ هشَام) فَقُلْتُ:

مَنْ هذَا الْمَلِكُ الرَّحِيمُ الْكَرِيمُ؟

فقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ. ما لَمْ تَبْلُغْهُ الظُّنُونُ[٤]؟ وَكَيفَ أَقُولُ. ما لم تَقْبَلهُ الْعُقُولُ[٥]؟ وَمَتَى كَانَ مَلِكٌ يَأْنَفُ الأَكارِمَ. إِنْ بَعَثَتْ بِالدَّرَاهِمِ[٦]؟ وَالذَّهَبُ. أَيْسَرُ

---

(١) يعطى بأربعة: مفسر فى البيت الذى بعده.

(٢) أيامه مفعول لترى فى البيت الذى قبل هذا، وغرر: جمع غرة وأصلها البياض فى جبهة الفرس ثم استعمل فى كل ظاهر نابه الشأن مرفوع القيمة ومنه الحديث: (أنا قائد الغر المحجلين) ووجهه قمرًا: أى شبيه به فى وسامة الطلعة وهداية الحائر إلى سبيله، وعزمه قدرًا: أى يشبهه فى المضاء والنفاذ، وتشبيه العزم بالقدر أكثر مبالغة من تشبيهه بثواقب النجوم وإن كان أبلغ من تشبيه البديع ومنه قوله:

عزماته مثل النجوم ثواقبا لو لم يكن للثاقبات أفول

والسيب: العطاء والمنحة، ومطرًا: أى مثله فى الغزارة والشمول.

(٣) المعنى أننى مدحت كثيرًا من الناس قبل ذلك الأمير وكنت أظنهم حين مديحى لهم صفو الزمان فلما وصلت إلى ذراه وتشرفت بالمثول بين يديه ومديحه عرفت أننى كنت مخطئًا فى ظنى إذ أنهم لو قيسوا إليه لكانوا كدرا.

(٤) المعنى: ما الذى أقول لك وأحدثك به من صفاته وبديع سجاياه وهى فوق متناول الظن وأعلى من المدارك ومما لا يمكن أن يسمو إليه فكر وأنا إن أنبأتك لم آمن ألا تتوهم صحة كلامى وصدق حديثى.

(٥) هذا كالإيضاح لما قبله.

(٦) يقال: أنفه يأنفه إذا ضرب أنفه، والأكارم: جمع أكرم وهو البالغ من الكرم حدًا عظيمًا، =

ما يَهَبُ(١). وَالأَلَفُ. لا يَعُمُّهُ إلاَّ الْخَلفُ(٢). وَهذَا جَبَلُ الْكُحْلِ قَدْ أَضَرَّ بِهِ الْمِيلُ. فَكَيفَ لا يُؤَثِّرُ ذلِكَ الْعَطاءُ الْجَزِيلُ(٣). وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يكُونَ مَلِكٌ يَرْجِعُ مِنَ الْبَذْلِ إلى سِرَفِهِ(٤). وَمِنَ الْخُلِقِ إلى شَرَفِهِ(٥). وَمِنَ الدِّينِ إلى كَلَفِهِ(٦). وَمِنَ الْمُلْكِ إلى كَنَفِهِ(٧). وَمِنْ الأَصْلِ إلى سَلَفِهِ(٨). وَمِنَ النَّسْلِ إلى خلَفِهِ. فَلَيْتَ شِعْرِيَ مَنْ هذِي مآثِرُهُ ماذَا الَّذِي بِبلُوغِ النَّجْمِ يَنْتَظِرُ(٩)؟!

= والمعنى : أن هذا الأمير الذى حدثتك بشأنه يستزرى الكرماء ويحط من شأنهم ويزجرهم إذا منحوا الدراهم لأنها خسيسة لا تليق بالعطاء ولا تجمل بالمنحة .

(١) المعنى : أنه يعطى الثمين الغالى وأهون ما يعطيه وأيسره وأقله قيمة وأزهده قدرًا هو الذهب ولذلك فهو يردع المانحين ويرغمهم .

(٢) الخلف : الفأس العظيمة، والمعنى : أنه متلاف لأمواله مضيع لها بسبب ما يعطى العطايا الغالية ويهب الهبات النفيسة فمثل أمواله كمثل الحائط لا يأتى على جميعها غير الفأس وهو كذلك لا يأتى على ماله غير الكرم .

(٣) الكحل : معروف، والميل ما يكتحل به، وأخف شيء حملاً هو الميل ولكنه إذا استمر أفنى من الكحل جبالاً، والمعنى : أن الميل لا يأخذ من الكحل إلا قليلاً جدًّا ولكنه لو تسلط على جبل لأفناه وأضاعه فقل لى بربك كيف لا تؤثر على ماله هذه الهبات المتواترة العظيمة .

(٤) المعنى : أنه لا يعقل أن أحدًا من الملوك تكون خصلة العطاء عنده واصلة غاية حد السرف والتضييع مثل ما وصل بها ذلك الأمير .

(٥) أى أنه ليس يتأتى أن يتصف واحد من الناس من الأخلاق بشريفها ومن الخصال بكريمها مثل الذى اتصف به .

(٦) كلفه : أى حبه ذلك الحب الشديد أو هو بمعنى احتمال تكاليفه ومشقاته .

(٧) كنفه حضنه وهو الصدر والعضدان .

(٨) السلف : الآباء، والمعنى : أترى أن أحدًا بلغ فى الانتساب إلى أفاضل الناس وأكرمهم وأحسنهم خلقًا مثلما بلغ الممدوح .

(٩) ليت شعرى : كلمة تدل على التعجب، والمعنى : أن الأمر غريب جدًّا لأن من كانت تلك سجاياه وهذه أوصافه ونعوته فأى شيء يرتجى من وصوله إلى النجم وارتقائه فوق مناط الثريا، أى أنه بلغ غاية الكمال التى لا يمكن المزيد عليها قط .

المقامة الصفرية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ:

لمَّا أرَدْتُ الْقُفُولَ مِنَ الْحَجِّ(١). دَخَلَ إلَيَّ فَتًى فقالَ: عِنْدِي رَجُلٌ مِنْ نِجارِ الصُّفْرِ(٢). يَدْعُو إلى الْكُفْرِ(٣). وَيَرْقُصُ على الظُّفْرِ(٤). وَقَدْ أدَّبَتْهُ الْغُرْبَةُ(٥). وَأدَّتْني الْحِسْبَةُ إلَيْكَ. لأُمَثِّلَ حالهُ لدَيْكَ(٦). وَقَدْ خَطَبَ مِنْكَ جارِيَةً صَفْراءَ تُعْجِبِ الْحاضِرِينَ. وَتَسُرُّ النَّاظِرِينَ(٧). فإنْ أجَبْتَ يَنْجُبُ مِنْهما وَلَدٌ يَعُمُّ الْبِقاعَ والأسْماعَ(٨).

---

(١) قفل - من باب دخل - رجع، والقفول من السفر، العود منه ومنه سميت القافلة وهى الجماعة التى تتآلف على السفر سموها بذلك تفاؤلاً لها بالرجوع.

(٢) النجار - بكسر أوله وضمه - ومثلهما النجر - بوزن فلس: الأصل ومنه المثل: كل نجار ابل نجارها يضرب لمن يتلون أى فيه كل لون من الأخلاق ولا يثبت على رأى، والصفر: جمع أصفر وقد صار لقبًا للدنانير والمعنى: أن عندى دينارًا.

(٣) الكفر فى الأصل الستر، والمعنى: أنه يحمل صاحبه على ستره وإخفائه ضنا به وخوفًا عليه ويصح أن يراد منه الكفر بالمعنى الشائع المعروف ومعنى أن الدينار داع إليه أن صاحبه لا يأمن على نفسه الوقوع فى مهاوى الزيغ والضلال.

(٤) من عادة الصيارفة ونقدة الأموال أن ينقروها على أظفارهم ليتبينوا جيدها من رديئها وذلك هو المراد بكونه يرقص على الظفر.

(٥) المعنى أنه فى يد غير صاحبه.

(٦) الحسبة فعل الأمر غير منظور عند عمله غير وجه الله، وأمثل حاله: أصورها لك وأعلمك حقيقتها، والمعنى أن شفقتى بذلك الفتى جعلتنى أتقدم إليك واصفًا حاله محتسبًا فى ذلك الأجر عند الله.

(٧) جارية: أى قطعة منطلقة، وأراد بكونها صفراء تعيين أنها من نوع الذهب.

(٨) ينجب منها ولد: أى يجيء له من هذه الجارية ولد نجيب وأراد منه الثناء عليه وإطراءه ومديحه ولذلك قال يعم الأسماع والبقاع أى أنه ينتشر انتشارًا عظيمًا حتى لا يبقى سمع إلا وصله ولا بقعة إلا دخلها.

فإذَا طَوَيْتَ هذَا الرَّيْطَ[١]. وَثَنيتَ هذَا الْخَيْطَ. يَكُونُ قَدْ سَبَقكَ إلى بَلدِكَ[٢]. فَرَأْيكَ في نَشْرِ ما في يَدِكَ[٣]. قالَ عِيسى بْنُ هِشَامٍ: فَعَجِبْتُ مِنْ إيرَادِهِ. وَلُطْفِهِ في سُؤَالِهِ[٤]. وَأَجَبْتُهُ في مُرادِهِ. فأَنْشَأَ يَقُولُ:

المَجْدُ يُخْدَعُ بِالْيَدِ السُّفْلَى وَيَدُ الْكَرِيمِ وَرَأْيُهُ أَعْلَى[٥]

المَقَامَةُ السَّارِيَةُ

حَدَّثَنا عيسى بْنُ هِشَامٍ قالَ: بَيْنا نَحْنُ بِسَارِيَةَ[٦] عِنْدَ واليها إذْ دَخَلَ عَلَيْهِ فَتًى بِهِ رَدْعُ صُفَارٍ[٧] فانْتَفَضَ الْمَجْلِسُ لَهُ قِيَامًا. وَأُجْلِسَ في صَدْرِهِ إعْظامًا[٨]. وَمَنَعَتْني

---

(١) الريط : جمع ريطة وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، والمعنى : إذا قطعت أيام الفراق ووصلت وطنك وحللت بناديك.

(٢) أى أن ذلك الولد ستجده حل وطنك قبلك ووصل الدار قبل وصولك.

(٣) أى : لك أن ترى بعد ما ذكرت لك من الكلام رأيك فى أن تجيبنى إلى ما أملت أو تردنى خائبًا.

(٤) إيراده : أى طريق حكايته لى وتحديثه إياى بحاجته والمعنى أننى قد أخذنى العجب من حديثه ولطافته مع جميل سؤاله فلم أخيب ظنه ولم أضع رجاءه.

(٥) اليد السفلى : التى تطلب العطاء وتستجدى أكف الناس، واليد العليا المعطية والمانحة وفى الحديث : (اليد العليا خير من اليد السفلى)، والمعنى : أن المستمنح يخدع المانحين ويختلسهم بما يلقيه إليهم من الحديث وما يمده نحوهم من شراك الاسترفاد ولكن ليس ذلك دليلاً على ضعف المعطى ولا حجة على خياله لأنه لا يزال صاحب اليد العليا والرأى الناضج والفكر السديد.

(٦) سارية : إحدى بلاد طبرستان.

(٧) الردع : أثر الطيب، والصفار بضم أوله وبفاء - : أراد منه اللون الأصفر والمعنى أن ذلك الفتى كان بجسده آثار طيب أصفر كالزعفران مثلاً.

(٨) المعنى أن جميع من كان بالمجلس قد تحرك مسرعًا للقيام ثم أنهم أجلسوه فى صدر المكان تعظيمًا له وتوقيرًا.

الْحِشْمَةُ لَهُ مِنْ مَسألَتي إيَّاهُ عَنِ اسْمِهِ(١) وَابْتَدَأَ فَقَالَ لِلْوَالي: ما فَعَلْتَ في الْحَديثِ الأَمْسِيِّ لَعَلكَ جَعَلْتَهُ في الْمَنْسِي(٢)؟! فَقَالَ: مَعَاذَ اللهِ وَلكِنْ عاقَني عَنْ بُلُوغِهِ عُذْرٌ لا يُمْكِنُ شَرْحُهُ(٣). وَلا يُؤْسي جُرْحُهُ(٤).

فَقالَ الدَّاخلُ: يا هذا قَدْ طالَ مِطالُ هذا الْوَعْدِ(٥) فمَا أَجِدُ غَدَكَ فيهِ إلاَّ كَيَوْمِكَ. وَلا يَوْمَكَ فيهِ إلاَّ كَأَمْسِكَ(٦). فمَا أُشَبِّهُكَ في الإِخْلافِ. إلاَّ بِشَجَرِ الْخِلافِ(٧). زَهْرُهُ يَمْلأُ العَينَ. وَلا ثَمَرَ في البَينِ(٨).

قالَ عيسى بْنُ هِشامٍ: فَلمَّا بلَغَ هذَا الْمَكانَ قَطَعْتُ عَلَيْهِ فقُلْتُ: حَرَسكَ اللهُ أَلَسْتَ الإِسْكَنْدَرِيَّ. فقَالَ: وَأَدَامَ حِرَاسَتكَ. ما أَحْسَنَ فَرَاسَتكَ(٩).

فقُلْتُ: مَرْحَبًا بأَمِيرِ الْكَلامِ. وَأَهْلا بِضالَّةِ الكِرَامِ(١٠). لَقَدْ نَشَدْتُهَا. حَتَّى

---

(١) الحشمة له: الإجلال والتباعد عما يثير غضبه أو يعنته.

(٢) الأمسى: نسبة إلى الأمس وهو اليوم الذى قبل يومك والمعنى: ماذا صنعت بشأن ذلك الحديث الذى جرى بيننا بالأمس ثم عطف إليه قائلاً: أننى أشفق من أن تكون نسيت.

(٣) المعنى: أننى لم أنس ذلك الحديث لأن النسيان علامة عدم الاكتراث وأنت ممن يخطر بالبال دائمًا ولكنى لم أستطع قضاءه لأعذار طويلة لا أتمكن من بسطها لك.

(٤) يؤسى: يطبب ويعالج، والمعنى: أن الذى نالنى من عدم الإنجاز بما وعدتك أشد على نفسى من الجرح الذى لا يعالج ولا يلتئم.

(٥) المطال ومثله المطل -: التسويف وإرجاء الوفاء من يوم إلى آخر والمعنى: أنه طال تسويفك وإرجاؤك وأنا أنتظر وفاءك ولكنك لا تفعل فمتى يكون.

(٦) أى: أن حالك معى لا يتغير فالذى تقوله اليوم هو ما ستقوله غدًا وهو بعينه الذى ذكرته أمس.

(٧) شجر الخلاف: هو شجر الصفصاف أو هو نوع منه.

(٨) ولا ثمر فى البين: أى بين أغصان ذلك الشجر أو هى كلمة مستعملة فى معنى هناك وهو استعمال مولد، وهذا هو وجه التماثل بين الوالى وشجر الخلاف، والمعنى أنه يخدعك منظره وتغرك رؤيته ولكنك إذا فتشت فى أثنائه وجهدت نفسك أن تجد ثمرة فلن تلقى السبيل إلى ذلك.

(٩) فراستك: تفرسك لاستطلاع حقيقتى، والمعنى: أن ظنك لم يخب فأنا هو.

(١٠) الضالة ما شرد منه فأنت تبحث عنه أو هو أكرم مالك عليك وآثره لديك، ومعنى هذا أن الإسكندرى رجل يطلبه كرام الناس ليتعرفوا أدبه الجم ويستفيدوا من حسن بيانه وجميل خطابه وفصيح مقاله.

وَجَدْتُهَا. وَطَلَبْتُها. حَتَّى أَصَبْتُها[١]. ثُمَّ تَرَافَقْنَا حَتَّى اجْتَذَبَني نَجْدٌ[٢]. وَلَقِمَهُ وَهْدٌ[٣]. وَصَعِدْتُ وَصَوَّبَ[٤]. وَشَرَّقْتُ وَغَرَّبَ. فَقُلْتُ عَلَى أَثَرِهِ:

يا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ أَخٍ ... ضاقَتْ يَداهُ وَطالَ صِيتُهُ[٥]

قَدْ باتَ بارِحَةَ لَدَيَّ ... فَأَيْنَ لَيْلَتَنا مَبِيتُهُ[٦]

لا دَرَّ دَرُّ الْفَقْرِ فَهْـ ... ـوَ طَرِيدُهُ وَبِهِ رُزِيتُهُ[٧]

لأُسَلِّطَنَّ عَلَيْهِ مِنْ ... خَلَفِ بْنِ أَحْمَد مَنْ يُمِيتُه[٨]

---

(١) نشد الضالة : طلبها وجد فى البحث عنها ، والمعنى أنه طال بى الأمد وأنا أتلمس لقياك وأرجو الوصول إليك حتى أسعفنى الدهر بما رجوت .

(٢) النجد : ما ارتفع وعلا من الأرض ، وجذبه رفعه إليه .

(٣) الوهد : ما تطامن وانخفض من الأرض : ولقمه - من باب فهم ابتلعه ، والمعنى : أنهما مازالا رفيقين حتى وصلا إلى مكان افتراقهما فسار عيسى نحو سجستان يؤم خلف بن أحمد فعلاً فى نجاد الأرض وسار الإسكندرى نحو العراق فهبط فى وهادها .

(٤) صعدت : سرت مرتفعًا بما يناسب النجد وصوب : سار منخفضًا بما يتفق مع الوهد .

(٥) ليت شعرى عنه : أى ليت خبرى عنه حاصل عندى ، وأصل الشعر فى مثل هذا التركيب العلم فاستعمل فى الخبر هنا لأنه سبب من أسبابه ، والمعنى ليتنى أعلم شيئًا عن ذلك الأخ الذى قصرت يده وضاقت عن الإنفاق ولم تقدر على البسطة ووفر الغنى مع علوكعبه وارتفاع ذكره وطول شهرته وامتداد صيته وبعد مداه .

(٦) بارحة . أراد منها الليلة الماضية ، وليلتنا : أى هذه الليلة ، والمعنى : أنه قضى معى الليلة المنصرمة فأين يقضى هذه الليلة الآتية يا ترى .

(٧) الدر : اللبن ، ودر - من باب شد - درا ودرورا - : كثر ويقال فى الذم لا در لا دره أى لا كثر خيره ، ويقال فى المدح : لله دره أى عمله ولله دره من رجل ، ولله دره رجلاً ، وطريده : مطروده ، ورزيته أصله رزئته فخفف بالإسهال ، والمعنى ، الدعاء على الفقر بأن يجف ضرع من تغذيه بلبنها ليموت ، وليس المقصود ذلك حقيقة ولكن المراد أن يقول : إن الفقر أمر يقصر الجاه ويضعف المروءة ويقلل من العزيمة ويفل شباتها لأنه كان سببًا فى رزئى بالإسكندرى فى حين أنى لا أحب غير لقائه والسير معه فحبذا لو لم يكن وأراد عيسى فقر نفسه أى أنه لو كان موسرًا لتحمل نفقاته ولم يقبل فراقه .

(٨) المعنى : أقسم يمينًا لا أحنث فيه أننى لابد أن أسلط على الفقر من خلف شخصًا يميت هذا الفقر بمنحه وعطاياه ، وخلف هو الذى سيفعل ذلك ولكنه أراد التجريد نحو لقيت من زيد أسدًا ، ولعل فى هذا البيت دليلاً على أنه أراد فقر نفسه .

المقامة التميمية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْن هِشَام قَالَ:

وَلِيتُ بَعْضَ الْوِلاَيَاتِ مِنْ بِلاَدِ الشَّام. وَوَرَدَهَا سَعْدُ بْنُ بَدْرٍ أَخُو فَزَارَةَ. وَقَدْ وُلِّيَ الْوِزَارَةَ(١) وَأَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ. عَلَى عَمَلِ الْبَرِيدِ(٢). وَخَلَفُ بْنُ سَالِمٍ. عَلَى

---

(١) فزارة: إحدى قبائل العرب، وأخوها: أحد رجالها الذين تتصل نسبتهم إليها، والوزارة كانت فى عصر البديع تجمع بين السلاحين السيف والقلم وكان لا يتولاها إلا من يحوز الصفتين جميعاً غير أن حال الوزير كانت تختلف من جهة إطلاق يده فى التصرفات كلها وغل يده عن البعض وقال ابن خلدون عن الوزارة: هى أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لأنها اسمها يدل على مطلق الإعانة فإن الوزارة مأخوذة إما من الموازرة وهى المعاونة أو من الوزر وهو الثقل كأنه يحمل مع مفاعله أوزاره وأثقاله وهو راجع إلى المعاونة المطلقة، وأحوال السلطان لا تعدو أربعة أمور لأنها إما أن تكون فى أمور حماية الكافة وأسبابها من النظر فى الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف فى الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب، وإما أن تكون فى أمور مخاطباته لمن بعد عنه فى المكان أو فى الزمان وتنفيذه الأوامر فيمن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب وإما أن تكون فى أمور جباية المال وإنفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه أن يكون بمضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والجباية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق وإما أن يكون فى مدافعة الناس ذوى الحاجات عنه أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذى يحجبه فلا تعدو هذه الأربعة بوجه وكل خطة أو رتبة من رتب الملك أو السلطان فإليها يرجع إلا أن الأرفع منها ما كانت الإعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف إذ هو يقتضى مباشرة السلطان دائمًا ومشاركته فى كل صنف من أحوال ملكه وإما ما كان خاصًا ببعض الناس أو بعض الجهات فيكون دونه الرتبة الأخرى كقيادة ثغر أو ولاية جباية خاصة أو النظر فى أمر خاص كحسبة الطعام، وما زال الأمر فى الدول قبل الإسلام هكذا حتى جاء الإسلام وصار الأمر خلافة فذهبت تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك إلى ما هو طبيعى من المعاونة بالرأى والمفاوضة فيه، ثم أفاض فى تطور الأحوال وانتقالها من عصر إلى عصر وتقسيم الوزارة وتنويعها وتحديد عملها ورسومها فى كل زمان.

(٢) البريد: أصله أن يجعل خيل مضمرات فى عدة أماكن فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان =

عَمَلِ الْمَظَالِمِ(١) . وَبَعْضُ بَنِي ثُوَابَةَ . وَقَدْ وُلِّيَ الْكِتَابَةَ(٢) .

= منها - وقد تعب فرسه - ركب غيره فرسًا مستريحًا وكذلك يفعل فى المكان الآخر والآخر حتى يصل بسرعة، وأما معناه اللغوى فالبريد هو اثنا عشر ميلاً وأظن أن الغاية التى قدروها بين بريد وبريد هى هذه القدر، وقال الصاحب علاء الدين عطا ملك فى جهان كشاى : ومن جملة الأشياء وضعهم البريد بكل مكان طلبًا لحفظ الأموال وسرعة وصول الأخبار ومتجددات الأحوال، وأول من وضعه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه طلبًا للسرعة فى وصول الأخبار، وعمل البريد من أكبر الأعمال فى الدول الإسلامية فقد كان صاحبه يتولى تفقد أحوال الثغور والبلدان النائية ويحدث السلطان عنها ويشير عليه بما يراه أعدل لها، وله عمال كثيرون يستخدمهم فى النواحى والأطراف فى فروع عمله، وكانت له مكانة سامية عند السلاطين لأنه الذى يتفقد الأحوال ويستكشف خبيئات الأمور ويخبر الخليفة بما يحيط به علمه وكان كل ما يرد من ولاة الأقاليم وعمال البلدان يعطى لعامل البريد ليطلع عليه أولاً ثم هو يذهب به إلى الخليفة ولذلك فإنه كان مأذونًا له بالدخول من غير ممانعة فى بعض العصور .

(١) قال ابن خلدون فى عمل المظالم أنه ولاية ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وكأنه يمضى ما عجز القضاة وغيرهم على إمضائه ويكون نظر صاحبه فى البينات والتقرير، واعتماد الإمارات والقرائن وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود، فهى أوسع من دائرة نظر القاضى، وكان الخلفاء الراشدون يتولون هذا العمل بأنفسهم فى صدر الإسلام وكانوا ربما تركوها للقضاة ثم صارت ولاية مستقلة .

(٢) ثوابة : قبيلة من قبائل العرب والكتابة، ديوان الرسائل ولا بأس بأن نورد لك رأى ابن خلدون فيها مع شيء من الإجمال قال : هذه الوظيفة غير ضرورية فى الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأساً كما فى الدول العريقة فى البداوة التى لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع، وإنما أكد الحاجة إليها فى الدولة الإسلامية شأن اللسان العربى والبلاغة في العبارة عن المقاصد، فصار الكاتب يؤدى الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر وكان الكاتب للأمير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه وكانت عند بنى العباس رفيعة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب فى آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان (وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو إشارته يغمس فى طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الخاتم ويطبع به على طرفى السجل عند طيه وإلصاقه) ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولاً وآخرًا على حسب الاختيار فى محلها وفى لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب فى الدول أو استبداد =

وَجُعِلَ عَمَلُ الزِّمَامِ. إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ[١]

= الوزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم لعلامة ذلك الرئيس كما وقع فى آخر الدول الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار أمرها إلى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التى للكاتب ملغى وصورة ثابتة اتباعًا لما سلف من أمرها فصار الحاجب يرسم للكاتب إمضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويتخير له من صيغ الإنفاذ ما شاء فيأتمر الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان نفسه بوضع ذلك إذا كان مستبدًا بأمره قائمًا على نفسه فيرسم الأمر للكاتب ليضع علامته، ومن خطط الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدى السلطان فى مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه فإما أن تصدر كذلك وإما أن يحذو الكاتب على مثالها فى سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه، وقد كان جعفر بن يحيى يوقع فى القصص بين يدى الرشيد ويرمى بالقصة لصاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء فى تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل أنها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا كان شأن الدول.

(١) لا ندرى ما الذى أراد بولاية الزمام لأننا لم نعرف ولاية بهذا الاسم فى ذلك العصر غير أن الذى يتبادر إلى الذهن أنه أراد منها ولاية الأعمال والجبايات وفيها يقول العلامة ابن خلدون: اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهى القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة فى الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم فى أبانتها والرجوع فى ذلك إلى القوانين التى يرتبها قومة تلك الأعمال وقهارمة الدولة وهى كلها مسطورة فى كتاب شاهد بتفاصيل ذلك فى الدخل والخرج مبنى على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال أن أصل هذه التسمية أن كسرى نظر يومًا إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يحادثون أحدًا فقال (ديوانه) أى مجانين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الأستعمال تخفيفًا فقيل ديوان ثم نقل هذا الاسم إلى كتاب هذه الأعمال المتضمن للقوانين والحسبانات، وقيل أنه اسم للشياطين بالفارسية سمى الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم فى فهم الأمور ووقوفهم على الجلى منها والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق ثم نقل إلى مكان جلوسهم لتلك الأعمال وعلى هذا فيتناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم بباب السلطان، وقد تفرد هذه الوظيفة بناظر واحد فى سائر هذه الأعمال وقد يفرد كل منها بناظر كما يفرد فى بعض الدول النظر فى العساكر واقطاعاتهم وحسبان أعطياتهم أو غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما قرره أولوها، واعلم أن هذه الوظيفة إنما تحدث فى الدول عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر فى أعطاف الملك وفنون التمهيد وأول من وضع الديوان فى الدولة الإسلامية عمر بن الخطاب - رضى =

فَصَارَتْ تُحْفَةَ الْفُضَلاَءِ[١] . وَمَحَطَّ رِحَالِهِمْ .

وَلَمْ يَزَلْ يَرِدُ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ حَتَّى امْتَلأَتِ الْعُيُونُ مِنَ الْحَاضِرِينَ[٢] وَثَقُلُوا عَلى الْقُلُوبِ .

= الله عنه - يقال لسبى أتى به أبو هريرة - رضى الله عنه- من البحرين فاستكثروه وتعبوا فى قسمه فسعوا إلى إحصاء الأموال وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال : رأيت ملوك الشام يدونون فقبل منه عمر، وقيل : بل أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان فقيل له : ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم قال : من تخلف أخل بمكانه وإنما يضبط ذلك الكتاب فأثبت لهم ديواناً وسأل عمر عن اسم الديوان فعبر له ولما اجتمع ذلك أمر عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الإسلامية على ترتيب الأنساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما بعده الأقرب فالأقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش .

أما ديوان الخراج والجبايات فبقى بعد الإسلام كما كان قبله (العراق بالفارسية والشام بالرومية) وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقين. ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الأمر ملكًا وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة ومن سذاجة الأمية إلى حذق الكتابة وظهر فى العرب ومواليهم مهرة من الكتاب والحسبان فأمر عبد الملك سليمان بن سعد وإلى الأردن لعهده أن ينقل ديوان الشام إلى العربية فأكمله لسنة من يوم ابتدائه ووقف عليه سرحون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم : اطلبوا العيش. فى غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم، وأما ديوان العراق فأمر الحجاج صالح بن عبد الرحمن - وكان يكتب بالعربية والفارسية - أن ينقل الديوان من الفارسية إلى العربية ففعل ورغم لذلك كتاب الفرس وكان عبد الحميد بن يحيى يقول : لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب، ثم جعلت هذه الوظيفة فى دولة بنى العباس مضافة إلى من كان له النظر فيه كما كان شأن بنى برمك. وبنى سهل بن نوبخت وغيرهم من وزراء الدولة .

(١) التحفة : النفيس الذى يتقدم به الفضلاء بعضهم إلى بعض، والمعنى : أن هذه الولاية التى وليها سعد بن بدر قد جمعت الأفاضل ووجوه الكتاب وخيرتهم فهى بذلك قد أصبحت زاهرة حتى أنه ليتهاداها كرام الناس .

(٢) ثقلوا على القلوب : لكثرة تواردهم وكثرة ما يكلفون أهل المجلس من التوقير لهم واحترامهم لأنهم من أهل الفضل وأرباب الحجا الذين تجب كرامتهم وبذل الغاية فى احترامهم وذلك من أثقل التكاليف على النفس .

وَوَرَدَ فِيمَنْ وَرَدَ أَبُو النَّدَى التَّمِيمِيُّ فَلَمْ تَقِفْ عَلَيْهِ الْعُيُونُ[١]. وَلا صَفَتْ لَهُ الْقُلُوبُ. وَدَخَلَ يَوْمًا إِلَيَّ فَقَدَرْتُهُ حَقَّ قَدْرِهِ. وَأَقْعَدْتُهُ مِنْ الْمَجْلِسِ فِي صَدْرِهِ. وَقُلْتُ: كَيفَ يُرَجِّى الأُسْتاذُ عُمْرَهُ. وَكَيفَ يَرَى أَمْرَهُ[٢]. فَنَظَرَ ذاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الْيَسَارِ[٣]. فقَالَ: بَينَ الْخُسْرانِ والْخُسارِ[٤]. وَالذُّلِّ والصَّغارِ[٥]. وَقَوْمٌ كَرْوَثِ الْحِمارِ. يَشُمُّهُم الإِقْبَالُ وهُمْ مُنْتِنُونَ[٦]. ويُحْسِنُ إِلَيهِمْ فَلاَ يُحْسِنُونَ. أما واللهِ لَقَدْ وَرَدْتُ مِنْهُمْ على قَوْمٍ ما يُشْبِهُهُمْ مِنَ النَّاسِ. غَيْرُ الرَّأْسِ وَاللِّباس[٧]. وَجَعَلَ يَقُولُ:

فِدًى لَكِ يا سِجِسْتانُ الْبِلادُ ولِلْمَلِكِ الْكَرِيمِ بِكَ الْعِبادُ[٨]

---

(١) يقال: وقفت العيون فى وجه فلان إذا حدقت إليه طويلاً وأثبتت النظر فيه وتتابع ذلك منها وهذا كناية عن احترامه وأخذه بلبك وهو يقول: إن العيون لم تتجه إليه فهو يريد التكنية عن أنهم احتقروه ولم يحفلوا به.

(٢) المعنى: أى شيء تؤمل فى حياتك وما الذى ترجوه من دهرك وما رغباتك فى هذا الوجود ولما كان الأمل يسوق العمل وجه إليه السؤال عن الأمل فى حين أنه يريد أعماله وأحواله.

(٣) إنما التفت يمينًا وشمالاً ليرى هل يحس به أحد وهل هناك من يسمع كلامه فيتحاشى أن يذكر عيبًا أو يخبر بقبيح.

(٤) الخسران: الخيبة والحرمان وضياع الرجاء وفقدان الآمال، والخسار: اللؤم ودناءة الطبع وسفالة الأصل والمعنى أنه يقضى أوقاته كلها بين أمل ضائع ورجاء مسلوب وأخوان سفلة وعشراء لئام.

(٥) الصغار: الحطة وضعف الشأن.

(٦) الإقبال: السعادة، والحظ، ويمن الطالع، والمعنى: أن السعد يأتيهم واليمن ينزل بساحتهم والثراء والجاه يلزمانهم فى حين أنهم لا يستحقون من ذلك كله شيئاً.

(٧) المعنى: أننى اضطررت للفرار من هؤلاء الذين حدثتك عنهم فلقيت جماعة لا يصلهم بالناس ولا يماثلهم بهم غير لباسهم وهيئة رؤوسهم فأما أفعالهم وخلقهم فهى بعيدة جدًّا عن أفعال الإنسان وأخلاقه.

(٨) سجستان مدينة من مدن فارس الشرقية، والمعنى: أن هذه البلدة هى خير البلاد وأطيب الأماكن وأن الملك الذى يحل بها هو أكرم من فوق التراب ولذلك فإنى أتمنى أن تكون بلاد الدنيا كلها فداء لسجستان وجميع العباد فداء لذلك الملك الكريم المقيم بها.

هَبِ الأيَّامَ تُسْعِدُني وهَبْني تُبَلِّغُنِيهِ راحِلَةٌ وَزَادُ
فَمَنْ لي بِالَّذِي قَدْ مات مِنْهُ وَبِالْعُمْرِ الَّذِي لا يُسْتَعادُ[١]

المَقَامَةُ الخَمْرِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: اتَّفَقَ لي في عُنْفُوانِ الشَّبِيبَةِ خُلُقٌ سَجِيحٌ[٢]. وَرأْيٌ صَحِيحٌ. فَعَدَّلْتُ مِيزانَ عَقْلي[٣]. وَعَدَلْتُ بَيْنَ جِدِّي وَهَزْلِي[٤]. وَاتَّخَذْتُ إخْوانًا لِلْمِقَةِ[٥]. وآخَرِينَ للنَّفَقَةِ[٦].

---

(١) المعنى: أفرض أنه أمكن لى أن أسعد بالذهاب إلى حضرته وأتمتع بالمثول بين يديه والتشرف بلقائه وأفرض أن فى مقدور الرواحل أن تصل بى إلى ساحته فهل ينفعنى ذلك اللقاء فى رد الأيام الماضية والعمر المنصرم والحياة الفائتة التى غبرت علىَّ دون تمتع به ولا تشرف بالورود إليه.

(٢) عنفوان الشبيبة: أول الشباب، وميعته، وحين طراءة العمر وغضارته، وخلق سجيح: سهل لين هادىء، والمعنى: أننى لم أنشأ على الطيش والرعونة والحمق والجنون مثل عادة الشباب بل فطرنى الله على الهدوء والثبات والسكينة فتخلقت بكامل الأخلاق وتحليت بفضائل الأعمال ونشأت على عظيم الأفعال منذ عهدى الأول فى الحياة.

(٣) عدلت ميزان عقلى: جعلت كفتيه متقابلتين لا ترجح إحداهما الأخرى فلا أنا تركت كفة الشهوة - وهى فى الشباب متوفرة متهيجة تتغلب على كفة الفضيلة - ولا أنا تركتها مرة واحدة.

(٤) عدلت: سويت وماثلت، والمعنى: أننى لم أجعل لإحدى الأمرين رجحانًا على الآخر فيغلبه فتميل كفته بل أردت الموازنة بينهما والمساواة فيهما، وهذا مثل قول الشاعر:

وللـه عـنـدى جـانـب لا أضـيـعـه وللـهـو عـنـدى والـخـلاعـة جـانـب

(٥) المقة: المحبة وقد ومقه يمقه - بكسر الميم فيهما -: أحبه فهو وامق، وإخوان المقة هم أصدقاء المحبة والوداد وألاف الإخلاص الذين يستنصر بهم ويستصرخهم فى الشدة ويدعوهم إذا حزبه أمر أو نزلت به كارثة.

(٦) المعنى: أنه جعل أخلاءه نوعين: نوع تجمعه بهم المحبة الأكيدة والوداد المحض وادخره للنوازل والخطوب، ونوع تدعوه إليهم ساعات الأنس وأوقات المسرة من أهل الظرف والمروءة ووداعة الأخلاق ليتشاركوا فى المأكل والمشرب ونحوهما من دواعى الطرب وبواعث الارتياح.

وَجَعلْتُ النهارَ للنَّاسِ. وَاللَّيْلَ لْلكاسِ [١] (قالَ): وَاجْتَمَعَ إليَّ في بَعْضِ لِيالِيَّ إخْوَانُ الْخَلوَةِ. ذَوُو الْمَعاني الْحُلوَةِ [٢]. فَمازِلْنا نَتَعاطَى نُجُومَ الأَقْدَاحِ [٣]. حَتَّى

---

(١) المعنى : أن قسمة وقته وتسويته بين جده وهزله كانت هكذا فيقضى نهاره بين الناس متحشمًا وقورًا قائمًا بجليل الأعمال مؤديًا منها ما لا قبل لغيره عليه، وليله مع ندمائه يستقون العقار ويجيلون القداح.

(٢) يريد بهم جماعة الندامى الذين يشاركونه النفقة والأنس.

(٣) نجوم الأقداح : أى الخمر التى تشبه النجم فى الضياء والبريق، ومن نعوتهم لها الرقة مع الصفاء، والوميض مع اللألاء، وفى الأول يقول :

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

ويقول أبو نواس :

تخيرت والنجوم وقف ... لم يتمكن بها المدار
فلم تزل تأكل الليالي ... جثمانها ما بها انتصار
حتى إذا جرمها تلاشي ... وخلص السر والنجار
آلت إلى جوهر لطيف ... عيان موجودة ضمار
لا ينزل الليل حتى حلت ... فدهر شرابها نهار

ويقول صريع الغوانى مسلم بن الوليد :

كأنها وحباب الماء يقرعها ... در تحدر من سلك من الذهب
تكاد أن تتلاشى كلما مزجت ... فى الكأس لولا بقايا الريح والحبب

ويقول البحترى وقد ضمن بيتًا لأبى تمام :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه ... زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث ... الشوق الذى قد ضل فى الأحياء
يخفى الزجاجة لونها فكأنها ... فى الكف قائمة بغير إناء

وأحسن من هذا كله قول أبى نواس :

جفت عن الماء حتى ما يلائمها ... لطاقة وجفا عن شكلها الماء

وفى الثانى يقول :

فلو مزجت بها نورًا لمازجها ... حتى تولد أنوار وأضواء

ويقول :

نَفِدَ ما مَعَنا مِنَ الرَّاحِ[١] . قالَ : واجْتَمَعَ رَأْيُ النَّدْمَانِ . علي فَصْدِ الدِّنانِ[٢] . فأَسْلَمنا نَفْسَهَا[٣] وَبَقِيَتْ كالصَّدَفِ بِلادُرٍّ[٤] . أو الْمِضْرِ بِلا حُرٍّ[٥] . (قال) : وَلَمَّا مَسَّتْنا حالُنا تِلْكَ دَعَتْنا دَوَاعِي الشَّطارَةِ[٦] . إلى حَانِ الْخَمَّارَةِ[٧] . وَاللَّيْلُ أَخْضَرُ الدِّيبَاجِ[٨] .

جاءت كشمس ضحى فى يوم أسعدها ... من برج لهو إلى آفاق سراء
كأنها ولسان الماء يقرعها ... نار تأجج فى آجام قصباء

ويقول :

كأنها فى زجاجها قبس ... يذكو بلا سورة ولا لهب
فهى بغير المزاج من شرر ... وهى إذا صفقت من الذهب

(١) نفد : فنى وذهب ، والراح : من أسماء الخمر ، والمعنى إننا ظللنا نتحسى حتى لم يبق مما كان معنا شيء .

(٢) الفصد فى الأصل قطع العرق ليسيل منه الدم ، والدنان : جمع دن وهو راقود الخمر وخابيته العظيمة ومعنى فصدها فتحها لأخذ ما فيها من الخمر ، والمعنى أنهم بعد أن أنفدوا ما معهم طلبت نفوسهم مقدارًا آخر منها فاتفقوا على فض الدنان لينالوا بغيتهم ويصلوا إلى ما أرادوا .

(٣) النفس : الدم ، والخمر تشبه الدم فى اللون ونحوه .

(٤) الصدف : جمع صدفة وهى غشاء الدرة ، والمعنى أنهم بعد أن فضوا ختم الرواقيد تركوها خالية لا قيمة لها كما تترك الصدفة بعد أخذ ما فيها من ثمين الجواهر ، وهذا كناية عن استيعابهم لجميع ما كان فيها ومن تشبيه الخمر

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على أرض من الذهب

(٥) إذا خلت المصر من الحر والجريء المقدام فأى فرق بينها وبين الصحارى المجدبة والديار البلاقع ؟ فهو يقول : إننا تركنا الدنان ولا قيمة لها وهى لا تساوى شيئًا .

(٦) مستنا : الجأتنا ، واضطرتنا ، والشطارة : الخبث الشديد والميل إلى الدعارة والفسق .

(٧) الحان والحانة : حانوت الخمار ومنه سميت الخمر بنت الحان ، والخمارة : مكان ابتياع الخمر وتحسيها والإضافة من باب إضافة الشيء إلى نفسه كقولهم مسجد الجامع ، والمعنى : أن حالتنا الأولى عند ما فرغت الخمر التى كانت لدينا اضطرتنا إلى الذهاب للحان لمتابعة الشرب ومواصلته .

(٨) الديباج فى الأصل : الثوب إذا كان سداه ولحمته من حرير ، واللون الأخضر إذا اشتد كان أدكن مظلمًا والمراد وصف الليل بشدة سواده .

مُعْتَلَمُ الأَمْوَاجِ [١]. فَلَمَّا أَخَذْنا في السَّبْحِ [٢]. ثَوَّبَ مُنَادِي الصُّبْحِ [٣]. فَخَنَسَ شَيْطانُ الصَّبْوَةِ [٤] وَتَبادَرْنا إلى الدَّعْوَةِ [٥]. وَقُمْنَا وَرَاءَ الإِمامِ. قِيامَ البَرَرَةِ الْكِرَامِ.

---

(١) اغتلام الأمواج : نورتها، وهياجها، وكثرة اضطرابها، وذلك تأكيد لسابقه فى نعت اسوداد الليل وظلامه، ولأبى العلاء المعرى فى وصف ليل أنس ما يقرب من ذلك :

رب ليل كأنه الصبح فى الحسـ ـن وإن كا أسود الطيلسان
قد ركضنا فيه إلى اللهو لما وقف النجم وقفة الحيران
ليلتى هذه عروس من الزنـ ـج عليها قلائد من جمان
هرب النوم عن جفونى فيها هرب الأمن عن فؤاد الجبان
وكأن الهلال يهوى الثريا فهما للوداع مقترنان
وسهيل كوجنة الحب فى اللو ن وقلب المحب فى الخفقان
مستبدًا كأنه الفارس المعـ ـلم يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح فى احمرار كما تسـ ـرع فى اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دمًا سيوف الأعادي فبكت رحمة له الشعريان
قدماه وراءه وهو فى العجـ ـز كساع ليست له قدمان
ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ ـر فغطى المشيب بالزعفران
ونضا فجره على نسره الوا قع سيفًا فهم بالطيران

(٢) السبح فى الأصل : السير فى الماء، ولما كان قد شبه الليل بالبحر ذى الأمواج المتكاثفة المتواثبة فقد سمى سيرهم إلى الخمارة سبحا.

(٣) منادى الصبح : المؤذن الذى يدعو الناس إلى الصلاة، وأصل التثويب فى اللغة الاجتماع والمجيء، وهو فى عرف الشرع أن يقول المؤذن لصلاة الصبح : الصلاة خير من النوم مرتين ولعل أصل التسمية الشرعية من ذلك لأن هذا الكلام معناه الدعوة لاجتماع الناس ومجيئهم، وربما صح أن تكون لأنه يشبه التبشير بالثواب لمن حضر.

(٤) خنس : انخذل وانقبض وفى التنزيل : (من شر الوسواس الخناس) أى الذى يلقى بالوسوسة ثم يفر هاربًا.

(٥) تبادرنا إلى الدعوة : سرنا لتلبيتها مبادرين مسرعين، والدعوة هى الأذان والمعنى أنا لم نكد نعتزم السير إلى الحان حتى نفذنا ذلك العزم وأخذنا فى طريقها فما سرنا قليلاً حتى سمعنا المؤذن ينادى لدعوة العباد إلى الصلاة ولم يقرع أسماعنا صوته حتى ذهب عنا الشيطان وغادرتنا دواعى التصابى ونزق الشباب فذهبنا نحو المسجد مسرعين لتأدية فريضة الصلاة.

بَوَقارٍ وَسَكِينَةٍ. وَحَرَكاتٍ مَوْزُونَةٍ[١]. فَلِكُلٍّ بِضاعَةٍ وَقْتٌ[٢]. وَلِكُلِّ صِناعَةٍ سَمْتٌ[٣]. وَإِمامُنا يَجِدُ في خَفْضِهِ وَرَفعِهِ[٤]. وَيَدْعُونا بِإِطالَتِهِ إِلى صَفْعِهِ[٥]. حَتَّى إِذَا رَاجَعَ بَصِيرَتَهُ[٦] وَرَفَعَ بِالسَّلامِ عَقِيرَتَهُ[٧]. تَرَبَّعَ في رُكْنِ مِحْرَابِهِ[٨]. وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى أَصْحابِهِ. وَجَعَلَ يُطِيلُ إِطْراقَهُ. وَيُدِيمُ اسْتِنْشَاقَهُ[٩]. ثُمَّ قالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ خَلَطَ في سِيرَتِهِ[١٠]. وابْتُلِيَ بِقاذُورَتِهِ[١١].

---

(١) المعنى: أننا حين قامت الصلاة دخلنا صفوفها فوقفنا وقوف العباد مع الخضوع لجبروت الله سبحانه والوقار والأدب وكأن الذى كنا فيه لم يكن.

(٢) أى: أن كل سلعة لها وقت تعرض فيه لا يناسبه غيرها ولا يناسبها غيره، والبضاعة هنا هى الوقار والسكينة وتوازن الحركات والخشوع ووقتها هو أذان الصلاة التى تؤدى فيه.

(٣) السمت: الجهة، والمراد هنا الهيئة والحال، والمعنى: أن كل حرفة وصناعة لها هيئة خاصة لا تليق فيها غيرها.

(٤) الخفض والرفع: المراد بهما هنا الركوع والسجود ومعنى جد الإمام فيهما اجتهاده وتشديده فى تأديتهما.

(٥) الصفع: الضرب على القفا خاصة ومعنى دعوته إياهم إلى ذلك أنه يطيل إطالة تجعلهم يملون الصلاة ويسأمونها فلا يجدون لأنفسهم مخرجًا غير صفعه واستنهاضه للسرعة والإنجاز.

(٦) البصيرة: الفطنة، والحزم، والعقل، والتدبير، ومراجعته لها: طلبه منها الرجوع إليه وكأنما كان قد افتقدها بسبب إطالته فلما اعتزم على الانتهاء كأنه قد أعادها إلى نفسه ورجعها.

(٧) عقيرته: صوته، والصلاة ختامها التسليم فكأنه قال: ولما ختم الصلاة وانتهى من أعمالها.

(٨) المحراب: مقام الإمام من المسجد، وتربع: جلس.

(٩) الإطراق: السكوت مع إرخاء العينين نحو الأرض، والاستنشاق: اشتمام الريح وإدمانه الإكثار منه وكأنه كان قد شم رائحة الخمر فأراد أن يتثبت منها ليقدم إلى الجماعة نصيحته التى سيذكرها بعد وقال الأستاذ الإمام أن معنى استنشاقه: شمه النشوق وذلك معنى يأباه الذوق الأدبى ويمجه الطبع.

(١٠) خلط فى سيرته: أتى بمنكر الأعمال وشنيعها وارتكب فظائع الأمور وخبيثها مع كونه يؤدى بعض أعمال الصلاح والتقوى وفى التنزيل (خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم).

(١١) القاذورة فى الأصل: ما تتقذر منه النفس، وتشمئز، وتنفر، والمراد هنا السيئة سماها بذلك كما سميت فى الحديث: (من ابتلى بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله) لأن مرتكبها =

فَلْيَسَعْهُ دِيماسُهُ[١] دُونَ أنْ تُنَجِّسَنا أنْفاسُهُ. إني لأَجِدُ مُنْذُ الْيَوْمِ. رِيحَ أُمِ الْكَبائِرِ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ[٢].

فَما جَزاءُ مَنْ باتَ صَرِيعَ الطَّاغُوتِ[٣]. ثُمَّ ابْتَكَرَ إلَى هذِهِ الْبُيُوتِ[٤]. التِّي أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعُ[٥]. وبِدَابِرِ هؤُلاءِ أنْ يُقْطَعَ[٦]. وَأشارَ إلَيْنا. فَتألَّبَتِ الْجَماعَةُ عَلَيْنا[٧]. حَتَّى مُزِّقَتِ الأَرْدِيَةُ[٨]. وَدَمِيَتِ الأَقْفِيَةُ[٩]. وَحتَّى أقْسَمْنا لَهُمْ لَا عُدْنا.

= يتلطخ كما يتلطخ من تعلوه الأدناس والأقذار، ولأن النفوس تبتعد عنه، وتنفر منه كما تنفر من القذر المنتن.

(١) الديماس: المنزل، والبيت، والمعنى من كان منكم قد ابتلاه الله تعالى بشيء من المعاصى فعليه أن يقبع فى داره ويلزم بيته فإن التستر على النفس مندوب إليه، والعقاب على الجرم مع المجاهرة أشد من العقاب عليه مع الاستتار.

(٢) أم الكبائر: هى الخمر وبذلك سميت فى الحديث، وهى تبعث إلى الشر، وتذكى لهيب الفساد، وتؤجج نيران المعصية، فمن شربها هان عليه بعدها أن يفعل كل شيء لأنه حينئذ يكون مسلوب العقل، فاقد الرشد، ضائع التمييز فيرتكب الكبيرة، ويتدنس بالمخازى، والآثام، ومن هذا أطلق عليها ذلك الاسم.

(٣) الطاغوت: الشيطان، وصريعه: المقهور له، المغلوب بوسواسه.

(٤) ابتكر: جاء مبكرًا، والمراد بالبيوت المساجد.

(٥) أذن الله أن ترفع أعلم عباده بوجوب العمل على رفعتها والمغالاة فى احترامها.

(٦) دابر القوم: آخر من بقى منهم وأصله الدبر - بالتخفيف والتثقيل معًا: وهو الظهر، كناية عن استئصال شأفتهم والقضاء على جميعهم وفى التنزيل: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والمعنى: أى عقوبة تقدرونها على هؤلاء الجماعة التى تقطع ليلها كله متلبسة بالمآثم والخطايا مستنيمة للشيطان يلقى إليها وينفخ فيها من روحه الفاسدة الشريرة ثم تجيئنا فى هذه المساجد التى لم تجعل للفسدة والمرتكبين وإنما أقيمت للعباد والصالحين؟ وكأنه يريد بهذا الاستفهام إنكار أمر الشاربين وتفظيعه فى نظر جماعته.

(٧) تألبت: اجتمع وتناصرت فى ضربهم والتنكيل بهم وإهانتهم.

(٨) الأردية: جمع رداء وهو الثوب.

(٩) دميت: سال دمها، والمعنى: أن الضرب الذى أنزلوه بنا كان شديدًا جدًا حتى لقد أسال دماء أقفيتنا (وهذا هو أثر الصفع) ومزق ثيابنا.

وَأفْلَتنا مِنْ بَيْنهمْ وَما كِدْنا. وَكُلُّنا مُغْتَفِرٌ للسَّلامَةِ. مِثْلَ هذِهِ الآفَةِ[١]. وَسأَلْنا مَنْ مَرَّ بِنا مِنَ الصِّبْيَةِ[٢]. عَنْ إمامِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ. فَقالُوا: الرَّجُلُ التَّقِيُّ. أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فقُلْنا: سُبْحَانَ اللهِ! رُبما أَبْصَرَ عِمِّيت[٣]. وآمَنَ عِفْرِيتٌ[٤]. والْحَمْدُ لِلهِ لقَدْ أَسْرَعَ في أَوْبَتِهِ[٥]. وَلا حَرَمَنا اللهُ مِثْلَ تَوْبَتِهِ[٦]. وَجَعلَنا بَقِيَّةَ يَوْمِنا نَعْجَبُ مِنْ نُسْكِهِ[٧]. مَعْ ما كُنَّا نَعْلمُ مِنْ فَسْقِهِ[٨]. (قالَ): وَلمَّا حَشْرَجَ النَّهارُ أَوْ كادَ[٩]. نَظَرْنا فإِذَا بِرَاياتِ

---

(١) المعنى: أننا ما كنا نظن أننا سنخرج من تحت أيديهم وفى واحد منا رمق الحياة فلما أذن الله بالسلامة واختارها لنا عفونا عن كل ما نالنا.

(٢) الصبية: الصبيان، جمع صبى.

(٣) عميت - بوزن سكيت -: السكران، والجاهل الضعيف، ومن لا يهتدى إلى جهة، والمعنى: أننا عهدناه على زيغ عن الحق، وميل إلى الفجور، وانحراف عن الجادة، فلعله استهدى بنور اليقين فوضح له الطريق البين، وظهر لعينه فجر الصواب.

(٤) العفريت: الشيطان، والناس تنسب كل فعل غريب، نادر الوقوع، شاق على الفاعل، إلى الشياطين ويقولون: فلان عفريت أو شيطان على التشبيه يريدون أنه يأتى بالأفعال التى تكون كذلك، والمعنى: أنا نعرف أبا الفتح سادرًا فى اللهو، آتياً بشنيع الأعمال، فاعلاً لفظيعها، فلعل جذوة الإيمان قد اتقدت بقلبه فاحرقت شعاب الباطل، ولعل برد الطاعة قد أثلج صدره فأطفأ نار العصيان.

(٥) الأوبة: الرجوع، المراد رجوعه إلى الله تعالى والعمل بأوامره.

(٦) المعنى: أنا نحمد الله جلت قدرته الذى وفقه إلى الهداية، ونشكره سبحانه إذ أراد به خيرًا فرجعه إلى صالح الأعمال قبل أن ينصرم العمر ويضيع الأمد، ونسأله تعالى أن يعجل لنا ما عجله له.

(٧) النسك: العبادة، وقد نسك ينسك - بالضم - نسكًا - بوزن رشد -: أى تعبد، ونسك، - من باب ظرف -: صار ناسكًا.

(٨) الفسق: الفجور، والخروج عن طاعة الله، وقد فسق الرجل يفسق بالضم - فسقًا، وفيه لغة أخرى من باب جلس: ومعناه خرج، وفى التنزيل (ففسق عن أمر ربه) أى خرج والمعنى: أنا ظللنا عامة يومنا والعجب يأخذنا من عبادة أبى الفتح، وورعه، وزهده فى اللذائذ والشهوات، لأننا عرفناه وهو لا يعمل على طاعة الله، ولا يرضخ لعبادته.

(٩) يقال: حشرج الرجل حشرجة إذا غرغر عند الموت، وحينذاك تكون حياته موشكة أن تنتهى، وعليه حشرجة النهار هنا أى انتهاؤه أو قرب ذلك.

الْحَانَاتِ أَمْثَالُ النُّجُومِ. فِي اللَّيلِ البَهِيمِ[١]. فَتَهادَيْنَا بِها السَّرَّاءَ[٢]. وتَباشَرْنا بِلَيْلَةٍ غَرَّاءَ[٣] وَوَصلْنا إلى أَفْخَمِها بابًا[٤]. وَأَضْخَمِها كِلابًا. وقَدْ جَعَلْنا الدِّينارَ إمامًا[٥]. وَالاسْتِهْتارَ لِزَامًا[٦]. فَدُفِعْنا إلى ذَاتِ شَكْلٍ وَدَلٍّ[٧]. وَوِشَاحٍ مُنْحَلّ[٨]. إذَا قَتَلتْ أَلْحَاظُها. أَحْيَتْ أَلْفاظُها[٩].

---

(١) رايات الحانات : أعلامها، والليل البهيم : الذى اشتدت حلوكته وظلامه، والمعنى أنه حينما أوشك النهار أن ينصرم أو انصرم فعلاً فنظرنا فإذا بنا نرى الأعلام قد نشرت فوق الحانات وهى أماكن الخمر فبدت لأعيننا كأنها النجوم تسطع فى الدجى فتنير ظلامه وتزيل غياهبه.

(٢) تهادينا : أهدى بعضنا إلى بعض، والسراء : المسرة والحبور.

(٣) تباشرنا : بشر بعضنا بعضًا، وليلة غراء : ذات بهجة وجمال، والمعنى أننا حين نظرنا هذه الرايات صار كل واحد منا يهدى إلى الثانى السرور ويبشره بسعادة ليلتنا وجمالها وما سنلقاه فيها من لذة وأنس.

(٤) أراد من أفخمها بابا الكناية عن أن الحانة التى وصلوا إليها أكبر الحانات وأكثرها جمعا لأسباب المسرة ودواعى الانشراح.

(٥) الدينار : المراد منه جنسه أى النقد، والإمام : المراد منه هنا القيم الذى يقوم بالشؤون ويدبر الأمور والمعنى أن الدينار هو الذى ينيلهم ما يريدون، ويأتيهم بكل ما يحبون، ويوفيهم لذتهم ويوفر لهم سعادتهم.

(٦) الاستهتار : اتباع الشهوات، والسير مع الأهواء من غير مبالاة ولا اكتراث، ولزامًا : أى ملازمًا لا يفارقنا ولا يرحل عنا، والمعنى : أننا جعلنا السير وفق أغراضنا وطوع شهواتنا وديدنا لنا، وصفة ملازمة لا تفارقنا ولا نحيد عنها قط.

(٧) دفعنا : أى أدانا سيرنا، وذات شكل : أى ربة حسن وغزل، والدل : هو مزج الرضا بالغضب، والقرن بين البذل والتمنع.

(٨) الوشاح : شبه علاقة السيف يتخذ من أديم عريض ويرصع باللؤلؤ والجواهر ثم تجعله المرأة بين عاتقها وكشحها، ومنحل : أى لا يكاد يمسك بخصرها لاتساعه ونحافة الخصر، والمعنى : أننا سرنا للحانة فلما وصلناها دفعنا الباب فأدانا هذا إلى فتاة تأخذ بالألباب، وتفتك بالعقول، وتأتسر النهى، وتسلب الحجا، لما هى عليه من صباحة الوجه، ولطافة المحيا، ولين الأعطاف، ونحولة الخصر.

(٩) يشبهون الألفاظ بالسحر، والألحاظ بالسيوف المصلتة، وبالقسى المعطفات، وبالنصال، وينسبون إليها القتل، وتجد ذلك فى كلامهم كثيراً فمنه قول جرير :

فأَحْسَنتْ تَلقِّينَا. وأسْرَعَتْ تُقَبِّلُ رُؤُسَنا وَأيْدِينَا[١]. وَأسْرَعَ مَنْ مَعَها مِنَ العُلُوجِ: إلَى حَطِّ الرِّحالِ وَالسُّرُوجِ[٢]. وَسألْناها عَنْ خَمْرِها فقَالَتْ:

إن العيون التى فى طرفها حور = قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

وقول الآخر:

نحن قوم تذيبنا الأعين النجـ ـل على أننا نذيب الحديدا

وقول البحترى:

أين التى كانت لواحظ طرفها يصبو إليها القلب وهى سهام

وقول ابن الرومى:

ليت شعرى أسحر عينيك داء الـ ـقلب أم نار خدك الوهاج؟!
أيها الناس ويحكم هل مغيث لشج يستغيث من ظلم شاج؟
من مجيرى من أضعف الناس ركنا ولعينيه سطوة الحجاج؟!!

وبديع قول أبى تمام:

يا جفونا سواهرا أعدمتها لذة النوم والرقاد جفون
بلى الجسم لكن الشوق حي ليس يبلى وليس تبلى الشجون
إن لله فى العباد منايا سلطتها على القلوب العيون

وللتهامى:

فتوق أعين عامر وسيوفها كل - وجدك - صارم بتار

وما أبدع قول أبى نواس:

لو نظرت عيناه إلى حجر ولد فيه فتورها سقما

ومعنى ما فى المقامة أن لهذه الفتاة عيونًا قاتلات وجفونًا ساحرات ولكنها تقتل بعيونها ثم تحيى موتاها بعذوبة ألفاظها ومثل هذا تقريبًا قول ابن الرومى:

حور سحرن وما نفثن برقية فبلغن ما لا يبلغ النفات
لحظاتهن إذا رنون إلى الفتي بلوى ولكن ريقهن غياث
ما فى حبائل كيدهن رثاثة لكن حبال وصالهن رثاث

(١) تلقينا: مقابلتنا، ولقيانا، والمعنى: أنها لقيتنا لقاء حسنًا، ورفعت منزلتنا، وزادت فى احترامنا.

(٢) العلوج: جمع علج وهو الرجل الضخم من كفار العجم أو هو الكافر من غير العرب مطلقًا، والرحال: جمع رحل وهو ما يستصحبه الرجل من الأثاث أو هو رحل البعير ولكنه بعيد هنا، =

خَمْرٌ كَرِيقي في الْعُذُو بَةِ وَاللَّذَاذَةِ وَالْحَلاوَهْ[١]
تَذَرُ الْحَلِيمَ وما عَلَيهِ لِحِلْمِهِ أَدْنى طُلاوَهْ[٢]

كأَنما اعْتَصَرَها مِنْ خَدِّي[٣] . أَجْدَادُ جَدّي[٤] . وَسَرْبَلوها مِنْ الْقارِ . بِمِثْلِ

= والسروج : معروفة ، والمعنى : أن من كان مع هذه الفتاة من الرجال حين رأى حفاوتها بنا تبادر إلى إنزال ما على ركائبنا من المتاع إجلالاً لنا وحفاوة بنا .

(١) أى أن هذه الخمر التى عندى تشبه ريقى - والريق ماء الفم - من وجوه ثلاثة الأول عذوبتها والثانى لذة ما تجدون من تذوقها والثالث حلاوة مذاقها .

(٢) تذر : تدع ، وتترك ، والطلاوة - بتثليث الطاء - : البهجة ، والحسن والرواء ، والمنظر ، والمعنى : أن هذه الخمر متى شربها الحليم تجعله يترك حلمه وينسى سكونه ، ويفارق وقاره ، فيصبح ولا بهجة للحلم عنده ، ولا رواء له لديه ، وقريب من هذا المعنى قول مسلم بن الوليد :

وبنت مجوسى أبوها حليلها إذا نسبت لم تعد نسبتها النهرا
قلوب الندامى فى يدها رهينة يصيدونها قهرًا وتقتلهم قسرا
إذا ما تحساها الحليم أخو النهي أسر بها كبرا وأبدى بها كبرا

(٣) اعتصرها من خدى : كناية عن كونها حمراء اللون أو صفراء - والصفرة من ألوان النساء المستحسنة أيضًا ، وفى كلامهم : وصفراء العشية - وهذا التشبيه نفسه أخذه الشاعر العصرى حافظ إبراهيم بك وزاد عليه فقال :

اسقنا يا غلام حتى ترانا لا نطيق الكلام إلا بهمس
خمرة قيل أنهم عصروها من خدود الملاح فى يوم عرس

(٤) أجداد جدى : كناية عن قدم العهد وطول احتباسها فى الدن وهم يمتدحون من الخمر ما كان كذلك : قال أبو نواس :

عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاحتبت في القوم ماثلة ثم قصت قصة الأمم

وقال :

ألا خذها كمصباح الظلام سليلة أسود جعد سخام
معتقة كما أوفى لنوح سوى خمسين عامًا ألف عام
أقامت فى الدنان فلم يضرها ولكن زانها طول المقام

هَجْرِي وَصَدِّي[١] . وديعةُ الدُّهُورِ[٢] . وَخَبِيئَةُ جَيْبِ السُّرُورِ[٣] . وَما زَالتْ تَتَوارَثُها الأَخْيارُ. وَيأْخُذُ مِنهْا اللَّيْلُ وَالنَّهارُ. حَتَّى لَمْ يَبْقَ إلا أَرَجٌ وَشُعاعٌ[٤] . وَوَهَجٌ لذَّاعٌ[٥] .

---

(١) سربلوها : كسوها، والقار ومثله القير : شيء أبيض يطلى به السفن والإبل وقيل هما الزفت، والمراد أن لونها يضرب إلى السواد، وهو لون محمود في الخمر عندهم قال شيخ السكارى ومقدم حلبتهم أبو نواس :

إذا امتنحت ألوانها مال صفوها إلى الحو إلا أن أوبارها خضر

(٢) وديعة الدهر : أى أنها لم تزل من القرون الماضية كلما مضى قرن استودعها الذى يليه حتى وصلت إلينا فهذا زيادة فى تأكيد تعتيقها .

(٣) المعنى : أن السرور أخفاها لديه وأبى أن يطلع عليها سوى من هو لها أهل

والخمر قد يشربها معشر ليسوا إذا عدوا باكفائها

(٤) المعنى : أن الزمان قد لطفها وصفاها وبالغ فى ذلك حتى لم يبق منها سوى أرجها (وهو الرائحة) والشعاع، وقريب من هذا قوله :

فلم تزل تأكل الليالى جثمانها ما بها انتصار
حتى إذا جرمها تلاشى وخلص السر والنجار
آلت إلى جوهر لطيف عيان موجودة ضمار
لا ينزل الدهر حيث حلت فدهر شرابها نهار

وقوله : فجوزها عنى سلافًا ترى لها إلى الأفق الأعلى شعاعًا مطنبا

وقول ابن الزيات :

وصهباء كرخية عتقت فطالت بها فى الدنان الطيل
فلم يبق منها سوى لونها ونكهة ريح لها لم تزل

(٥) الوهج : الحرارة، واللذاع : المحرق، وأراد أن هذه الخمر حارة ولكن لا تظهر حرارتها فى اللسان - كما هو مدلول اللذاع - بل في تنبيه الدم وتحريكه وفى هياج الروح وإثارتها وقريب من مثل هذا المعنى يقول الغزى :

وبدر قباء زار والفجر غيرة يرينا قميص الليل وهو قباء
أتى يشتكى هز الشمال وأزها وما عندنا غير الشمول صلاء
فقلنا أدرها فهى فى الكأس جمرة تلظى ومن فرط اللطافة ماء

وما أبدع قول ابن الرومى فى نفس المعنى الذى ذكره البديع :

وشمول أرقها الدهر حتي ما توارى فذاتها بلبوس

رَيْحانَةُ النَّفْسِ [١] . وَضرَّةُ الشَّمْسِ [٢] . فتاةُ الْبَرْقِ [٣] . عَجُوزُ الملَقِ [٤] . كاللَّهَبِ في الْعُرُوقِ [٥] . وَكَبرْدِ النَّسِيم في الْحُلُوقِ [٦] . مِصْباحُ الْفِكْرِ [٧] . وَتِرْياقُ سَمِّ الدَّهْرِ [٨] .

وردة اللون فى خدود الندامى وهى صفراء فى خدود الكؤوس
سهلة فى الحلوق لا غول فيها وهى خشناء صعبة فى الرءوس
وكأن الشعاع منها على الكـ ـف جساد على مداك عروس
تتلقى بالعبس وهى تحيي بنسيم فيه حياة النفوس =

(١) الريحان : معروف، والمعنى : أن هذه الخمر للنفس كالريحان تنعشها وتظهر عليها المسرة، ولأبى نواس :

أعطتك ريحانها العقار وحان من ليلك انسفار

(٢) الضرة : الزوجة على زوجة أخرى ويكون بينهما الشقاق دائمًا والنزاع الذى لا يتناهى والحسد الباقى، وإنما ينشأ ذلك عن مزيد تفضيل بين واحدة منهما والأخرى، والمعنى أن هذه الخمر تحسدها الشمس لأفضليتها عليها وتفوقها عنها .

(٣) يقال برقت الفتاة برقًا : تزينت وتحسنت وظهرت على أتم ما يكون من البهجة والجمال، والمعنى : أن هذه الخمر تأخذ بألباب شاربيها وعقولهم مثل ما تأخذه الفتاة إذا ظهرت فى زينتها وتبرجت أمام عاشقيها .

(٤) دواعى الميل إلى العجوز غير موجودة، وانصراف النفوس عنها إلى الخراد الناعسات اللدان، وكل هذا يضطرها إلى التملق للرجال واستعمال الحيلة لتسحرهم وتستميلهم نحوها فهو يقول أن هذه الخمر تستميل بالدهاء والخديعة والملق كما تستميل العجوز أفئدة الناس إليها .

(٥) المعنى : أنها تعمل فى العروق عمل اللهب فتذكيها وتثير الدم غاليًا ومثل هذا قول أبى نواس :

تلتهب الكف من تلهبها وتحسر العين إن تقصاها
كأن نارًا بها محرشة نهابها تارة ونغشاها

(٦) المعنى : أنها لم تكن على حرارتها وتلهبها مما يلذع فى الفم أو يشتد فعلها فيه بل إنها تشبه النسيم بردًا في الحلق فهى سائغة منعشة .

(٧) أى أن شاربها يجد فى فكره نورًا يستضيء به فى حل المشاكل ويترسمه كلما غمضت عليه المسائل .

(٨) الترياق : دواء السموم الذى يشفى منها، وأراد منه الدواء مجردًا بدليل إضافته إلى السم، وسم الدهر نوازله وكروبه، وأحزانه، وشدائده، ومن عادة الخمر أنها تنسيك ما تكون فيه من هموم =

بِمِثْلِها عُزِّرَ الْمَيْتُ فانْتَشَرَ[١]. وَدُووِيَ الأَكْمَهُ فأَبْصَرَ[٢]. قُلْنا: هذِهِ الضَّالةُ وَأبِيكِ[٣]. فَمنِ الْمُطْرِبُ في نادِيكِ[٤]. وَلَعلَّها تُشَعْشَعُ لِلَّشرْبِ[٥]. بريقِكِ

= وأرزاء وتشغلك عما يحيط بك من ويل وعناء فهى بهذا ترياق لسموم الدهر.

(١) عزر - بالبناء للمجهول - : أعين وأمد، وانتشر : بعث بعد موته. والمعنى : أن مثل تلك الخمر لو يمد به الميت لبعث من موته وعاد حيا

ويقول ابن الفارض في هذا المعنى :

ولو وضعوا فى فيء حائط كرمها عليلا - وفى أشفى - لفارقه السقم
ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت لعادت إليه الروح وانتعش الجسم

(٢) الأكمه : الذى ولد أعمى، والمعنى أن الخمر التى عندى لو يداوى بها من ولد أعمى ليعودن إليه البصر، وهذا المعنى فى قول ابن الفارض :

ولو جليت سرًا على أكمه غدا بصيرًا ومن راووقها تسمع الصم
ولو أن ركبًا يمموا ترب أرضها وفى الركب ملسوع لما ضره السم
ولو خضبت من كأسها كف لامس لما ضل فى ليل وفى يده النجم
ولو قربوا من حانها مقعدا مشي وينطق من ذكرى مذاقتها البكم
ولو رسم الراقى حروف اسمها على جبين مصاب جن أبرأه الرسم

(٣) الضالة : الأمر الذى فقدته وأنت تبحث عنه، والمعنى : أن الخمر بهذه الأوصاف التى ذكرت هى بغيتنا وضالتنا التى ننشدها.

(٤) المطرب : المغنى، وجماعة الشاربين لا يرون أن يشربوا على غير غناء قال أبو نواس :

قد أسحب الزق يأبانى وأكرهه حتى لو فى أديم الأرض أخدود
لا أرحل الراح إلا أن يكون لها حاد بمنتخل الأشعار غريد
فاستنطق العود قد طال السكوت به لن ينطق اللهو حتى ينطق العود

وقال من قطعة فى وصف مجلس من مجالس لهوه :

وأقبل محسود الجمال مقرطق إلى كأسها لا عيب فيه أريب
يشم الندامى الورد من وجناته وليس به غير الملاحة طيب
فما زال يسقينا بكأس مجدة تولى وأخرى بعد ذاك تؤدب
وغنى لنا صوتًا محسن ترجع «سرى البرق غريبًا فحن غريب»

(٥) تشعشع : تخلط بالماء، والشرب : جمع شارب كصحب وصاحب، ومن عاداتهم أن يخلطوها بالماء وتسمى مشعشعة قال : =

الْعَذْبِ. قالَتْ: إنَّ لي شَيْخًا ظَرِيفَ الطَّبْعِ[١]. طَرِيفَ المُجُونِ[٢]. مَرَّ بي يَوْمَ الأَحَدِ فِي دَيْرِ الْمِرْبَدِ[٣]. فَسارَّني حَتَّى سَرَّني[٤]. فَوَقَعَتِ الْخُلْطَةُ. وَتَكَرَّرَتِ الْغِبْطَةُ[٥]. وَذَكَرَ لِي مِنْ وُفُورِ عِرْضِهِ[٦]. وَشَرَفِ قَوْمِهِ في أَرْضِه. ما عَطَفَ بِهِ وُدِّي[٧]. وَحَظِيَ بِهِ عِنْدِي. وَسَيَكُونُ لَكُمْ بِهِ أُنْسٌ وَعَلَيْهِ حِرْصٌ[٨]. (قالَ):

= مشعشعة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

وقال ابن الوليد صريع الغوانى :

ولرب صاحب لذة نادمته فى روضة أنف كريم المعطس
صفراء من حلب الكروم كسوتها بيضاء من ثوب الغيوم البجس
مزجت ولاوذها الحباب فحاكها فكأن حليتها جنى النرجس
وكأنها - والماء يطلب حلمها - لهب تلاطمه الصبا فى مقبس
جهلت فدارى جهلها فتبسمت عن مشرب لون الشهولة أعبس

وبعضهم يشربها خالصة غير مخلوطة ويسمونها صرفاً قال سبط بن التعاويذى :

فاستجلها كرخية بنت الشماس والأساقف
حمراء صرفاً لا يطو ف برحلها للهم طائف
كدم الغزال إذا بكا راووقها خلناه راعف

(١) ظريف الطبع : دمث الخلق، طيب الأفعال، كريم الخصال، مألوف الطباع، كيس السجايا.

(٢) طريف المجون : المجون المزاح والهزل، وطريفه : أى غريبه ملاحة ولطفا.

(٣) المربد : متنزه بالبصرة.

(٤) سارنى : ألقى إلَّى بسره، وسرنى : شرح قلبى، وأثلج صدرى، ووقعت الخلطة : أى أنه أفضى إلَّى بما فى نفسه وأفضيت له بما عندى فراق فى نظرى وأعجب بى فتآلفنا وامتزج فؤادى بفؤاده.

(٥) وتكررت الغبطة : أى المسرة بتكرار اجتماعنا وكثرة تلاقينا فى عفة ونزاهة.

(٦) وفور عرضه : احتماؤه من كل ما ينقصه أو يشينه.

(٧) عطف ودى : حببنى فيه واستمالنى إليه، والمعنى : أنه أخبرنى بما له ولقومه من المنزلة السامية فى قلوب جيرانهم ومواطنيهم حتى ملت إليه وأحببته وأرادت أنه لم يعطفها عليه ولم يجذبها نحوه سوى ما ذكره لها من ذلك الشرف الرفيع والأخلاق الكريمة والسجايا الحميدة.

(٨) المعنى : أنكم ستطربون بالجلوس معه وتأنسون بمجلسه وتودون ألا يفارقكم وأن يبقى معكم دائمًا لما اشتمل عليه من الوداعة والظرف وطيب الأفعال.

وَدعَتْ بِشَيْخِهَا فإِذَا هُوِ إِسْكَنْدَرِيُّنا أَبُو الْفَتْحِ. فَقُلْتُ: يَا أبا الْفَتْحِ وَاللهِ كأَنمَّا نَظَرَ إِلَيْكَ، وَنَطَقَ عَنْ لِسانِكَ الَّذِي يَقُولُ:

كانَ لي فيما مَضَى عَقْـ ـلٌ وَدِينٌ وَاسْتِقامَهْ[١]
ثُمَّ قَدْ بِعْنا بِحَمْدِ اللـ ـهِ فِقْهًا بِجِجامَهْ[٢]
ولَئِنْ عِشْنا قَلِيلًا نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَهْ[٣]

(قالَ): فَنَخَر نِخْرَةَ الْمُعْجَبِ[٤]. وَصَاحَ وَزَمْهَرَ[٥]. وَضَحِكَ حَتَّى قَهْقَهَ[٦]. ثُمَّ قالَ: أَلِمِثْلِي يُقالُ. أَوْ بِمِثْلِي تُضْرَبُ الأَمْثالُ[٧]؟؟

دعْ مِنَ اللَّوْمِ وَلَكِنْ أَيَّ دَكَّاكٍ تَرَانِي[٨]

---

(١) المعنى: أننى كنت فيما غبر من الأزمان ذا عقل راجح يميز بين طيب الأفعال ورديئها وغث الطباع وسمينها ورفيع الأخلاق وسافلها، ودين يردعنى عن ارتكاب المقابح وإتيان المخازى وفعل المنكرات والاشتمال على السفاسف، واستقامة تكفل لى الفوز من عقاب الله والنجاة من حسابه وتضمن لى المنزلة الرفيعة والمكانة السامية عند الناس.

(٢) الفقه: معرفة الأحكام الشرعية، والحجامة: المراد منها الحلاقة أو كل حرفة دنيئة خبيثة، والمعنى أننى تركت ما كنت عليه من الصفات الفاضلة واشتغلت بالمفاسد والشرور والآثام.

(٣) نسأل الله السلامة: نتوب، ونضرع إلى الله تعالى أن يخلصنا مما نحن فيه، والمعنى: لئن طال بنا الزمن وامتد الأجل لنطلبن من الله تعالى الخلاص من ربقة المعصية وذل الفجور، يريد أنه سيظل على هذا شطرًا من العمر، وربما صح أن يقال: نسأل الله السلامة: أى أننا سنزداد مما نحن فيه ونقترف أكثر مما ترانا عليه ونرتكب فوق هذا الذى تشاهده حتى أن حالنا ستكون مما يضرع إلى الله فيه وتسأل منه السلامة.

(٤) يقال: نخر الرجل والفرس جميعًا، ينخر نخرًا ونخيرًا إذا مد صوته فى خياشيمه.

(٥) صاح: رفع صوته عاليًا، وزمهر: شدد النظر بعينه وحملق كثيرًا حتى لكأنه يود أن يخرجها.

(٦) ضحك حتى قهقه: أى استغرق فى الضحك والإعجاب جدًّا.

(٧) المعنى: هل ترانى من الذين تقال لهم النصائح والتعاريض، وهل أنا ممن تضرب لهم الأمثال فتقول أن مثلى مثل ذلك الذى أنشد هذا الشعر. وكأنه يرى نفسه فوق ذلك كله.

(٨) دع: اترك والدكك أصله الهدام وأراد منه هنا المحتال لأنه بحيلته يهدم كل بناء ترفع الأمانة صرحه وتعلى الثقة ذراه، والمعنى: خلنى من لومك واتركنى من عتبك ولا تذكر لى تقريعك وتأنيبك وانظر لى فإنى محتال أى محتال.

أنا مَنْ يَعْرِفُهُ كُلُّ تِهامٍ وَيَمانِي[١]
أنا مِنْ كُلِّ غُبارٍ أنا مِنْ كُلِّ مَكانِ[٢]
ساعَةً ألزَمُ مِحْرابًا وَأُخْرَى بَيْتَ حانِ[٣]
وكَذا يَفْعَلُ مَنْ يَعْقِلُ فِي هَذا الزَّمانِ[٤]

قالَ عِيسى بْنُ هِشامٍ:

فاسْتَعَذْتُ باللهِ مِنْ مِثْلِ حالِهِ. وَعَجِبْتُ لِقُعُودِ الرِّزْقِ عَنْ أَمْثالِهِ. وَطِبْنا مَعَهُ أُسْبُوعًا ذلِكَ وَرَحَلْنا عَنْهُ[٥].

---

(١) التهامى : المنسوب إلى تهامة، وهى عبارة عما امتد إلى البحر من سفح جبال الحجاز، ويمان : منسوب إلى اليمن، والمعنى أننى لا أخفى على أحد ولا ينكرنى إنسان فأنا مشهور ذائع الصيت مرفوع الذكر قد عرفنى الناس جميعًا.

(٢) الغبار : أصله التراب وأراد منه البقعة من الأرض، والمعنى أننى أنزل بكل أرض وأحط رحلى بكل مكان فلا أجد فى نفسى نفورًا عنها ولا تأبيا منها بل بالعكس توافقنى وتلائم مزاجى كأنما قد خلقت منها فتسهل علىَّ المعيشة فى كل أرض وإنفاذ حيلتى بأى مكان مهما اختلفت طبائع الناس وتباينت أحوالهم.

(٣) المحراب : مكان الإمام من المسجد، وبيت الحان : الخمارة ومكان معاقرة القهوة، والمعنى : أننى لا ألتزم حالة واحدة من النسك والعبادة أو المعاقرة والمعصية بل تجدنى طورًا أعمل عمل الزهاد والمتنسكين وأسير سير العباد والمستقيمين، وطورًا أترك هذا إلى بيت الحان، وفصد الدنان، وسماع الألحان، ومنادمة الحسان.

(٤) أى أن هذه الحال يتصف بها كل عاقل أريب فى هذا الزمان.

(٥) المعنى أننا قضينا معه أسبوعًا طيبًا بما اشتمل عليه من أنس ومسرة ثم تفارقنا.

المقامة المطلبية

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: اجْتَمَعْتُ يَوْمًا بِجَماعَةٍ كأَنَّهُمْ زَهْرُ الرَّبِيعِ[١]. أَوْ نُجُومُ اللَّيْلِ بَعْدَ هَزِيعٍ[٢]. بِوُجُوهٍ مُضِيَّةٍ. وَأَخْلاقٍ رَضِيَّةٍ[٣]. قَدْ تَناسَبُوا في الزِّيِّ وَالْحالِ[٤]. وَتَشابَهُوا فِي حُسْنِ الأَحْوالِ. فأَخَذْنا نَتَجاذَبُ أَذْيالَ الْمُذاكَرَةِ[٥]. وَنَفْتَحُ أَبْوابَ الْمُحاضَرَةِ. وَفي وَسَطِنا شابٌّ قَصِيرٌ مِنْ بَينِ الرِّجالِ. مَحْفُوفُ السِّبالِ[٦]. لا يَنْبِسُ بِحَرْفٍ[٧].

---

(١) الربيع: فصل من فصول السنة الأربعة تعشب فيه الأرض وتزهر، ويكسوها البهاء حلته، وتختال من الحسن فى أبهى رداء وأجمله، فتتهدل الأغصان وتورق، وتذكو الأزاهير، وتتأرج البساتين، وتغرد الطيور، وتصدح العصافير، فلا غرو أن يكون فصل الزهر، وأيام النور، ولا عجب أن يشبه بزهره من طابت أخلاقه، وطهرت أعراقه، وكرمت أصوله، وشرف محتده.

(٢) الهزيع: الطائفة من الليل: ربعه، أو ثلثه، أو نصفه والنجوم حين تطلع لا يكون لألاؤها ساطعا ولا نورها متكاملا فإذا مضت مدة أزهرت وتكشف ضوؤها وتألق نورها.

(٣) المعنى: انهم استكملوا النعمتين واستوفوا القسطين نعمة البهاء وحسن المنظر ووسامة المحيا وإشراق الوجه ونعمة الأخلاق الكاملة والخصال الشريفة.

(٤) الزى: الشكل والدل والهيئة والهندام، والحال: أراد منه الأحوال المعنوية من شرف النفس وعلو الهمة وطيب العشرة وحسن الوفادة والمعنى أن هذه الجماعة متفقة المشرب متحدة المبدأ لا يفترق أحدهم عن الآخر فى شيء.

(٥) جعل المذاكرة كثوب فضفاض لبسته خود بارعة الجمال متأنقة ذات حسن ودل وقد تطاولت أعناقهم إليها واشرأبت نحوها فطفقوا يجذبونها من ذيل ثوبها لتعطف عليهم وتميل إليهم.

(٦) قصير بين الرجال: المراد الكناية عن كونه صغير السن لم يبلغ درجة لرجل عمرا، ومحفوف: مقصوص، والسبال: جمع سبلة - بالتحريك - وهما الشارب وما عليه من الشعر، وحف الشوارب كان يعتبر من علامات الصلاح وسمات الورع وكان الناس يتخذونه أشعارا بالزهد ودليلا علي التقوى ولا يزال بعض القوم إلى اليوم يفعل ذلك.

(٧) نبس كضرب ينبس نبسا ونبسة بالضم - تكلم فأسرع وأكثر ما يستعمل فى النفي يقال: ما نبس ولم ينبس، والنبس - بضمتين - الناطقون والمسرعون، والمراد أنه لم يكن يتكلم قط ولم يتفوه بحرف واحد.

وَلا يَخُوضُ مَعَنا في وَصْفٍ[١] . حَتَّى انْتَهَى بِنَا الْكَلامُ إلى مَدْحِ الْغِنى وَأَهْلِهِ. وَذِكْرِ الْمَالِ وَفَضْلِهِ[٢] . وَأَنَّهُ زِينَةُ الرِّجالِ. وَغَايَةُ الْكَمالِ[٣] .

فَكأَنَمَا هَبَّ مِنْ رَقْدَةٍ[٤] . أَوْ حَضَرَ بَعْدَ غَيْبَةٍ[٥] . وفَتَحَ دِيوانَهُ. وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ[٦] .

فقَالَ: صَهْ لقَدْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيءٍ عَدِمْتُمُوهُ[٧] . وَقَصَّرْتُمْ عَنْ طلَبِهِ فَهَجَّنْتُمُوهُ[٨] .

---

(١) أصل الخوض : السير فى الماء، وفعله خاض - من باب قال - خوضا وخياضا أيضا ثم قيل منه خاض الناس فى الحديث وتخاوضوا إذا أفضوا فيه وتفاوضوا وقد تفاوض هؤلاء فى أوصاف جسمانية أو روحانية فلم يكن ذلك الشاب ليخوض معهم فيما يخوضون فيه .

(٢) المعنى : أنه ظل ساكتا إلي أن افتتحنا الكلام فى شأن الغنى وأخذ كل واحد منها يطرى عليه ويمدحه ويذكر له من الفضائل الكثير .

(٣) أى أننا قلنا أن المال للرجال زينة أى زينة فهو الذى ينطق ألسنتهم، ويقوى حجتهم، ويرفع شأوهم، ويعلى ذكرهم، وينهض بهم، ويقيل عثراتهم، ويمحو سيئاتهم، ويغفر زلاتهم، ويستر عيوبهم، ويدارى عوارهم .

(٤) يقال : هب من نومه إذا استيقظ، والمعنى : أن هذا الفتى حين سمع ذكر المال وحديث الغنى أقبل علينا نشيطا ليحادثنا وكأنه بعد ذلك الصمت الطويل كان نائما فاستيقظ .

(٥) لم يتكلم حين جذبنا الحديث وجذبناه فيما مضى وتكلم الساعة فكأنه لم يكن حاضرناولا فى مجلسنا ثم جاء .

(٦) ديوانه : المراد بالديوان هنا مجتمع كلامه من شعر ونثر ومجتمعه هو قريحته وفكرته وأصل الديوان هو ديوان الجند الذى يجمع أسماءهم وأنسابهم وعددهم وأعطيتهم، والمعنى أنه اندفع فى الكلام وأطلق للسانه العنان .

(٧) صه : اسكتوا وأراد بالذى عدموه، الغنى بالعمل الصالح وكمال الأرواح، والمعنى أنكم انطلقتم تمتدحون الغنى وجمع الأموال وتثنون عليه فى حين أنكم تركتم تطرية أعمال البر ومدحها وليس ذلك إلا لأنكم قد فقدتم الخير وليس فى وسعكم أن تحصلوه .

(٨) هجنتموه : وصفتموه بالهجنة وعبتموه، وهم لم يتعرضوا له مدحًا ولا ذمًا فجعل سكوتهم عنه وعدم حديثهم فى شأنه كالذم له والقدح فيه لما أن الواجب عليهم إلا أن ينسوه وأن يجعلوه نصب أعينهم .

وَخُدِعْتُمْ عَنِ الْبَاقِي بِالْفَانِي (١). وَشُغِلْتُمْ عَنِ النَّائِي بالدَّانِي (٢). هَلِ الدُّنْيَا إلاَّ مُناخُ رَاكِبٍ (٣). وَتَعِلَّةُ ذَاهِبٍ (٤). وَهَلِ الْمَالُ إلاَّ عَارِيَّةٌ مُرْتَجَعَةٌ. وَوَدِيعَةٌ مُنْتَزَعَةٌ (٥)؟ يُنقَلُ مِنْ قَوْمٍ إلَى آخَرِينَ وَتَخْزُنُهُ الأوَائِلُ لْلآخَرِينَ. هَلْ تَرَوْنَ الْمَالَ إلا عِنْدَ الْبُخَلاَءِ. دُونَ الْكُرَماءِ (٦)؟ وَالْجُهالِ دُونَ الْعُلَمَاءِ (٧). إيَّاكُمْ وَالانْخِدَاعَ فَلَيْسَ

---

(١) الباقى : غذاء الأرواح والعمل للآخرة والتفانى فى صالح الأعمال، والفانى غذاء الجسوم والعمل للدنيا والتكالب على تحصيلها، والمعنى : أنكم غررتم بأنفسكم وخدعتموها وكذبتم عليها بما حسنتم لها فى الدنيا وزينتم لناظريها ما فيها من طلاء خادع وبهرج كاذب.

(٢) النائى : فى الأصل البعيد، والدانى بحسب وضعه القريب، وأراد بالأول الآخرة وبالثانى الدنيا، والمعنى : أنكم أجهدتم نفوسكم ونصبتم أبدانكم في العمل للحياة الفانية لقربها منكم وتجاهلتم الحياة الباقية لأنكم لا ترونها.

(٣) أناخ راحلته ينيخها : أبركها ليستريح، والمناخ : موضع ذلك، والمعنى : أن هذه الدنيا التى خدعتكم ليست إلا مكانًا ينزل إليه المسافر ريثما يأخذ راحته ثم يترحل عنها ليتم رحلته فالأحياء فيها على سفر.

(٤) التعلة : ما يتعلل به من طعام ونحوه، والمعنى : أن دنياكم ليست إلا كغذاء يتناوله المرء ليسد به عادية الجوع ويدفع عن نفسه شره وكما أنه لابد للمتعلل من أن يأكل فكذلك لابد لمن على هذه الدنيا من الأحياء أن يترسموا خطوات أسلافهم.

(٥) العارية : ما تعطيه غيرك لينتفع به مع بقاء عينه ثم يرده إليك، والوديعة : الأمانة تتركها عند من تثق به ليحفظها لك حتى تطلبها، والمعنى: أن المال الذى تتكلمون عنه ودائع ستؤدونها لصاحبها حين يطلبها منكم وعوار لا محيص لكم عن إعادتها لأربابها.

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يومًا أن ترد الودائع
وإنما هذى الحياة عارة وهل رأيت عارة لا تسترد؟

(٦) المعنى : أن البخيل الذى يضن بالمال ويشح به ويمسك عليه هو الذى تجدون لديه الثروة والغنى والوفر فأما الذى تجود نفسه وتبذل يده فلا يمكن لكم أن تلفوا عنده شيئًا وأن فى صفة البخل ووصمته لرادعًا لكم عن طلب المال والسعى إليه.

(٧) يريد أن يبين أخص نقائص المال وهى ملازمته لأهل الخسة فهو لا يتوفر إلا عند الأنذال ولا يهنأ به إلا الجهال وكفى به خسة أنه لا يوجد إلا عند أهل الخسة، وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه.

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال

الْفَخْرُ إلاَّ في إحْدَى الْجِهَتَينِ. وَلا التَّقَدُّمُ إلاَّ بإِحْدَى الْقِسْمينِ: إمَّا نَسَبٌ شَرِيفٌ. أوْ عِلْمٌ مُنِيفٌ[١]. وَأكْرِمْ بِشَيءٍ يُحْمَلُ على الرُّؤُوس حَامِلهُ[٢]. وَلا يَيْأَسُ مِنْهُ آمِلُهُ[٣]! وَاللهِ لَوْلا صِيَانَةُ النَّفْسِ وَالْعِرْضِ. لَكُنْتُ أغْنَى أهْلِ الأرْضِ[٤]. لأنني أعْرِفُ مَطْلَبَيينِ[٥]. أحَدُهُما بِأَرْضِ طَرْسُوسَ[٦]. تَشْرَهُ فِيهِ النُّفُوسُ[٧]. مِنْ ذَخَائِرِ الْعَمَالِقَةِ[٨]. وَخَبَايا الْبَطارِقَةِ. فيهِ مِائَةُ أَلْفِ مِثْقالٍ. وَأمَّا الآخَرُ فَهُوَ ما بَينَ سُورَا وَالْجَامِعَيْنِ[٩]. فيهِ ما يَعُمُّ أهْلَ الثَّقَلَيْنِ.

---

(١) احذروا أن يأخذكم الاغترار فيحملكم على الثقة بفائدة المال ونفعه ويخدعكم بأن شرفه يدانى الشرف بالعلم أو النسب فإنه لا يقبل الفخر من إنسان حتى يكون بإحدى جهتى الشرف الحقيقى العلم والنسب ولا يجمل بإنسان أن يتقدم على أقرانه أو يبزهم بغير سبيلى التقدم.

(٢) المراد بالشيء الذى يحمل حامله على الرءوس العلم، وما أكرم العلم وأفضله وهو الذى يكرم صاحبه ويعززه، ويرفع من قدره ويبجله.

(٣) المعنى: أن من يأمل أن ينال العلم أو يطلب تحصيله لا يزال يدأب على ذلك ويجتهد فيه فلا يعتريه الملل ولا تعترضه السآمة ولا يعتوره اليأس مهما شق عليه أو نصب فيه.

(٤) أى أنه لولا ما يداخلنى من وجوب الاحتفاظ بنفسى وصيانة عرضى أن تمضغه ألسنة الناس لعملت عملاً يجعلنى أكثر الناس ثراءً وأوفرهم مالاً وأفضلهم عدة وعديدا.

(٥) المطلبان: الكنزان، وإنما سمى الكنز بالمطلب لأنه من أعظم ما يتعلق به الطلب وتتوجه إليه الرغبة وتتحول عنده الآمال.

(٦) طرسوس: هى المدينة القديمة التى كانت قصبة كيليكيا وبينها وبين أذنة نحو ثمانية عشر ميلاً وهى فى ولاية أذنة من الممالك العثمانية.

(٧) الشره: الرغبة المفرطة مع الحرص الشديد وقد شره - من باب طرب - فهو شره: إذا اندفع في حرص شديد، وإنما تندفع النفوس إلى ذلك الحد إذا كان ما تسمو إليه نفيسًا عظيم النفع كثير الفائدة.

(٨) العمالقة: هم الذين ملكوا فى الشام وأجنادها ومشارفها وما يليها من بلاد آسيا الصغرى، قيل: وهم أولاد عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، قيل: ومن نسلهم الكنعانيون.

(٩) سورى: من بلاد السوريانيين القديمة فى أرض بابل، والجامعين: اسم لمدينة تسمى الخلة الزيدية بأرض بابل. قال ياقوت فى المشترك: كان أول من نزلها واختط بها المنازل وعظمها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الأسدى فى سنة ٤٩٥ هجرية وكان موضعها يسمى قبل ذلك بالجامعين.

مِنْ كُنُوز الأَكاسِرَةِ [١]. وعُدَدِ الْجَبابِرَةِ. أَكْثُرُهُ يا قُوتٌ أَحْمَرُ. وَدُرٌّ وَجَوْهَرٌ. وَتِيجَانٌ مُرَصَّعَةٌ. وَبِدَرٌ مُجَمَّعَةٌ [٢]. فَلَمَّا أَنْ سَمِعْنا ذلِكَ أَقْبَلْنا عَلَيْهِ. وَمِلْنا إِلَيْهِ [٣]. وَأَخَذْنا نَسْتَعْجِزُ رأْيَهُ. في الْقُنُوعِ بِيَسيرِ الْمَكاسِبَ. مَعَ أَنَّهُ عَارِفٌ بِهذِهِ الْمطالِبِ [٤]. فَأَشارَ إِلى أَنَّهُ يَفْزَعُ مِنَ السُّلْطانِ [٥]. وَلا يَثِقُ إِلى أَحَدٍ مِنَ الإِخْوَانِ [٦] فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنا حُجَّتَكَ. وَقَبِلْنا مَعْذِرَتَكَ [٧]. فإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْنا. وَتُمنَّ عَلَيْنا. وَتُعَرِّفَنا أَحَدَ هذَيْنِ الْمَطْلَبينِ. على أَنَّ لَكَ الثُّلُثَيْنِ. فَعَلْتَ [٨]. فَأَمالَ إِلَيْنا

---

(١) الأكاسرة هم ملوك الفرس وكانوا كثيرين كل واحد منهم يسمى كسرى وأشهرهم كسرى قباذ وكسرى سابور الذى كان يلقب بذى الأكناف وكسرى أنو شروان الملك العادل الذى ولد فى عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) البدر: جمع بدرة وهى كيس فيه عشرة آلاف درهم أو ألف درهم أو سبعة آلاف دينار.

(٣) المعنى: أننا حين سمعناه يذكر الكنوز ويؤكد معرفته به وقدرته على استخراجها أخذ منا الطمع ولعب برأسنا حب المال فملنا نحوه نستمع لكلامه ونتفهم مقاله.

(٤) نستعجز رأيه: نصفه بالعجز، ونرميه بضعف العزيمة وخورها، والمعنى: أنه كثر تعنيفنا له ولومنا عليه لكونه راضيًا بما هو فيه من رقة الحال، وقلة المال، وضعف الميسرة مع قدرته على استخراج كنوز الأرض ومخبآتها، ومعرفته بما يعود عليه بالبسطة وسعة اليد.

(٥) السلطان: النفوذ، والقدرة، والتمكن من الدنيا، ويفزع: يخاف ويخشى والمعنى: أنه أخبرنا بضعفه عن قبول الغنى لأنه يخشى من سعة النفوذ وقوة السطوة، وبعد المقدرة.

(٦) لا يثق إلى أحد: أى لا تطمئن نفسه إليه، ولا يستريح ضميره، والمعنى: أن الذى يمنعه من الحصول على ما فى هذين المطلبين أمران: الأول أنه يخاف من السلطان والثانى أنه لابد له فى الحصول عليه من الاشتراك مع أحد والاستعانة به وهو لا يأمن إنسانًا ولا يجد فى نفسه طمأنينة إلى أحد.

(٧) المعنى: أن الذى ذكرته من الأسباب الحاملة لك على القعود عن استخراج أحد الكنزين مقبول لا تجد فيه شيئًا يرتد به عليك، وليس لنا مساغ بعد ذلك لتقريعك أو الرجوع باللائمة عليك.

(٨) المعنى: أنا نتقدم إليك لتسدى إلينا جميلًا، وتصنع بنا خيرًا فتكون لك اليد علينا، وذلك بأن تدلنا على موضع واحد من هذين الكنزين، ولسنا نخليك من المكافأة على ذلك، والجزاء الحسن، فإننا نجعل لك الثلثين لدلالتك، ولنا الثلث فقط لاستخراجنا.

يدَهُ[١]. وَقالَ: مَنْ قَدَّمَ شَيْئًا وجَدَهُ[٢]. وَمَنْ عَرَفَ ما يُنالُ. هانَ عليْهِ بَذْلُ الْمالِ[٣]. فَكُلٌّ مِنَّا حَباهُ بِما حَضَرَ[٤]. وَتَشَوَّقَ إلى ما ذكَرَ. فَلمَّا مَلأْنا كَفَّهُ. رَفَعَ إلَيْنا طَرْفَهُ[٥]. وَقالَ: لابُدَّ أنْ نَقْضِيَ علَقًا[٦]. وَنَنالَ ما يُمْسِكُ رَمَقًا[٧]. وَقَدْ ضاقَ وَقْتُنا. وَالْمَوْعِدُ غَدًا هٰهُنا[٨]. إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى. قالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلمَّا تَفَرَّقَتْ تِلْكَ الْجَماعَةُ. قَعَدْتُ بَعْدَهُمْ ساعَةً. ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إلَيْهِ. وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَقُلْتُ وَقَدْ رَغِبْتُ في مَعْرِفَتِهِ. وَتاقَتْ نَفْسِي إلى مُحادَثَتِهِ[٩]: كأَنَّني عارِفٌ

---

(١) أمال يده : أى حركها على هيئة الطالب يشير بها إلى طلب جعل على إرشاده، واستماحة جائزة فى نظير أن يدلهم على مكانه قبل أن يتحصلوا منه على شيء وكأنه بذلك يقول لهم : لا آمن أن تغدروا بى فعجلوا الى بشيء منه .

(٢) من قدم شيئًا وجده : أى من عمل عملاً ألفى عاقبته ولقى غبه وأنتم إذا أعطيتمونى ما طلبت منكم ثمنًا لهدايتكم فلا شك أنكم ستجدون عقبى ما أنفقتم، وسيرتد إليكم ما نالنى منكم، فلا تبطئوا علىَّ، ولا تسوفونى .

(٣) المعنى : إذا وثق الإنسان بأنه سيبذل ماله، وينفقه فى شيء يعود عليه نفع منه . ويأتيه من ورائه الخير فلا ريب فى أنه يبذل عن رضا وينفق بارتياح، والمراد حثهم على إعطائه بسخاء ومنحه عن قبول ليكون حظه عظيمًا ونصيبه وفيرًا .

(٤) حباه : أعطاه، ومنحه، والمعنى : أننا بعد سماعنا لكلامه هانت علينا الأموال، واستصغرنا النفقات فلم نمنعه شيئًا مما بأيدينا بل أعطيناه ما تهيأ لنا .

(٥) ملأنا كفه : أعطيناه كثيراً حتى امتلأت يده بالمال، ورفع إلينا طرفه : نظر إلينا ليتخلص مما ذكر، ويفر من دلالتنا على ما قال .

(٦) العلق فى الأصل ما تتبلغ به الماشية من الشجر ليسد رمقها، ويطفىء حرارة جوعها وأراد منه هنا مطلق البلغة، والمعنى : أنه لابد لنا من تناول شيء من الطعام .

(٧) الرمق : بقية الحياة، والذى يمسكه أى يتحفظ به ويبقى عليه هو الطعام، والمعنى . أننا فى حاجة لما يقيم أودنا ويحفظ علينا حياتنا لما نالنا من شدة الجوع وما كابدناه من ألم الإمساك .

(٨) المعنى : ليس فى الوقت متسع لأخبركم عن مكان الكنزين أو أحدهما بعد تناول ما نحتاجه من الطعام فأحرى بنا أن نؤجل ذلك إلى الغد على أن نلتقى في هذا المكان نفسه لنتم الحديث وهو يريد بذلك أن يفلت من أيديهم ثم لا يرونه بعد ذلك فيفوز بما أخذه منهم .

(٩) المعنى : أنه لم يخدعنى بحيلته، ولا استطاع أن يغشنى بما ألقاه إلينا ولذلك تخلفت عن الجماعة وأبيت المسير معهم لأتثبت منه وأعرف حقيقة أمره فلما انطلقوا دنوت منه وأخذت فى الحديث معه .

بِنَسبِكَ. وَقَدِ اجْتَمَعْتُ بكَ[١]! فقالَ: نَعَمْ ضَمَّنا طَرِيقٌ. وَأَنْتَ لي رَفِيقٌ[٢]. فقُلْتُ: قَدْ غَيَّرَكَ عَليَّ الزَّمانُ[٣]. وَما أَنْسانِيكَ إلاَّ الشَّيْطانُ[٤]. فأَنْشأَ يَقُولُ:

أنـا جَـبَّـارُ الـزَّمـانِ لِـي مِـنَ الـسُّـخْـفِ مَـعـانـي[٥]
وأنـا الْـمُـنـفِـقُ بَـعْـدَ الْـ ـمـالِ مِـنْ كِـيـسِ الأمـانـي[٦]
مَـنْ أرَادَ الْـقَـصْـفَ والْـغَـرْ ف عـلـى عـزْفِ الْـمـثـانـي[٧]

---

(١) المعنى: أنه يخيل إلى أنه قد سبق بيننا تعارف قبل اليوم وأننى أعرفك وأعرف نسبتك وأننى تلاقيت بك قبل هذه الساعة.

(٢) المعنى: أن ظنك، صحيح وفراستك لم تَعْدُ الحقيقة فإنى قد سرت معك فى طريق واحد، وأنت صديقى وخليلى.

(٣) أراد أن هيئتك ليست على ما كنت أعهد من قبل ولهذا فإن لى العذر فى عدم معرفتك وفى تقدمى للسؤال منك.

(٤) أى وقد استولى الشيطان على ذاكرتى فأخذ يضعف فيها بكثرة ما يلقى إلى من الشواغل ولولا ذلك لما نسيتك ولا تطرق إلى ذهنى الجهل بك.

(٥) السخف - بوزن قفل - : الحمق، ورقة العقل، وضعف المدركة وبابه طرب تقول: سخف فهو سخيف وأراد منه هنا أطوار السخف، وما ينشأ عنه ولا يكون إلا منه من الأفاعيل والأقاويل فهو فى الحقيقة متساخف لا سخيف متغاب وليس بغبى، والمعنى: أننى الجبار الذى تفردت فى زمانى هذا بما أصنع من الحيل وغرائب الأمور وبما أرتكب من الشعبذة التى لا تحصل إلا من ضعاف العقول.

(٦) المعنى: أننى لا أبالى بالإنفاق ولا أكترث بالبذل بل أنا أنفق عن سعة وأبذل من غير اقتار لأنه لو فرغ ما معى من المال فلست أعدم كيس الأمانى أنفق منه وهو لا يأتى عليه الإنفاق ولا يستوعبه البذل لأن لى فى كل لحظة مئات الأمانى وما لا عدد له منها، والمراد أن عنده من الأمانى ما يسليه عن المال عند فقده أو أنه كما يعطى المال ثمنًا لما يأخذ من السلع فكذلك يعطى من الأمانى ما يقوم مقام المال فإنه بخداعه يمنح القلب أمنية تقوم عنده مقام ما كان يأخذ من الثمن أو تزيد. وقد صدق فى دعواه هذه، أو ليس هو الذى أخذ نقود هذه الجماعة ومناهم المطلبين ووعدهم بالكنزين.

(٧) القصف العكوف على ملاذ الطعام والشراب، والغرف - بالغين المعجمة بعدها راء - : المراد به غرف الطعام ويكنى به عن الإكثار من شرب الخمر فهو يغترف لا يرتشف، والعزف - بعين مهملة فزاى - : الرنين، والمثانى: من ذوات الأوتار المطربة ما له وتران.

واصْطفى الْمُرْدانَ جَهْلاً مِنْ فُلانٍ وفُلانِ[١]
صارَ مِنْ مالٍ وإقْبا لٍ تَراهُ في أمانِ[٢]

المَقامَةُ البِشْرِيَّةُ

حَدَّثَنا عِيسى بْنُ هِشَامٍ قالَ:
كانَ بِشْرُ بْنُ عَوانَةَ الْبَدْيُّ صُعْلُوكًا[٣].

---

(١) اصطفى: اختار، وانتقى، واستحسن، والمردان: جمع أمرد وهو من لم تنبت لحيته ولا خط شاربه.

(٢) أما أن يكون قد أراد أن يزين القصف والعزف واصطفاء المردان، ويحبب الناس فيها، ويذكر حسناتها، ويدعو إليها فهو يقول من أراد ذلك ونزع إليه وشغف به أقبلت الدنيا إليه وتكالبت عليه واجتمع عنده المال الوفير وكثر لديه الدرهم والدينار وامتلأ من حظ الحياة ومتاعها جرابه فهو بسبب كل ذلك آمن مطمئن لا يخشى الفقر ولا يخافه ولا ينتظر حلوله بناديه، وأما أن يكون مراده أن من نزع إلى هذه الأمور ورغب فيها وأحبها فقد أمن من المال والإقبال وكأنهما شيء يخشى منه أو تخاف بادرته ومن كان منهما في أمان بهذا المعنى كان الفقر له ملازمًا والإملاق له حليفًا وكان الغنى أبعد شيء منه وكلا المعنيين له حظ من دلالة اللفظ عليه وإن كانا مختلفين وأشبها أن يكونا متضادين.

(٣) صعلوكًا: أي لصَّافاتكا، وأصل الصعلوك: الفقير المعدم والذي تأباه النفس وتمجه، ثم سموا ذؤبان العرب ولصوصها صعالكة «وصعاليك» لأن الفقر كثيرًا ما يحمل على السرقة إذ هو الذي يدعو إليها ويكون سببًا فيها غالبًا وفي كلامهم: (الخلة تدعو إلى السلة).

وصعالكة العرب وفتاكها وذؤبانها كثير، منهم المنتشر بن وهب الباهلي، وأوفى بن مطر المازني. ومنهم الشنفرى، وتأبط شرًا، وعمرو بن براق. وكان من حديث هؤلاء الثلاثة فيما ذكر أبو عمر الشيباني أنهم خرجوا فأغاروا على بجيلة، فوجدوا لهم رصدًا على الماء، فلما مالوا له في جوف الليل قال لهما تأبط شرًا: إن بالماء رصدًا، وأني لأسمع وجيب قلوب القوم، فقالا: ما تسمع شيئًا، وما هو إلا قلبك يجب

فوضع أيديهما على قلبه وقال: والله ما يجب وما كان وجابا. قالوا: فلا بد لنا من ورود الماء فخرج الشنفرى فلما رآه الرصد عرفوه فتركوه، حتى شرب من الماء ورجع إلى =

فأَغَارَ عَلَى رَكْبٍ

أصحابه فقال : والله ما بالماء أحد ولقد شربت من الحوض. فقال تأبط شرا للشنفرى : بلى ولكن القوم لا يريدونك وإنما يريدوننى، ثم ذهب ابن براق فشرب ورجع ولم يعرضوا له. فقال تأبط شرًّا للشنفرى : إذا أنا كرعت فى الحوض فإن القوم سيشدون على فيأسروننى فاذهب كأنك تهرب ثم كن فى أصل ذلك القرن فإذا سمعتنى أقول خذوا خذوا فتعال فاطلقنى وقال لابن براق : إنى سآمرك أن تستأسر للقوم فلا تنأ عنهم ولا تمكنهم من نفسك. ثم مر تأبط شرا حتى ورد الماء فحين كرع فى الحوض شدوا عليه فأخذوه وكتفوه بوتد وطار الشنفرى فأتى حيث أمره وانجاز ابن براق يرونه فقال تأبط شرًّا يا معشر بجيلة هل لكم فى خير إن تياسرونا فى الفداء ويستأسر لكم ابن براق؟ قالوا : نعم فقال : ويلك يا بن براق أما الشنفرى فقد طار وهو يصطلى نار بنى فلان وقد علمت ما بيننا وبين أهلك فهل لك أن تستأسر وبيأسرونا فى الفداء؟ قال : لا والله حتى أروز نفسى شوطًا أو شوطين، فجعل يستن نحو الجبل ويرجع حتى إذا رأوا قد أعيا طمعوا فيه فأتبعوه، ونادى تأبط شرا، خذوا خذوا، فخالف الشنفرى إلى تأبط شر فقطع وثاقه، فلما رآه ابن براق وقد خرج من وثاقه مال إلي ناحيته، فناداهم تأبط شرًّا : يا معشر بجيلة أعجبكم عدو ابن براق؟ أما والله لأعدون لكم عدواً ينسيكم عدوه، ثم أحضروا ثلاثتهم، فنجوا، وفى ذلك يقول تأبط شرًّا :

ليلة صاحوا بى وأغروا بى سراعهم ... بالعيبتين لدى معدى بن براق
كأنما حثحثوا بى حصا قوادمه ... أو أم خشف بذى شث وطباق
لا شيء أسرع منى غير ذى عذر ... أو ذى جناح بجنب الريد خفاق

ومنهم السليك بن السلسكة التميمى، ومن حديثه فيما زعم أبو عبيدة أنه رأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاءوا متجردين على تميم، فقالوا : إن علم السليك بنا أنذر قومه فبعثوا إليه فارسين على جوادين، فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبى فطارداه سحابة نهاره ثم قالا : إذا كان الليل أعيا فسقط فنأخذه فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزا وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد ارتزت في الأرض فقالا : لعل هذا كان أول من الليل ثم فتر فتبعاه، فإذا أثره وقد بال فى الأرض وخد فيها فقالا : ماله قاتله الله ! ما أشد متنه ! والله لاتبعناه، وانصرفا، فتم السليك إلى قومه، فأنذرهم، فكذبوه لبعد الغاية، فقال :

يكذبنى العمران عمرو بن جندب ... وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
سعيت - لعمرى - سعى غير معجز ... ولا نأنأ لو أننى لا أكذب

فِيهِم امْرَأَةٌ جَميلَةٌ فَتَزَوَّجَ بِهَا[١] وَقالَ: مَا رَأَيْتُ كالْيَوْمِ[٢]. فَقالَتْ:

اعْجَبْ بِشْرًا حَورٌ في عَيْني وَساعِدٌ أَبْيَضُ كالثلجين[٣]

ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها كراديس يهديها إلى الحى موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله فواريس همام متى يُدع يركبوا

وجاء الجيش فاغاروا، والسلسكة: أمه، وكانت سوداء، وإليها ينسب، وأصل السلسكة ولد الجمل.

وكان عروة بن الورد فى قوم إذا أصابتهم سنة شديدة تركوا فى دارهم المريض والكبير والضعيف فكان عروة يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته فى الشدة ويحضر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف (وهى الحظائر من الشجر تحظر عليهم كما نحظر على الإبل فتقيهم من الريح والبدر). ويكسيهم، ومن قوى منهم - إما مريض يبرأ من مرضه، أو ضعيف تثوب إليه قوته - خرج به معه فأغار وجعل لأصحابه الباقين فى ذلك نصيبًا، حتى إذا أخصب الناس، وألبنوا، وذهبت السنة، ألحق كل إنسان بأهله، وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى، فلذلك سمى «عروة الصعاليك» وهو الذى يقول وقد ضاقت حاله وأقصرت يده فى بعض السنين:

لعل ارتيادى فى البلاد وبغيتي وشدى حيازيم المطية بالرحل
سيدفعنى يومًا إلى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

ويقول بعد أن انكشف غماؤهم، وزال كربهم بسببه:

ألا أن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أمرعوا وتمولوا
وأنى لمدفوع إلى ولاؤهم بما وإن إذ نمشى وإذ نتململ
وأنى وإياهم كذى الام إذ همت له ماء عينها تفدى وتحمل
فباتت تحد المرفقين كليهما توحوح مما نالها وتولول
تخير من أمرين ليسا بغبطة وهو الثكل ألا أنها قد تجمل

(١) أغار: سطا، والاسم: الغارة، والركب: جماعة الراكبين، ويقال لأصحاب الإبل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها، والركبان الجماعة منهم، والركاب الإبل التى يسار عليها الواحدة راحلة ولا واحد لها من لفظها.

(٢) ويروى: هل رأيت أحسن منك، المعنى: أن بشرًا ذلك الفتاك قد سطا على جماعة آخذة في طريقها فانتهب منهم امرأة، فأخذها فبنى بها، ولما تم له ذلك أخذه العجب من حسنها واستولى عليه جمالها وصباحة وجهها فشكر يومه وحمد ما ناله فيه.

(٣) الحور فى العين: اتساعها مثله فى أعين الظباء، وقيل: هو أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حولها، وقيل: الحور أن تسود العين كلها كما

وَدُونَهُ مَسْرَحَ طَرْفِ الْعَيْنِ خَمْصَانَةٌ تَرْفُلُ فِي حِجْلَيْنِ[1]

= فى البقر والظباء، ولا يكون ذلك فى الناس ولكنه قد يقال للنساء حور العيون على التشبيه لهن بالظباء والمها، وإذا شبهوهن بالمهاة أو الظبية فهم يريدون ذلك ومما ينسب لابن دريد :

يا ظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وقال الشريف الرضى :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

ومن محاسن العين : الدعج وهو أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة، والبرج هو شدة سوادها وشدة بياضها، والنجل وهو سعتها، والكحل وهو سواد جفونها من غير كحل، والوطف وهو طول أشفارها وتمامها، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان فى أشفاره وطف، والشهلة وهى حمرة فى سوادها، وكل ذلك أصله من صفات الظباء والبقر، يقولونه للنساء على التشبيه، قال السرى الرفاء :

تصدت لنا والهوى أنة فصدت وقد غادرته زفيرا
وكانت ظباء ترود اللوي فأضحت شموسًا ترود الخدورا
فراق أصاب جوى ساكنا فكان له يوم سلع مثيرا
وساجى الجفون إذا ماسجا أغار المها دعجا أو فتورا
أغرر بالنفس فى حبه وآلف منه غزالًا غريرا
وأعتد زورته في الكري نوالا لدى وأن كان زورا

وقال الشريف الرضى :

يا وقفة بوراء الليل أعهدها كانت نتيجة صبر عاقر الوطر
والوجد يغصبنى قلباً أضن به والدمع يمنع عينى لذة النظر
وفى الخباء الذى هام الفؤاد به نجلاء من أعين الغزلان والبقر
أبرزتها فتخاصرنا مباعدة عن الخيام نعفى الخطو بالازر
ثم انثنيت ولم أدنس سوى عبق على جنوبى لريا بردها العطر

والحور خيرها وأكثرها جمعًا للمحاسن واشتمالًا على جميل الصفات . . والساعد : معروف، واللجين : الفضة، والمعنى : أنه قد راق فى عين بشر ذلك الحور الذى يراه فى عينى وهذا البياض الذى يجده فى ساعدى.

(١) يقال : فلان تحت عينى فلان إذا كان قريبًا منه دانيًا إليه بحيث يراه وتقع عينه عليه ومنه قيل : القوم منك معان أى بحيث تراهم بعينك، وهذا معان الحى أى بحيث يرونه، وطرف العين : نظرها، والخمصانة : الضامرة الكشح، الخفيفة البطن، وأصله الخمص وهو الجوع لأن به يضمر =

أَحْسنُ مَنْ يَمْشي على رجُلينِ لَوْ ضَمَّ بِشْرٌ بَيْنَهَا وَبَيْنِي (١)

= البطن ويخف، يقال : خمص بطنه - بتثليث الميم - خمصًا إذاخلا وهو خميص البطن وهى خميصة البطن وهو خمصان وهى خمصانة وهم خماص وهن خمائص والحجلان : تثنية حجل وهو الخلخال، وترفل فيه تمشى متعاجبة به وتختال زهوًا وكبرًا، والمعنى : أن بشرًا ليس بمصيب فى هيامه بى وإعجابه فى حين أن خريدة جميلة وكاعبا وقورًا وبضة لعوبًا بالقرب منه وفى منطلق بصره.

(١) المعنى : أنها أحسن النساء جميعًا بل أحسن الناس كلهم، فإن من يمشى على رجلين أعم من جميع بنى آدم. ومما يتمدح فى النساء خمص البطون قال ابن الرومى :

كيف السبيل إلى اقتناص غرائر يدمى بأسهم لحظها القناص
بيض السوالف عذبة أفواهها ريا الروادف والبطون خماص
يجرحننا بنواظر ما إن لنا منهن عند جراحهن قصاص

وقال ابن المعتز :

سقى الله شمسًا بالمخرم دارها يهون عليها منى العبث والهجر
جلتها علينا الريح بين كواعب وقد كتمتهن المقانع والأزر
فأبت لنا كشحًا هضيما على نقا ورمان صدر ماليانعه هصر

وقال أبو الطيب المتنبى :

عمرك الله هل رأيت بدورًا طلعت فى براقع وعقود
راميات بأسهم : ريشها الهد ب تشق القلوب قبل الجلود
كل خمصانة أرق من الخمـ ـر بقلب أقسى من الجلمود
تحمل المسك عن غدائرها الريـ ـح وتفتر عن شتيت برود
جمعت بين جسم أحمد والسقـ ـم وبين الجفون والتسهيد

وقال ابن نباتة السعدى :

قد غلبت حسنًا على عقله جارية تفضح شمس الضحي
ضعيفة الخصير لو استنشقت باللثم فى أنفاسه ما اشتفي
جملتها تشبه تفصيلها فكل جزء حسنه منتهي
يلومنى العاذل فى حبها لا برح العاذل أو يبتلي

وقال الشريف الرضى :

وظبية من ظباء الأنس عاطلة تستوقف العين بين الخمص والهضم
لو أنها بفناء البيت سانحة لصدتها وابتدعت الصيد فى الحرم

أدام هجري وأطال بيني ولو يقيس زينها بزيني[١]
لأسفر الصبح لذي عينين[٢]

قال بشرٌ: وَيْحَكِ مَنْ عَنَيْتِ[٣]؟ فقالت: بِنْتَ عَمِّكَ فاطِمَةَ. فقالَ: أهِيَ مِنَ الْحُسْنِ بِحَيْثُ وَصَفَتِ[٤]؟ قالَتْ: وَأَزْيَدُ وَأَكْثَرُ[٥]! فأنشأ يقولُ:

ويحكِ يا ذاتَ الثَّنايا البيضِ
ما خِلْتُني مِنْكِ بِمُسْتَعيضِ[٦]

---

(١) الهجر: الإعراض، والبين: الفراق، والمعنى أنه لو جمع بشر بينى وبينها، ونظر إلى وإليها، وقارن بين محاسنى ومحاسنها، وأراد الموازنة بين ما أعجبه منى وما غفل عنه منها - لهجرنى هجرًا طويلاً، وفارقنى فراقًا دائمًا، لأنه يستقبح منظرى لدى منظرها. ويكره رؤيتى عند رؤيتها، ويمقت بقائي عنده، وإقامتى لديه حين يظهر له عظيم ما بيننا من الفرق.

(٢) الزين: المحاسن، والمعنى: أنه لو قدر ما بين زينها ومحاسنى من الفرق لظهر له كما يظهر الصبح لذى عينين سليمتين فكما لا يرتاب صاحب البصر الصحيح فى ضوء الصباح فكذلك لا يرتاب بشر فى الفرق بينى وبينها وأسفر الصبح لذى عينين: مثل جاءت به فى موضع جواب لو مبالغة فى الدلالة على تحقيقه.

(٣) ويح: كلمة رحمة، وويل: كلمة عذاب، وقيل هما بمعنى واحد تقول: ويح لزيد وويل له فترفعهما على الابتداء ولك أن تنصبهما بفعل مضمر تقديره ألزمه الله ويحًا وويلاً ونحو ذلك، وكذا ويحك وويلك، وويح زيد وويل زيد منصوب بفعل مضمر، وأما قولهم تعسًا له وبعدًا له ونحوهما فمنصوب أبدًا لأنه لا تصح إضافته بغير لام فيقال تعسه وبعده، ومن ها هنا افترقا. وعنيت: قصدت، والمعنى: أى امرأة تريدين بكلامك هذا.

(٤) المعنى: هل تبلغ ابنة عمى فى الحسن تلك الدرجة التى وصفتها فى كلامك؟

(٥) وأزيد وأكثر: خبر لمبتدأ محذوف تقديره وهو (أى حسنها) أزيد وأكثر من حسنى، أو وهى أزيد منى حسنًا وأكثر جمالاً، والمعنى: أن حسن ابنة عمك وجمالها بلغا درجة فوق الدرجة التى سمعتها منى.

(٦) الثنايا من الأسنان: الأربعة فى مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل، وبياضها من متممات الجمال، ومكملات الحسن، وما خلتنى ألخ معناه: أنني ما كنت أظن أن أستبدل لك أو أتخذ امرأة عوضاً عنك، أو تميل نفسى إلى أن أخلف بعدك على أخرى لأننى ما كنت أتوهم أن فى النساء من تماثلك حسنًا أو تدنو منك رونقًا وبهاءً، فضلاً عن أن أظن فيهن أجمل منك وأعتقد ذلك.

فـالآنَ إذْ لـوَّحْـت بـالـتَّـعْـريـضِ
خـلـوْت جَـوًا فـاصْـفِـري وَبـيـضـي[١]
لا ضُـمَّ جَـفْـنـايَ عَـلـى تَـغْـمـيـضِ
مـا لَـمْ أشُـلْ عـرْضـي مِـنَ الْـحـضِـيـض[٢]

(١) لوحت : عرضت، وهى قد عرضت بأنه يطلب النساء الأباعد وتتوق نفسه إلى مواصلة الغريبات فى حين أن بنت عمه فى مسرح عينه وقريب منه وهى به أولى وهو بها أحق وأجدر، وخليق به ألا يترك الأبعدين يتطلبونها فربما تزوج بها من هو دونه بأسًا وشجاعة وشدة وهذا من أقبح المثالب به وبأمثاله، فهذا التعريض قد فعل فى نفسه فصمم على ترك هذه التى ظن أنها أجمل النساء وقال لها خلوت جوا أى خلا جوك من القرين وأصله من قول كليب وائل حين رأى قنبرة اتخذت عشا فى حماه - وكان يحمى ما يحل بحماه من طير ونحوه فلا يمكن ليد أن تتطاول لصيده. فدخل فيه يومًا فطارت القنبرة بين يديه فقال :

يـا لـك مـن قـنـبـرة بـمـعـمـر ... لا تـرهـبـى خـوفًـا ولاتـسـتـنـكـري
قـد ذهـب الـصـيـاد عـنـك فـأبـشـري ... ورفـع الـفـخ فـمـاذا تـحـذري
خـلا لـك الـجـو فـبـيـضـى واصـفـري ... ونـقـرى مـا شـئـت أن تـنـقـري
فـأنـت جـارى مـن صـروف الـحـذر ... إلـى بـلـوغ يـومـك الـمـقـدر

وخرج يومًا الحمى فوجد بيض القنبرة قد وطئتها سراب (ناقة البوس التى مضى ذكرها) فعقرها وقال :

يـا طـيـرة بـيـن نـبـات أخـضـر ... جـاءت عـلـيـهـا نـاقـة بـمـنـكـر
أنـك فـى حـمـى كـلـيـب الأزهـر ... حـمـيـتـه مـن مـذحـج وحـمـيـر
فكيف لا أمنعه من معشري

(٢) لا ضم جفناى : أى لا ذقت النوم، ولا استقر جنبى، ولا هدأ مضجعى ولا استراح خاطرى، والمراد : لأصحون، ولأسهدن جفنى، ولألتزمن هذه الحالة حتى يكون ما أردت، وتقول : شلت بالجرة - بالضم - أشول بها شولاً إذا رفعتها ولا تقل شلت بالكسر، ويقال أيضًا أشلت الجرة فانشالت هى، وشال الميزان : ارتفعت إحدى كفتيه، ومنه شال عرضه رفعه والحضيض : أصله القرار من الأرض عند منقطع الجبل وأسفله وفى الحديث أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فلم يجد شيئًا يضعه عليه فقال : (ضعه بالحضيض فإنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد) يعنى ضعه بالأرض، والمراد هنا : الضعة والهوان والذلة، والمعنى أننى لا أنام ولا تغمض عينى فلا ينضم لى جفن على جفن حتى أطلب ابنة عمى وأتزوج بها فأدفع عن نفسى ذلك العار الذى لزمنى، وأنفى هذه الوصمة التى لحقت بى.

فَقالَتْ :

كَمْ خاطِبٍ في أمْرِها أَلْحَا وَهي إليْكَ ابْنَةُ عَمٍّ لَحَا[١]

ثُمَّ أرْسَلَ إلى عَمِّهِ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ. وَمَنَعَهُ الْعَمُّ أُمْنِيَّتَهُ[٢]. فآلى إلاَّ يُرْعِى علي أحَدٍ مِنْهُمْ إنْ لَمْ يُزَوِّجْهُ ابْنَتَهُ[٣]. ثُمَّ كَثُرَتْ مَضَرَّاتُهُ فيهِمْ[٤] وَاتَّصَلَتْ مَعَرَّاتُهُ إلَيْهِمْ[٥] فاجْتَمَعَ رِجالُ الْحَيِّ إلى عَمِّهِ وَقالُوا: كُفَّ عَنَّا مَجْنُونَكَ[٦]. فَقالَ: لا تُلْبِسوني

---

(١) المعنى أن كثيرًا من الخطاب وعددًا وفيرًا من الرجال ألحوا فى طلب زواجها، وألحفوا فى سؤال أبيها أن يعقد لهم عليها ولابد أن يفضى الإلحاح بأحدهم إلى نيل طلبه، وينتهى سؤال واحد منهم بإجابته، فتفلت من يدك، وتضيع عليك الفرصة، وهى فى نسبتها إليك ابنة عم لاحقة النسب بك، قريبته منك، ويقال : هو ابن عم لحا إذا كان لاحقًا وأبوه أقرب الناس اتصالاً بأبيه.

(٢) الأمنية : واحدة الأمانى، يقال فى جمعها أمان وأمانى بالتخفيف والتشديد، وتقول منه : تمنى الشيء ومناه غيره ومنا به تمنية وفى الكتاب : ﴿ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ والمعنى : أن بشرا ترك هذه المرأة وذهب إلى قومه معتزمًا أن يطلب من عمه ابنته لنفسه فلما وصل أرسل إليه فى ذلك فحرمه منها ولم يجبه إلى رغبته.

(٣) آلى : حلف، وأقسم، وتألى، وائتلى مثله، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ والألية اليمين وجمعها ألايا، قال الشاعر :

تألى ابن قيس حلفة ليردنى،

وقال المجنون :

على ألية إن كنت أدرى أينقص حب ليلى أم يزيد

ولا يرعى على أحد : معناه لا يبقى عليه بل يقتله حيث يجده ويفتك به أنى لقيه، والمعنى : أنه حلف أن يعمل فيهم سيفه، ويفتك بهم حتى يردوا عمه عن عزمه ويكلفوه أن يزوج ابنته بشرًا.

(٤) يروى قبل هذه الفقرة : ثم دبت الأيام، ودرجت الليالى، وتصرمت الشهور، وتجرمت السنون وبشر يفتك فى من لقيه منهم وكثرت مضراته فيهم إلخ.

(٥) معراته : جمع معرة وهى الأذى والمساءة والشر، والمعنى : أنه أنفذ إرادته وعمل بوعيده فلم يزل يوقع بهم الشرور، ويأتيهم بالأذى، ويرميهم بالمساءة، ويجر عليهم الويل والهوان.

(٦) كفه عنا : أى أردعه عن أفعاله، ويقال : كفه عن الشيء فكف - فهو يتعدى ويلزم - وبابه رد، والمعنى : زوجه ابنتك واحمنا شره وادفع عنا كيده فقد نالنا منه ما هو خليق من أجله بمصانعته ويروى بدل هذا : إما أن تكفينا أمره أو تنيله مراده، والمعنى : أقتله أو تحيل لذلك فإن لم تستطع =

عارًا[١] وَأمْهلوني حَتَّى أُهْلِكهُ بِبَعْضِ الْحِيَلِ[٢]. فقالوا: أنْتَ وَذاكَ. ثُمَّ قالَ لَهُ عَمُّهُ: إنِّي آلَيْتُ أنْ لا أُزَوِّجَ ابْنَتي هذِهِ إلاَّ مِمَّنْ يَسُوقَ إلَيها أَلْفَ ناقةٍ مَهْرًا[٣] وَلا أرْضاها إلاَّ مِنْ نُوقِ خُزَاعَةَ[٤] - وَغَرَضُ الْعَمِّ كانَ أنْ يَسْلُكَ بشر الطَّريقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُزَاعَةَ فَيَفْتَرِسَهُ الأَسَدُ لأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ كانَتْ تَحامَتْ عَنْ ذلِكَ الطَّريقِ[٥] وكانَ فيهِ أسَدٌ يُسَمَّى دَاذًا وَحَيَّة تُدْعى شُجاعًا يَقُولُ فيهِما قائِلُهُمْ:

افْتِكْ مِنْ داذٍ ومِنْ شُجاعِ إنْ يَكُ داذٌ سَيِّدَ السِّباعِ
فَإنَّها سَيِّدَةُ الأَفاعِي[٦]

فزوجه ابنتك ليسكت عنا.

(١) لو أنه رضخ لمشورتهم وأذعن لما رأوه فتكفل لهم بدفع شره لما استطاع إلى ذلك سبيلاً لأن بشرًا أكثر منه جراءة وأشد إقدامًا وأوفر شجاعة، ولو أنه زوجه ابنته لكان مقسورًا على ذلك مرغمًا إليه مجبوراً فيه ولكان مثل ذلك جديرًا بأن يسمى رضى بالضيم وخنوعاً إلى الذلة، وفى كلا الأمرين عار شديد، وهما أمران أحلاهما مر. لهذا طلب منهم المهلة.

(٢) امهلونى: أعطونى مهلة، وأمهله أنظره ومهله تمهيلاً والاستمهال: الاستنظار، وتمهل فى أمره: أتأد وتريث، والمعنى: أعطونى وقتًا أتمكن فيه من التؤدة والتروية، والحيل: جمع واحده حيلة وهى الاسم من الاحتيال الذى هو الخداع والمخاتلة.

(٣) آليت: حلفت، وقوله: إلا ممن يسوق إليه ألف ناقة: أى لا أزوجها إلا الذى يعطينى مهرها ألف ناقة فعبر بسوقها عن إعطائها، والمهر: هو ما يجب على الرجل أن يدفع لمن يريد التزوج بها وكأنه فى نظير ما تبذل له من نفسها فى خدمته والقيام على بيته.

(٤) خزاعة: إحدى قبائل العرب، والمعنى: أننى جعلت من قسمى تحديد نوع الإبل بكونها من النوق التى ترعاها خزاعة.

(٥) تحامت العرب عنه: تباعدت عنه فى سيرها إلى أماكن منافعها وسلكت غيره، ونهجت طريقًا سواه حذرًا من الحية والأسد، والمعنى: أن الغرض لم يكن حقيقة الذهاب إلى موضع خزاعة وجلب النياق من هناك ولكنه كان يرمى بذلك إل غرض بعيد، وحيلة غريبة، ذلك أن يسلك بشر الطريق إلى مكانها، ويسير إليها - وليس لها غير مسلك واحد امتنعت العرب كافة عن السير فيه لمكان التهلكة منه - فيهلك دون الوصول إلى غرضه ويموت قبل أن يحصل على مشتهاه فيكفيهم أذاه ويدفع عنهم كيده ويرد شروره.

(٦) أفتك: أفعل تفضيل من قولهم فتك فلان بفلان أى بطش به أو انتهز منه فرصة فقتله، أو أخذه على غفلة فأزهق روحه، وفى الفتك معنى التمزيق والقطع.

ثُمَّ إنَّ بِشْرًا سَلَكَ ذلِكَ الطَّرِيقَ فَما نَصَّفَهُ حتَّى لَقِيَ الأَسَدَ[١] وَقَمَصَ مُهْرُهُ[٢] فنَزَلَ وَعَقَرَهُ[٣] ثُمَّ اخترَطَ سَيْفَهُ إلى الأَسَدِ وَاعْتَرَضَهُ وَقطَّهُ[٤] ثُمَّ كَتَبَ بِدَمِ الأَسَدِ على قَمِيصِهِ إلى ابْنَةِ عمِّهِ:

أفاطمْ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطْنِ خبْتٍ وَقَدْ لاقى الْهِزبْرُ أَخاكِ بِشْرا[٥]

---

(١) نصفه : بلغ نصفه، والمعنى : أنه أخذ فى طريقه غير مبال بما علم أنه فيه من الشدائد فلم يكد يبلغ نصفه حتى كان قد جاء إلى مكان الأسد وطلع له الأسد من عرينه .

(٢) قمص الفرس وغيره يقمص - من بأبى نصر وضرب - قمصًا وقماصًا ككتاب - وقماصًا - كركام - : رفع يديه معًا وطرحهما معًا وعجن برجليه، ولا يكون ذلك من الفرس المروض إلا إذا عرض له ما يفزعه أشد الفزع، وطرأ عليه ما يخافه أعظم الخوف .

(٣) عقره : قطع قوائمه حصدًا بالسيف عقابًا له على خوره وجزاء لما كان منه من الذعر .

(٤) اخترط سيفه إلى الأسد : سله ودلف به إليه، وقطه : أى قطعه عرضًا ويظهر من العبارة أنه لم يسل السيف إلا ليتقدم به إلى الأسد مع أنه لم يعقر المهر إلا به ولكنه أراد أنه بعد أن عقر المهر تقدم إلى الأسد مخترطًا سيفه . لا أنه جدد الاخترط أو ابتدأه بعد العقر، وربما أراد من العقر التقييد والحبس وكثيرًا ما يطلقونه عليهما لأنهما أشبه بحصد القوائم فى أن كلا منهما يمنع من المشى .

(٥) الهمزة حرف وضع لنداء القريب : الحاضر معك، الدانى مكانه منك بحيث يسمعك، وقد ينادى به البعيد تنزيلاً لحضوره فى ذهنك، وتمكنه من نفسك، وعدم غيبته عن فكرك، واستجماعك لخصائصه وأوصافه، منزلة قرب المكان ودنو جسمه منك، والخبت : المطمئن من الأرض فيه رمل، وبطن كل شيء جوفه وربما كان بطن خبت علمًا لمكان بعينه وليس ذلك موجودًا فى أحد كتب المعاجم التى بأيدينا، ولا فى كتب البلدان والأماكن، وأما خبت - بدون بطن- فقد قال فى المشترك : أنه علم لأربعة مواضع : خبت الجميش وهى صحراء بين مكة والمدينة، وخبت البزواء لمكان قرب الجحفة بين مكة والمدينة أيضًا، وخبت : قرية من قرى زبيد وهى بلدة باليمن، وخبت : ماء معروف لكلب، وهو هنا أحد الأولين، والهزبر : الأسد .

وقد نسب بعض الرواة هذه الأبيات لعمرو بن معد يكرب الزبيدى - ولعله ارتكن فى ذلك إلى أن خبتا إحدى قرى زبيد، وفهم أن نسبة عمرو إليها وهو خطأ فإن نسبته إلى جماعة من العرب كان يطلق عليهم : بنو زبيد - كتب بها إلى أخته كبشة وكان له ابنة عم اسمها لميس، ويقول فيها :

تظن لميس أن الليث مثلى وأقوى همة وأشد صبرا
لقد خابت ظنون لميس فيه وأضحى البر خالى منه قفرا =

إذَا لَـرَأَيْـتِ لَـيْـثًـا زار لَـيْـثًـا هِـزَبْـرًا أغْـلَـبًـا لاقَـى هِـزَبْـرَا[1]
تَـبَـهْـنَـس إذْ تَـقَـاعَـس عَـنْـهُ مُـهْـرِي مُـحَـاذِرَةً فَـقُـلْـتُ: عُـقِـرْتَ مُـهْـرَا[2]

= ومطلع القصيدة على زعم هؤلاء الرواة :

أكبشة لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك عمرا

والصحيح أن الواقعتين مختلفتان فوقع بينهما الاشتباه وخلطت إحداهما بالأخرى وقد حصل توارد الخاطر بين الشاعرين فى بعض الأبيات فقط، والمعنى أنه لو تيسر لك أن تشهدى مصارعتى الأسد، وتهيأ لعينك أن ترى ابن عمك وقد حمل عليه حملته الشعواء لوجدت مشهدًا عظيمًا ونظرت إلى حادث خطير.

(١) الليث الأسد ومثله الهزبر، وللأسد فوق الثلثمائة اسم أصل معظمها صفات منها : البيهس، والبهنس، والعربض، والمرمل، والشيظم، والنجيد، والبسور، والحيدر، والحيدرة، والمصحر، والغضنفر، والمهتصر، والجهم، والغضوب والأغلب، والقرضاب، والقرشب، ومن كناه : أبو العباس، وأبو ضيغم، وأبو الأشبال، وأبو الأبطال، والمبالغة هنا فى تلقيب نفسه بالليث وليست فى تلقيب الهزبر بالليث كما ظنه بعض من لا يعرف خواص الأساليب فظن أن الهزبر فى البيت حيوان غير الأسد واستدل بهذين البيتين توهما منه أن البيت الثانى يشبه الهزبر بالليث كما يشبه بشرابه، وهزبر فى الأصل وصف لا اسم وهو الغليظ الضخم والشديد الصلب، والأغلب : من ألقاب الأسد، ذكره وصفًا كأنه قال من شأنه أن يغلب أقرانه، أو هو باق على اسميته، وذكر للبدل أو للبيان، ولاقى هزبرًا : تابع للصفات المتقدمة، وكلها صفات لليث الثانى فالليث الأول بشر زار الليث الذى اسمه داذ وداذ هزبر أغلب لاقى هزبرا مثله، فالهزبر الأخير هو بشر أيضًا ويروى بدل زار : أم ليثاً أى قصده وتوجه إليه، ويروى : رام ليثاً أيضاً أى طلبه، والمعنى : أنك حين تقدر لك مشاهدة ذلك المنظر العجيب ستنظرين إلى ليثين قد أقبل كل منهما على الآخر وتوجه إليه يطلبه ويريد منازلته، وستشاهدين أسدين عظيمين متكافئين شجاعًا وإقداما متماثلين جراءة وشدة قد زأر كل واحد منهما ليخيف قريعه وينزل الرعب فى جوف صاحبه وقد يمم كلاهما الآخروأراد به السوء ورغب فى إهلاكه، وليس أعجب منظرًا من هذا ولا أغرب منه بحيث يروقك منظره وتعجبك مشاهدته، ولو فى البيت الأول للتمنى وكأنه كان يرجو لها أن تراه افتخارًا بشهامته وتمدحًا بقوته وإقدامه.

(٢) تبهنس : تبختر، واختال فى مشيته - صفة للأسد الذى لاقاه - وتقاعس : أحجم وتأخر، ويروى : ثم أحجم عنه مهرى، وإحجام المهر تقاعده عن لقائه حذرًا منه وخوفًا ولهذا قال : محاذرة أى من أجل الحذر، وعقرت مهرًا : أى قطعت قوائمك التى أخرتك وأخرتنى عن ملاقاة الأسد، وكان قوله هذا مقرونًا بالفعل فإنه عقره كما تقدم، وقال ابن الرومى فى وصف الأسد : =

أنـلْ قـدَمـيَ ظـهْـرَ الأرْض إنّـي رأيْتُ الأرْض أثْبت منْك ظهْرا[١]
وقُـلْـتُ لـهُ وقَـدْ أبْـدى نـصـالاً مُـحـدَّدةً ووجْـهًـا مُـكْـفـهـرًا[٢]

ليأمن سقاطى فى الخطوب ونبوتي جنان الذى يخشى على ويحذر
فما أسد جهم المحيا، شتيمه خبعثنة، ورد السبال، غضنفر
مسمى بأسماء فمنهم ضيغم ومنهن ضرغام، ومنهن قسور
له جنة لا تستعار وشكة هو الدهر فى هذا وهذا مكفر
أهاب كتجفاف الكمى حصانة وعوج كأطراف الشباحين يفغر
وحجن كأنصاف الأهلة لاينى بهن خضاب من دم الجوف أحمر
تظل له غلب الأسود خواضعا ضوارب بالأذقان حين يزمجر
له ذمرات حين يوعد قرنه تكاد له صم السلام تفطر
يراه سراة الليل - والدو دونه - قريباً بأدنى مسمع حين يزأر
يدير إذا جن الظلام حجاجه شهاب لظى يعشى له المتنور
خبعثنة جأب البضيع كأنه مكسر أجواز العظام مجبر
له كلكل رحب اللبان وكاهل مظاهر ألباد الرحالة أوبر
شديد القوى، عبل الشوى، مؤجد القرا ملاحق أطباق الفقار، مضبر
إذا ما علا متن الطريق ببركه حمى ظهره الركبان فالسفر أزور
أخو وحدة تغنيه عن كل منجد له نجدة منها ونصر مؤزر
مخوف الشذا يمشى الضراء لصيده ويبرز للقرن المناوى فيصحر
بأربى على الأقران منى صولة وقد أنذر التجريب من كان ينذر

(١) بعد أن قال لمهره : عقرت مهرًا قال له اسكن حتى أنزل عنك فتصل قدماى إلى ظهر الأرض فأترجل فإنى رأيت الأرض أصلب ظهرًا وأثبت منك وأنال قدمه ظهر الأرض : مكنها منه وأوصله إليها، وليس بخاف أن الشطر الثانى من البيت حقيقة بينة .

(٢) أبدى : أظهر، وأبان، والنصال : جمع نصل وهو حديدة السيف، والسهم، والرمح، والسكين، وأراد بها هنا أنياب الأسد ومخالبه على التشبيه وإبداؤها منه تكشيره عنها، والوجه المكفهر : القليل اللحم، الغليظ الجلدة، العابس، الكثير التقطيب من الغضب، ومقول القول سيأتى بعد أبيات ولابن المعتز يصف أسدًا :

وما ليث غاب يهزم الجيش خوفه بمشية وثاب على النهى والزجر
يجر إلى أشباله كل ليلة عقيرة وحش أو قتيلاً من السفر

يُكفكِفُ غيلةَ إحْدَى يَديْه ويبْسُطُ لِلْوُثُوبِ عليَّ أُخرَى[1]

إذا ما رأوه طار جمعهم معا كما طير النفخ التراب عن الجمر
جريء، أبى، يحسب الألف واحداً بعيد إذا ما كر يوماً من الفر
يزعزع أحشاء البلاد زئيره ويذهل أبطال الرجال من الذعر
إذا ضم قرنًا بين كفيه خلته يعانى عروسًا فى غلائلها الحمر
فحرم أرض الحائرين وماءها فهيهات من يعدو عليها ومن يسري
بأجرأ منه حد بأس وعزمة إذا ما نزا قلب الجبان إلى النحر

(١) يكفكف : هو فى الأصل بمعنى يمنع ويكف، لكنه هنا بمعنى يقبض، وغيلة : أما بمعنى خدعة أو بمعنى اغتيالا فإن كان الأول فقد أراد أن الأسد قد استعظم شأنه وقوى عنده أمره واستفحل خطره فهو لا يجسر أن ينازله مجاهرة ولا يقوى على مصارعته ظاهرًا لهذا فإنه يقبض إحدى يديه ليغره ويخدعه بإيهامه أنه لا يريد الوثوب عليه ثم يبسط يده الأخرى للانقضاض عليه، وعلى الثانى يصف هيأة الأسد فى توثبه للقتال واستعداده للمنازلة وتأهبه للافتراس بأنه يقبض إحدى يديه ويبسط الأخرى شأن كل مواثب من الحيوان، وقال أبو الطيب المتنبى يصف أسدا قتله بدر بن عمار :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الأردن منه بلية نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد إذا ورد البحيرة شاربًا ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس فى غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه إلا ظننتا تحت الدجى نار الفريق حلولا
فى وحدة الرهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ البرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته إلى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما يزمجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمى جواده مشكولا
ألقى فريسته وبربر دونها وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان فى إقدامه وتخالفا فى بذلك المأكولا
ما زال يجمع نفسه فى زوره حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه يبغى إلى مانى الحضيض سبيلا
فكأنه غرته عين فادنى لا يبصر الخطب الجليل جليلا
سبق التقاءكه بوثبة هاجم لو لم تصادمه لجزك ميلا

يُـدِلُّ بِـمـخْـلَـبٍ وَبِـحَـدِّ نـابِ وَباللَّحظاتِ نَحْسبهُنَّ جمْرا[١]
وَفي يُمْناي ماضي الْحدّ أبْقى بِـمـضْـرِبِـهِ قِـراعُ الْـمَـوْت أثْـرا[٢]

قبضت منيته يديه وعنقه فكأنما صادفته مغلولا

(١) يدل : يتيه، ويظهر تكبره، والمعنى : يريد أن يظهر لنفسه من القوة، والبطش، وشدة الجراءة ما تتضاءل أمامه قوتى، ويتلاشى عزمى، وتفتر همتى فأضعف عن ملاقاته وأنهزم أمامه صولته، ويجترئ بكل ذلك على، وما منشأ هذا سوى الإدلال بمخلبه والإعجاب بحد نابه والصلف بعينيه التى تتوقد كأنها تلظى الجمر وتلتهب كأنما هى قطع النيران، وللشريف الرضى فى وصف الأسد :

نهيتك عن شعب عسير ولوجه بذى الرمث قد أعيا على الناس صله
وبيت كالصب الأرى لا تستطيعه صدور الطوال الزاعبيات نحله
فلا تقربن الغاب يحميه ليثه ودع جانبًا وعرا على من يحله
كان على الأطواد من جزع بيشة رصيد طريق ضل من يستدله
تلفع فى ثنى عباء مشبرق أصابيغ ألوان الدماء تبله
قضاقضة ما بات إلا على دم تمضمض منه عرسه ثم شبله
أخو قنص كفاه : كفة صيده إذا جاع يومًا والذراعان حبله
يشقق عن حب القلوب بمخصف أزل كما جلى عن الرمح نصله
قليل إدخار الزاد يعلم أنه متى ما يعاين مطعماً فهو أكله

(٢) بعد أن بين آلة الأسد التى يتيه بها عليه ويظهر كبره له من أجلها أراد أن يبين آلة نفسه وهى السيف فوصفه بأنه ماض الحد وأنه قد تعود الضرب وألف النزال وعرك المقارعة وراض نفسه على الكسر والحطم كما يظهر من الندوب والثلوم التى أبقاها فيه نزال الأبطال وتركها به قراع الفوارس فى الحروب، والأثر - بالضم - : أثر الجرح بعد البرء استعارة هنا لما بقى فى السيف من الندوب وما تخلف فيه من الفلول استعارة رفيعة، ومثل هذا المعنى فى قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ويروى بدل أبقى «ابغى، وأنفى» وكلتا الروايتين لا معنى لها ولا يستقيم مغزاها، والصواب هو ما ذكرنا، ومما قيل فى وصف السيف قول البحترى :

ماض وإن لم تمضه يد فارس بطل، ومصقول وإن لم يصقل
يغشى الوغى فالترس ليس بجنة من حده، والدرع ليس بمعقل
مصغ إلى حكم الردى فإذا مضى لم يلتفت وإذا قضى لم يعدل
متألق يفرى بأول ضربة ما أدركت ولو أنها فى يذبل

. . . . . .

وإذا أصاب فكل شيء مقتل ... وإذا أصيب فماله من مقتل
وكأنما سود النمال وحمرها ... دبت بأيد في قراه وأرجل
وكأن شاهره إذا استعصى به ... في الروع يعصى بالسماك الأعزل
حملت حمائله القديمة بقلة ... من عهد عاد غضة لم تذبل

ولابن الرومي:

خير ما استعصمت به الكف عضب ... ذكر حده أنيث المهز
ما تأملته بعينيك ألا ... إرعدت صفحتاه من غير هز
مثله أفزع الشجاع إلى الدر ... ع فعالى به على كل بز
ما يبالي أصممت شفرتاه ... في محز أو جازتا عن مجز

وله أيضًا:

حسام لا يليق عليه جفن ... سريع في ضربته ذريع
ترى وقعاته أبدًا خطايا ... إلى أن يسبطر له صريع
ويرعد متنه من غير هز ... كريعان السراب زهاه ريع
يقول القائلون إذا رأوه ... لأمر ما: تغوليت الدروع!

وانظر إلى قول ابن المعتز:

ولي صارم فيه المنايا كوامن ... فما ينتضى إلا لسفك دماء
ترى فوق متنيه الفرند كأنه ... بقية غيم رق دون سماء

وللمتنبي:

تحسب الماء خط في لهب النا ... ر أدق الخطوط في الأحراز
كلما رمت لونه منع النا ... ظر موج كأنه منك هاز
ودقيق قدى الهباء أنيق ... متوال في مستو هز هاز
ورد الماء فالجوانب قدرا ... شربت والتي تليها جواز
حملته حمائل الدهر حتي ... هي محتاجة إلى خراز
وهو لا تلحق الدماء غراريـ ... ـه ولا عرض منتضيه المخازي
سله الركض بعد وهن بنجد ... فتصدى للغيث أهل الحجاز

وللمعري:

كأن أراقما نفثت سماما ... عليه فعاد مبيضًا نحيلا
ومن تعلق به حمة الأفاعي ... يعش - إن فاته أجل - عليلا

أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلَتْ ظُبَاهُ ... بِكَاظِمَةٍ غَدَاةَ لَقِيتُ عَمْرَا[1]
وَقَلْبٌ مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى ... مُصَاوَلَةً فَكَيْفَ يَخَافُ ذَعْرَا[2]؟!
وَأَنْتَ تَرُومُ لِلأَشْبَالِ قُوتًا ... وَأَطْلُبُ لابْنَةِ الأَعْمَامِ مَهْرَا[3]

تَرَدَّدَ مَاؤُهُ عَلُوًا وَسُفْلًا ... وَهُمْ فَمَا تَمَكَّنَ أَنْ يَسِيلَا
يَكَادُ سَنَاهُ يَحْرِقُ مَنْ فَرَاهُ ... وَيَغْرَقُ مَنْ نَجَا مِنْهُ كَلُولَا

وله أيضًا :

يَذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ ... فَلَوْلَا الْغِمْدُ يُمْسِكُهُ لَسَالَا

(١) ألم يبلغك : هذا مقول القول السابق، أى أنه قال للأسد وهو على تلك الهيئة التى وصفها ومعه سيفه : كيف تدل علىَّ، وتظهر لىَّ جراءتك وإقدامك، وكيف تتيه بأنيابك ومخالبك ولحظاتك، ألم يبلغك ما فعلت ظبى سيفى، وهل غاب عنك خبر فتكه ومضائه فكنت تخفض من تشامخك، وتقلل من إدلالك، وتنهنه من حدتك، والظبى : جمع ظبة وهى حد السيف وإنما جاء بصيغة الجمع مع أن السيف له ظبة واحدة تفخيمًا لها وإفهامًا للسامع أن حد سيفه وإن كان واحدًا إلا أن له أفاعيل لا تصدر إلا عن الكثير ولا تقع من غير جماعة، وكاظمة : اسم لموضعين المعروف منهما هو الذى على ساحل بحر فارس وبينه وبين البصرة مرحلتان لقاصد البحرين، ولعل هناك موضعًا اسمه كاظمة بالقرب من المدينة يقول فيه الأبوصيرى :

أمن تذكر جيران بذى سلم ... مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ... وأومض البرق فى الظلماء من أضم؟

وغداة لقيت عمرًا : يروى بدلًا منه «غداة قتلت عمرا» كما أنه يروى بدلًا من قوله ما فعلت ظباه «ما فعلته كفى» وليس يخفى عليك أن الرواية التى بأيدينا أفضل.

(٢) المعنى : لا تظهر صلفك، ولا تأخذك الكبرياء، وأقلل من غلوائك فكما أن لى سلاحاً مثل سلاحك أو أمضى فإن لى قلبًا مثل قبلك : كأنما قد من صخر، لا يخشى المواثبة، ولا يخاف النزال، ولا يرهب المصارعة، فكيف تأمل أن ينال منه الذعر، والذعر - بفتح أوله - : الإخافة والترهيب، يقول : إذا كان قلبى لا يهاب المصاولة، ولا يزعجه القتال، ولا تحركه المناوأة فكيف تظن أنه يخشى التخويف والتهويل وإن هما إلا تهديد ووعيد دون إيقاع ؟!

(٣) تروم : تبغى وتطلب، والأشبال : جمع شبل بكسر أوله - وهو ولد الأسد ويجمع على أشبل - بزنة أفلس - أيضاً، والمعنى : أنك قد خرجت إلى وتعرضت فى طريقى مستهينًا بى ومستخفًا بشأنى غير مكترث بما ستلقاه منى لأنك تأمل أن تفترسنى فتأخذنى طعمة لأولادك وتقدمنى لهم قوتا، وأنا سائر إلى غرض أسمى من غرضك ومقصد خليق بأن يكلفنى عناء وجهدًا فوق ما يكلفك مقصدك وهو الإتيان بمهر ابنة عمى، فإذا كنت قد فعلت كل ذلك فى سبيل مأربك فما

فَفِيمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُوَلِّي ... وَيَجْعَلَ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرَا[١]؟
نَصَحْتُكَ فَالْتَمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي ... طَعَامًا إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرًّا[٢]

أحرانى بأن أفوقك قوة وإقداما وبسالة ونجدة على مقدار ما أريد من المطالب فمن خطب الحسناء لم يغلها مهر ولابد دون الشهد من إبر النحل، ومن لم يصبر على الكيد ساعة تحمل ذل الدهر، وللشريف الرضى فى وصف الأسد :

أقول إذا سالت مع الليل رفقة ... تقاذفها حتى الصباح المخارم
دعى جنبات الواديين فدونها ... أشم طويل الساعدين ضيارم
إذا هم لم تقعد به عزماته ... وإن ثار لا تعيا عليه المطاعم
كأن على شدقيه ثغرًا وراءه ... ذوابل من أنيابه وصوارم
فما جذب الأقران منه فريسة ... ولا عاد يومًا أنفه وهو راغم
له كل يوم غارة فى عدوه ... تشاركه فيها النسور القشاعم
كأن المنايا - إن توسد باعه - ... تيقظ فى أنيابه وهو نائم

(١) فيم : استفهام عن السبب مثل «لم»، وتسوم : إما أن يكون من قولهم : سامه بعيره وساومه سواما - بالكسر - واستام عليه وتساوماه أى ذكر له قيمته وفاوضه فى بيعه، وأما أن يكون من قولهم : سامه الخسف أى أولاه إياه وأراده عليه، وعلى الأول يكون المعنى : إذا كان لى سلاحاً كسلاحك وقلب كقلبك وأنا مستعد استعدادك للمنازلة والصراع، وعلى أهبة كاملة للمناوأة والقراع ولى مطلب يحتم علىَّ قتلك والفتك بك فلأى الأسباب ترغبنى فى الفرار وتحبب إلىَّ الهرب بما تبديه من حركات الاغتيال وتظهره من مخائل الصلف، وعلى الثانى كأنه يقول له : لا تطمع فى أن تكرهنى على النجاة بالفرار منك ولا تصدق أننى سأوليك ظهرى فتنقض علىَّ فتفترسنى ويروى : قهرًا بدلا عن «قسرًا» ومعناهما واحد.

(٢) يروى بدلا عن «يا ليث» : يا ويك، وويك : كلمة دعاء مثل ويحك وويبك وويلك، والمنادى حينئذ محذوف تقديره : يا هذا ويك كما حذف فى قول الشاعر :

إلا يا اسلمى يا دارمى على البلا ... ولا زال منهلا بجزعائك القطر

ويروى البيت هكذا :

نصحتك نصح ذى شفق فحاذر ... مرامى لا تكن بالموت غرًا

والشفق : الشفقة، ومعنى لا تكن غرًا بالموت لا تكن جاهلاً بأسبابه غير عالم بعلله التى من بينها لقاء مثلى، ومعنى البيت : أننى انصح لك بألا تتوهمنى فريستك التى تأكل منها اليوم وتغذى أشبالك فإنك لو طمعت فى ذلك فستجوع وتجوع معك هذه الأولاد - وكنى بمرارة اللحم عن عدم القدرة على الحصول عليه - فأولى لك أن تبحث عن غيرى

فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْغِشَّ نُصْحِي ... وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرَا[١]
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا ... مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعْرَا[٢]
هَزَزْتُ لَهُ الْحُسَامَ فَخَلْتُ أَنِّي ... سَلَلْتُ بِهِ لَدَى الظَّلْمَاءِ فَجْرَا[٣]
وَجُدْتُ لَهُ بِجَائِشَةِ أَرَتْهُ ... بِأَنْ كَذَبَتْهُ مَا مَنَّتْهُ غَدْرَا[٤]

= لترد به عنك عادية الجوع.

(١) الهجر - بالضم - : الهذيان والخرافة كما يكون من الأبله والنائم فى نومه والمريض فى بحران الحمى وحدة مرضه ومن لا يعقل ولا يضبط ما يقول، ويروى بدلاً عن الشطر الثانى : «وخال مقالتى زورًا وهجرًا» والمعنى : أنه لم يقتنع بما ألقيت إليه من الكلام، ولم يصدق ما أسديت من النصيحة بل اعتمد على قوته وصلابة عوده وارتكن على ما فيه من بطش فتوهم أننى أهذى فلما ثبتت عنده هذه الظنة وقوى فى نظره ذلك الوهم كان منه كيت وكيت.

(٢) لما نصحه ولم يسكن لنصيحته واستهداه فلم يقبل تقدم الأسد إليه اغترارًا منه بقوته وصار نحوه اختيالاً بشجاعته وتقدم بشر إليه اعتمادًا على شجاعته وركونًا إلى ما فيه من حمية وإباء فيا لهما من أسدين طلبا مطلبًا كان وعرًا صعب المنال بعيد التحقق عسير الثبوت إذ أن كل واحد منهما كان يطلب من صاحبه مالا سبيل إلى تحقيقه ولا قدرة عنده على إجازته، وقوله: من أسدين واقع موقع البيان للضميرين فى مشى ومشيت تفخيمًا لشأن كل منهما وتعظيمًا لما عاد إليه كل واحد منهما.

(٣) هز الحسام : حركه فى يده كأنه يجر به ليتهيأ للضرب، وقد تخيل بريقه ولمعانه كأنه فجر سل فى الظلماء، ويروى بدلاً عن «سللت» : شققت، ويعبر عن طلوع الفجر بفلقه وفى التنزيل : (فالق الإصباح) والمعنى : أننى حينما تأكدت من عدم ارعوائه ونفوره من قبول نصيحتى تقدمت إليه باسطًا يدى بالحسام الذى يشبه الفجر فى إشراقه ويماثله فى ضوئه ولا يفترق عنه فى لمعانه، ومثل هذا التشبيه قول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(٤) الجائشة : النفس، قال الشاعر :

أبت لى همتى وأبى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أوتستريحى

وبشر يتهكم على الأسد ويعلن الزراية به والتهوين من شأنه وتضعيف أمره، ويقول إننى تكرمت عليه بنفس أعلمته وأظهرت له أنها قد غدرت به فيما منته وأطمعته فيها بثباتها بين يديه إذ كذبته تلك الأمنية وضيعت عليه ذلك الرجاء وأفلتت من يده أمله الضائع ففتكت به =

وأطلقتُ المُهنَّد مِنْ يميني فقدَّ لهُ من الأضلاع عشرا[١]
فخرَّ مَجدَّلاً بدمٍ كأني هدمتُ به بناءً مُشمخِرًّا[٢]

= وقهرته وصرعته، وقد يراد من الجائشة هنا المعنى الوصفى أى بضربة هائجة مضطربة وقد كانت تلك الضربة منته خيبتها وأوهمته عدم إصابتها بهيجان ضاربها فظن عجزًا وأخطأ التقدير إذا كان ذلك كله مخاتلة وتغريرًا، ويروى بدلًا عن «أرته» : رآها، كما يروى بعد هذا البيت.

وجدت بضربة جاءته شفعا بساعد ماجد تركته وترا

فإذا أردنا من الجائشة المعنى الثانى كان ذلك البيت تفسيرًا لسابقه، وإن كان المعنى الأول كان لهذا البيت معنى مستقل وكأنه تفصيل لما أجمل فى قوله : أرته بأن كذبته مامنته غدرًا، وشفعًا : حال من ضمير الأسد فى جاءته، وإنما كان الأسد شفعًا لأنه حين هوت إليه الضربة كان مع أسد آخر وهو بشر، وإطلاق الشفع على كل من الاثنين جائز لأن الشفع يتم بكل منهما والضمير فى تركته يعود على الماجد والمعنى أن الضربة لما قتلت الأسد تركت الماجد وهو بشر أسدًا فردًا وهو الوتر، ويروى هذا البيت :

بضربة فيصل تركته شفعًا لدى وقبلها قد كان وترا

أى أنها شطرته نصفين فصار اثنين بعد أن كان واحدًا وأضحى شفعًا بعد أن كان وترًا وهو ظاهر.

(١) المهند : السيف الصارم، والحسام النافذ فى ضريبته، وكانت مواضى السيوف ترد إلى العرب من الهند كما كانوا يجلبون رماحهم من الخط، ولذلك؛ نسبوا ما كان من السيوف بتارًا، قاطعًا، إلى الهند فقالوا : الهندية، واشتقوا له من هذا اللفظ اسماء فقالوا : المهند. وربما كان هذا اللفظ (المهند) نسبة أيضًا إذ أن صيغة فعل (بالتضعيف) تدل على النسبة مثل ما قالوه فى قول العجاج :

أزمان أبدت واضحًا مفلجا أغر براقا وطرفًا أدعجا
وفاحما ومرسنا مسرجا

فإنهم يقولون أن مسرجا (بصيغة اسم المفعول من المضعف كمهند) نسبة إلى سريج وهو حداد كان يجيد صنع السيوف، وقد : قطع، والمعنى أننى بعثت إليه سيفى فأنفذته فى أضلاعه فقطع منها عشرا.

(٢) خر : سقط، ومجدلاً : مصروعًا على الجدالة وهى الأرض، وأصل مأخذ الكلمة منها، ويروى : مضرجًا بدم، وهى أوضح معنى وأظهر، وذلك لأن الرواية الأولى تحوجنا إلى توضيح فى الكلام وتقدير فى نظمه فيقال : خر صريعًا مصحوبًا بدم أو ملطخًا به ونحو ذلك، والبناء المشمخر : الشامخ، العالى الذرى، المرتفع، والمعنى أننى أنفذت فيه سيفى، وقطعت أضلاعه =

وَقُـلْـتُ لـهُ: يَـعِـزُّ عـلَـى أَنّـي قَتلْتُ مُناسِبي جلَدًا وَفَخْرًا[١]!
ولـكـنْ رُمْـتَ شـيـئًـا لـمْ يَـرُمْـهُ سِواكَ فلمْ أُطقْ يا لَيْتُ صَبْرًا[٢]
تُـحـاولُ أنْ تُـعَـلـمَـنـي فِـرارًا؟ لَعَمْرُ أبيكَ قدْ حاوَلْتَ نُكْرًا[٣]!

= فلم تبق فيه قوة يستطيع أن يتماسك بها، أو يتمالك نفسه من الصرعة والانطراح على الأرض فخارت قواه وضعفت همته، وفترت شدته فهوى إلى الأرض ملطخًا بما سال من دمه مضرجًا بالذى أخرجه منه حد سيفى وكأنه حين وقوعه وتهاوى جثته بيت عال قد تهدم فأنت تسمع له دوياً وصوتاً، يريد بذلك أن يقول أن الأسد كان ضخم الجثة عبل الشوى صلب الأضلاع ليكون فخاره بقتله ذا مزية وفضل جديرين بالذكر والإشادة بهما ولعل فى هذا نوعًا من استتباع ذكر صفة لصفة أخرى فإن وصف الأسد بما ذكر يستتبع وصفه بالتناهى فى الشجاعة وبلوغ حد الإقدام.

(١) بعد أن قتله وأوقعه صريعًا وتركه مضرجًا بدمائه أخذ يعتذر له ويذكر الأسباب التى حملته على التنكيل به ويتنصل من تبعة ما وقع منه، ويعاتبه على المبادرة له بالعدوان، وكأنه يريد أن يفهمه أنه لم يفعل به ذلك إلا اضطرارًا ونزولاً على حكم الدفاع عن النفس وسيرًا مع الأنفة من الذل وإباء الضيم، ولولا أن فى مصانعته له، وعفوه عنه، وتركه، ضيمًا عليه ومذلة له وإهانة لقدرة لكان العفو أيسر ما يفعل معه، ويعز علىَّ : يصعب، ويشتد على نفسى، ومناسبى : مشابهى ومشاكلى فى الجلد والثبات وشدة الصريمة وصعوبة المراس، وفخرًا : أى ما يفخر به من أسباب الفخار ودواعيه كالشجاعة والقوة ونحوهما، ويروى : قسرًا بدلاً عن «فخرًا» والقسر هو القهر، ويروى أيضاً «قهراً» والمعنى : أنه لعزيز على نفسى وشديد أن أحتمل ما لعله يقال من أننى قتلت أشبه العالمين بى وأنسبهم لى فى صفتى الجلد وقهر النفوس واغتيالهم.

(٢) المعنى : أنك طلبت شيئًا لم يستطع أحد فى الدنيا أن يطلبه وقصدت أمرًا ما كان يدور بخلدى أن يجسر علي قصده غيرك، وابتغيت أن تفترسنى وهذا شيء لم يطلبه سواك منى ولهذا وحده كنت مسوقًا بحكم الضرورة إلى قتلك إذ أننى لم أستطع الصبر على هذا الطلب الجائر، وكيف أصبر على ما لم أتعوده.

وسيفى كان فى الهيجا طبيبا يداوى رأس من يشكو الصداعا
ولو أرسلت رمحى مع جبان لكان بهيبتى يلقى السباعا

(٣) النكر - بضم أوله - : المنكر والذى لم تألفه النفس وفى التنزيل : (لقد جئت شيئًا نكرا)، والمعنى : أنك كنت تطلب وتجتهد فى طلبك هذا بكل وسائل التهديد أن تعلمنى التولية وتعودنى على الفرار وتجعلنى آلف الهزيمة، وأنت فى كل هذا الطلب، وفى كل هذه المحاولة يستحيل أن تفلح ولا يمكن أن تنال رغبتك إذ أن هذا الطلب غير مألوف لى وليست لى به سابقة.

فَلا تَجْزَعْ فَقَدْ لاقَيْتَ حُرًّا ... يُحاذِرُ أَنْ يُعابَ فَمُتَّ حُرًّا[١]

فَإِنْ تَكُ قَدْ قُتِلْتَ فَلَيْسَ عارًا ... فَقَدْ لاقَيْتَ ذا طَرَفَيْنِ حُرًّا[٢]

فَلَمَّا بَلَغَتِ الأَبْيَاتُ عَمَّهُ نَدِمَ على ما مَنَعَهُ تَزْوِيجَها[٣] وَخَشِيَ أَنْ تَغْتَالَهُ الْحَيَّةُ فَقَامَ في أَثَرِهِ وَبَلَغَهُ وَقَدْ مَلَكَتْهُ سَوْرَةُ الْحَيَّةِ[٤]. فَلَمَّا رَأَى عَمَّهُ أَخَذَتْهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ فَجَعَلَ يَدَهُ في فَمِ الْحَيَّةِ وَحَكَّمَ سَيْفَهُ فِيهَا[٥] فَقَالَ:

بُشْرٌ إِلَى الْمَجْدِ بَعِيدٌ هَمُّهُ ... لَمَّا رَآهُ بِالْعَرَاءِ عَمُّهُ[٦]

قَدْ ثَكِلَتْهُ نَفْسُهُ وَأُمُّهُ ... جَاشَتْ بِهِ جَائِشَةٌ تَهُمُّهُ[٧]

---

(١) الجزع : انخلاع القلب وتألم النفس من حادث فظيع أو أمر شنيع ينزل بالمرء فيفقده صوابه ويضيع عليه تجلده وصبره، ويحاذر : يخشى، ويعمل جهد طاقته وبمقدار وسعه لئلا يقع، والمعنى : لا يؤلمك، ولا تذهب نفسك حسرات ولا تحزن على ما نالك منى ؛ وأصابك من حد حسامى فإن كنت قد هويت فإن الذى فعل بك ذلك، والذى اصطدمت به هو رجل حر كريم خيار يأبى الضيم ولا يقبل الضعة ويرهب الاستكانة فمت بيده حرًا كما يموت الشريف الأبى النفس والمقدام الجريء، ويروى بدلاً عن «فلا تجزع» : «فلا تغضب» «فلا تبعد».

(٢) كأنه يسليه عما أصابه، ويهون عليه ما لقيه منه فيقول له : إن كنت قد قتلت أو يكن المقدور قد ابتلاك بى فما ذلك بعار عليك ولا هو أمر تلحقك من أجله الضعة، إذ ليس من الشين بك والحطة من قدرك أن تقتل بيدى أو تخر من ضربة كنت أنا الذى تقدم بها إليك فإننى - وأنا قاتلك - رجل ذو طرفين أى أبوين معروفين أصيلين فأنا عريق فى النسب، شريف الحسب، كريم النجر، طيب الأصل، حر، وإنما العار أن يؤخذ المرء بيد رجل دنيء وما دمنا متكافئين شجاعة وإقدامًا متماثلين شدة وجراءة فأى ضيم يلحقك وأى أذى ينالك ؟ والحر هنا : الصريح النسب الذى لم يدخل فى نسبه رق ولا شبهة.

(٣) ما مصدرية أى على منعه تزويجها. وفى نسخة : من تزويجها.

(٤) سورة الحية : سطوتها.

(٥) يظهر من الأبيات الآتية أنه لف يده فى كمه وأدخلها فى فم الحية. ويروى بعد فم الحية : وقبض على لسانها وحكم سيفه فيها فقتلها.

(٦) الهم هنا : الهمة، يقال : فلان بعيد الهمة إذا كان طلابًا لمعالى الأمور. والعراء بالفتح الفضاء لا يستر فيه بشيء.

(٧) هذا البيت يشتمل على حالين من ضمير رآه فالحال الأولى قد ثكلته نفسه وأمه أى رآه وقد أشرف على الهلاك فكان قد ثكلته نفسه أى فقدته هى وأمه والحال الثانية جاشت به إلخ. وجاشت =

قـامَ إلـى ابْـنِ لـلْـفـلا يـؤُمُّـهُ فـغـابَ فـيـهِ يَـدُهُ وكُـمُّـهُ[١]
ونَـفْـسُـهُ نَـفْـسِـي وسَـمِّـي سَـمُّـهُ[٢]

فَلمَّا قَتلَ الْحَيَّةَ قالَ عَمُّهُ: إني عَرَّضْتُكَ طَمَعًا في أمْرٍ قَدْ ثَنى اللهُ عِنَاني عنْهُ[٣] فارْجِعْ لأُزَوِّجَكَ ابْنتِي. فَلما رجَعَ جَعَلَ بِشْرٌ يمْلأُ فَمهُ فَخْرًا حتَّى طلَعَ أمْرَدُ كَشِقِّ الْقَمَرِ[٤] على فَرَسِهِ مُدَجَّجا في سِلاحِهِ. فقالَ بِشْرٌ: يا عَمُّ إني أسْمَعُ حِسَّ صَيْدٍ. وخَرَجَ فإذَا بِغُلامٍ على قَيْدٍ[٥] فقالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا بِشْرُ! إنْ قَتلْتَ دُودَةً وَبَهِيمَةً تمْلأُ ما ضِغيكَ فَخْرًا[٦]؟ أنْتَ في أمانٍ إنْ سلَّمْتَ عمَّكَ. فقالَ بِشْرٌ: مَنْ أنْتَ لا

= أى هاجت. والجائشة وصف لمحذوف أى الحية الهائجة. وقوله تهمه أى تودع الهم والغم قلبه بما توقع به من الشر.

(١) قوله «قام إلى ابن» هو جواب لما رآه عمه. وابن الفلا هو الحية. والفلا جمع فلاة وهى الصحراء الواسعة أو المفازة لا ماء فيها، والحيات العظيمة قلما توجد إلا فى الفلوات لهذا سماها ابناء الفلا ويؤمه يقصده. وقوله: فغاب فيه أى فى فمه.

(٢) ضمير المتكلم لبشر لأنه المتكلم بالأبيات أى أنه حية مثله فنفسه شبيهة بنفس الحية وسمه شبيه بسمه. وسمه هنا سيفه الذى قتل الحية به فكما أنه كان مع الأسد أسد آخر كذلك هو مع الحية حية.

(٣) أى أنى كنت عرضتك لخطر الهلاك حتى لا أزوجك بنتى وقد عطفنى الله عن ذلك كما يثنى عنان الجواد إلى وجه غير الذى كان يسير إليه.

(٤) أى كأنه فى بهائه وجماله فلقة من القمر. وقوله: مدججًا فى سلاحه أى أنه لابس سلاحه وكأنه مستتر به لا ترى العين منه إلا السلاح.

(٥) أى أنه خرج لطلب الصيد الذى سمع حسه فإذا بذلك الغلام على قيد رمح منه أى مقدار طول الرمح يعنون بذلك القرب وحذف الرمح لأنه الكلمة مشهورة معروفة. ويروى: بدل (فخرج فإذا بغلام إلخ) فقال الغلام مددت رجلك إلى قيد، وهو جواب من الغلام لقول بشر أنى أسمع حس صيد، وهو إما دعاء عليه بالأسر والوقوع فى قبضة قوم يقيدونه أو خبر أى أن ما ظننته صيدًا ليس بصيد بل هو صائد فانت بقولك هذا قد مددت رجلك إلى القيد. وقوله: ثكلتك أمك يروى: ثكلتك نفسك.

(٦) الماضغان: أصول اللحيين عند منبت الأسنان لانهما يتحركان عند المضغ بل هما آلته ويملأ الماضغين أى ما بينهما وهو الفم. وقوله: أن قتلت - بفتح همزة أن - فمتعلق بتملأ أى أنك تملأ فمك فخرًا لأن قتلت دودة وهى الحية وبهيمة وهى الأسد. وقوله: أنت فى أمان إلخ: مطالبة له =

أُمَّ لكَ؟! قالَ: الْيَوْمُ الأَسْوَدُ وَالْمَوْتُ الأَحْمَرُ. فقالَ بِشْرٌ: ثَكِلَتْكَ مَنْ سَلَحتْكَ[١]. فقالَ: يا بِشْرُ وَمَنْ سَلَحتْكَ. وَكَرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما على صاحِبِهِ. فَلَمْ يَتَمكَّنْ بِشْرٌ مِنْهُ وَأَمْكَنَ الْغُلامَ عِشْرُون طَعْنَةً في كُلْيَةِ بِشْرٍ كُلَّما مَسَّهُ شَبَا السِّنانِ حَماهُ عَنْ بَدَنِهِ إِبْقاءً عَلَيْهِ[٢]. ثُمَّ قالَ: يا بِشْرُ كَيفَ تَرى؟ أَلَيْسَ لوْ أَرَدْتُ لأَطْعَمْتُكَ أَنْيابَ الرُّمْحِ[٣]؟ ثُمَّ أَلْقَى رُمْحَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ فَضَرَبَ بِشْرًا عِشْرِينَ ضَرْبَةً بِعَرْضِ السَّيفِ ولَمْ يَتَمَكَّنْ بِشْرٌ مِنْ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ قالَ: يا بِشْرُ سلِّمْ عَمَّكَ وَاذْهَبْ في أَمانٍ. قالَ: نَعَمْ وَلكِنْ بِشَرِيطَةِ أَنْ تَقُولَ لي مَنْ أَنْتَ. فقالَ: أنا ابْنُكَ. فقالَ: يا سُبْحانَ اللهِ ما قارَنْتُ عَقِيلَةً قَطُّ[٤] فأني هذِهِ الْمِنْحَةُ!؟ فقالَ: أنا ابْنُ الْمَرْأَةِ التَّي دَلَّتكَ على ابْنَةِ عَمِّكَ. فقالَ بِشْرٌ:

تِلْكَ الْعَصا مِنْ هذِهِ الْعُصَيَهْ هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلاَّ الْحَيَهْ![٥]

= بما لا يمكن أن تسمح به حميته. كيف يسلم عمه بدون قتال ؟!.

(١) سلحتك رمت بك من بطنها وقذفتك وهى أمك فأجابه الغلام بشتم مثل شتمه. فقال: ومن سلحتك يا بشر: أى وثكلتك من سلحتك أيضًا.

(٢) أى أن الغلام قد تمكن من قتل بشر بعشرين طعنة كلها تصيب كليته لكنه كان يمس بدنه بشبا السنان أى طرفه ثم يحميه أى يبعده عنه ويقيه منه إبقاء عليه أى رحمة له واستبقاء لحياته.

(٣) أليس الحال والأمر أنى لو أردت أن أجعلك طعامًا لأنياب الرمح لأطعمتك إياها ؟ وليس للرمح إلا ناب واحد وهو السنان لكنه جمعها باعتبار تعدد الطعنات كأن لها فى كل طعنة ناباً أو أنه شبه الرمح بمفترس له أنياب وطواه وأشار إليه بالأنياب فهى تخييل محض.

(٤) ما قارنت عقيلة: ما تزوجت امرأة كريمة حتى تأتى بغلام كريم مثل هذا.

(٥) تلك العصا من هذه العصية: مثل من أمثال العرب أصله «أن العصا من العصية» قال الأصمعى: وأنا أحسبه «العصية من العصا» إلا أن يراد أن الشيء الجليل يكون فى بدء أمره صغيراً كما قالوا: «أن القرم من الأفيل» فيجوز حينئذ على هذا المعنى أن يقال: «العصا من العصية»، قال المفضل: أول من قال ذلك الأفعى الجرهمى، وذلك أن نزاراً حين حضرته الوفاة جمع بنيه: مضر. وأيادا، وربيعة، وأنمارا، فقال: يا بنى هذه القبة الحمراء - وكانت من أدم - لمضر، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة، وهذه الخادم - وكانت شمطاء - لأياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار، يجلس فيه، فأن أشكل عليكم كيف تقتسمون فأتوا الأفعى الجرهمى، ومنزله بنجران، فتشاجروا فى ميراثه، فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمى، فبينما هم فى مسيرهم إليه إذ رأى مضر أثر كلأ =

وَحَلفَ لا رَكِبَ حِصانًا

قد رعى فقال : إن البعير الذى رعى هذا لأعور، قال ربيعة : إنه لأزور، قال أياد : إنه لأبتر، قال أنمار : إنه لشرود، فساروا قليلا فإذا برجل ينشد جمله، فسألهم عن البعير فقال مضر : أهو أعور ؟

قال : نعم، قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم، قال أياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم، قال أنمار : أهو شرود ؟ قال : نعم، وهذه - والله - صفة بعيرى فدلونى عليه، قالوا : والله ما رأيناه، قال : هذا - والله - الكذب، وتعلق بهم، وقال : كيف أصدقكم وأنت تصفون بعيرى بصفته ؟ فساروا حتى قدموا نجران فلما نزلوا نادى صاحب البعير : هؤلاء أخذوا جملى ووصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره، فاختصموا إلى الأفعى - وهو حكم العرب - فقال الأفعى : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ قال مضر : رأيته رعى جانبًا وترك جانبًا فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدته فعلمت أنه أزور لأنه أفسده لشدة وطئه لإزوراره، وقال أياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعره، ولو كان ذيالًا لمضع به، وقال أنمار : عرفت أنه شرود لأنه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبث نبتاً فعلمت أنه شرود، فقال للرجل ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه، ثم سألهم : من أنتم ؟ فأخبروه، فرحب بهم، ثم أخبروه بما جاء بهم، فقال : أتحتاجون إلى وأنتم كما أرى ؟ ثم أنزلهم، فذبح لهم شاة، وأتاهم بخمر، وجلس لهم بحيث لا يرونه وهو يسمع كلامهم، فقال ربيعة : لم أر كاليوم لحمًا أطيب منه لولا أن شاته غذيت بلبن كلبه ! فقال مضر : لم أر كاليوم خمراً أطيب منه لولا أن حبلته نبتت على قبر ! فقال أياد : لم أر كاليوم رجلًا أسرى منه لولا أنه ليس لأبيه الذى يدعى له ! فقال أنمار : لم أركاليوم كلامًا أنفع فى حاجتنا من كلامنا - وكان كلامهم بأذنه - فقال : ما هؤلاء إلا شياطين، ثم دعا القهرمان فقال : ما هذه الخمر، وما أمرها ؟ قال : هى من حبلة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها ! وقال للراعى : ما أمر هذه الشاة ؟ قال : هى عناق أرضعتها بلبن كلبة، وذلك أن أمها قد ماتت ولم يكن فى الغنم شاة ولدت غيرها، ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال - وكان لا يولد له - قالت : فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك، فأمكنت من نفسى ابن عم له كان نازلًا عليه، فخرج الأفعى إليهم، فقص القوم عليه قصتهم، وأخبروه بما أوصى به أبوهم، فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر، فذهب مضر بالدنانير والإبل الحمر فسمى «مضر الحمراء» لذلك، وقال : وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء أسود فصارت لربيعة الخيل الدهم فقيل له « ربيعة الفرس » وما أشبه الخادم

وَلا تَزَوَّجَ حَصَانًا[١]. ثُمَّ زَوَّجَ ابْنَةَ عَمِّهِ لابْنِهِ.

= الشمطاء فهو لأياد، فصار له الماشية البلق من الحباق والنقد فسمى «أياد الشمطاء» وقضى لأنمار بالدراهم وبما فضل فسمى «أنمار الفضل» فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأفعى : (أن العصا من العصية، وأن خشينا من أخشن، ومساعدة الخاطل تعد من الباطل) فأرسلهن مثلًا، وخشين وأخشن : جبلان أحدهما أصغر من الآخر، والخاطل : الجاهل، والخطل في الكلام : اضطرابه، والعصية : تصغير تكبير مثل : أنا عذيقها المرجب، وجذيلها المحكك، والمراد أنهم يشبهون أباهم فى جودة الرأى، وأصالة الفكر، وسداده، وقيل : أن العصا اسم فرس كانت لجذيمة بن مالك بن نصر الذى يقال له جذيمة الأبرش وجذيمة الوضاح، والعصية اسم أمه يراد أنه يحكى أمه فى كرم العرق وشرف العتق، وقوله فى المقامة : (هل تلد الحية إلا الحية) نص مثل آخر، والمعنى : أنه لا يلد مثل ذلك الغلام الجريء والفتى الفاتك الشجاع إلا مثل بشر وأمه فليس ما رآه منه عجيبًا ولا غريب الوقوع ومثل هذا قوله : ومن عضه ما ينبتن شكيرها، ومثله - أو قريب منه - قول زهير :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا فى منابتها النخل

(١) الحصان - بوزن كتاب - : الفرس، والحصان - بزنة سحاب - المرأة العفيفة وإذا كان لا يريد أن يتزوج العفيفة فهو خليق بألا يتزوج غيرها والمعنى : أنه حلف أن يحرم نفسه لذة الدنيا ويمنعها من التمتع بطيب الحياة ليأخذ ابنه من ذلك بنصيب وفير.

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذا آخر ما تيسر لنا من التعليق على مقامات أمير البلاغة، وسلطان البيان أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى.

صحيفة الشكر

لست عظيما يَشيد الناس بذكري، ولا أريد أن أضع نفسي فوق موضعٍ أنزلني الله به، ولا كنت لو أن بي طماعية إلى ذلك، وهذا كتابي أقدمه للناطقين بالضاد وحسبي منهم أن يقدُروا اخلاصي قدره فيعترفوا بما بذلت من جَهد، وما أفرغت من طاقة، حين لم يكن لأحد سلطان علي.

ولقد وردتني كلمات في التقريظ من شيوخ الأدب ورجال البيان في مصر وكنت أظنني في غنى عنها، لما تضم جوانحي من الرغبة في البساطة، والميل عن الألوان والتحاسين، ولكني أثبت هنا- مع جزيل الشكر- كلماتٍ كان مصدرها العاطفةَ لا المجاملة، ومنشؤها الاخلاصَ لا التكلف، ويكفيني دليلا على ذلك إنها ممن اشتهروا عند أكثر القارئين بالإخلاص وصراحة الضمير، والسلام

محمد محيي الدين

جاءتنا هذه الكلمة من حضرة صاحب الفضيلة زعيم العلماء، وعالم الزعماء، الاستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد اللبان المفتش العام بإدارة المعاهد الدينية، وعضو البرلمان المصري ولنا مزيد الشرف والفخار بإثباتها. قال حفظه الله:

حضرة ولدي العزيز الاستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

تحيتي إليك (وبعد) فقد اطلعت على كتابك (شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني) فألفيته جنة أدب يانعة نسقت بفكرة صائبة، تدل على حسن ذوقك العربي، وعلو كعبك في سماء الأَدب الصافية من غياهب التعقيد والأغراب، المستنيرة ببدور أفكار الأذكياء، فسرني منك ما يسر الأَب الشفيق من آثار الابن البار، ودلتني بدايتك على كمال نهايتك، فأيقنت منك للغة بمستقبل رقي وتهذيب وانتشار وتقريب، أكثر الله في الأمة من أمثالك الفضلاء، وجعلك تاج هامهم، وواسطة عقدهم، والسلام عليك، من أخلص الناس إليك،

عبد المجيد اللبان

وتلقينا هذه الكلمة من حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير، رجل العلم والأدب، الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم سليمان الشرقاوي فنذكرها ابتهاجًا بثقة أديب له شرف الزعامة على أدباء هذا العصر. قال أبقاه الله:

الحمد لله خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على أفصح ولد معد بن عدنان، وأبلغ من كان

(وبعد) فإني تصفحت ما علقه ابن أخي الأستاذ الفاضل الشيخ محمد محيي الدين على مقامات بديع الزمان فوجدته طرفة أديب، ونبذة لبيب، دل على ذوق سليم، ونهج في اللغة مستقيم، دل خطو مؤلفه فيه على شأوه، وثمره على شجره، حتى أيقنت أنه بالغ إن شاء الله ما أملته في مخايل بدايته، من إشراق في نهايته، ونبوغ في حرفته، أسأله تعالى أن يرفعه إلى مستوى خلقه مستعدًّا له بنشأته، وكرم نحيزته، والسلام،

إبراهيم سليمان الشرقاوي

عزيزي الأخ:

باكورة غيثك تنبئ عن سعة اطلاعك، وأول زرعك حصاد غيرك، وكتابك هذا يشف عن مقدرتك، ويسجل لك في جبين الدهر غرةً بيضاءَ، وستكون لك به عند الأدباء المُنّة العظمى، لازال حد عزمك ماضيا، وزناد أملك وَاريا والسلام،

المخلص

إبراهيم مرسي بدوي

عزيزي الفاضل:

لقد سبحت بفكرك الثاقب في بحر الأدب فجبت عبابه، وخطبت عرائس البيان فكانت طوع يمينك، وهذا كتابك يشهد لك بالعبقرية، فقد ضمنته جوهرا هو غايتك ودرا هو بغيتك

فسر في طريقك قدوة لأمثالك والسلام،

القاهرة يناير سنة ١٩٢٤

إبراهيم السيد موافي

مدرس بمدرسة محمد على الخيريه

عزيز الأخ

أطلعت على ما جادت به قريحتك الوقادة في شرح مقامات البديع فألفيتها الدرر الغوالي فوق اللبات والنحور والجواهر الثمينة في السبائك الذهبية ولعمرك أي شيء وراء ذلك وأنت لم تترك بلاغة لبليغ ولا فصاحة لفصيح وما الذي تتطاول إليه الأعناق بعد هذا وقد ضمنته اللآلئ فجاء قلادة في جيد الدهر ولئن حق لأليف أن يفخر بقرينه فأنا أشد الناس فخارا بك والسلام،

على على هلالي

حضرة أخي الأديب الفاضل الشيخ محمد محيي الدين

سلام الله ورحمته عليك، لازلت بحرًا يغترف منه الواردون، ومنهلا يشرب منه الري والصدى، وبعد فقد اطلعت على كتابك (شرح مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذاني) فإذا هو- من غير مغالاة- فيه العبقرية الصادقة، والدرة اليتيمة، والروضة الغناء، الدانية قطوفها وكيف لا وهي ثمار الأديب التي تجعل الفقير غنيا والغني متسعًا، هذا ولا غرو فقد عهدتك منذ الصغر تواقًا إلى الأدب، شغوفًا باقتفاء أثر الأدباء والعمل على منهجهم القويم. ولازلت كذلك حتى جئت لنا اليوم بما شرح النفوس وأخذ بها إلى مستوى يخلق بالمقدرين للعلم أن يطأطئوا الرؤوس إجلالا لذلك اليراع الفذ بين إخوانه، وختاما نحض محبي العلم والأدب على اقتنائه فإن فيه شفاء الغلة والخزانة التي لا تفنى مادتها، والسلام

ابن عمك

محمد الطاهر أحمد

فهرس المحتويات

بين يدي هذه الطبعة ٣
صحيفة الإهداء ٥
مقدمة ٧
ترجمة أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني ٩
المقامة القريضيّة ١١
المقامة الأزاذيّة ١٥
المقامة البلخيّة ١٨
المقامة السِّجستانيّة ٢٠
المقامة الكوفية ٢٤
المقامة الأسدية ٢٦
المقامة الغيلانية ٣٤
المقامة الأذْربيجانية ٣٨
المقامة الجُرجانية ٤٠
المقامة الأصفهانية ٤٣
المقامة الأهوازية ٤٦
المقامة البَغدادية ٤٩
المقامة البصرية ٥٢

المقامة الفرازية ٥٥
المقامة الجاحظية ٥٨
المقامة المكفوفية ٦٢
المقامة البُخارية ٦٥
المقامة القزونية ٦٩
المقامة الساسانية ٧٣
المقامة القردية ٧٦
المقامة الموصلية ٧٨
المقامة المضيرية ٨٣
المقامة الحرزية ٩٩
المقامة المارستانية ١٠٤
المقامة المجاعية ١١١
المقامة الوعظية ١١٦
المقامة الأسْودية ١٢٥
المقامة العراقية ١٢٩
المقامة الحَمدانية ١٤١
المقامة الرُصافية ١٤٨
المقامة المَغزلية ١٥٤
المقامة الشّيرازية ١٥٧
المقامة الحُلوانية ١٦٠
المقامة النَهيدية ١٦٨
المقامة الإبْليسية ١٧٣

المقامة الأَرَمَنية ١٨٩
المقامة النَّاجمية ١٩٤
المقامة الخَلفية ٢٠٢
المقامة النَّيسابورية ٢٠٧
المقامة العِلمية ٢١٢
المقامة الوصية ٢١٤
المقامة الصَّيمرية ٢٢٥
المقامة الدِّينارية ٢٥٣
المقامة الشِّعرية ٢٦٣
المقامة الملوكية ٢٦٧
المقامة الصُّفْرية ٢٧٢
المقامة السَّارية ٢٧٣
المقامة التَّميمية ٢٧٦
المقامة الخَمرية ٢٨١
المقامة المَطْلية ٢٩٧
المقامة البِشْرية ٣٠٤
صحيفة الشُّكر ٣٢٩